

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الدخان<sup>١</sup>

<sup>٢</sup> مقصودها الإنذار من الهلكة لمن لم يقبل ما في الذكر الكريم<sup>٣</sup>  
الحكيم من الخير والبركة رحمة جعلها بين عامة خلقه مشتركه، وعلى  
ذلك دل اسمها "الدخان" إذا توملت آياته وإفصاح ما فيها وإشارات<sup>٤</sup>  
(بسم الله) الملك الجبار الواحد القهار (الرحمن) الذي عم بنعمة<sup>٥</sup>  
الندارة (الرحيم) الذي [خص -<sup>٦</sup>] أهل وداده برحمة البشارة.  
/ (ختم ج) تقدمت الإشارة إلى شيء من أمرار أخواتها.

٣٦/

<sup>٨</sup> ختم الزخرف ببشارة باطنة وندارة ظاهرة، وكان ما بشر

به سبحانه من علم العرب وسلامتهم من غوائل ما كانوا فيه مستبعدا، ١٠  
افتتح هذا بمثل ذلك مقسما عليه فقال: (والكتب) [أى -<sup>٧</sup>] الجامع

(١) الرابعة والأربعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها تسع  
ونخسون عند الكوفيين وسبع عند البصريين، وست عند المدنيين والمكي  
والشامي (٢) زيد في الأصل: قال رحمه الله تعالى، ولم تكن الزيادة، ظ  
ومد لحذفها (٣) ليس في ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: اسمه.  
(٥-هـ) من ظ ومد، وفي الأصل: راته (٦) من مد، وفي الأصل: وظ  
بنعمته (٧) زيد من مد (٨) في الأصول: ولا، وما أثبتناه ينسجم مع ما  
دأب عليه المؤلف في أوائل السور.

لكل خير (المبين هـ) أى البين فى نفسه، الموضح لما تقدم من دقيق  
 البشارة<sup>١</sup> لاهل الصفاء والبصارة، واضح<sup>٢</sup> النذارة بصرح العبارة، وغير  
 ذلك من كل ما يراد منه، ولأجل ما ذكر من الاستبعاد أكد جواب  
 القسم وأتى به فى مظهر العظمة فقال<sup>٣</sup>: (أنا) أى بما لنا من العظمة  
 هـ (أنزلته) أى الكتاب إما<sup>٤</sup> جميعا إلى بيت العزة فى سماء الدنيا  
 أو ابتدأنا إزاله إلى الارض (فى ليلة مبركة) أى ليلة القدر - قاله  
 ابن عباس رضى الله عنهما<sup>٥</sup> أو النصف من شعبان، فذلك يتأثر<sup>٦</sup> عنه  
 من التأثيرات<sup>٧</sup> ما لم تحط به الأفهام فى الدين والدنيا، قال الاستاذ  
 أبو القاسم القشيرى: ينزل إلى سماء الدنيا كل سنة بمقدار ما كان جبريل  
 ١٠ عليه السلام ينزله على الرسول صلى الله عليه وسلم فى تلك السنة،  
 وسمّاها "مبركة" لأنها ليلة افتتاح الوصلة وأشد الليالى بركة ليلة يكون  
 العبد فيها<sup>٨</sup> حاضرا بقلبه مشاهدا لربه، يتعم فيها بأنوار الوصلة  
 أو يجد فيها<sup>٩</sup> نسيم القرية، وقال الرازى فى اللوامع: وأعظم الليالى  
 بركة ما كوشف فيها بحقائق الأشياء.

- (١) من مد، وفى الأصل: البصارة (٢) من مد، وفى الأصل: اوضح.  
 (٣) العبارة من هـ والكتاب هـ إلى هنا ساقطة من ظ (٤) فى مد: إلى - خطأ.  
 (٥) راجع أيضا معالم التنزيل بهامش الباب ١١٩/٦ من مد، وفى الأصل وظ:  
 تابشر (٧) من مد، وفى الأصل وظ: التأثيرات (٨) فى مد: السه (٩-١٠) من  
 ظ و مد، وفى الأصل: فيها العبد (١٠-١١) من ظ و مد، وفى الأصل:  
 بجذنها (١١) من مد، وفى الأصل وظ: كشف.

ولما كان هذا موضعها لما لوح به آخر تلك من البشارة في ظاهر  
التذارة، علل الإنزال أو استأقت ما فيه من واضح التذارة الموصل إلى  
المعاني المقضية للبشارة، فقال مؤكداً لاجل تكذيبهم: ( انا ) أى  
على ما نحن عليه من الجلال ( كنا ) بما لنا من العظمة دائماً لعبادنا  
( منبرين ) لا تأخذهم من غير إنذار، فلاجل رحمتنا هؤلاء القوم ه  
وهم أرق الناس طبعا وأصفاهم قلوبا وأوعاهم [ سيما - ° ] فوصلهم  
بما هيأناهم به من ذلك إلى ما لم يصل غيرهم إليه ولم يقاربه من المعالي  
في الأخلاق والشئال والاكساب بجميع الفضائل .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت [ سورة - ° ] حم  
السجدة وسورة الشورى من ذكر الكتاب العزيز ما قد أشير إليه بما ١٠  
لم تنطوي سورة غافر على شيء منه ، وحصل من مجموع ذلك الإعلام  
بتزييله من عند الله و تفصيله و كونه قرآنا عربيا إلى ما ذكر تعالى من  
خصائصه إلى قوله ” وانه لذكر لك و لقومك / و سوف تسئلون “  
و تعلق الكلام بعد هذا بعضه ببعض إلى آخر السورة ، افتتح تعالى  
سورة الدخان بما يكمل ذلك الغرض ، وهو التعريف بوقت إنزاله إلى ١٥

- (١) من مد ، وفي الأصل و ظ و و ( ٢ - ٢ ) من ظ و مد ، وفي الأصل :  
لنا ( ٣ ) في مد : لا تأخذهم ( ٤ ) من ظ و مد ، وفي الأصل : اطفاهم ( ٥ ) زيد  
من مد ( ٦ ) من مد ، وفي الأصل و ظ : لم تنطوي ( ٧ ) من ظ و مد ، وفي  
الأصل : حاصل ( ٨ ) من ظ و مد ، وفي الأصل : مزيلة ( ٩ ) في الأصل و ظ  
بإص ملاءه من مد ( ١٠ ) في مد : استفتح .

سما الدنيا فقال تعالى " انا انزلته في ليلة مبركة " ثم ذكر من فضلها فقال " فيها يفرق كل امر حكيم " فحصل وصف / الكتاب بخصائصه والتعريف بوقت إنزاله إلى سما [ الدنيا - ٢ ] وتقدم الام من ذلك في السورتين قبل ، و تأخر التعريف بوقت إنزاله ٢ إلى سما الدنيا إذ ليس في التأكيد كالتقدم ، ثم وقع إثر هذا تفصيل وعيد قد أجل في قوله تعالى " فاصفح عنهم وقل سلّم فسوف يعلمون " و ما تقدمه من قوله " ام ابرموا امرا قاتا مبرمون " وقوله سبحانه " ام يحسبون انا لانسمع سرهم ونجوتهم " و تنزيهه سبحانه وتعالى نفسه عن عظيم افرائهم في جعلهم الشريك والولد - إلى آخر السورة ، ففصل بعضا ما أجلته ١٠ هذه الآي في قوله تعالى في صدر سورة الدخان " فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين " وقوله تعالى " يوم نبطش البطشة الكبرى " ، والإشارة إلى يوم بدر ، ثم ذكر شأن غيرهم في هذا و هلاكهم بسوء ما ارتكبوا ليشرقوا ١ أن لا فارق ١ إن هم عقلوا واعتبروا ، ثم عرض بقرنهم ١ في مقاله ما بين لابتها أعز مني ولا أكرم ، ثم ذكر تعالى

- (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : بما (٢) زيد من مد (٣) في مد : نوله .  
 (٤) من ظ ، وفي الأصل : السماء ، وهذه الكلمة مع ما قبلها وما بعدها ساقطة  
 من مد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : التفصيل (٦) من ظ و مد ، وفي  
 الأصل : بعد (٧) من مد ، وفي الأصل و ظ : من (٨) من مد ، وفي الأصل :  
 و ظ : حتى يشرقوا (٩-٩) من مد ، وفي الأصل و ظ : انهم (١٠) من مد ،  
 وفي الأصل و ظ : فبرعون هم (١١) في مد « و »



شجرة الزقوم“ إلى قوله ” ذق انك انت العزيز الكريم“ و التحم هذا كله التحاما يهر العقول ، ثم اتبع بذكر حال المتقين جريا على المطرد من شفع التريغيب و الترهيب ليين حال الفريقين و ينتج علم الواضح من الطريقين ، ثم قال لئيه صلى الله عليه و سلم ” فانما يسنه بلسانك لعلهم يتذكرون“ و قد أخبره مع يان الامر و وضوحه أنه ” انما يتذكر ه من يخشى“ ثم قال ” فارتقب“ و عدك و وعيدهم ” انهم مرتقبون“ . و لما وصف ليلة إزال هذا القرآن بالبركة ، و أعلم أن من أعظم بركتها النذارة ،<sup>١</sup> و كانت النذارة مع أنها آفرت من البشارة أمرا عظيما موجبا لفرقان ما بين المحاسن و المساوئ من الاعمال قائدة إلى كل خير بدليل أن اتباع ذوى البركة من العلماء ، و إذا تعارض عندم أمر العالم ١٠ و الظالم ، قدموا أمر الظالم لما يخافون من نذارته ، و أهملوا أمر العالم و إن عظم الرجاء لبشارته ، قال معللا ببركتها بعد تعليل الإنزال فيها ، و معما لما يحصل فيها من بركات التفضيل<sup>٢</sup> : ( فيها ) أى الليلة المباركة سواء قلنا : إنها ليلة القدر أو ليلة النصف أصالة أو مآلا ( يفرق ) أى ينشر و بين و يفصل و يوضح مرة بعد مرة ( كل امر حكيم )<sup>٣</sup> أى ١٥ يحكم الامر لا يستطيع أن يطمئن فيه بوجه من جميع ما يوحى به من الكتب و غيرها و الارزاق و الآجال و النصر و الهزيمة و الخصب

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينتهج (٢-٢) - سقط ما بين الرقين من مد .

(٢-٣) من مد ، و فى الأصل : فرقة مع ، و فى ظ : فرقة من (٤) من ظ

و مد ، و فى الأصل : التفصيل .

والقحط وغيرها من جميع أقسام الحوادث وجزئيا في أوقاتها وأماكنها. وبيّن ذلك للملائكة من تلك الليلة إلى مثلها من العام المقبل فيجدونه سواء فزادون بذلك إيمانا. قال البغوي رحمه الله: قال ابن عباس رضي الله عنهما: يكتب من أم الكتاب [ في ليلة القدر - ° ] ما هو كائن في السنة من الخير والشر، والأرزاق والآجال، قال: وروى أبو الضحى عنه أن الله تعالى يقضى الأفضية في ليلة النصف من شعبان فيسألها إلى أربابها<sup>١</sup> في ليلة القدر °. وقال الكرمانى: فيسألها إلى أربابها<sup>٢</sup> وعالمها من الملائكة ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان °. ولما كان هذا مفهوما لأمر لا حصر لها، بين أنه لا كلفة عليه سبحانه

١٠. فيه، ولا يتجدد عنده في وقت من الأوقات لشيء لم يكن قبل إلا تعليق القدرة بالمقدّر على وفق الإرادة، فقال مؤكداً لفخامة ما تضمنه وصفه بأنه حكيم: (أمر) أى حال كون هذا كله مع انتشاره وعدم انحصاره أمراً عظيماً جداً واحداً لا تعدد فيه درناه في الأزل وقرناه وأتقناه واختارناه ليوحد في أوقاته بتقدير، وبرز على ما له من

- 
- (١) من ظ ومد، وفي الأصل: الأشياء (٢) من مد، وفي الأصل وظ: تجريتها.  
 (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: قبلها (٤) راجع العالم بهامش الباب ١٢٠/٦.  
 (٥) زيد من مد والعالم (٦ - ٦) سقط ما بين الرقنين من ظ (٧ - ٧) من مد، وفي الأصل وظ: لما (٨) زيد في الأصل: ونحن قد، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفها (٩ - ٩) من مد، وفي الأصل وظ: أوقات بتقدير امرنا وبرز.

الإحكام في أحيائه في ' أنل ر من - ٢ ' [ ملح البصر ، ودل على أنه ليس مستغرقا لما تحت قدرته سبحانه بآيات الجار فقال : ( من عندنا ) أي من العاديات والخوارق وما وراءها . و لما بين [ حال - ٢ ] الفرقان الذي من جملة الإنذار ، علله بقوله مؤكدا لما لهم من الإنكار : ( أنا ) أي بما لنا من أوصاف الكمال و كمال العظمة ( كنا ) أي أزلا وأبدا . ( مرسلين ) أي لنا صفة الإرسال بالقدرة عليها في [ كل - ٢ ] حين و الإرسال لمصالح العباد ، لا بد فيه من الفرقان بالبشارة و النذارة و غيرهما حتى لا يكون لبس ، فلا يكون لأحد على الله حجة ' بعد الرسل ' ، وهذا الكلام المنتظم و القول الملتحم بعضه ببعض ، المتراصف ' أجل رصف في وصف ليلة الإنزال دال على أنه لم تنزل صحيفه ولا كتاب ' إلا ١٠ في هذه الليلة ، فبدل على أنها ليلة القدر للأحاديث الواردة في أن الكتب كلها نزلت فيها كما بينته في كتابي " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور " و كذا قوله في سورة القدر " تنزل الملائكة و الروح فيها بأذن ربهم من كل امر " فان الوحي الذي [ هو - ٢ ] يجمع ذلك هو روح الأمور الحكيمة ، و بين سبحانه حال الرسالات ١٥

(١) من مد ، و في الأصل وظ : من (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ ومد .  
 (٤-٤) سقط ما بين الرفعين من مد (٥) من مد ، و في الأصل وظ : بعض .  
 (٦) من مد ، و في الأصل وظ : المراصف (٧) من مد ، و في الأصل وظ :  
 لم ينزل (٨) من مد ، و في الأصل وظ : كتابا (٩) في الأصل وظ :  
 الحكيمة ، و في مد : الحكيم .

بقوله : ﴿ رحمة ﴾ و عدل لأجل ما اقتضاه التعبير بالرحمة عما كان من أسلوب التكلم بالمعظمة 'من قوله' "منا" إلى قوله : ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن 'إليك بارسالك و إرسال كل نبى مضى' من قبلك ، فان رسالاتهم كانت لبث الأنوار فى العباد ، و تمهيد الشرائع فى العباد ، حتى استنارت القلوب ، و اطمأنت النفوس ، بما صارت تعهد من شرع الشرائع و توطئة الأديان ، فتسهلت طرق الرب لتعميم رسالتك حتى ملأت أنوارك الآفاق ، فكنت نتيجة كل من تقدمك من الرفاق .

و لما كانت الرسالة لا بد فيها من السمع و العلم . قال : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع ﴾ أى فهو الحى المريد ﴿ العليم لا ﴾ فهو القدير ١٠ البصير المتكلم ، يسمع ما يقوله رسله و ما يقال لهم ، و كل ما يمكن أن يسمع و إن كان بحيث لا يسمعه غيره من الكلام النفسى و غيره الذى هو بالنسبة إلى سمعنا كنسبة ما تسمعه من الكلام إلى سماع الأصم و سمعه ليس كأسماعتنا ، بل هو متعلق / بالمسموعات على ما هى عليه قبل وجودها كما أن عليه متعلق بالمعلومات كما هى قبل كونها .

١٥ و لما ذكر إزال الكتاب على تلك الحال العظيمة البركة لأجل الإرسال ، و بين أن معظم ثمرة الإرسال<sup>١</sup> الإنذار لما للرسول إليهم من أنفسهم

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقوله (٢) فى مد : المرسل (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : رسالته (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الفريد (٦) زيد فى الأصل : الإزال و ثمرة الإزال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها .

من التوار<sup>١</sup>، دل على ذلك من التدبير المحكم الذى اقتضته حكمة التبرية فقال: ﴿ رب أى مالك<sup>٢</sup> ومنشئ<sup>٣</sup> ومدير<sup>٤</sup> (السنوات) أى جميع الأجرام العلوية<sup>٥</sup> (و الارض) وما فيها<sup>٦</sup> (وما بينهما<sup>٧</sup>) عما تشاهدون من هذا الفضاء، وما فيه من الهواء وغيره، عما تعلمون من اكتساب العباد، وغيرهما عما لا تعلمون، ومن المعلوم أنه ذو العرش والكرسى فلم بهذا أنه مالك الملك كله .

ولما كانوا مقرين بهذه الربوبية و ياتقون<sup>٨</sup> من وصفهم بانهم غير محققين لشيء يعترفون<sup>٩</sup> به، أشار إلى ما يلزمهم<sup>١٠</sup> بهذا الإقرار إن كانوا [ كما -<sup>١١</sup> ] يزعمون من التحقيق [ فقال -<sup>١٢</sup> ]: (إن كنتم موقنين<sup>١٣</sup>) أى إن كان لكم إيقان<sup>١٤</sup> بأنه الخالق لما ركز<sup>١٥</sup> في غرائزكم و جيلاتكم<sup>١٦</sup> رسوخ العلم الصافي السالم عن شوائب الأكدار من حظوظ النفوس و عوائق<sup>١٧</sup> العلائق، فأنتم تعلمون أنه لا بد لهذه الأجرام الكشيفة جدا المتعالى بعضها عن بعض بلا ممسك تشاهدونه مع تغير كل منها<sup>١٨</sup> بأنواع الغير من رب، وأنه لا يكون و هى على [ هذا -<sup>١٩</sup> ] النظام إلا و هو

- (١) كذا من مد، وفي الأصل وظ: التوارد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: مبدى (٣) في ظ و مد: العالمة (٤ - ٥) سقط ما بين الرتين من ظ و مد (٥) من مد، وفي الأصل وظ: تابعون (٦) من مد، وفي الأصل وظ: يعرفونه (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: يكرمهم (٨) زيد من ظ و مد (٩) زيد من مد (١٠) سقط من مد (١١) في مد: ذكر (١٢) من مد، وفي الأصل وظ: عرائق (١٣) من مد، وفي الأصل وظ: منها .

كامل العلم شامل القدرة، مختار في تديره، حكيم في شأنه كله وجميع تقديره، وأنه لا يجوز في الحكمة أن يدع من فيها من العلماء العقلاء الذين هم خلاصة ما فيها هملاً ينفى بعضهم على بعض من غير رسول معلم بأمره. وأحكامه وزواجره. منه لهم على أنه ما خلق هذا الخلق هـ كله إلا لأجلهم، ليحذروا سطواته ويقيدوا بالشكر على "ما حاتم" به من أنواع هباته.

ولما ثبت بهذا النظر الصافي روبيته، و بعدم<sup>١</sup> اختلال التدير على طول الزمان وحدانيته، و بعدم الجرى على نظام واحد من كل وجه فعله بالاختيار وقدرته، صرح بذلك منبها لهم على أن النظر ١٠ الصحيح أنتج ذلك ولا بد فقال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [أي - °] وإلا لتنازع في أمرهما أو بعضه منازع، أو أمكن أن ينازع فيكون محتاجا لاحالة، وإلا لدفع عنه<sup>٢</sup> من يمكن نزاعه له وخلافه إياه، فلا يكون صالحا للتدير والقهر لكل من يخالف رسله. والإجماع<sup>٣</sup> لكل من يوافقهم على مر الزمان وتناول الدهر ومد<sup>٤</sup> الحدثان على نظام مستمر، ١٥ وحال ثابت مستقر<sup>٥</sup>.

(١) سقط من ظ ومد (٢) من ظ ومد. وفي الأصل: يصدوا.  
(٣ - ٢) من مد، وفي الأصل: من حياهم، وفي ظ: من حياهم - كذا.  
(٤) من ظ ومد، وفي الأصل: بعد (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي الأصل و ظ: نزاعه (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: الإجماع (٨) في ظ ومد: مر (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: مستمر.

ولما ثبت أنه لا مدبر للوجود غيره، ثبت قوله تعالى: ﴿يحيى ويميت﴾<sup>١</sup>  
لأن ذلك من أجل ما فيهما من التدبير، وهو تنبيه على تمام دليل  
الوحدانية لأنه لا شيء ممن فيهما يبقى ليسند التدبير إليه، ويحال شيء  
من الأمور عليه، فهما جملتان: الأولى نافية لما أئتموه من الشرك، والثانية  
مثبتة لما نفوه من البعث.

٥

ولما ثبت أنه المختص بالإفاضة<sup>٢</sup> والسلب، وكان السلب / أدل على  
القهر، ذكرهم ما له من ذلك في أنفسهم فقال سبحانه: ﴿ربكم﴾ أى  
الذى أفاض عليكم ما تشاهدون من النعم فى الأرواح وغيرها  
﴿ ورب آبائكم ﴾ ولما كانوا يشاهدون من ربوبيته لأقرب آبائهم ما  
يشاهدون لأنفسهم، رقى<sup>٣</sup> نظرم إلى النهاية فقال: ﴿الاولين﴾ أى الذين<sup>١٠</sup>  
أفاض عليهم ما أفاض عليكم ثم سلهم ذلك كما تعلمون، فلم يقدر أحد  
منهم على مناعة ولا طمع فى منازعة بنوع مدافعة.

ولما كان أكثرهم منكرا لما لزمه القطع به بهذا البرهان الزاهر<sup>٤</sup>  
والسلطان الظاهر<sup>٥</sup> القاهر عنادا ولدا وإن كان باطنه على غير ذلك،

(١) من مد، وفى الأصل وظ: التربية (٢) من مد، وفى الأصل وظ:  
بالإضافة (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: ما (٤-٥) فى الأصل بياض ملائمه  
من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: يشاؤون (٦) من ظ ومد،  
وفى الأصل: لا يرى (٧) من مد، وفى الأصل وظ: وفى (٨) من مد،  
وفى الأصل وظ: الذى (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: الظاهر (١٠) من  
ظ ومد، وفى الأصل: الباهر.

فكان فعله فعل الشاك اللاعب ، كان التقدير لأجل ما يظهر  
 [ من حالهم - ٢ ] : لكنكم غير موقنين بعلم من العلوم ، بنى عليه قوله مع  
 الصرف إلى الغيبة إعراضا عنهم ، إيدانا بالغضب ، و " أنهم أهل " للمعالجة  
 بالعطب : ( بل هم ) أى بضارهم ( فى شك ) لأنهم لا يجرّدون أنفسهم  
 من شوائب المكدرات لصفاء العلم ، ثم أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم  
 أن الشاغل لهم عن هذا المهم حال الصبيان مع ادعائهم الكمال بأخلاق  
 الإجملاء من الرجال [ فقال - ٢ ] : ( يلعبون ) أى يفعلون دائما فعل  
 التارك لما هو فيه من أجد الجد الذى لامية فيه إلى اللعب الذى  
 لا فائدة فيه ولا ثمرة [ له - ٢ ] بوجه بعد فعل الشاك بالإعراض وعدم  
 الإسراع إلى التصديق والإيقاض .

ولما كان هذا موضع أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم المفهوم  
 من السياق : فماذا صنع فيهم بعد هذا البيان ، الذى لم يدع لبسا  
 لإنسان ؟ سبب عن ذلك قوله تسليّة له وتهديدا لهم : ( فارتقب )  
 أى انتظر بكل جهدك عاليا عليهم ناظرا لأحوالهم نظر من هو حارس  
 (١) زيد فى الأصل و ظ : اصه ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٢) فى  
 الأصل و ظ بياض ملائها من مد (٣) زيد من مد (٤) زيدت الواو فى  
 الأصل ولم تكن فى ظ و مد لحذفها (هـ - هـ) من مد ، وفى الأصل و ظ :  
 ان هم اهلا (٦) زيد فى الأصل و ظ : اخلاق ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها .  
 (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : المشارك (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل :  
 الا - كذا مع بياض بعده (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠) من مد ،  
 وفى الأصل و ظ : لالشان (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : انتظر .



لها، متحفظاً من مثلها بهمة كهمة الأسد الأرقب، والفعل متعد ولكنه  
 قصر تهويلاً لذهاب الوم في مفعوله كل مذهب، ولعل المراد في  
 الأصل ما يحصل من أسباب نصرك و موجبات خذلانهم  
 ﴿يوم تاتي السماء﴾ أي فيما يخيل للمين لما يغشى البصر من شدة الجهد  
 بالجوع إن كان المراد ما حصل [لهم-<sup>١</sup>] من المجاعة الناشئة عن القحط ه  
 الذي سببه قوله صلى الله عليه وسلم " اللهم أعني عليهم بسبع كسبع  
 يوسف " وروى في الصحيح<sup>٢</sup> أن الرجل منهم كان يرى ما بين السماء  
 و الأرض كهمة الدخان، و في الواقع<sup>٣</sup> أن المراد-عند قرب الساعة  
 وعقب قيامها، فانه ورد أنه يأتي إذ ذاك فيغشى الناس و يحصل  
 للؤمن منه كهمة الزكام، و يجوز أن [يكون-<sup>١</sup>] المراد 'عم' من ذلك ١٠  
 كله و أوله<sup>٤</sup> وقت القحط [و كان آية على ما بعده، أو منه ما يأتي  
 عند خروج الدخان من القحط-<sup>٦</sup>] الذي يحصل قبله<sup>٥</sup> أو غيره كما قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد: إني قد خبأت لك خبأ<sup>٨</sup> فاهو؟  
 قال<sup>٩</sup>: الدخ، ففسر بالدخان، فلذلك قال تعالى: ﴿بدخان مبين لا﴾  
 أي واضح<sup>٩</sup> لا لبس<sup>٩</sup> فيه عند رائي<sup>١٠</sup> ومبين<sup>١١</sup> لما سواه من الآيات للفظن ١٥

- (١) زيد من مد (٢) راجع ٧١٤/٢ (٣) من مد، وفي الأصل و ظ : المراقم.  
 (٤) من مد، وفي الأصل و ظ : اعلم (٥) من ظ و مد، وفي الأصل : ادله .  
 (٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد، وفي الأصل و ظ : قوله (٨-٨) من  
 مد، وفي الأصل و ظ : قال فاهو (٩-٩) من مد، وفي الأصل و ظ :  
 ليس (١٠) من مد، وفي الأصل و ظ : رايه (١١) من ظ و مد، وفي  
 الأصل : مبين .

( يغشى الناس<sup>١</sup> ) أى المهديين بهذا . وهم الذين رضوا بمحيض

النوم / و الاضطراب عن أوج الثبات فى رتبة الصواب<sup>٢</sup> ، روى مسلم

/ ٧٣١

فى صحيحه<sup>٣</sup> عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم

قال : بادروا بالأعمال ستا : الدجال و الدخان و دابة الأرض<sup>٤</sup> و طلوع

الشمس من مغربها و أمر العامة و خويصة أحدكم .

ولما كان من المعلوم أنهم يقولون عند إتيانه جريا على عادة جهلهم :

ما هذا ؟ أجيبوا بقوله تعالى حكاية<sup>٥</sup> عن لسان<sup>٦</sup> الجال ، أو قول بعضهم

أو بعض أولياء الله : ( هذا عذاب اليم<sup>٧</sup> ) يخلص وجهه إلى القلب فيبلغ

فى ألمه بما كنتم تؤلمون دعائكم إلى الله يرد مقولهم و الاستخفاف<sup>٨</sup> باغتراركم<sup>٩</sup>

١٠ بكثرة العدد [ و القوة - ]<sup>١٠</sup> و المدد .

ولما كان كأنه قيل : فما قالوا حين تحققوا ذلك ؟ قيل<sup>١١</sup> : قالوا<sup>١٢</sup> و قد

احلكت عرى تلك العزائم . و هت تلك القوى من كل [ عازم - ]<sup>١٣</sup> ،

و سفلت<sup>١٤</sup> بعد العلو تلك الشوامخ من الهمم<sup>١٥</sup> مدعين أنهم لغاية الإذعان

من أهل القرب و الرضوان : ( ربنا )<sup>١٦</sup> أى أيها المبدع لنا و المحسن

( ١ ) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحدثناها ( ٢ ) راجع

صحيحه ٤٠٦/٢ ( ٣ ) سقط من مد ( ٤ - ٥ ) من مد ، و فى الأصل و ظ : لبيان .

( ٥ ) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاستحقاق ( ٦ ) من ظ و مد ، و فى الأصل :

باغتراركم ( ٧ ) زيد من مد ( ٨ ) من مد ، و فى الأصل : قال ( ٩ ) العبارة من

« حين تحققوا » إلى هنا ساقطة من ظ ( ١٠ ) من مد ، و فى الأصل و ظ :

شغلت ( ١١ ) من مد ، و فى الأصل و ظ : الهم .

إلينا ( اكشف عنا العذاب ) ثم عللوا<sup>١</sup> ذلك بما علموا أنه الموجب  
كشفه ، فقالوا مؤكدين لما لحاهم من المنافة لغيرهم : ( انا مؤمنون هـ )  
أى عريقون فى وصف الإيمان واصلون إلى رتبة الإيقان ، وهذا يصح  
أن يراد به بعد طلوع الشمس من مغربها ، روى الشيخان<sup>٢</sup> عن أبى  
هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة هـ  
حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ،  
وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها ، ثم قرأ الآية ، وإن [ كان - ٢ ] المراد  
بالعذاب ما حصل 'من القحط' كان هذا الإيمان على سبيل الوعد .

ولما كان كشف الآيات وإظهار العذاب لا يفيد فى الدلالة على  
الحق أكثر مما أفاده الرسول صلى الله عليه وسلم بما أقامه من المعجزات ١٠  
بل إفادة الرسول أعظم ، أجيب من<sup>٣</sup> كأنه سأل عن حالهم عند ذلك  
بقوله معرضا عن خطابهم ، إيذانا بدوام مصابهم . لتلا يظن ظان أنه ما  
كشف عنهم العذاب إلا لظن أنهم صادقون : ( انى ) أى كيف و من  
أين ( لهم الذكرى ) أى هذا التذكّر العظيم الذى وصفوا به<sup>٤</sup> أنفسهم  
( وقد ) أى والحال أنه<sup>٥</sup> قد ( جاءهم ) ما هو أعظم من ذلك بما ١٥

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : علل (٢) راجع صحيح البخارى تفسير سورة  
الأنعام وصحيح مسلم - أبواب الإيمان (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من  
مد ، وفى الأصل و ظ : بانقحط (٥) زيد فى الأصل : كان ، ولم تكن  
الزائدة فى ظ و مد لحذفها (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : لتذكر .  
(٧) من مد ، وفى الأصل : فيه (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : انهم .

لا يقايس ﴿رسول مبین لا﴾ أى ظاهر غايه الظهور أنه رسولنا ، و موضح  
غاية الإيضاح لما جاء به عنا بما أظهر من الآيات ، و غير ذلك  
من الدلالات .

و لما كان الإعراض عنه مع ما له من العظمة بالبيان استخفافا به  
و بمن جاء من بعده ، أشار إلى ذلك بأداة التراخي فقال : ﴿ثم﴾ أى  
بعد ما له من على الرتبة فى نفسه و بالإضافة إلى من أرسله . و لما كانت  
الفطر الأولى داعية إلى الإقبال على الحق ، نازعة إلى الانقطاع إلى الله  
و العكوف بيباه ، و اللجوء إلى جنبه . إلا بجهد من النفس<sup>٢</sup> فى النفور<sup>٣</sup>  
و علاج دواعى الشور ، أشار<sup>٤</sup> إلى ذلك / بالتعبير بصيغة التفعّل فقال :  
١٠ ﴿تولوا عنه﴾ أى أطاعوا ما دعاهم إلى الإدبار<sup>٥</sup> عنه من دواعى الهوى  
و نوازع الشهوات و الحظوظ ﴿و قالوا﴾ أى زيادة على إساءتهم<sup>٦</sup>  
بالتولى : ﴿معلم﴾ أى علمه غيره من البشر ﴿مجنون﴾ فلم<sup>٧</sup> يبالوا  
بالتناقض بين الأمر ، و هذا يدل على أن من لا يبال بعرضه و لحياء  
له لا طيب لدائه لأنه لا وجود لدوائه ، و أنه إذا مس بما يليه و يردّه  
١٥ و يهينه لا يؤمن [ من -<sup>٨</sup> ] رجوعه إلى الحال<sup>٩</sup> السيئ<sup>١٠</sup> عند<sup>١١</sup> كشف ذلك

/ ٧٣٢

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : على (٢) زيد فى الأصل و ظ : الحق ،  
و لم تكن الزيادة فى مد لحذفها (م-م) من مد ، وفى الأصل و ظ : بالنفور -  
كذا (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : إشارة (هـ) من ظ و مد ، وفى  
الأصل : الإباء (٦) زيد فى الأصل و ظ : بالقول ، و لم تكن الزيادة فى مد  
لحذفها (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : و لم (٨) زيد من مد (٩-٩) من  
مد ، وفى الأصل و ظ : السيئ منه .

الضرر عنه .

ولما لفت سبحانه الخطاب عنهم إهانة لهم، بين أن سببه أن دامم  
عضال، فليس له أبدا زوال، فقال مؤكدا لاستبعاد زوال يمام فيه :  
(انا) أى على ما لنا من العظمة 'بالعلم المحيط' وغيره (كاشفوا العذاب)  
[أى - ٢] عنكم بدعاء رسولكم صلى الله عليه وسلم فى القول بأن ه  
الدخان ما كانوا يرونه بسبب الجوع من القحط (قليلًا) إقامة للحجة  
عليكم لاختفاء ما فى ضمائركم علينا . ولما كانوا قد أكدوا الإخبار  
بأيمانهم\*، وهو باطل، أكد سبحانه الإخبار بكذبهم، ومن أصدق  
منه سبحانه قليلًا، فقال تحقيقًا لقوله تعالى "ولو ردوا لعادوا لما نهوا  
عنه" و"انهم لكاذبون": (انكم عائدون<sup>٢</sup>) أى ثابت عودكم بعد ١٥  
كشفنا عنكم فى ذلك الزمن القصير إلى الكفران وإن أكدت حصول  
الإيمان [بأكيد الإيمان - ٢] لما فى جبلانكم من العوج ولطباعكم من  
المبادرة إلى الزلل، فأيمانكم هذا الذى أخبرتم برسوخه عرض زائل وخيال  
باطل، وإن كان هذا فى آخر الزمان فلا بدع أن يكون الخطاب لهم  
على حقيقته بملك أو غيره ممن يردده الله تعالى لأن ذلك زمان خرق ١٥  
العادات ونقض المطردات إقامة للحجة عليهم وله الحجة البالغة، وتأديبا

(١-٢) من مد، وفى الأصل: وظ: بالمحيط (٢) زيد من مد (٣) من مد،  
وفى الأصل وظ: سبب (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: كان وا - كذا .  
(٥) فى مد: بكذبهم بأيمانهم (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: قليلًا (٧) من  
ظ ومد والقرآن، وفى الأصل: لعائدون .

لنا و تعلميا .

ولما كان اليوم قد يراد به الزمن المجتمع في حكم من الأحكام ،  
 وكان زمان الدخان [ إن - ١ ] كان المراد به القحط الذي كان قبل  
 يوم بدر أو<sup>١</sup> ما يقرب من الساعة يسمى<sup>٢</sup> يوما واحدا لاتحاد ذلك الحكم ،  
 هـ أ بدل من " يوم الدخان " قوله تهديدا يشق الأكباد : ( يوم نطش )  
 أى بما لنا من العظمة ، و البطش : الأخذ بقوة<sup>٣</sup> ( البطشة الكبرى : )  
 [ أى - ٥ ] التي يتنجل لها عراهم<sup>٤</sup> و تنخل بها<sup>٥</sup> عزائمهم و قواهم ، ولا يجتملها  
 حقائقهم و لامناهم ، سواء كانت البطشة يوم بدر أو غيره فيخسر<sup>٦</sup> هنالك  
 من كشف حال الابتلاء عن طغيانه ، وتمرده على ربه و عصيانه ، و يجوز  
 ١٠ أن يكون هذا ظرفا لعائدون . ولما كان ماله سبحانه من الحلم و طول  
 الإمهال موجبا لأهل البلادة و الغلظة الشك في وعيده ، قال مؤكدا :  
 ( انا منتقمون هـ ) أى ذلك صفة ثابتة لم زل نفعلها بأعدائنا لنسر أضدادهم  
 من أوليائنا .

ولما كان التقدير : فلقد فتناهم بارسائك إليهم ليكشف ذلك لمن  
 ١٥ / ٧٣٣ لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه عما / نعلمه في الأزل ، وفيما لا يزال<sup>٧</sup> و لم يزل ،

- (١) زيد من مد (٢) من مد ، و في الأصل و ظ و « و » (٣) من ظ و مد ،  
 و في الأصل : سيجى - كذا (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : بالقوة .  
 (٥) زيد من ظ و مد (٦) ليس في ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل :  
 فيسر (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : فعله (٩) من ظ و مد ، و في الأصل :  
 لا يزل .

من بواطن أمورهم ، فتقوم الحجة على من خالفنا على مقتضى عاداتكم ،  
عطف عليه عذرا لقريش و مسلما للنبي صلى الله عليه وسلم قوله :  
( ولقد فتنا ) أى فعلنا على ما لنا من العظمة فعل القآن وهو المختبر<sup>١</sup>  
الذى يريد أن يعلم حقيقة الشيء بالإملاء والتمكين ثم الإرسال<sup>٢</sup> .

و لما كان من المعلوم أن قوم فرعون لم يستغفروا الزمان ولا كانوا ه  
أقرب الناس زمانا إلى قريش ، نزع الجار قبل الظرف لعدم الإلباس  
أو أنه عظم فتنتهم لما كان لهم من العظمة والمكة ، فجعلها لذلك كأيها  
مستغفرة لجميع الزمان فقال : ( قبلهم ) أى قبل هؤلاء العرب ليكون  
ما مضى من خبرهم عبرة لهم وعظه .

و لما كان فرعون من أقوى من جاءه رسول قبلهم بما كان له من ١٠  
الجنود والأموال والمكة ، "وكان" الرسول الذى أتاه قد جمع له -  
صلى الله عليه وسلم - " الآيات التى اشتملت على التصرف فى العناصر  
الأربعة . فكان " فيها الماء والتراب والنار والهواء ، وكانوا إذا أتتهم  
الآية قالوا : يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون .

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : عوايدكم (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ :  
المخبر (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ : بالارسال (٤) من مد ، وفى الأصل  
و ظ : نظرا الى (هـ) من مد ، وفى الأصل و ظ : فكان (٦) زيد فى الأصل  
و ظ : علم ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ :  
فكانوا (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا .

فاذا<sup>١</sup> كشف عنهم ذلك عادوا<sup>٢</sup> إلى ما كانوا عليه كما أحبر تعالى  
 عن هؤلاء عند مجيء الدخان - إلى [ غير -<sup>٣</sup> ] ذلك مما شابههم فيه  
 من الأسرار<sup>٤</sup> التي كشفها هذا المضمار ، و كان آخر ذلك أن<sup>٥</sup> أملاكهم  
 أجمعين ، فكانوا أجلى مثل لقوله تعالى في التي قلها<sup>٦</sup> " فاهلكنا اشد  
 منهم بطشا " خصهم بالذكر من [ بين -<sup>٧</sup> ] المفتونين قبل فقال :  
 ﴿ قوم فرعون ﴾ أى مع فرعون لأن ما كان فتنة لقومه كان فتنة له<sup>٨</sup>  
 لأن الكبير أرسخ في الفتنة بما أحاط<sup>٩</sup> به من الدنيا . وسيأتى التصريح  
 به في آخر القصة ﴿ وجاءهم ﴾ أى المضافين ، انضاف إليه<sup>١٠</sup> في  
 [ زيادة -<sup>١١</sup> ] فتنتهم ﴿ رسول كريم لا ﴾ أى يعلنون شرفه نسباً وأحلاقاً  
 ١٠. وأفعلاً ، ثم زاد بيان كرمه بما " يظهر الله " به من العناية بما أيده به  
 من المعجزات .

ولما أخرج بمجيئه إليهم بالرسالة التي لا تكون إلا بالقول ، فسر ما  
 بلعهم منها بقوله : ﴿ ان ادوا ﴾ أى أوصلوا مع البشر . طيب النفس ،  
 وأبرز ذلك في صيغة الأمر الذي لا يسوغ مخالفته ولما كان بين  
 ١٥ موسى عليه الصلاة والسلام وبين تصرفه في قومه حائل ككيف من

- (١) من مد ، وفي الأصل وظ : فلما (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : حادوا .  
 (٣) زيد من مد (٤) في مد : الاشرار (٥) سقط من مد (٦) زيد من ظ  
 و مد (٧) في مد : لهم (٨) في مد : احاطه (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل :  
 الدين (١٠) من ظ ومد ، وفي الأصل : اليهم (١١-١٢) من ظ ومد ، وفي  
 الأصل : أظهر الله .



ظلم فرعون وقومه ، أشار [ إليه - ' ] بحرف الغاية <sup>٢</sup> فقال : ﴿ الى ﴾  
 ونبهه على أنه لا حكم له عليهم بقوله . ﴿ عباد الله <sup>٣</sup> ﴾ أى بنى إسرائيل  
 الذين استعبدتموم ظلما وليست <sup>٤</sup> عليهم عبودية <sup>٥</sup> ، إلا للذى أظهر في  
 أمورهم صفات جلاله وجماله بما صنع مع آبائهم إبراهيم عليه الصلاة  
 والسلام ومن بعده وما سيظهر عمارونه وما <sup>٦</sup> يكون بعدكم .  
 ولما كان لهم به من النفع إن تبعوا ما جاءهم به والضر إن رددوه  
 ما ليس لغيرهم ، وكان لا يقدر على تأدية بنى إسرائيل إليه من أهل  
 الأرض غيرهم لاحتوائهم <sup>٧</sup> عليهم . كان تقديم الجار في أحكم مواضعه  
 فلذلك <sup>٨</sup> قال مؤكدا لإنكارهم لرسالة عليه الصلاة والسلام : ﴿ رأى لكم ﴾  
 أى خاصة بسبب ذلك ﴿ رسول ﴾ أى [ من - ' ] عند من لا تكون <sup>٩</sup>  
 الرسالة الكاملة إلا منه . ولما كان الإنسان لا يأتمن على السياسة إلا ثقة  
 كافيا ، قال واصفا لنفسه [ بما - ' ] يزيل عذرهم ويقيم الحجة عليهم :  
 ﴿ امين لا ﴾ أى بالغ الأمانة لأن الملك الديان لا يرسل إلا من  
 كان كذلك .

ولما كان استعباد <sup>١٠</sup> عبد الغير بغير حق في صورة العلو على مالك <sup>١١</sup>

العبد قال : ﴿ وان لا تعلموا ﴾ أى تفعلوا باستعبادكم لبنى إسرائيل بنى الله

(١) زيد من مد (٢) فى الأصول بياض (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ :  
 ليس (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : عبودته (٥) من ظ و مد ، وفى  
 الأصل : لا (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : تاويه (٧) من مد ، وفى الأصل  
 و ظ : فكذلك (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : اسعار .

ابن خليل الله فعل العالى ﴿ على الله ج ﴾ الذى له مجامع العظمة و معاهد العزة بنفوذ الكلمة و جميع أوصاف الكمال فانكم إن فعلتم ذلك أخذكم بعزته و دمركم بعظمته .

و لما كان علو من يتصرف <sup>٢</sup> فى العبد <sup>٢</sup> على مالك العبد لا يثبت إلا بعد ثبوت <sup>٢</sup> أنه ملكه و أنه لا يجب التصرف فيه ، علل ذلك بقوله مؤكدا لأجل [ أن - <sup>٢</sup> ] ما أتى به بصدده أن ينكروه \* لأن النزوع عما استقر فى النفس و مضى عليه الإلف <sup>١</sup> بعيد : ﴿ ائى اتيكم ﴾ و هو يصح أن يكون اسم فاعل و- أن يكون فعلا مضارعا . و لما كان فعلهم فعل العالى على السلطان ، قال : ﴿ بسطن ﴾ أى أمر بأمر قاهر من ١٠ عند مالكمهم ، لا يسوغ لأحد الاستعلاء عليه فكيف بالاستعلاء على من هو بأمره <sup>٥</sup> ﴿ مين ج ﴾ أى واضح فى نفسه سلطنته و مظهر لغيره ذلك . و لما كان من العجائب أن يقتل منهم نفسا ثم يخرج قارا <sup>٨</sup> منهم ثم يأتى إليهم لاسيما إتيانا يقاومهم فيه فى أمر عظيم من غير أن يقع بينهم و بينه ما يحو ما تقدم منه ، نبههم على إتيانه هذا على هذا الحال ١٥ آية أخرى دالة على السلطان ، فقال مؤكدا تكذيبا لظنهم أنه فى قبضتهم : ﴿ و ائى عذت ﴾ أى اعتصمت و امتنعت ﴿ ربى ﴾ الذى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مقاعد (٢-٢) من مد و و فى الأصل و ظ : بالعبد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثبوته (٤) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ينكروه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاتف (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يامر (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : قارا .

رباني على ما اقتضاه لطفه بي' وإحسانه إليّ (ووبكم) الذي أعادني  
من قتلكم' لي بكم على' ما دعت إليه حكمته من جبروتكم وتكبركم  
وقوة مكنتمكم (ان ترجعون) أي أن' يتجدد' في وقت من الاوقات  
قتل منكم لي . ما أتيتكم حتى توقفت من ربي في ذلك ، فاني قلت' "إبي  
اخاف ان يقتلون" فقال "سنشد عضدك باخيك ونجعل لك سلطانا ه  
فلا يصلون اليكما بايننا" فهو من أعظم آياتي أن لاتصلوا' على قوتكم'  
و كثرتم إلى قتل مع أنه لا قوة لي بغير الله الذي أرسلني .

ولما كان التقدير : فان آمنتم بذلك وسلمتم لي أفلحتم ، عطف  
عليه قوله : (وان لم تؤمنوا لي) أي تصدقوا لاجلي ما أخبرتم به  
(فاعتزلوني) أي : إن لم تعزلوني هلكتم ، ولا تقدرون' على قتل ١٠  
بوجه و أنا واحد ممن تسومونهم' سوء العذاب . وما قتلتم أبناءهم  
إلا من أجلي ، فرباني على كف من ضاقت عليه الارض بسببي وسفك  
الدماء في' شأني ، ومنعه الله / من أن يصل "إليّ منه" سوء قبل أن

٧٣٥ /

- (١) من مد ، وفي الأصل و ظ : به (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : قبلكم .  
(٣) سقط من مد (٤) سقط من ظ ومد (٥) زيد في الأصل : منكم ، ولم تكن  
الزيادة في ظ ومد فحذفنا (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : علمت .  
(٧) زيد في الأصل : اتها ومن اتبعكما ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفنا .  
(٨-٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : بقوتكم (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل ؛  
لاتقدروا (١٠) من مد ، وفي الأصل : ظ : تسومونه (١١) من ظ ومد ،  
وفي الأصل : من (١٢-١٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : منه إلى .

أعوذ به ، فكيف به بعد أن أرسلني و عدت به فأعاذني ، واستجرت  
به فأجاري .

ولما كان التقدير : لم يؤمنوا به ولا لأجله ولم يعزلوه ، بل بقوا  
له الغوائل و راموا أن يوافعوا به الدواهي والقواصم ، فلم يقدرُوا  
ه على ذلك و آذوا قومه و طال البلاء . سبب عنه قوله : ﴿ فدعاه به ﴾  
الذي أحسن إليه و ضمن له سياسته و سياسة قومه . ثم فر ما دعا به  
بقوله : ﴿ ان أهولاء ﴾ [ أي - ٢ ] الحقيرون الأراذل الذليلون ﴿ قوم ﴾  
أي لهم قوة على القيام بما يحاولونه ﴿ مجرمون ﴾ أي عريقون في قطع  
ما أمرت به أن يوصل ، و ذلك متضمن وصل ما أمرت به أن يقطع ،  
فكان المعنى : فدعا بهذا المعنى ، و لذلك أتى " بأن " الدالة على المصدرية .  
ولما كان من يستجيب دعاءه و يكرم نداءه ، سبب عن ذلك قوله :

﴿ فاسر ﴾ أي فقلنا له : سر عامة الليل - هذا على قراءة المدنيين و ابن  
كثير بوصل الحمزة . و على قراءة غيرهم بالقطع المعنى : " أوقع السرى " وهو  
السير عامة الليل ﴿ بعبادي ﴾ الذين هم أهل لإصلافتهم إلى جنابي ، قومك  
١٥ الذين أرسلناك لإسعادهم باستنقاذهم من يظلمهم و ترضيهم لعبادتي

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : نقوا (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من  
ظ و مد (٤) في مد : فيا (٥) في مد : موصوفون بالعراقة (٦) من مد ، و في  
الأصل و ظ : اسر (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : كذلك (٨) من مد ، و في  
الأصل و ظ : قلنا (٩) راجع نثر المرجان ٤٧٦/١ (١٠) من ظ و مد ، و في  
الأصل : المنع (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : في السير .

'لا لعبادة غيري' .

ولما كان سبحانه قد تقدم إلى بني إسرائيل في أن يكونوا  
متهيئين في الليلة التي أمر بالسرى فيها بحيث لا يكون لأحد منهم عاقبة  
أصلاً كما تقدم بيانه في الأعراف عن التوراة، بين تأكيد ذلك بقوله :  
( ليلاً ) فصار تأكيداً بغير اللفظ، وإنما أمره بالسير في الليل لأنه  
أوقع بالقبض موت الأبطال ليلاً، فأمر فرعون موسى عليه الصلاة  
والسلام أن يخرج بقومه في ذلك خوفاً من أن يموت القبض .  
ولما علم الله تعالى أنهم إن تأخروا إلى أن يطلع الفجر يرتفع  
عنه الموت، منعهم الخروج، وإن تأخروا إلى آخر الليل أدركهم  
قبل الوصول إلى البحر فيقتلهم، علل هذا الأمر [ بقوله - ٦ ] مؤكداً ١٠  
له لأن حال القبض عند ما أمرهم بالخروج كان حالاً من لا يصدق  
له ترجع في قوله : ( انكم متبعون لا ) أي مطلوبون بغاية الشهوة  
والجهد من عدوكم، فلا يفرنكم ما هم فيه عند أمرهم بالخروج من الجزع  
من إقامتهم بين أظهرهم وسؤالهم لكم في الخروج عنهم بسبب وقوع  
الموت الفاشي فيهم، فإن القلوب بيد الله، فهو يقسى قلب فرعون ١٥

( ١ - ١ ) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد ( ٢ ) من مد، وفي الأصل و ظ :  
يقدم ( ٢ ) من ظ و مد، وفي الأصل : كذلك ( ٤ - ٤ ) في مد : مطم .  
( ٥ ) من مد، وفي الأصل و ظ : سفوهم ( ٦ ) زيد من مد ( ٧ - ٧ ) من ظ  
و مد، وفي الأصل : لهم لا ( ٨ ) زيد في الأصل و ظ : حالم، ولم تكن الزيادة  
في مد لحذفها ( ٩ ) من ظ و مد، وفي الأصل : مرجم ( ١٠ - ١٠ ) من مد،  
وفي الأصل و ظ : باقامتكم ( ١١ ) من مد، وفي الأصل و ظ : الناشئ .

بعد رؤية هذه الآيات حين يرتفع عنهم الموت و يفرغون من دفن  
مواسم فيطلبكم لما دبرته في القدم من سياستكم باغراقهم أجمعين ليظهر  
مجدى بذلك و أدفع 'عنكم روع' مدافعتهم فاني أعلم أنه لا قوة لكم  
ولا طاعة بهم، فلم أكلفكم لمباشرة شيء من أمرهم .

٥ / لما أمره بالإسراء وعلله ، أمره بما يفعل فيه وعلله فقال :  
(واترك البحر) / أى إذا أسريت بهم و تبعك العدو ووصلت إليه  
و أمرناك بضربه لينفتح لتدخلوا [ فيه - ] فدخلتم و نجوتم (رهوا)  
بعد خروجكم منه بأجمعكم أى متفرجا واسعا ساكننا بحيث يكون المرتفع  
من مائه مرتفعا و المنخفض منخفضا كالجدار، و طريقه الذى سرتم به  
١٠ يابسا<sup>١</sup> ذا سير سهل على الحالة التى دخلتم فيها ليدخل فيه عدوكم فمجد  
باغراقهم كما وعدناكم، و قال البغوى : راهيا أى 'ذا رهوا' فسمى  
بأنصدر - و عزاه إلى مقاتل - انتهى . و لما كانت هذه أسبابا لدخول  
آل فرعون فيه ، علل بما يكون عنها تسكينا لقلوبهم في ترك البحر طريقا  
مفتوحا يدخله العدو . فقال مؤكدا لاجل استبعاد بنى إسرائيل مضمون  
١٥ الخبر لأنه<sup>٢</sup> من خوارق العادات مع ما لفرعون و آله في قلوبهم من

(١) في مد : ارتفع (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : ردع (٣) زيد في الأصل  
لكم ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ :  
سريت (٥) زيد من مد (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : نجيتم (٧-٧) من  
مد ، وفي الأصل و ظ : بالليل - كذا (٨) راجع معالم التنزيل بهامش  
الكتاب ١٢٢/٦ (٩-٩) من مد ، وفي الأصل و ظ : إذا رهوا (١٠) في مد : لان .

الهيئة الموجبة لأن يستبعدوا معها عمومهم بالإهلاك : ﴿ انهم جند معرقون ه ﴾  
 أى يتمكنون فى [ هذا - ' ] الوصف وإن كان لهم وصف القوة  
 و التجمع الذى محطه النجدة الموجبة للعلو فى الأمور .

ولما أرشد السياق ولا بد إلى تقدير : فأمرى موسى بعباد الله كما  
 أمره ' الله فتبعهم آل فرعون كما أخبر سبحانه ، ففتح الله البحر يابسه  
 قدرته وأمسك مائه كالجدران<sup>٢</sup> بقاهر عظمتهم وتركه بعد طلوعهم منه  
 على حاله فتبعهم عباد الشيطان بما فاض عليهم من شقاوته فأغرقهم  
 الله بعزته لم يفلت منهم أحد . غير سبحانه عن هذا كله بقوله على  
 طريق الاستئناف : ﴿ كم تركوا ﴾ أى الذين سبق الحكم باغراقهم ففرقوا  
 ﴿ من جنت ﴾ أى بساتين هى فى غاية ما يكون من طيب الأرض ١٠  
 وكثرة الأشجار وزكاه الثمار والنبات وحسنها الذى يسر المهموم ولا يستر  
 المهموم ، ودل على كرم الأرض [ بقوله - ' ] : ﴿ و عيون لا وزروع ﴾  
 أى بما هو دون الأشجار . ولما كان ذلك لا يكمل إلا بمنازل ومناظر  
 فى الجنان وغيرها فقال : ﴿ ومقام كريم لا ﴾ أى مجلس شريف هو  
 أهل لأن يقيم الإنسان فيه ، لأن النهاية فيما برضيه . ١٥

- (١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : امر (٣) من ظ و مد ،  
 وفى الأصل : كالجددان (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : السلطان (هـ) من  
 ظ و مد ، وفى الأصل : ذكاه (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد .  
 (٧) فى مد : الجنات (٨) فى مد : يقوم .

و لما كان ذلك قد يكون بتعب صاحبه ' فيه ، دل على أنه كان  
بكدر غيرهم وهم في غاية الترف ، وهذا هو الذي حملهم على اتباع  
من كان بكفيهم ' ذلك حتى أدام إلى الغرق قال : ﴿ ونعمة ﴾ هي  
بفتح النون اسم للتنعم بمعنى الترفه والعيش اللين الرغد . وأما التي بالكسر  
فهى الإنعام ﴿ كانوا فيها ﴾ أى دائماً ﴿ فكهي لا ﴾ أى فعلهم فى عيشهم  
فعل المترفه لا فعل من يضطر إلى إقامة نفسه .

و لما كان هذا أمراً عظيماً لا يكاد يصدق أن يكون لأحد ، دل  
على عظمته ' وحصوله لهم بقوله : ﴿ كذلك ﴾ أى الامر كما أخبرنا به  
من تنعيمهم ' وإخراجهم وإغراقهم وأنهم تركوا جميع ما كانوا فيه  
لم يعن عنهم شئ منه ، فلا يقترن ' أحد ' بما ابتليناه به / من النعم لثلاثاً  
يصنع به من الإهلاك ما صنعنا بهم . ولما أنهم سوق الكلام هكذا  
إغراقهم كلهم ، زاده إيضاحاً بالتعبير بالإرث الذى ' حقيقته الأخذ عن  
الميت ' أخذاً لامتناع فيه فقال عاطفاً على ما تقدم تقديره بعد اسم  
الإشارة : ﴿ واورثها ﴾ أى تلك الأمور العظيمة ﴿ قوما ﴾ أى ناساً

- (١) من مد ، وفى الأصل وظ : انسان (٢) من مد ، وفى الأصل وظ :  
يكفهم (٣) زيد فى الأصل بعده : فيه ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها .  
(٤) من مد ، وفى الأصل وظ : نعيمهم (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل :  
لن يغنى (٦) من مد ، وفى الأصل وظ : فلا يقر (٧) زيد فى الأصل : منهم ،  
ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٨) زيد فى الأصل وظ : هو ، ولم تكن  
الزيادة فى مد لحذفها (٩) من مد ، وفى الأصل وظ : ميت .



ذوى قوة فى القيام على ما يحاولونه . و حقق أنهم غيرهم تحقبا  
 لإغراقهم بقوله : ﴿ 'آخرينه' ﴾ قال ابن برجان : و قال فى سورة الظلة :  
 "وعيون وكنوز" مكان "و زروع" لما كان المجهود من الزرع الحصد  
 فى أرب المدة أورث زروعها و جنتها و ما فيها من مقام كريم قوما  
 ليسوا بآل فرعون فانهم أهلكوا و لا بنى إسرائيل فانهم قد عبروا البحر ، ه  
 و لما توطد<sup>١</sup> ملكهم فى الأرض المقدسة اتصل بمصر ، فورثوا الأرض  
 بكنوزها و أموالها و نعمتها و مقامها الكريم - انتهى .

و لما كان الإهلاك يوجب أسفا على المهلكين و لو من بعض  
 الناس و لاسيما إذا كانوا جمعا فكيف إذا كانوا أهل عداوة<sup>٢</sup> و لاسيما  
 إذا كانوا فى نهاية الرئاسة . أخبر بأنهم<sup>٣</sup> كانوا لهوانهم عبده<sup>٤</sup> سبحانه ١٠  
 و تعالى على خلاف ذلك ، فنسب عما مضى قوله : ﴿ فما بكث عليهم ﴾  
 استعارة لعدم الاكتراث<sup>٥</sup> بهم لهوانهم<sup>٦</sup> ﴿ السماء و الأرض ﴾ و إذا  
 لم يك السكن فما ظلك بالساكن الذى هو بعضه ، روى أبو يعلى فى مسنده  
 و الترمذى<sup>٧</sup> فى جامعه - و قال : عريب و الربذى<sup>٨</sup> و الرقاشى<sup>٩</sup> يضعفان

- (١) من مد ، و فى الأصل و ظ : و لما (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :  
 توطن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : جميعا (٤) زيد فى الأصل و ظ : كاملة ،  
 و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) فى مد : انهم (٦) من مد ، و فى الأصل  
 و ظ : عندهم (٧-٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : بهوانهم (٨) راجع جامعه  
 ١٥٨ / ٢ (٩) من التهذيب ، و فى الأصل : الزيدى ، و هو موسى بن عبيدة  
 (١٠) هو يزيد بن أبان .

في الحديث - عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من مسلم إلا وله في السماء بابان ، باب يصعد منه عمله و باب ينزل منه رزقه فإذا مات بكتيا عليه ، تلا هذه الآية ، وقال علي رضي الله عنه : إن المؤمن إذا مات بكى مصلاه من الأرض و مصعد عمله من السماء .

و لما جرت العادة بأن العدر قد يستعمله عدوه في بعض الأوقات لمثل وصية و قضاء حاجة فيمهلكه ، أخبر تلميذا لعدم الاكتراث بهم أنهم كانوا دون ذلك فقال : ( و ما كانوا ) و لما كان هذا لكونه خيرا عنهم بعد مضيهم المقصود منه تحذير من بعدهم فقط ، لم يذكر التقييد .<sup>١٠</sup> بذلك الوقت بإذن<sup>٩</sup> و نحوها دلالة على أن ما كانوا فيه من طول الإمهال<sup>٦</sup> كان كأنه<sup>٦</sup> لم يكن لعظم هذا الأخذ بخلاف ما مر في الحجر من التخويف من إزال الملائكة عليهم ، فان [ تقييد -<sup>٨</sup> ] عدم الإنظار بذلك الوقت لرد السامعين عن طلب إزاهم فقال تعالى : ( نظرين ) أي مهملين عما أنزلنا بهم من المصيبة<sup>١١</sup> من مهمل [ ما -<sup>٩</sup> ] لحظه فا

(١) أورده السيوطي في الدر المشور ٦ / ٣١ (٢) ليس في ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : الكون (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : يحذر . (٥-هـ) من ظ و مد ، وفي الأصل : لوقت بإذن (٦-٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : كأنه كان (٧) من مد ، وفي الأصل و ظ : لعظيم (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد ، وفي الأصل و ظ : كرر (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : العصية .

فوقها ليتداركوا بعض ما فرطوا فيه و ينظروا في شيء مما بهمهم بل  
كان أخذهم لسهولته علينا في أسرع من الملح ، لم يقدروا على 'دفاع ،  
فألهم 'عذاب الدنيا و صاروا 'إلى عذاب 'الآخرة فحسروا الدارين  
و ما ضرروا غير أنفسهم .

و لما / كان إنقاذ بني إسرائيل من القبط أمرا 'بأهرا لا يسكاد ه / ٧٣٨  
يصدق فضلا عن أن يكون بأهلك أعدائهم ، أكد 'سبحانه الإخبار  
بذلك إشارة إلى ما يحق له من العظمة تنبيها على أنه قادر أن يفعل بهذا  
النبي صلى الله عليه وسلم 'و أتباعه كذلك و إن 'كانت قريش 'يرون  
ذلك محالا و أنهم في قبضتهم 'فقال : ( ولقد نجيتنا ) [ أى - ] عما  
لنا من العظمة " تنجية عظيمة " مع كونها بسبب الآيات المتفرقات كانت ١٠  
على التدرج ( بنى إسرائيل ) عبدنا المخلص لنا ( من العذاب المهين )  
بسبب أنهم كانوا عندهم في عداد العبيد يستخدمون الرجال و النساء بل  
أذل للزيادة على التصرف في العبيد بالتذيع 'للابناء .

(١-١) من مد ، و في الأصل و ظ : دفاعه ما لهم (٢-٢) من مد ، و في الأصل  
و ظ : في عتاب (٣) زيد في الأصل : فقط ، ولم تمكن الزيادة في ظ و مد  
لحذفها (٤) زيد في الأصل : ظاهرا . ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها .  
(٥) في الأصل بياض ملائمة من ظ و مد (٦) زيد في الأصل : هو ، ولم تكن  
الزيادة في ظ و مد لحذفها (٧) من مد ، و في الأصل و ظ : فان (٨) من  
مد ، و في الأصل و ظ : قريشا (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : قبضته .  
(١٠) زيد من مد (١١-١١) سقط ما بين الرتين من مد (١٢) من مد ، و في  
الأصل و ظ : بالتدرج .

ولما تشوف السامع إلى صاحب ذلك العذاب قال مبدلاً عما قبله  
 إنيهما لأن فرعون نفسه كان عذاباً لإفراطه في أذامه<sup>١</sup> : (من فرعون<sup>٢</sup>)  
 ثم علل ذلك بما يعرف منه صحة الوصف للعذاب فقال مؤكداً لأن  
 حال قريش في استدلال المؤمنين حال من يكذب<sup>٣</sup> بأن الله أنجى به  
 إسرائيل على ضعفهم فهو ينجي غيرهم من الضعفاء أو يكذب بأن فرعون  
 ه كان قوياً (انه كان عالياً) في جلته المراقبة في العلو (من المسرفين ه)  
 أي العريقين في مجاوزة الحديد<sup>٤</sup> .

ولما كانت قريش تفتخر بظواهر الأمور من الزينة والغرور  
 ويعبدونه تعظيماً من الله ويعبدون ضعف الحال في الدنيا شقاء<sup>٥</sup> وبعداً  
 ١٠ من الله، رد عليهم قولهم بما آتى نبي إسرائيل على ما كانوا فيه من  
 الضعف و"سوء الحال" بعد إهلاك آل فرعون بعذاب الاستئصال،  
 فقال مؤكداً لاستبعاد قريش أن يختار من قل<sup>٦</sup> حظاً من الدنيا :  
 (ولقد اخترتهم) أي قلنا بما لنا من العظمة في جعلنا لهم "خياراً"  
 فعل من اجتهد في ذلك، وعظم أمرهم بقوله بأننا على ما تقديره : اختياراً

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : إنيهم (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ :  
 تكذيب (٣-٣) من مد ، وفي الأصل : المجاوزين في الحدود حد التجاوز ،  
 وفي ظ : المجاوزين في الحدود (٤) ومن هنا استأنفت نسخة م (٥) من م  
 ومد ، وفي الأصل و ظ : بظاهر (٦) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : مقتاً .  
 (٧-٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : ما سوء (٨) من ظ و م ومد ، وفي  
 الأصل : اهلاكمهم اي (٩) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : قلة (١٠) من  
 م ومد ، وفي الأصل و ظ : في (١١) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : هم .

مستعلياً

(٨)

مستعليا ( على علم ) أى منا بما يكون منهم من خير و شر ، و قد  
ظهر من آثاره أنكم صرتم تسألونهم و أنتم صريح ولد إسماعيل عليه  
الصلاة و السلام عما ينوبكم و تجعلونهم قدوتكم فيما يهيكم و تضربون  
إليهم أكباد الإبل ، و هكذا يصير عن قليل كل من اتبع رسولكم  
صلى الله عليه و سلم منكم و من غيركم . و لما بين المفضل ، بين المفضل ٥  
عليه فقال : ( على العلمين ع ) أى الموجودين فى زمانهم بما أنزلنا عليهم  
من الكتب و أرسلنا إليهم من الرسل .

و لما أعلم باختيارهم ، بين آثار الاختيار فقال : ( و اتينهم ) أى  
على ما لنا من العظمة ( من الآيت ) أى العلامات الدالة على عظمتنا  
و اختيارنا لهم من حين أتى موسى عبدنا عليه الصلاة و السلام فرعون ١٠  
إلى أن فارقه بالوفاة و بعد وفاته على أيدي الانبياء المقررين لشرعه  
عليهم الصلاة و السلام ( ما فيه بلأوا ) / أى اختبار مثله يميل من ينظره  
أو يسمعه أو يحمله إلى غير ما كان عليه ، و ذلك بفرق البحر و تظليل  
الغمام و إزال المن و السلوى و غير ذلك بما رآه من الآيات التسع ،  
و فى هذا ما هو رادع للعرب عن بعض أقوالهم من خوف التخطف ١٥

( ١ ) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد ( ٢ ) زيد فى الأصل : حال ،  
و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها ( ٣ ) زيد فى الأصل : لعنه الله ،  
و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها ( ٤ ) من م و مد ، و فى الأصل  
و ظ : كانوا ( ٥ ) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : طلبوه ( ٦ ) من م و مد ،  
و فى الأصل و ظ : ردع .

من العرب<sup>١</sup> والفقير لقطع الجلب عنهم وغير ذلك (مبين ه) أى بين نفسه موضع لغيره، و<sup>٢</sup> ما أنسب هذا الحتم لقوله أول قصتهم "ولقد قتنا قبلهم قوم فرعون".

ولما ثبت بما مضى أنه سبحانه متصف بالإحياء والإماتة، وكان  
 ٥ إنكار ذلك عنادا لا يستطيع أحد<sup>٣</sup> يثبت الإله أن ينكره، وكان الإقرار بذلك فى بعض وإنكاره<sup>٤</sup> فى بعض<sup>٥</sup> تحكما ومخالفا لحاكم العقل و صارم النقل، وكان من الآيات التى أوتوها إحيائهم بعد إماتتهم حين طلبوا الرؤية فأخذتهم الصاعقة، وحين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وكان ذلك هو البعث بعينه، وكان العرب ينكرونه ويبالغون  
 ١٠ فى إنكارهم [له - °] ولا يسألونهم عنه، قال موبخا لهم مشيرا بال تأكيد إلى أنه لا يكاد يصدق أن أحدا ينكر ذلك لما له من الأدلة: (ان) وحقرم بقوله: (آهؤلاء) أى الأديان الأقلاء الأذلاء (ليقولون لا) أى بعد قيام الحجة البالغة عليهم مبالغين فى الإنكار فى نظير تأكيد الإثبات: (ان) أى ما. ولما كان قد تقدم قوله تعالى "يحيى ويميت"  
 ١٥ وهم يعلمون أن المراد به أنه يتكرر منه الإحياء للشخص الواحد،

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: القرب (٢) فى الأصل وظ بياض ملأناه من م ومد (٣) زيد فى الأصل: ان، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحدفتاها (٤ - ٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: لبعض (ه) من م ومد، وفى الأصل وظ ومخالف (ه) زيد من م ومد.

وكان تعالى قد قال ولا يخاطبهم إلا بما يعرفونه " وكنتم أمواتا فحياكم  
ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون " أى بالانتشار<sup>١</sup> بعد الحياة [و-<sup>٢</sup>]  
قال " امتا اثنتين واحيتنا اثنتين " قالوا: ما (هى الاموتنا) على  
حذف مضاف أى ما الحياة إلا حياة موتنا (الاولى) أى التى كانت  
قبل نفخ الروح - كما سيأتى فى الجائنة " [ان هى -<sup>٣</sup>] إلا 'حياتنا الدنيا' هـ  
و'عبروا عنها بالموت' إشارة إلى أن الحياة فى جنب الموت المؤبد على  
زعمهم أمر متلاش لانسبه لها منه، وساق سبحانه كلامهم على هذا  
الوجه<sup>٤</sup> إشارة إلى أن الأمور [إذا قيس-<sup>٥</sup>] غائبها على شاهدها،  
كان الإحياء بعد الموت [الثانية أولى لكونه بعد حياة من الإحياء بعد  
الموت -<sup>٦</sup>] الأولى، فخط<sup>٧</sup> الأمر على<sup>٨</sup> أن الابتداء<sup>٩</sup> كان من موت ١٠  
لم يتقدمه حياة، والقرار<sup>١١</sup> يكون على حياة لا يعقبها موت .

ولما كان المعنى: وليس وراءها حياة، أكدوه بما يفهمه

<sup>١٢</sup> تصريحاً فقالوا<sup>١٣</sup> رد ما أثبتته<sup>١٤</sup> الله على [لسان-<sup>١٥</sup>] رسوله صلى الله عليه

- (١) من م ومد، وفى الأصل و ظ: الانتشار (٢) زيد من مد (م) زيد من  
ظ و م ومد (٣) زيد فى الأصل: هى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد  
لحذفناها (٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: اثم (٥) فى مد: بالوت .  
(٦-٧) من م ومد، وفى الأصل و ظ: هذه (٨) من ظ و م ومد، وفى  
الأصل: محط (٩) من مد، وفى الأصل و ظ و م: إلى (١٠) من هنا سقطت  
نسخة مد إلى ما سنبه عليه (١١) من ظ و م، وفى الأصل: القرار .  
(١٢-١٣) من م، وفى الأصل و ظ: تصريحاً فقالوا (١٤) من ظ و م، وفى  
الأصل: انزله (١٥) زيد من م .

وسلم : ( وما نحن ) و أكدوا النفي فقالوا : ( بمنشرين ) أى من  
منشر ما بالبعث بحيث نصير ذوى حركة اختيارية تنتشر بها بعد الموت ،  
يقال : نشره وأنشره - إذا أحياه .

ولما كانوا يزعمون أن دعوى الإحياء لا يصح إلا إذا شاهدوا  
أحدًا من الأموات الذين يعرفونه حيا بعد أن تمزق جلده وعظامه ،  
سيروا عن إنكارهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه : ( فاتوا )  
أى أيها الزاعمون أنا نبعث بعد الموت إيثانا بأنهم لا يصدقون بذلك  
وإن كثر معتقدوه من جنس بشرهم وتبعهم ( بابائنا ) أى لكوننا  
نعرفهم ونعرف وفورعقوهم فلا نشك [ فى - ٧ ] أن ذلك إحياء  
١٠ لمن مات ليكون ذلك آية لنا على البعث ، وأكدوا تكذيبهم بقولهم :  
( ان كنتم صدقين ) أى ثابتا صدقكم .

ولما أخبروا على هذه العظمة تطمأ لأنها لو وقعت لم يكن  
بأدل على ثبوت النبوة المستلزمة لتصديق كل ما يقول لهم الرسول  
صلى الله عليه وسلم وما يأتهم به من الآيات ، غير خائفين من الله  
١٥ وهم يعلمون قدرته وإملاكه للماضين لأجل تكذيب الرسل عليهم  
الصلاة والسلام ، وكأنهم يدعون خصوصيته فى مكنته من عين أو معنى

(١) فى م : ان (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : من هو (٣) فى م : فى .  
(٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الانبياء  
و الرسلين الزاعمين (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : عقلهم (٧) زيد من م .  
(٨) من ظ و م ، وفى الأصل : سقفا - كذا (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : على .



يجون بها من مساواة من قبلهم في ذلك . فقل تعالى منكرا عليهم :  
 ﴿ ام خير ﴾ أى فى الدين والدنيا ﴿ ام قوم تبع لا ﴾ أى الذين ملك  
 بهم تبع الأرض بطولها والعرض و حير الحيرة و بنى قصر سمرقند  
 و كان مؤمنا ، و قومه حمير و من تبعهم اقرب المهلكين<sup>١</sup> إلى قرش زمانا  
 و مكانا . و كان له بمكة المشرفة ما ليس لغيره من الآثار ، و قال الرازى ه  
 فى اللوامع : هو أول من كسى البيت و نحر بالشعب ستة آلاف بدنة  
 و أقام به ستة أيام<sup>٢</sup> و طاف به و حلق . و قال البغوى بعد أن ذكر  
 قصته مع الأنصار لما قتل ابنه غيلة بالمدينة<sup>٣</sup> الشريفة و ما وعظته به  
 اليهود فى الكف عن إخراج المدينة لأنها مهاجر نبي [ من - ]<sup>٤</sup> قرش :  
 فصدقهم و تبع دينهم ، و ذلك قبل نسخه . و قال عن الرقاشي : آمن ١٠  
 تبع بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعماية<sup>٥</sup> عام . و عن عائشة  
 رضى الله عنها أنها قالت : لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً .

و لما كان ذلك<sup>٦</sup> فى سياق التهديد بالإهلاك<sup>٧</sup> لأجل مخالفتهم ،  
 و كان الإهلاك لذلك إما كان لبعض من تقدم زمانهم لالجميع الخلق ،  
 أدخل الجار فقال : ﴿ و الذين من قباهم<sup>٨</sup> ﴾ أى [ من - ]<sup>٩</sup> مشاهير ١٥  
 الأمر كمدن و أصحاب الأيكة و الرس : تمدد و عاد .

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : المهلين (٢) من م و معالم : تنزيل ، و فى الأصل  
 وظ : الاف (٣) راجع المعالم بهامش الباب ١٢٢/٦ (٤) فم : فى المدينة (٥) زيد  
 من م (٦) من ظ وم و المعالم ، و فى الأصل : سبعةائة (٧) - قط من ظ وم .  
 (٨) من م ، و فى الأصل وظ : و الإهلاك .

ولما كان كأنه قيل : ما هؤلاء الآمة ؟ قيل : ﴿ اهلكنهم ﴾ أى  
 بعظمتا<sup>١</sup> وإن كانوا عظاما لا يعسرهم<sup>٢</sup> هؤلاء فيما لهم من المكنة لقطعهم  
 من أمر الله به أن يوصل من الرسل و أتباعهم ، و تكذيبهم بما أتوا  
 به ، و لذلك علل الإهلاك تحذيرا للعرب بقوله مؤكدا لظنهم أن هلاكهم<sup>٣</sup>  
 ه إما هو على عادة الدهر : ﴿ انهم كانوا ﴾ أى جلة و طبعا ﴿ مجرمين ه ﴾  
 أى عريقين فى الإجرام ، فليحذر هؤلاء إذا ارتكبوا مثل أفعالهم<sup>٤</sup>  
 من مثل حالهم<sup>٥</sup> و أن يحل بهم ما حل بهم<sup>٦</sup> .

ولما كان التقدير للاستدلال على الجزاء الذى جامعته التكفل  
 بجميع أمثاله يوم القيامة : فإنا ما خلقنا الناس عبثا ينفى بعضهم على  
 بعض ثم لا يؤاخذون<sup>٧</sup> ، / عطف عليه ما هو أكبر فى الظاهر منه فقال :  
 ( وما خلقنا السموات ) أى على عظمها<sup>٨</sup> و اتساع كل واحدة منها  
 و احتوائها لما تحتها . و جمعها<sup>٩</sup> لأن العمل كلما زاد كان أبعد من العبث<sup>١٠</sup>  
 مع أن إدراك تعددها عما يقتضى<sup>١١</sup> المشاهدة بما فيها من الكواكب ،

(١-١) من م . وفى الأصل و ظ : لعظمتا (٢) من م ، وفى الأصل و ظ :  
 لا يعسرهم (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : فما (٤) من م ، وفى الأصل و ظ :  
 اهلاكنهم (ه) فى م : ان (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فعالمهم (٧-٧) سقط  
 ما بين الرقيقين من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : انحاله - كذا .  
 (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يؤاخذ - كذا (١٠) من م ، وفى الأصل  
 و ظ : عظمتها (١١) من م ، وفى الأصل و ظ : جميعها (١٢) من م ، وفى  
 الأصل و ظ : البعث (١٣) زيد فى م : ه .

و واحد في سورة الأنبياء تخصيصا بما يتحقق المكذبون بالبعث رؤيته لما ذكر هناك<sup>١</sup> من اختصاص "لن" بما بطن .

و لما كان الدليل على تطابق الاراضى دقيقا<sup>٢</sup> وحدها فقال :  
 ﴿ و الارض ﴾ أى على ما فيها من المنافع ﴿ و ما بينهما ﴾ أى النوعين  
 و بين كل واحدة منهما [ و ما -<sup>٣</sup> ] يليها ﴿ لعين ه ﴾ أى على ما لنا ه  
 من العظمة<sup>٤</sup> التى يدرك من<sup>٥</sup> له أدنى عقل تعالينا عن اللعب لانه  
 لا يفعله إلا ناقص ، و لو<sup>٦</sup> ركنا الناس يبغي بعضهم على بعض كما تشاهدون  
 ثم لا نأخذ لضعيفهم بحقه من قوهم لكان خلقنا لهم لعبا ، بل اللعب أخف  
 [ منه -<sup>٧</sup> ] ، و لم نكن على ذلك التقدير مستحقين لصفة القوسية ، فانه  
 " لا قدست أمة لا يؤخذ لضعيفها بالحق من قوهم غير متنع<sup>٨</sup> " - رواه ابن ١٥  
 ماجه عن أبى سعيد و ابن جميع فى معجمه عن جابر ، و صاحب الفردوس  
 عن أبى موسى رضى الله عنهم رفعوه ، و هو شئ لا يرضى به لنفسه أقل  
 حكام<sup>٩</sup> الدنيا ، فكان هذا رهانا قاطعا على صحة الخبر ليظهر هناك الفصل  
 بالعدل و الفضل .

و لما نرى أن يكون خلق ذلك اللعب الذى هو باطل ، أثبت ما ١٥  
 خلقه له و لم يصرح بما فى البين لانه تابع ، و قد نبه عليه ما مضى ،  
 (١) من م ، و فى الأصل و ظ : هنا (٢ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حد  
 هناك (٣) زيد من م (٤ - ٤) من م ، و فى الأصل و ظ : الذى ن - كدا .  
 (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٦) من م و سقن ابن ماجه ص : ١٧٧ ،  
 و فى الأصل و ظ : متنع (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : احكام .

فقال مستأففاً : ﴿ ما خلقتهما ﴾ أى ' السماوات و الاراضى مع [ ما - ' ]  
 بينهما ﴿ الا بالحق ﴾ من الحكم بين من فيها ، [ فمن - ' ] عمل الباطل عاقبناه  
 ومن عمل الحق أنشأه ، وبذلك يظهر غاية الظهور إحاطتنا بجميع أوصاف  
 الكمال كما نبهنا عليه أهل الكمال فى هذه الدار بخلقهما الذى واقعه مطابق  
 ٥ للحق ، و هو ما لا من تلك الصفات المتقضية للبعث لإحقاق الحق  
 و إبطال الباطل بما لاخفاء فيه عند أحد .

و لما كان أكثر الخلق لا يعلم ذلك لعظمته عن النظر فى دليله  
 وإن كان قطعياً بديهاً قال : ﴿ ولكن أكثرهم ﴾ أى أكثر هؤلاء  
 الذين أنت بين أظهرهم وهم يقولون " ان هى الا موتنا الاولى " وكذا  
 ١٠ من أنما يحوم ﴿ لا يعلمون ٥ ﴾ [ أى - ' ] أنا خلقنا الخلق بسبب إقامة  
 الحق فهم لأجل ذلك يمحرون على المعاصى و يفسدون فى الأرض  
 لارجون ثواباً و لا يخافون عقاباً ، ولو تذكروا ما ركزناه فى جبلاتهم  
 لعلوا علماً ظاهراً أنه الحق الذى لا معدل عنه<sup>١</sup> كما يتولى<sup>٢</sup> حكمهم  
 المصاب لأجل إظهار<sup>٣</sup> الحكم بين رعايهم ، و يشرطون الحكم بالحق ،  
 ١٥ و يؤكدون على أنفسهم أنهم لا يتجاوزونه . و لما كان<sup>٤</sup> كأنه قيل : إنا

- (١) من ظ و م . وفى الأصل : فى (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) من م ، وفى  
 الأصل و ظ : يخاموهم و هم (٤) زيد من م (٥) فى الأصول : ذكرناه .  
 (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : معه (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : يتوالى .  
 (٨) من ظ و م . وفى الأصل : اظهارهم (٩) من ظ و م ، وفى  
 الأصل : كأنه .

رى أكثر المظلومين يموتون بمرير غصصهم مقهورين ، وأكثر / الظالمين  
 يذهبون ظافرين بمطالبهم مسرودين ، فتى يكون هذا الحق ؟ قال جوابا  
 لذلك ' مؤكدا لاجل تكذيبهم : ( ان يوم الفصل ) ' عند جمع ' الاولين  
 والآخرين من جميع المكلفين الذين ينتظره كل أحد للفرق ' بين كل  
 ملابس ، فلا يدع نوعا منه ' حتى أنه يميز بين المكاره والمحاب و دار ه  
 النعيم و غار الجحيم ، و بين أهل ' كل منهما بتمييز الحق من المبطل بالثواب  
 والعقاب و هو بعد البعث من الموت ( ميقاتهم ) أى وقت جمع  
 الخلائق للحكم بينهم الذى ضرب لهم فى الأزل و أزلت ' به الكتب ' <sup>١٠</sup>  
 على السنة الرسل ( اجمعين لا ) لا يتخلف عنه أحد ممن مات من الجن  
 و الإنس و الملائكة و جميع الحيوانات .

و لما ذكر هذا اليوم الذى دل على عظمته بهذه العبارة لإفراد  
 و تركيبا ، ذكر من وصفه ما يحمل على الخوف و الرجاء ، فقال مبدلا  
 منه : ( يوم لا يبقى ) بوجه من الوجوه ( مولى ) بقرابة أو غيرها  
 بحلف أورد من أعلى أو أسفل ( عن مولى ) أريد أخذه بما وقع  
 منه ( شيئا ) <sup>٨</sup> من الإغناء . و لما كان الإغناء تارة يكون بالرفق و أخرى <sup>١٥</sup>

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : كذلك (٢) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن  
 الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) زيد فى الأصل و ظ : الحلق ، و لم تكن  
 الزيادة فى م لحذفها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : للعرف (هـ) من م ، و فى  
 الأصل و ظ : منهم (٦) سقط من م (٧ - ٧) من م ، و فى الأصل و ظ :  
 الكتب به (٨) زيد فى م : أى .

بالنفس، صرح بالثاني<sup>١</sup> لأنه أعظمهما<sup>٢</sup> والسياق للاهلاك والقهر فقال :  
 ﴿ولا م﴾ أى القسيان ﴿ينصرون لا﴾ أى من<sup>٣</sup> ناصر ما لو أراد بعضهم  
 نصرة بعض ، أو أراد غيرهم لو فرض أن ينصرهم ، وعبر بالجمع الذى  
 أفاده الإبهام للولى ليتناول<sup>٤</sup> القليل والكثير<sup>٥</sup> منه لأن النفي عنه نفي عن  
 هـ الأفراد من باب الأولى .

ولما نفي الإغناء استثنى منه فقال : ﴿الا من رحم الله﴾ أى أراد  
 إكرامه الملك الأعظم وهم المؤمنون يشفع بعضهم لبعض بأذن الله فى  
 الشفاعة لاحدم فيكرم الشافع فيه بقبول شفاعته ويكرمه بقبول الشفاعة  
 فيه . ولما كان ما تقدم دالا على تمام القدرة فى الإكرام والانتقام ،  
 ١٠ وكان الإكرام قد يكون عن ضعف ، قال نافيا لذلك : مقررًا لتبام القدرة  
 اللازم منه الاختصاص بذلك مؤكدا له تنفيها على أنه ما ينبغي أن يجعل  
 نصب العين<sup>٦</sup> وتعدد عليه الخناصر ، ولأن إشرأهم<sup>٧</sup> وتكذيبهم بالبعث  
 يتضمن التكذيب بذلك : ﴿انه هو﴾ أى وحده ﴿العزیز﴾ أى المنيع  
 الذى لا يقدر<sup>٨</sup> فى عزته عفو ولا عقاب ، بل ذلك دليل على عزته فانه  
 ١٥ يفعل ما يشاء فيمن يشاء من غير مبالاة بأحد . ولما كان العزيز  
 [ قد -<sup>٩</sup> ] لا يرحم قال : ﴿الرحيم﴾ أى الذى لا تمتنع عزته أن يكرم

(١) زيد فى الأصل و ظ : فقال ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٢) فى  
 الأصول : أعظمها (م) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م  
 لحذفها (٤ - ٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الكثير والقليل (هـ) من م ،  
 وفى الأصل و ظ : لعين (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اشركهم (٧) من  
 م ، وفى الأصل و ظ : لا يقدر (٨) زيد من م .

من ' يشا .

ولما كان السياق للانتقام ، أخبر عن حال الفجار على سيل الاستئناف ، فقال مؤكدا لما ' يكذبون به ' : ( ان شجرت الزقوم لا ) التي تقدم من وصفها ما يقطع القلوب من أنها تخرج من اصل الجحيم ، و أن طلوعها كأنه رؤس الشياطين ، وغيره مما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى و الذي تعرفونه من ذلك في الدنيا أنها شجرة / صغيرة الورق ذفرة<sup>٢</sup> أى شديدة التن - مرة ، من الزقم ، أى اللقم الشديد و الشوب المقرط ، و قال عبد الحق في كتابه الواعى : الزقوم شجرة غبراء صغيرة الورق لاشوك لها ذفرة<sup>٣</sup> لها كمار في سوقها أى عقد كالأنابيب و لها ورد تجرسه النحل ، و راس ورقها فيج جدا ، و هى مرعى ، و منابتها السهل<sup>٤</sup> ، ١٠ قال ابن برجان : و هى فى النار فى مقابلة شجرة طوبى فى الجنة ، يضطرون إلى أكلها و إلى شرب الغسلين كما يضطر أهل الدنيا لإدخال الطعام و الشراب ( طعام الاثيم ط ) أى المبالغ فى اكتساب الآثام<sup>٥</sup> حتى مرن عليها فصارت به إلى الكمر ( كالمهل ط ) أى القطران الرقيق و ما ذاب من صفر أر حديد أردردية ، روى أحمد<sup>٦</sup> و الترمذى<sup>٧</sup> - و قال : ١٥

- (١) من م ، و فى الأصل وظ : ما (٢ - ٢) من م ، و فى الأصل وظ : يكذبونه (٣) من م ، و فى الأصل وظ : ذفرة (٤) من م ، و فى الأصل : المشهل ، و فى ظ : المشهل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اللانبا - كذا . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : طعام الطامع (٧) من م ، و فى الأصل وظ : الاثم (٨) راجع المسند ١/٧٠ - ١/٧١ (٩) راجع الجامع ٢ / ٨٢ .

لأنعرفه إلا من حديث رشد<sup>(١)</sup> - وابن حبان في صحيحه والحاكم من وجه آخر - وقال الحاكم: صحيح الإسناد - عن أبي سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله "كالهمل" قال: ككمر الزيت فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه . (تغلي) أى الشجرة - على قراءة الجماعة بالتأنيث، والطعام على قراءة ابن كثير<sup>(٢)</sup> وحفص عن حاصم ورويس<sup>(٣)</sup> عن يعقوب بالتذكير ولا يعود الضمير على المهمل لأنه "مشبه به" (في البطون لا) أى من شدة الحر<sup>(٤)</sup> .

ولما كان للتذكير بما يعرف شأن عظيم في الإقبال أو التنفير وإن كان دون ما شبه<sup>(٥)</sup> [به -<sup>(٦)</sup>] قال: (كغلي) أى مثل غلي (الحميم) أى الماء الذى تنهى حره بما يوقد تحته، فهو يثبت كأنه يريد أن يتخلص مما هو فيه من الحر، روى الترمذى - وقال حسن صحيح - والنسائى وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم - وقال صحيح<sup>(٧)</sup> على شرطها - عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لو -<sup>(٨)</sup>] أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا

(١) من م والجامع، وفي الأصل و ظ: رشد (٢) في م: لعكر (٣) راجع ثر المرجان ٤٨٦/٦ (٤) من ظ و ثر المرجان، وفي الأصل و م: دوش . (٥ - ٥) من م، وفي الأصل و ظ: مشبهه (٦) من م، وفي الأصل و ظ: حره (٧) من ظ و م، وفي الأصل: د و (٨) زيد من ظ و م (٩) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠) زيد من م و جامع الترمذى ٨٢/٢ .



معاشهم فكيف بمن يكون هذا طعامه<sup>١٠</sup> . ولما كان كأنه قيل : ما للأنيم  
 يأكل هذا الطعام ، وما الحامل له عليه وعلى مقاربة مكانه ، أجيب بأنه  
 مقهور عليه ، أي يقتضيه صفة العزة<sup>١١</sup> فيه الرخمة<sup>١٢</sup> لاعادته بأثر<sup>١٣</sup> يقال  
 للزبانية : ( خذوه ) أي أخذ قهر فلا تدعوه يملك من أمره شيئا  
 ( فاعتلوه ) أي جروه بقهر بنظرة وعنف وسرعة إلى العذاب والإهانة  
 بحيث يكون كأنه محمول ، وقال الرازي في اللوامع : والعنل أن يأخذ  
 بمجامع ثوبه عند صدره يحمره ، وقراءة الضم<sup>١٤</sup> أدل على تنهاى الغلظة  
 والشدة من قراءة الكسر ( إلى سواءه ) أي وسط ( الجحيم قومه ) أي  
 النار التي هي في غاية الاضطرام والتوقد ، وهي موضع خروج الشجرة  
 التي هي طعامه .

١٠

ولما أفهم هذا أنه صار في موضع يحيط به العذاب فيه من جميع  
 الجوانب ، بين أن له نوعا آخر من السكد رتبته في العظمة بما يستحق  
 العطف بأداة / التراخي فقال : ( ثم صبوا ) أي في جميع الجهة التي هي  
 ( فوق رأسه ) ليكون المصبوب محيطا بجميع جسمه ( من عذاب الجحيم )  
 أي العذاب الذي يغلى به [ الجحيم - ١ ] أو الذي هو الجحيم نفسه ، والتعبير ١٥  
 عنه بالعذاب أهول<sup>١٥</sup> ، وهذا في مقابلة ما كان لهم من البركة بما ينزل

٧٤٤ /

- (١) سقط من ظ و م (٢) زيد بعده في الأصل : وشرابه ، ولم تكن الزيادة  
 في ظ و م لحذفناها (٣) زيدت الواو في الأصل و ظ ، ولم تكن في م  
 لحذفناها (٤-٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ما (٥) راجع نثر المرجان ٤٨٧/٦ .  
 (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : اهل .

من السماء من المطر ليجمع<sup>١</sup> لهم حر الظاهر بالحميم و الباطن بالزقوم .  
 و [لما -<sup>٢</sup>] علم بهذا أنه لا يملك من أمر نفسه شيئاً ، بل وصل  
 إلى غاية الهوان ، دل عليه بالتهكم<sup>٣</sup> بما<sup>٤</sup> ' كان يظن في ' نفسه من العظمة  
 التي كانت يترفع<sup>٥</sup> بها في الدنيا على أوامر الله ، فقيل بناء على ما تقديره :  
 ٥ يفعل به ذلك مقولاً له : ( ذق<sup>٦</sup> ) أى من هذا أرسلك إليه تفررك  
 على أولياء الله . و لما كان أولياء الله من الرسل و أتباعهم يخبرون في  
 الدنيا أنه - لإبائه<sup>٧</sup> أمر الله - هو الذليل ، و كان [هذا -<sup>٨</sup>] الأئيم و أتباعه  
 يكذبون بذلك و يؤكدون قولهم المقتضى لعظمته لإحراق أكباد  
 الأولياء حتى له<sup>٩</sup> قولهم عنى ما كانوا يلفظون به زيادة في تعذيه بالتوبيخ  
 ١٠ و التقرع<sup>١٠</sup> معللاً للأمر بالذوق : ( انك ) و أكد بقوله : ( انت )  
 وحدك دون هؤلاء الذين يخبرون بحقارتك ( العزيز ) [أى -<sup>١١</sup>]  
 الذى يغلب و لا يغلب ( الكريم<sup>١٢</sup> ) أى الجامع إلى الجود شرف النفس  
 و عظم الإباء ، فلا تنفك عن ستر مساوئ الأخلاق باظهار معاليها<sup>١٣</sup>  
 فلست بلثيم أى بخيل مهين النفس خسيس الإباء ، فهو كناية عن مخاطبته  
 ١٥ بالحقبة<sup>١٤</sup> مع إقامة الدليل على ذلك بما هو فيه من المهالك ، و قراءة

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : ليجمع (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى  
 الأصل : التهكم (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يكون من (٥) من م ، و فى  
 الأصل و ظ : يرتفع (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : لإبائه (٧) من م ، و فى  
 الأصل و ظ : لهم (٨) زيد فى الأصل و ظ : موبخاً ، و لم تكن الزيادة فى  
 م لحدفائها (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : معاليه (١٠) من م ، و فى الأصل  
 و ظ : تحفة .

الكسائي<sup>١</sup> بفتح "ان" دالة على هذا المذاب قولاً و فعلاً على ما كان  
يقال له من هذا [ في الدنيا -<sup>٢</sup> ] و يعتقد [ هو -<sup>٣</sup> ] أنه حق .  
ولما دل على أنه يقال هذا لكل من الأئمة و يفعل<sup>٤</sup> به على حدته ،  
دل على ما يعمون به ، فقال مؤكداً رداً لتكذيبهم سائقاً لهم على وجه  
مفهم أنه علة ما ذكر من عذابهم : ( ان هذا ) أى العذاب قولاً  
و فعلاً و حالاً ( ما كنتم ) أى جبلة و طبعا طبعناكم عليه لتظهر قدرتنا  
في أمركم دنيا و أخرى ( به تمترون<sup>٥</sup> ) أى تعالجون أنفسكم و تحملونها  
على الشك فيه و ردونها عما لها من الفطرة الأولى من التصديق بالممكن  
لا سيما لمن جرب صدقه و ظهرت خوارق العادات على يده<sup>٦</sup> بحيث كنتم  
لشدة ردكم له كأنكم تخصونه بالشك .

١٠

ولما وصف سبحانه ما للبالغ في المساوى و أفردّه أولاً إشارة  
إلى قليل في قوم هذا النبي الكريم الذين تداركهم [ الله -<sup>١</sup> ] بدعوته  
تشریفاً له و إعلاءً لمقداره ، و جمع آخرها ذاكراً من آثار ما استحق  
به ذلك من مشاركة في أوزاره ، فهم أن وصفه انقضى ، و مر و مضى ،  
فتاقت<sup>٢</sup> النفس إلى تعرف ما لا ضداده الذين خالفوه في مبدأه<sup>٣</sup>  
و معاده ، قال مؤكداً لما لهم من التكذيب<sup>٤</sup> : ( ان المتقين ) أى

(١) راجع نثر المرجان ٤٨٧/٦ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل :  
يعقل (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : صبرونها (٥) من م ، وفي الأصل  
و ظ : يديه (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : فعات (٧) من ظ و م ،  
وفي الأصل : أنا كيد في الكذب .

العريقين في هذا الوصف ( في مقام ) أى موضع إقامة لا يريد  
الحال فيه تحولا عنه ( امين لا ) أى يأمن صاحبه فيه من كل  
ما لا يمجبه .

و لما كان الوصف بعد الوصف شديد الترغيب / في الشيء ، قال مبدلا من / ٧٤٥

٥ "مقام" : ( في جنت ) أى بساكنين تقصر العقول عن إدراك وصفها كل  
وصفها ( و عيون لا ) كذلك بحيث تقر بها العيون ، و لما 'كان قد' أشار  
إلى وصف ما للباطن من لذة النظر و لباس الأكل و الشرب ، أتبعه  
كسوة الظاهر و ما لكل من القرب فقال : ( يلبسون ) .

و لما وصف ما أعد لهم من اللبس في الجنة ، دل على الكثرة  
١٠ جدا بقوله : ( من سندس ) و هو ما رق من الحرير يعمل وجوها ،  
و زاد صنفا آخر فقال : ( و استبرق ) و هو ما غلظ منه يعمل بطائن ،  
و سمي بذلك لشدة بريقه . و لما كان وصف الأئماء بما لهم من القبض  
الشاغل لكل منهم عن نفسه و غيره بعد ما تقدم في الزخرف في آية  
الأخلاء ما أعلم بكونهم مدبرين وصف أصدادهم بما لهم من البسط مع  
١٥ الاجتماع فقال : ( متقبلين لا ) أى ليس منهم أحد يدبر الآخر لاحسا  
ولا معنى ، و ود [ أن - ١ ] كلا منهم يقابل الآخر ناظرا إليه ، فاذا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢-٢) من م ، و في الأصل و ظ :  
بالوصف (٣) زيد في الأصل : الشامل ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لغزنتاهما .  
(٤) من ظ و م ، و في الأصل : فيهم (٥) من م ، و في الأصل و ظ : مدبر .  
(٦) زيد من م .

أرادوا النساء' حالت السور بينهم .

ولما كان هذا أمراً يهر العقل ، فلا يكاد يتصوره ، قال مؤكدا له :  
 ﴿ كذلك ﴾ أى الأمر كما ذكرنا سواء لا مربية [ فيه ] . ولما كان ذلك  
 لا يتم السرور به إلا بالأزواج قال : ﴿ وزوجهم ﴾ أى قرانهم كما تقرن  
 الأزواج ، وليس المراد به العقد لأنه فعل متعد بنفسه وهو لا يكون  
 فى الجنة لأن قائده الحل ، والجنة ليست بدار كلفة من تحليل أو تحریم ،  
 وذكر مظهر العظمة تنبيها على كمال الشرف ﴿ بحور ﴾ أى [ على - ' ]  
 حسب التوزيع بحورارى يرض حسان نقيات الثياب ﴿ عين ٥ ﴾ أى  
 واسعات' العين .

ولما كان الإنسان فى الدنيا يخشى كلفة النفقات ، وصف ما هنالك ١٠  
 من سعة الخيرات فقال : ﴿ يدعون ﴾ أى يطلبون طلبا هو بقاية المسرة  
 ﴿ فيها بكل ﴾ لا يتمتع عليهم صنف من الاصناف يبعد مكان ولا فقد  
 أوان ، ولا غير ذلك من الشأن ، وقال : ﴿ فاكهة ﴾ 'أيذا أنا بأن ذلك  
 مع سعة ليس فيها شيء لإقامة البيئة وإنما هو للتفكه ومجرد التلذذ .  
 'ولما كان التوسع فى التلذذ' يخشى منه غوائل جهة قال : ﴿ امنين لا ﴾ أى ١٥  
 وهم فى غاية الامن من كل مخوف .

(١) من ظ ، وفى الأصل وم : للنساء (٢) من م ، وفى الأصل وظ :  
 بالزواج (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : لأنه فاته (٤) زيد من م (٥) من م ،  
 وفى الأصل وظ : واسعة (٦) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة  
 فى ظ وم لخذلناها (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ ..

ولما ذكر الأمان، وكان أخوف ما يخاف أهل الدنيا الموت،  
 قال: ﴿ لا يذوقون فيها ﴾ أى الجنة<sup>٢</sup> (الموت) أى لا يتجدد لهم  
 أوائل استطعامه فكيف بما وراء ذلك. ولما كان المراد نفي ذلك على  
 وجه يحصل معه القطع بالأمن؛ على أعلى الوجوه، وكان الاستثناء  
 معيار العموم، وكان من المعلوم أن ما كان فى الدنيا من ذوق الموت  
 الذى هو معنى من المعانى قد استحال عوده، قال معللا معلقا على هذا  
 المحال<sup>٥</sup>: ﴿ الا الموتة ﴾ ولما كان المعنى مع إسناد الذوق إليهم لا يلبس  
 لأن ما قبل نفخ الروح ليس مذوقا، عبر بقوله: ﴿ الاولى<sup>٣</sup> ﴾ وقد أفهم  
 التقيد بالظرف أن / النار يذاق فيها الموت، والوصف بالاولى أن المذوق  
 ١٠ موة ثانية، فكان كأنه قيل: لكن غير المتقين ممن كان عاصيا فدخل  
 النار فيذوق فيها موة أخرى - كما جاء فى الأحاديث الصحيحة، ويجوز  
 أن يجعل وصف المتقين أعم من الراضين وغيرهم، فيكون الحكم على  
 المجموع، أى أن الكل لا يذوقون، وبعضهم - وهم من أراد الله من  
 العصاة - يذوقونه فى غيرها وهو النار، ويجوز أن تكون الموة الاولى  
 ١٥ كانت فى الجنة المجازية فلا يكون تعليقا بمحال، وذلك أن المتقى لم يزل

/ ٧٤٦

(١) ومن هنا استأنفت نسخة مد (٢) زيد فى الأصل: دار النعيم وهى،  
 ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفها (٣) زيد فى الأصل: لا يعود إليهم.  
 ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفها (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل:  
 بالامل (٥) زيد فى الأصل: انه لا يعود، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد  
 لحذفها (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: استناد.

فيها في الدنيا مجازاً بما له من التسبب وبما سبق من ' حكم الله له بها ،  
قال صلى الله عليه وسلم ' المؤمن إذا عاد أخاه لم يزل في خرقه الجنة  
حتى يرجع ، قيل : ' وما خرقه الجنة ، قال : جناها ، ' وإذا مررتم برياض  
الجنة فارتعوا ، وكذا المحكوم له بما هو فيها عند الموت وبعده بما له من  
التمتع بالنظر ونحوه من الأكل للشهداء وغير ذلك بما ورد في الأخبار  
الصحيحة ، ومن ذلك ما رواه ' البخاري عن أنس رضي الله عنه أن  
عمه النضر رضي الله عنه قال يوم أحد : يا سعد بن معاذ الجنة ورب  
النضر إني لأجد ريحها من دون أحد ، ثم قاتل حتى قتل . ثم يكون  
تمام ذلك النعيم بالجنة بعد البعث ، قال ابن برجان : الدنيا إذا تحققت  
في حق المؤمن المتقي وتبع النظر فيها فانها جنة صغرى لتوليه ' سبحانه ١٠  
أيام ' فيها وقربه منهم ونظرة إليهم وذكرهم له وعبادتهم إياه وشغلهم  
به وهو معهم أينما كانوا .

ولما كان السياق للمتقين قال : ( ووقفهم ) أي جملة ' المتقين ' في  
جزاء ما اتقوه ' ( عذاب الجحيم لا ) أي التي تقدم إصلا ' الاتيم لها ، وأما  
غير المتقين من العصاة فيدخل الله من أراد منهم النار فيعذر كلا منهم ١٥

(١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : له في (٢) راجع مسند أحمد ٢٧٧/٥ (٣) من  
م ومد ، وفي الأصل وظ : فسيل (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل :  
روى (٥) من م ومد ، وفي الأصل وظ : سعيد (٦) في م ومد : اجد .  
(٧-٧) من م مد ، وفي الأصل وظ : أيام سبحانه (٨) سقط من ظ وم  
ومد (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ وم ومد (١١) من ظ وم ومد ،  
وفي الأصل : اصل و - كذا .

على قدر ذنوبه ثم يميتهم [ فيها - ١ ] ويستمرون إلى أن يأذن الله في الشفاعة فيهم فيخرجهم ثم يحييهم بما يرش عليهم أهل الجنة من ماء الحياة، روى الإمام أحمد في مسنده<sup>١</sup> ومسلم في الإيمان<sup>٢</sup> من صحيحه وابن حبان في الشفاعة من سننه والدارمي<sup>٣</sup> في صفة الجنة والنار من سننه المشهور بالمسند، وابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال<sup>٤</sup> : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أهل النار الذين هم أهلها - وقال الدارمي : الذين هم للنار - فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس منكم<sup>٥</sup> أصابتهم النار بذنوبهم، - أو قال بخطاياهم - فأماتهم الله إماتة، وقال [ الإمام أحمد : فيميتهم إماتة، ١٠ وقال - ٦ ] الدارمي<sup>٦</sup> : فان النار تصيبهم على قدر ذنوبهم فيحرقون فيها حتى إذا كانوا فخماً أذن في الشفاعة فجئ<sup>٧</sup> بهم [ وقال الدارمي - ٧ ] : فيخرجون من النار ضبائر ضبائر فنبتوا على أنهار الجنة، ثم قيل : يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون، وقال الدارمي<sup>٨</sup> : فتنبت لحومهم نبات الحبة في حميل السيل. الضبائر<sup>٩</sup> قال عبد الغافر الفارسي<sup>١٠</sup> في مجمع الرغائب :

/ ٧٤٧

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) راجع ٣ / ٣٨٠ (٣) زيدت الواو في الأصل وظ ولم تكن في م ومد فحذفناها (٤) راجع مسنده ص : ٣٨٠ (٥) سقط من مد (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ : منهم (٧) زيد من م ومد . (٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل : الرازي (٩) من ظ و م ومد، وفي الأصل : فيحي (١٠) من م ومد، وفي الأصل وظ : العاربي . (١١-١٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل : الجنة في حمل السنبلة (١٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل : العاربي .



- جمع ضبارة مثل عمارة و عمائر: جماعات الناس، و روى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يدخل ناس في النار حتى إذا صاروا لحما أدخلوا الجنة، فيقول أهل الجنة: من هؤلاء، فيقال: هؤلاء الجهنميون، و لأحمد بن منيع عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه [عن النبي صلى الله عليه وسلم -<sup>١</sup>] قال: يوضع الصراط <sup>هـ</sup> فذكر شفاعة المؤمنين في إخوانهم بعد جواز الصراط و [إذن] الله -<sup>١</sup> لهم في إخراجهم، [قال -<sup>١</sup>]: فيخرجونهم منها فيطرحونهم في ماء الحياة فينبتون [نبات -<sup>٢</sup>] الزرع<sup>٢</sup> في [غناء -<sup>٣</sup>] السيل<sup>٣</sup>، و لابن أبي عمر عن عبيد بن عمير رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرج الله قوما من النار بعد ما امتحشوا فيها و صاروا لحما فيلقون<sup>٤</sup> ١٠ في نهر على باب الجنة يسمى نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت<sup>٥</sup> الحبة في حميل السيل<sup>٦</sup> - أو كما تنبت الثعالب - فيدخلون الجنة، فيقال: هؤلاء عتقاء الرحمن. الثعالب - بالثاء المثناة و المين و الراء المهملة: نبات<sup>٧</sup> كالهلبيون، و روى الترمذى - و قال: حسن صحيح - و روى من غير وجه عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ١٥

- (١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) في مد: الزرعة (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: السبل (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: ابن (٦) زيد في الأصل: على باب الجنة فيلقون، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد مخذفا (٧-٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: الجنة في حمل السبل. (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: نباقا.

يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حما ثم تبركهم الرحمة [ فيخرجون - ' ] و يطرحون على أبواب الجنة فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغشاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة .

٥ ولما كان السياق للتقنين ، فكان ربما ظن أن هذا الذي فعل بهم حق لهم لا بد و [ لا - ' ] محيد عنه ، بين أن الأمر على غير ذلك ، وأنه سبحانه لو واخذهم ولم يعاملهم بفضله و عفوهِ لهلكوا ، فقال : ﴿ فضلا ﴾ أى فعل بهم ذلك [ لأجل - ' ] الفضل ، ولذلك عدل عن مظهر العظمة فقال تعالى : ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن [ إليك - ' ] بكال .  
١٠ إحسانه إلى أتباعك إحسانا يليق بك ، قال الرازى في اللوامع : أصل الإيمان رؤية الفضل في جميع الأحوال . ولما عظمه تعالى باظهار هذه الصفة مضافة إليه صلى الله عليه وسلم ، زاد في تعظيمه بالإشارة بأداة البعد فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى الفضل العظيم الواسع ﴿ هو ﴾ [ أى - ' ] خاصة ﴿ الفوز ﴾ أى الظفر بجميع المطالب ﴿ العظيم ﴾ الذى لم يدع ١٥ جهة الشرف إلا ملأها .

ولما قدم سبحانه في هذه السورة ما للقرآن من البركة بما اشتمل عليه من البشارة و النذارة و الجمع و الفرق ، و ذكرهم بما يقرون به من  
(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : العيا (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : السبيل (٤) زيد من مد (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بنقاسهم و (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لقرن .  
أنه

أنه مبدع هذا الكون بما يستلزم إقرارهم بتوحيده المستلزم لأنه يفعل ما يشاء من إرسال وإزال و تنيه و بعث و غير ذلك ، و هددهم بما لا يقدر عليه غيره من الدخان و البضشة ، و فعل بعض ذلك ، و ذكرهم بما يعرفون من أخبار من مضى من قروم القرون و أنهم مع ذلك كله

/ أنكروا البعث. ثم ذكر ما يقتضى التحذير و التبشير - كل ذلك فى ه ٧٤٨ /

أساليب فأنت كل المدى ، فأعجزت جميع القوى ، مع ما لها من المعاني الباهرة ، و البدائع الزاهرة القاهرة ، سبب عن قوله فذلكم للسورة :  
( فاعلموا يسرته ) أى جعلناه له يسرا عظيما و سهولة كبيرة .

و لما كان الإنسان كلما زادت فصاحته و عظمت بلاغته ، كان

كلامه أبين . و قوله أعذب و أرصن و أرقق و أمتن ، و كان صلى الله عليه و سلم أفصح الناس و أبعدهم لذلك من التكلف ، أضافه إليه فقط فقال : ( بلسانك ) أى هذا العبرى المين و هم عرب تعجبهم الفصاحة ( لعلهم يتذكرون ) أى ليكونوا عند من يراهم و هو عارف بلسانهم من شأنه كشأنهم على رجاء من أن يتذكروا أن هذا القرآن شاهد

(١) زيد فى الأصل : آمنون ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .

(٢-٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : التخدر و التبشير (م) من ظ و م

و مد ، و فى الأصل : السورة (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جعلناه .

(٥) زيد فى الأصل : القرآن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .

(٦) من م و مد ، و فى الأصل : يعجبه (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من مد .

(٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهذا (٩) من م و مد ، و فى الأصل

و ظ : شاهدا .

## سورة الجاثية وتسمى الشريعة

مقصودها الدلالة على أن منزل <sup>٢</sup> هذا الكتاب <sup>٣</sup> - كما دل عليه في <sup>٤</sup>  
 الدخان - ذو العزة لأنه لا يقبله شيء وهو يغلب كل شيء، والحكمة  
 لأنه لم يضع شيئاً إلا في أحكم مواضعه، فلم أنه المختص بالكبرياء،  
 ه فوضع شرعاً [ هر - ° ] في غاية الاستقامة لا تستقل العقول بإدراكه  
 ولا يخرج شيء منه عنه <sup>٦</sup>، أمر فيه <sup>٧</sup> نهى، ورغب [ ورهب - ° ] ثم بطن  
 حتى أنه لا يعرف، ثم ظهر حتى أنه لا يحفل، فمن المكلفين [ من حكم - ° ]  
 عقله وجانب هواه فتشهد جلاله فسمع وأطاع، ومنهم من تبع هواه  
 ففصل عن نور العقل فزاع وأضاع <sup>٨</sup> فاقضت الحكمة ولا بد أن يجمع  
 ١٥ سبحانه الخلق ليوم الفضل فيظهر كل الظهور ويدن عباده ليشهد رحمته  
 المطيع وكبرياءه العاصي، وينشر العدل ويظهر الفضل، ويتجلى في جميع  
 صفاته بجميع خلقه، وعلى ذلك دل اسمها الشريعة، واسمها الجاثية واضح

(١) الخامس والأربعون من سور القرآن الكريم، وعدد آياتها ثلاثون  
 وسمي عند الكوفيين وست عند المدنيين والمكي والبصريين والشافعي -  
 راجع ثمر المرجان ١ / ٤٩٢ (٢) زيد في الأصل : سورة، ولم تكن الزيادة في  
 مد ظ و م ومد خذفاً (٣-٤) من م حرمه، وفي الأصل وظ : الكتاب هذا  
 (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل : والله (٥) زيد من م ومد (٦) من م  
 ومد، وفي الأصل وظ : من (٧) زيد من ظ و م ومد (٨) من ظ و م  
 ومد، وفي الأصل : ضاع -

الدلالة فيه إذا توصل كل من آيئها - والله سبحانه وتعالى الهادي .  
 ﴿ بسم الله ﴾ الذي تفرد بنوام العز والكبرياء ﴿ الرحمن ﴾ الذي أحك  
 رحمته بالبيان العام للعداء والأشقياء ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص بملا بر  
 طاعته الأولياء ﴿ حاتم ﴾ أى حكمة محمد إليها انتهى كما تقدم فى الدخان  
 ما أفهم إزاله من أم الكتاب جملة إلى بيت العزة ، ودل على بركته  
 بما دل على حكمة منزله وعزته بالبشارة والذارة والإيقاع بالمجرمين  
 بعد طول الحلم ، والآفة والنجاة للتقين وغير ذلك من أمور هي فى  
 غاية الدلالة على ذلك لأنها راجعة إلى الحس لمن ألقى السمع ، وهو  
 شهيد ، وأشار إلى سبيلها عني من تأمل هذا الذكر بالمرجم  
 بلسان أعلى الخلق وأكلهم وأشرفهم خلائق ، وأفضلهم ، ابتداء هذه ١٠  
 بالإعلام بأنه زاد ذلك يسرا وسهولة بإزاله منجبا بحسب الوقائع  
 مطابقا لما أمم مطابقة بعد إزاله جملة من أم الكتاب ثم مرتبا  
 لما أنزل منه ترتيبا يفهم علومها ويوضح أسرارها غامضة مهمة فقال :  
 ﴿ تنزيل الكتب ﴾ أى إزاله الجامع لكل خير حفرقا لزيادة التسهيل  
 فى التفهيم ، والإبلاغ فى اليسر فى التعليم ، وغير ذلك من الفضل العظيم ١٥

(١) من م ومده ، وفى الأصل وظ : التسمى (-) من م ومده ، وفى الأصل  
 وظ : غره (٢) من م ومده ، وفى الأصل وظ : الحكم (٤-٤) من ظ  
 وم ومده ، وفى الأصل : لمن (٥-٥) من ظ وم ومده ، وفى الأصل : خلقا  
 وخلفا (٦-٦) من ظ وم ومده ، وفى الأصل : و انتهاء هذه الاعلام (٧) من  
 مده ، وفى الأصل وظ وم : التعميم (٨-٨) من م ومده ، وفى الأصل  
 وظ : بالتعميم (٩) من م ومده ، وفى الأصل وظ : العظيم .

وزاده عظمًا بقوله: ﴿ من الله ﴾ أى كائن من المحيط بصفات الكمال .  
ولما كان - كما مضى - للعمة والحكمة أعظم بركة هنا قال:  
﴿ العزيز الحكيم ﴾ فكان كتابه عزيزًا حكيماً لا كما تقول الكفرة. من  
أنه شعر أو كذب أو كهانة لأنه لاحكمة لذلك ولا عزة<sup>٢</sup> بحيث يلبس  
ه أمره بأمر هذا الكتاب المحيط [ بدائرة الحكمة -<sup>٣</sup> ] والصواب، ودل  
بشواهد القدرة وآثار الصنعة من نسخة هذا الكتاب على الصفتين  
وعلى وحدانيته فيها اللازم منه تفريده<sup>٤</sup> المطلق فقال<sup>٥</sup> مؤكداً لأجل  
من ينكر ذلك ولو بالعمل، ورغياً في تدقيق<sup>٦</sup> النظر بتأمل آيات  
الوجود التى هذا الكتاب شرح<sup>٧</sup> لمغلفها وتفصيل لمجملها، وإيماء إلى  
١٠ أنها [ أهل -<sup>٨</sup> ] لصرف الأفكار<sup>٩</sup> إلى تأملها ﴿ ان فى ﴾<sup>١٠</sup> ولما كانت  
الحواميم - كما روى أبو عبيدة فى كتاب الفضائل عن ابن عباس رضى الله  
عنها - لباب القرآن، حذف ما ذكر<sup>١١</sup> فى البقرة من قوله "خلق"  
ليكون ما هنا أشمل فقال: ﴿ السموات ﴾ أى ذواتها<sup>١٢</sup> بما لها من الدلالة  
(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: فقال (٢) من م ومد، وفى الأصل  
وظ: غيره (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ:  
نقوده (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: فكان (٦) من م ومد، وفى  
الأصل وظ: دقيق (٧) زيد فى الأصل: ومفتاح، ولم تكن الزيادة فى ظ  
وم ومد لحذفها (٨) من مد، وفى الأصل وظ وم: الانكار (٩) وقع  
فى الأصل بعده بياض، وفى ظ: خلق (١٠) من م ومد، وفى الأصل وظ:  
ذكره (١١) من م ومد، وفى الأصل وظ: ذاتها .

[على صانعها - ' ] وخلقها على ما فيها من العز بما فيها من المنافع وعظم  
الصنعة<sup>٢</sup> وما لها من الشفوف الدال على تعددها بما فيها من الكواكب  
(و الأرض) كذلك [و - ' ] بما حوت من المعادن والمعيش<sup>٣</sup>  
والمنافع والمعاون (لأيت) أي دلائل على وحدانيته وجميع كماله،  
فان من المعلوم أنه لا بد لكل من ذلك من صانع متصف بذلك ه  
(للمؤمنين ه) أي لأنهم برسوخهم في هذا الوصف الشريف أهل للنظر  
لأن<sup>٤</sup> ربهم يهديهم بإيمانهم فشواهد<sup>٥</sup> الربوبية لهم منها لا تنة، وأدلة  
الإلهية فيها واضحة، ولعله أشار بالتعبير بالوصف إلى أنه لا بد في رد  
شبه أهل<sup>٦</sup> الطبايع من تقدم الإيمان، وأن [من - ' ] لم يكن راسخ  
الإيمان لم يخلص من شكوكهم<sup>٧</sup> .

١٠

وقال الإمام أبو جعفر<sup>٨</sup> ابن الزبير : لما تضمنت السور<sup>٩</sup> المتقدمة  
إيضاح أمر الكتاب وعظيم بياته<sup>١٠</sup> وأنه شاف كاف وهدى<sup>١١</sup> ونور،  
كان<sup>١٢</sup> أمر من<sup>١٣</sup> كفر من العرب أعظم شيء لاقطاعهم وعجزهم وقيام

- (١) زيد من م ومد (٢) من م ومد ، وفي الأصل وظ : الصفة (٣) من  
ظ وم ومد ، وفي الأصل : المنافع (٤) من م ومد ، وفي الأصل وظ :  
لأنهم (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : بشواهد (٦) من مد ، وفي الأصل  
وظ وم : منها (٧) من م ومد ، وفي الأصل وظ : لاهل (٨) من م  
ومد ، وفي الأصل وظ : شكوكه (٩) من م ومد ، وفي الأصل وظ : ابن  
جعفر (١٠-١١) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : تقدم تضمنت السورة .  
(١٢) في الأصل وظ : بياض ملائكة من م ومد (١٣) من م ومد ، وفي  
الأصل وظ : هوى (١٣-١٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : امرين .

الحجة به عليهم حتى رضوا بالقتل والخزى العاجل وما قاموا بادعاء<sup>١</sup>  
معارضته<sup>٢</sup> ولا تشوفوا<sup>٣</sup> إلى الإسناد إلى عظيم تلك المعارضة، أتبع ذلك  
[تعالى - ١] تنبيها لنيه<sup>٤</sup> والمؤمنين إلى ما قد نصبه من الدلائل سواء  
مما<sup>٥</sup> صد المعرض عن<sup>٦</sup> الاعتبار بها أو يعضها مجرد هواه، ومن أضل  
من اتبع هواه بغير هدى من الله، فقال تعالى بعد القسم بالكتاب المبين  
”ان في السموات والارض لايت لأيت للمؤمنين“، أى<sup>٧</sup> لو لم تجنهم يا محمد<sup>٨</sup>  
بعظيم آية<sup>٩</sup> الكتاب فقد كان لهم<sup>١٠</sup> فيما نصبنا<sup>١١</sup> من الأدلة أعظم برهان  
وأعظم تبيان<sup>١٢</sup> ”او لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض  
وما بينهما الا بالحق واجل مسمى“ فلما نه بخلق السماوات والارض،  
١٠ أتبع بذكر ما بث في الارض فقال ”وفي خلقكم وما بث فيها“ من  
دابة آيت لقوم يوقنون و اختلاف الليل والنهار“، أى في دخول أحدهما  
على الآخر بالطف<sup>١٣</sup> اتصال<sup>١٤</sup> و أربط انفصال<sup>١٥</sup> ”لا الشمس ينبغي لها ان

(١) من م ومد، وفي الأصل و ظ : قاوا باعاء - كذا (٢) من مد، وفي  
الأصل و ظ وم : معارضة (٣) من م ومد، وفي الأصل و ظ : لا تشو -  
كذا (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) في الأصل و ظ : نيته - كذا، وفي م ومد  
بياض (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ : عما (٧) من م ومد، وفي  
الأصل و ظ : من (٨ - ٨) من م ومد، وفي الأصل و ظ : يوم تجيبهم .  
(٩) من م ومد، وفي الأصل و ظ : آيات (١٠ - ١٠) من م ومد، وفي  
الأصل و ظ : فيه نسبة (١١) ليس في مد (١٢) من م ومد، وفي الأصل و ظ :  
باللطف (١٣) من م ومد، وفي الأصل و ظ : ايصال (١٤) زيد في الأصل  
و ظ : للشمس، ولم تكن الزيادة في م ومد فخذناها .



تدرك القمر ولا ليل سابق النهار“ ثم نبه على الاعتبار بانزال الماء من السماء وسماء رزقا بحط القياس فقال ”وما انزل الله من رزق فاحياه الارض بعد موتها“ ثم قال ”و'نصریف الرياح' ائنت' لقوم يعقلون“ الاستدلال بهذه الآی' يستدعی بسطا يطول، ثم قال ”تلك' ائنت الله تلوها عليك بالحق“ أى علاماته ودلائله ”وان من شئ الا يسبح بحمده“، ثم قال ”فبأی حديث بعد الله و'ائنته يؤمنون“ اُبعد ما شاهدته من شاهد الكتاب / وما تضمنه خلق السموات والارض وما فيها ٧٥١ / وما بينهن من عجائب الدلائل الواضحة لأولی الالباب، فاذا لم يعتبروا بشئ من ذلك فبماذا يعتبر، ثم أردف تعالى بتقریعههم وتوخيخهم فی تصميهم مع وضوح الأمر فقال ”وبل لكل افاك انیم“ الآيات ١٠ الثلاث، ثم قال ”هذا هدى“ وأشار إلى الكتاب وجعله نفس الهدى لتحمله“ كل أسباب الهدى وجميع جهاته، ثم توعد من كفر به

(١-١) من ظ و م و مد، وفي الأصل : نصرف الآيات (٢) من م و مد، وفي الأصل و ظ : الآية الذي (٣-٣) من م و مد، وفي الأصل و ظ : ای بعده (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ : شهوده (٥) من ظ و م، وفي الأصل و مد : فيها (٦) من م و مد، وفي الأصل و ظ : لم يعبروا (٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ : يعبر (٨) من مد، وفي الأصل و ظ و م : تصميم (٩) زيد في الأصل و ظ : يسمع آيات الله تلى عليه، ولم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (١٠) من م و مد، وفي الأصل و ظ : جعل (١١) زيد بعده في الأصل و ظ : اسباب، ولم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها.

ثم أردف ذلك بذكر نعمه و آلائه ليكون ذلك زائدا في توبيخهم ،  
و التحمت الآي عاضدة هذا الغرض تقريبا و تويخا و وعيدا و تهديدا  
إلى آخر السورة - انتهى .

و لما ذكر سبحانه بالنظر في آيات الآفاق ، أتبعها آيات الانفس  
٥ فقال : ﴿ وفي خلقكم ﴾ أى المخالف لخلق الارض التى أنتم منها بالاختيار  
و العقل و الانتشار و القدرة على السار و الضار ﴿ و ما يثبت ﴾ أى  
[ ينشر و - ] يفرق بالحركة الاختيارية بنا على سبيل التجدد و الاستمرار  
﴿ من دابة ﴾ كما تعلمون و بما لا تعلمون بما فى ذلك من مشاركتكم فى  
الحركة بالاختيار و الهداية للنافع بإدراك الجزئيات و مخالفتكم فى الصورة  
١٠ و العقل و إدراك الكليات و غير ذلك من مخالفة الأشكال و المنافع  
و الطبائع و نحوها ﴿ ائنت ﴾ [ أى - ] على صفات الكمال و لاسيما  
العزة و الحكمة ، و هى على قراءة حمزة و الكسائى و يعقوب بالنصب  
هنا ، و فى الذى بعده عطف الآيتين على حيز " ان " [ فى - ] الآية  
الاولى من الاسم و الخبر ، فلهذه الآية نظر إلى التأكيد ، و هو على  
١٥ قراءة الجماعة مبتدأ بالعطف على " ان " و ما فى حيزها ، و هى أبلغ لأنها  
تشير إلى أن ما فى تصوير الحيوان و جميع شأنه من عجيب الصنع

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م  
و مد لحذفها (٣) راجع نشر المرجان ٤٩٣/٦ (٤) من ظ و م و مد ، و فى  
الأصل : خبر (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : خبرها (٦) سقط  
من مد .

ظاهر<sup>١</sup> الدلالة على الله [ فهو - ' ] بحيث لا ينكره أحد، فهو غنى عن التأكيد، ويجوز أن تكون الآية على قراءة النصب من الاحتباك: حذف أولا الخلق بما دل عليه ثانيا، وثانيا ذوات الانفس بما دل عليه من ذوات السموات أولا .

ولما كانت آيات الانفس أدق وأدل على القدرة والاختيار بما لها من التجدد والاختلاف، قال: ﴿ لقوم ﴾ أى فيهم أهلية القيام بما يحاولونه ﴿ يوقنون ﴾ أى يتجدد لهم العروج فى درجات الإيمان إلى أن يصلوا إلى شرف الإيقان، فلا يخالطهم شك فى وحدانيته؛ قال الحرالى فى تفسير " او كالذى مر على قرية " : آية النفس منبهة على آية الحس، وآية الحس منبهة على آية النفس . إلا أن آية النفس ١٠ أعلق، فهى لذلك أهدى، غاية آية الآفاق الإيمان، وغاية آية النفس اليقين .

ولما ذكر الظرف وما خالق لأجله من الناس، ضم إليهم بعض ما خلقه لأجلهم / [ لشرفه - ' ] بالحياة، أتبعه ما أودع الظرف من ٧٥٢ / المرافق لأجل الحوان فقال: ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ بذهاب ١٥ أحدهما وجود الآخر بعد ذهابه على التعاقب آية متكررة للدلالة على القدرة على الإيجاد بعد الإعدام بالبعث وغيره، وجر «اختلاف» بتقدير «فى»، فينبغ حرف العطف مناب عامل واحد للابتداء عند من

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: ظاهره (٢) زيد من م ومد (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: فلا يخالطهم .

رفع آيات ، ، و مناب دان ، عند من نصب . فلم يلزم نيابته مناب عاملين مختلفين في الابتداء في الرفع وفي " أن " في النصب .

ولما كان المطر أدل مما مضى على البعث والعزة ، لأن الشيء كلما قل الإلف له كان أمكن للتأمل فيه ، اولاه آياه فقال : ﴿ وما انزل الله ﴾  
هـ أي الذي تمت عظمته ففقدت كلبته . ولما كان الإنزال قد يستعمل فيما أتى من علو معنوى وإن لم يكن حسيًا ، بين أن المراد هنا الأمران فقال : ﴿ من السماء ﴾ ' .

ولما كانت منافع السماء غير منحصرة في الماء قال : ﴿ من رزق ﴾  
أي مطر وغيره من الأسباب المهيئة لإخراج الرزق ﴿ فاحيا به ﴾  
١٠ أي بسيه و تعقبه ﴿ الارض ﴾ أي الصالحة للحياة ، ولذلك قال :  
﴿ بعد موتها ﴾ أي يبسها<sup>٢</sup> وتهشم ما كان فيها من الثبات وانقلابه بالاختلاط<sup>٣</sup> بترابها ترابًا ، فاذا نزل عليها الماء جمعه منها فأخرجها على ما كان عليه كلما تجدد نزوله ، ولذلك لم يأت بالجار<sup>٤</sup> إشارة إلى دوام

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : أي (٢) زيد في الأصل : فيه مناسبة لقوله صلى الله عليه وسلم في بعض حديث " و ررقم من سبم " و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد مخدفتاها (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بسيها .  
(٤) زيد في الأصل و ظ : لذلك ، و لم تكن الزيادة في م و مد مخدفتاها .  
(٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : من الاحتلاط (٦) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : جميعه (٧) زيدت انواو بعده في الأصل و ظ و لم تكن في م و مد مخدفتاها .

الحياة بالقوة إن لم يكن بالفعل .

ولما ذكر [ ما يشمل الماء ، ذكر - ' ] سبب السحاب الذي يحمله فقال : ( وتصريف الريح ) في كل جهة ' من جهات الكون ' وفي كل معنى من رحمة وعذاب وغير ذلك من الأسباب ، ولم يذكر الفلك والسحاب كما في البقرة لاقضاء اللبابة المسماة بها الحواميم ، ه ذلك لأنها من جملة منافع التصريف ، وتوحيد حمزة والكسائي ' أبلغ لأن تصريف الشيء الواحد في الوجوه الكثيرة أعجب ( 'أيت ) قراءة الرفع أبلغ لإشارتها بعدم الحاجة إلى التأكيد إلى أن ما في الآية ظاهر الدلالة على القدرة والاختيار للصانع بما في التصريف من الاختلاف ، والماء بما يحدث عنه من الإنبات ' أوضح دلالة من بقيتها ١٠ على البعث ، ولأجل شدة ظهورها ناط الأمر فيها بالعقل فقال : ( لقوم يعقلون ه ) وقال تعالى : والمعنى أن المتصفين ' لما نظروا في السماوات والأرض وأنه لا بد لها من صانع آمنوا ، فإذا نظروا في خلق أنفسهم ونحوها ازدادوا إيماناً فأيقنوا . فإذا نظروا في سائر الحوادث عقلوا واستحكم عليهم .

١٥

(١) زيد من م ومد (٢-٣) سقط ما بين الرقین من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد ، وفي الاصل : (٤) من م ومد ، وفي الاصل : لأنها (٥) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٩٤ (٦) من م ومد ، وفي الاصل : الإنبات (٧) من مد ، وفي الاصل : (٨) من مد ، وفي الاصل : المصنفين .

ولما ذكر هذه الآيات العظيمة، وكانت كلها مشركة في العظم،  
بعد ما أشار إلى تباين رتبها في الخفاء والجلاء بفواصلها، قال مشيراً  
إلى علو رتبها<sup>١</sup> بأداة البعد: ﴿تلك﴾ أى الآيات الكبرى ﴿أيت الله﴾  
أى دلائل المحيط بصفات الكمال التى لا شئ أجلى<sup>٢</sup> ولا أظهر ولا أوضح<sup>٣</sup>

منها<sup>٤</sup> / ٥. ولما كان كانه قيل: ما لها؟ قال، أو يكون المراد: نشير إليها

حال كوننا ﴿تلوها﴾ أى تتابع قصها ﴿عليك﴾ سواء كانت مرئية  
أو مسموعة، متلبسة<sup>٥</sup> ﴿بالحق﴾ أى الأمر الثابت الذى لا يستطاع  
تحويله فليس بسحر ولا كذب، فتسبب عن ذلك حيثئذ الإنكار

عليهم وعلى من يطلب إجابتهم إلى المقترحات طمعاً<sup>٦</sup> فى إيمانهم فى قوله  
١٠ تعالى: ﴿فبأى حديث﴾ أى خبر عظيم صادق يتجدد عليهم به يستحق

أن يتحدث به، واستغرق كل حديث فقال: ﴿بعد الله﴾ أى الحديث  
الاعظم عن<sup>٧</sup> الملك الاعلى ﴿وأيته﴾ أى والحديث عن<sup>٨</sup> دلالاته  
العظيمة<sup>٩</sup> ﴿يؤمنون﴾ من خاطب - وهم الجمهور<sup>١٠</sup> - ردوه على قوله  
”وفى خلقكم“ وهو أقوى تبكيتاً، وغيرم<sup>١١</sup> هم أبو عمرو وحفص<sup>١٢</sup> عن

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تبعوا أصلها (٢) من م و مد، وفى  
الأصل: رتبها (٣-٣) - فقط ما بين الرقین من ظ و م و مد (٤) زيد فى  
الأصل وظ: انتهى، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفها (٥) فى مد: متلبسة.  
(٦) من م و مد، وفى الأصل وظ: جمعا (٧) من مد، وفى الأصل وظ  
وم: من (٨-٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: دلالاته العظيم به (٩) راجع  
نثر المرجان / ٤٩٦ (١٠-١٠) من مد، وفى الأصل وظ و م: هو  
أبو حفص و عمرو.

عاصم وروح عن يعقوب رأوا ان ذلك الخطاب صرف إلى خطاب  
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله "تتلوها عليك بالحق".

ولما كان لا يبق على الكفر نوع بقاء فضلا عن الإصرار بعد  
هذا البيان إلا من يستحق النكال لمجاهرتة بالعناد، قال على وجه الاستنتاج  
مهددا: ﴿ويل﴾ أى مكان معروف فى جهنم ﴿لكل فاك﴾ أى مبالغ  
فى صرف الحق عن وجهه ﴿اثم لا﴾ أى مبالغ فى ثواب الإثم وهو  
الذنب، وعمل ما لا يحل مما يوجب العقاب، وفسر هذا بقوله:  
﴿يسمع أريت الله﴾ أى دلالات الملك الأعظم ظاهرة حال كونها  
﴿تلى﴾ أى يواصل 'استماعه لها' بلسان القال أو الخال، من أى تال  
كان، عالية ﴿عليه﴾ بجميع ما فيها من سهولة فهمها وعذوبة ألفاظها ١٠  
وظهور معانيها وجلالة مقاصدها مع الإعجاز فكيف إذا كان التال  
أشرف الخلق .

ولما كانت تلاوتها موجبة لإقلاعه فكان إصراره مع بعد رتبته  
فى الشناعة مستبعدا كونه قال: ﴿ثم يصر﴾ أى يديم دواما عظيما  
على قبيح ما هو فيه حال كونه ﴿مستكبرا﴾ أى طالبا الكبر عن الإذعان ١٥

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بالجدال والعناد (٢-٢) سقط ما بين  
الرتين من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل: عليه، ولم تكن الزيادة فى ظ  
و م و مد فحذفناها (٤-٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: استماعها (٥) من  
م و مد، وفى الأصل وظ: مكان (٦) من م و مد، وفى الأصل  
وظ: الساعة .

ووجداله . ولما كان مع ما ذكر من حاله يجوز أن يكون سماعه لها،  
 خفف من<sup>٢</sup> مبالغته في الكفر، بين أنها لم تؤثر فيه نوعاً من التأثير، فكان  
 قلبه أشد قسوة من الحجر [فقال -<sup>٣</sup>]: «كان» أى كأنه «لم يسمعها»  
 فلم من ذلك ومن الإصرار وما قيد به من الاستكبار أن حاله عند  
 السماع وقله وبعده على حد سواء، وقد علم بهذا الوصف أن [كل -<sup>٢</sup>]  
 من لم ترده آيات الله تعالى كان مبالغاً في الإثم والإمك، فكان له الويل .  
 ولما كان الإصرار معناه الدوام المتحكم، لم يذكر الوقر الذى هو من  
 الأمراض الثابتة كما ذكره في سورة لقمان، قال ابن القطاع<sup>٤</sup> وابن  
 ظريف في أفعالهما: أصر على الذنب والمكروه: أقام، وقال [عبد -<sup>٢</sup>]  
 ١٠. الغافر الفارسي في المجمع: أصررت على الشيء أى أقمت ودمت عليه،  
 وقال ابن فارس<sup>٥</sup> في المجلد: والإصرار: العزم على الشيء والثبات  
 عليه، وقال أبو عبد الله القزاز في ديوانه ونقله عنه عبد الحق في واعيهِ:  
 / وأصل الصر الإمساك، ومنه يقال: أصر فلان<sup>٦</sup> على كذا، أى أقام  
 عليه وأمسكه في نفسه [وعقده لأنه قد يقول ما ليس في نفسه -<sup>٢</sup>]  
 ١٥. وما لا يعتقده، والرجل مصر على الذنب أى ممسك له معتقد عليه، ثم

/ ٧٥٤

(١) من م ومد، وفي الأصل و ظ : له (٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل:  
 عن (٣) زيد من م ومد (٤) راجع كتاب الأفعال ٢/ ٢٥١ (٥) سقط من م  
 ومد (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ : فارسي (٧) سقط من ظ و م.  
 ومد (٨) من م ومد، وفي الأصل و ظ : ابن (٩) زيد في الأصل: أى  
 أمسك، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها .



قال : من الإصرار عليه وهو العزم على أن لا يقلع عنه ، و قال الأصفهاني<sup>١</sup>  
 تعا لصاحب الكشف : وأصله من أصر الحمار على العانة<sup>٢</sup> ، وهو أن  
 ينحن عليها صاراً أذنيه .

ولما أخبر عن ثباته على الحث ، سبب عنه تهديده في أسلوب  
 دال - بما فيه من التهمك - على شدة الغضب وعلى أنه إن كان له بشارة ه  
 فهي العذاب فلا بشارة له أصلاً فقال<sup>٣</sup> تعالى : ﴿ فبشره ﴾ أى على هذا  
 الفعل الحث ﴿ بعذاب ﴾ لا يدع له عذوبة أصلاً ﴿ اليم ﴾ أى  
 بليغ الإيلام .

ولما بين تعالى كفره بما يسمع من الآيات ، أتبعه ما هو أعم  
 منه فقال : ﴿ وإذا علم ﴾ أى أى نوع كان من أسباب العلم ﴿ من آيتنا ﴾ ١٠  
 أى على ما لها من العظمة باضافتها إلينا ﴿ شيئاً ﴾ \* [ وراه - ١ ]  
 وكان كلما رأوا الإنسان في غاية التمكن منه ، قال مبيناً للعذاب :  
 ﴿ جهنم ﴾ أى تأخذهم<sup>٥</sup> لاحتالة وهم في غاية الغفلة عنها بترك الاحتراز  
 منها ، ويحسن التعبير بالوراء<sup>٦</sup> أن الكلام في الأفلاك ، وهو انصراف<sup>٧</sup>

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل وم : الأصهباني (٢) من م ومد ، وفي الأصل  
 وظ : الصانة - كذا (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : وذلك قال (٤) وقع  
 في مد بياض من هنا إلى « جهنم أى تأخذهم » قدر صفحة مطبوعة وبضعة أسطر .  
 (٥) وقع في الأصل وظ وم بياض من هنا قدر صفحة مطبوعة ، وينتهي  
 إلى « وكان كلما رأوا » - وقطعت من الآية « اتخذها حزوا<sup>٨</sup> أو آلتك لهم عذاب  
 مهين<sup>٩</sup> من ورآتهم » (٦) زيد من م (٧) من ظ وم ومد ، وفي الأصل :  
 فاخذهم (٨) من م ومد ، وفي الأصل وظ : بالواد (٩) من ظ وم ومد ،  
 وفي الأصل : صرف .

الأمور عن أوجهها<sup>١</sup> إلى أفتانها<sup>٢</sup> فهو ماش أبدا إلى ورائه فهو ماش  
إلى النار بظهره<sup>٣</sup>، ويستعمل، "وراء" في الأمام، فيكون حيثن مجازا  
عن<sup>٤</sup> الإحاطة أى تأخذهم من الجهة التى هم بها<sup>٥</sup> عالمون والجهة التى هم  
بها<sup>٦</sup> جاهلون، فلقام غاية التجهم والعبوسة والغيط والكراهة ضد ما  
كانوا عليه عند [ العلم - ٧ ] بالآيات المرئية والمسموعة من الاستهزاء  
الملازم للضحك والتمايل بطرا وأشرا، ومثل ما كانوا عليه عند الملاقاة  
للصدقين بتلك الآيات .

[و- ٧] لما كانوا يظهرون الركون إلى ما بأيديهم من الأعراض الفاية،  
قال: (ولا يغنى عنهم) أى فى دفع ذلك (ما كسبوا) أى حصلوا<sup>١٠</sup> / ٧٥٥  
من الأمور التى أفادتهم العز الذى / أورثهم الاستهزاء (شيئا) أى  
من إغناء<sup>١١</sup> . ولما<sup>١٢</sup> كان هؤلاء لما هم عليه من العمى<sup>١٣</sup> يدعون إغناء  
آلهم<sup>١٤</sup> عنهم، قال<sup>١٥</sup> مصرحاً بها: (ولما اتخذوا) أى كلفوا أنفسهم

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: وجهها (٢) فى الأصل: اقولها، وفى  
ظ و م ومد: اقوالها - كذ (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: بظهر .  
(٤) من م ومد، وفى الأصل وظ: فى (٥) من ظ و م ومد، وفى  
الأصل ولها (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد من مد (٨) من ظ و م ومد،  
وفى الأصل: القابل (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: رفع (١٠) من م  
ومد، وفى الأصل وظ: حصوا (١١) زيد فى الأصل: ولم يغنى عنهم  
الاستهزاء، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (١٢) من م ومد، وفى  
الأصل وظ: الاغناء (١٣-١٤) فى ظ و م ومد: كانوا (١٤) من ظ و م  
ومد، وفى الأصل: الالهة (١٥) زيد فى الأصل وظ: نجيا ميتنا، ولم تكن  
الزيادة فى م ومد فحذفناها .

بأخذه مخالفين لما دعتهم إليها فطرهم الأولى السليمة من البعد عنها .  
ولما كان كفرهم إنما هو الإشراك ، فكانوا يقولون " الله " أيضا ، قال  
معبرا بما يفهم<sup>١</sup> سقول ما سواه : ﴿ من دون الله ﴾ أى أدنى رتبة من  
رتب الملك الأعظم ﴿ أولآءه ﴾ أى يطعمون فى أن يفعلوا معهم ما يفعله  
القريب من النفع و الذب و الدفع<sup>٢</sup> ﴿ ولهم ﴾<sup>٣</sup> مع عذابهم<sup>٤</sup> بحجة<sup>٥</sup>  
الآمل ﴿ عذاب عظيم ﴾ لا يدع جهة من جهاتهم و لا زمانا<sup>٦</sup> من أزمانهم  
و لا عضوا من أعضائهم إلا ملأه .

ولما أخبر عما لمن أعرض<sup>٧</sup> عن الآيات<sup>٨</sup> بما [ هو -<sup>٩</sup> ] أجل موعظة  
و أردع زاجر عن الضلال ، قال مشيرا إلى ما افتتح به الكلام من المتلو  
الذى هذا منه : ﴿ هذا ﴾ أى التنزيل المتلو عليكم ﴿ هدى ﴾<sup>١٠</sup> أى عظيم  
جدا بالغ [ فى -<sup>١١</sup> ] الهداية كامل فيها ، فالذين اهتموا بآيات ربهم  
[ لأنهم -<sup>١٢</sup> ] لم يغفروا بالحاضر لكونه زائلا فاستعملوا عقولهم فآمنوا

(١) زيد فى الأصل و ظ : سقولهم و ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفناها .  
(٢-٢) من م و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل و ظ : دونه .  
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الرفع (٤) زيد فى الأصل و ظ : اى ،  
و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفناها (٥) زيد فى الأصل : أيضا ، و لم تكن  
الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م :  
تحية - كذا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : زمنا (٨-٨) من م و مد ،  
و فى الأصل و ظ : بالآيات (٩) زيد من مد (١٠) زيد فى الأصل : هدى ،  
و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (١١) زيد من ظ و م و مد .

به لهم نعم مقيم ﴿ والذين كفروا ﴾ أى سبّروا ما دلّهم<sup>١</sup> عليه مرافق  
 دقّوهم به - هكذا كان الأصل ، ولكنه نبه على أن كل جملة من جملة ،  
 بل كل<sup>٢</sup> كلمة من كلماته<sup>٣</sup> دلالة واضحة عليه سبحانه فقال : ﴿ بآيت ربهم ﴾  
 أى وهذه التغطية بسبب التكذيب بالعلامات الدالة على وحدانية المحسن  
 ه إليهم فضلوا عن السبيل لتفريطهم<sup>٤</sup> في النظر<sup>٥</sup> لغرورهم بالحاضر الفانى  
 ﴿ لهم عذاب ﴾ [ كائن -<sup>٦</sup> ] ﴿ من رجز ﴾ [ أى عقاب -<sup>٧</sup> ] قدر<sup>٨</sup> شديد  
 جدا عظيم اقلقلة<sup>٩</sup> والاضطراب<sup>١٠</sup> متابع<sup>١١</sup> الحركات ، قال القزاز : الرجز  
 والرجس واحد ﴿ اليمع ﴾ أى بليغ الإيلام . الآية من الاحتباك :  
 ذكر الهدى أولا دليلا على الضلال ثانيا ، والكفر والعذاب ثانيا دليلا<sup>١٢</sup>  
 ١٠ على ضدّها أولا ، وسره أنه ذكر السبب المسعد ترغيبا فيه ، والمشقى  
 ترهيبا منه .

ولما ذكر سبحانه وتعالى<sup>١٣</sup> صفة الربوبية ، ذكر بعض آثارها وما

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : دلهم (٢) - سقط من م ومد (٣) فى مد :  
 كلمات (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : بتفريطهم (٥) زبدت الواو  
 بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ وم ومد فحذفناها (٦) وقع فى الأصل وظ  
 بعد رجز ، والترتيب بين م ومد (٧) زيد من م ومد (٨) من م ومد ،  
 وفى الأصل وظ : قدو - كذا (٩) من م ومد ، وفى الأصل وظ : القلقة .  
 (١٠) زيد فى الأصل وظ : موقع ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها .  
 (١١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : متابع (١٢) من ظ وم ومد ، وفى  
 الأصل : دالان (١٣) زيد فى الأصل : السبب المسعد ترغيبا فيه ، ولم تكن  
 الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها .

فيها من آياته ، فقال مستأنفا دالا على عظمتها ' بالاسم الأعظم : ﴿ الله ﴾  
 أى الملك الأعلى المحيط بجميع صفات الكمال . ولما كان آخر الآيات  
 التى قدمها الرياح ، ذكر ما يتصرف بتسييرها فقال : ﴿ الذى سخر ﴾ أى  
 وحده من غير حول منكم فى ذلك بوجه من الوجوه ﴿ لكم ﴾ أيها  
 الناس بركم وفاجركم ﴿ البحر ﴾ بنا جعل فيه بما لا يقدر عليه ' إلا واحد ه  
 لا شريك له فاعل بالاختيار من القابلية للسير ' فيه بالركة والليونة والاستواء  
 مع الرياح الموافقة وأنه يطفو ' عليه ما كان من الخشب مع ما علم من  
 صنعته على هذا الوجه الذى تم به المراد ﴿ لتجرى الفلك ﴾ أى السفن  
 ﴿ فيه بامرہ ﴾ ولو كانت موقرة ' بأفعال الحديد الذى يغوص فيه '   
 أخف شيء منه كالإبرة / وما دونها .

١٠ / ٧٥٦

ولما كان التقدير : لتعبروا بذلك فتعلموا أنه بقدرته خاصة لتؤمنوا  
 به ، عطف عليه قوله : ﴿ ولتبغوا ﴾ أى تطلبوا بشهوة نفس واجتهاد  
 بما تحملون فيه من الضائع ' وتتوصلون إليه من الأماكن والمقاصد

- (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عظمها (٢) زيد فى الأصل : الحلال و ،  
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذها (٣) زيد فى الأصل : أى ،  
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذها (٤) ومن هنا إلى ما سنبه عليه  
 سقطت نسخة م (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : بالستر (٦) من مد ، وفى  
 الأصل و ظ : مطعوا - كذا (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : موقرة .  
 (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : بافعال (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : فى  
 البحر (١٠) من مد ، وفى الأصل و ظ : الصنائع .

بالصيد و الغوص و غير ذلك ( من فضله ) لم يصنع شيئا [ منه - ]  
سواه . ولما كان التقدير: لتظهر عليكم آثار نعمته، عطف عليه  
قوله تعالى: ( ولعلكم تشكرون ) أي و لتكونوا بحيث يرجو منكم  
من ينظر حالكم ذلك شكر من أنعم عليكم به ليزيدكم من فضله في  
الدنيا و الآخرة .

ولما ذكر آية البحر لعظمتها، عم بمنافع الخافقين دلالة على أنه  
ما خلق ذلك كله على عظمه إلا لنا، تنبيهها على أن الأمر عظيم فقال  
تعالى: ( وسخر لكم ) أي خاصة و لو شاء لمنعه ( ما في السموات )  
بإزاله إليكم منها على أنها بحيث لا يمكنكم الوصول إليها بوجه، و أكد  
١٠ باعادة الموصول لأن السياق للدلالة على عزته و حكمته الدالتين على توحده  
باستحقاق العبادة الذي هم له منكرون كما دللنا على توحده بالإيجاد و السيادة  
و هم معترفون بذلك بالسنتهم، و أفعالهم\* أفعال من ينكره، فقال:  
( و ما في الارض ) و أوصلكم إليه و لو شاء لجمعكم كما في السماء  
لا وصول لكم إليه، و أكد ما دل على ما مضى من العموم بقوله:  
١٥ ( جميعا ) حال كون ذلك كله من أعيان تلك الأشياء و من تسخيرها\*  
( منه ) لا صنع لاحد غيره في شيء منه في ذلك، قال الرازي في اللوامع:  
قال أبو يعقوب النهرجوري<sup>٦</sup>: سخر لك الكل لئلا يسخر منك شيء.

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، وفي الأصل و ظ: ان (٣) من ظ و مد،  
وفي الأصل: لها (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: دالا (٥) من مد، وفي  
الأصل و ظ: أفعال (٦) من مد، وفي الأصل و ظ: تسخير (٧) من مد،  
وفي الأصل و ظ: المهرجوري .

و تكون مسخرا لمن سخر لك الكل و هو الله تعالى ، فانه يقبح بالمخدوم  
أن يخدم خادمه ، و قال الفشيرى : ما من شيء من الأعيان الظاهرة  
إلا و [ من - ١ ] وجه للانسان به انتفاع ، فمن أن يستسخر ما  
هو مسخر لك .

ولما صح أنه لاشريك له في شيء من الخلق لامن الذوات و لامن ه  
المعاني ، حسن جدا قوله ، مؤكدا لأن<sup>٢</sup> عملهم يخالفه : ( ان في ذلك )  
أى الأمر العظيم و هو تسخير<sup>٣</sup> لنا كل شيء في<sup>٢</sup> الكون ( لأيت )  
أى دلالات<sup>٤</sup> واضحات على أنهم في الالتفات إلى غيره في ضلال  
مبين بعد تسخير<sup>٥</sup> لنا ما لنا من الأعضاء و القوى على هذا الوجه البديع  
مع أن من هذا المسخر لنا ما هو أقوى منا ( لقوم ) أى ناس فيهم ١٠  
أهلية للقيام بما يحمل إليهم ( يتفكرون ه ) أنه المتوحد باستحقاق<sup>٦</sup> الإلهية  
فلا<sup>٦</sup> يشركون به شيئا .

ولما علمت دلائل التوحيد على وجه علم منه أنه قد بسط نعمه  
على جميع خلقه طاعتهم و عاصيهم ، فعلت بواسطة ذلك الاخلاق الفاضلة  
و الافعال الحميدة ، و كان على المقبل عليه المحب [ له - ٧ ] التخلق بأوصافه ، ١٥  
أتج قوله مخاطبا لأنهم خلقه عنه و أطوعهم له الذى الأوامر إنما هي

( ١ ) زيد من ظ و مد ( ٢ ) زيد في الأصل : عليهم و ، و لم تكن الزيادة في ظ  
و مد فحذفناها ( ٣ - ٢ ) من ظ و مد ، و في الأصل : لكل شيء من ( ٤ ) من  
مد ، و في الأصل و ظ : ذلك الايات ( ٥ ) من ظ و مد ، و في الأصل :  
بالاستحقاقات ( ٦ ) من ظ و مد ، و في الأصل : فلما ( ٧ ) زيد من مد .

له من شدة طواعته تكوين لا تكليف : ﴿ قل ﴾ أى بقالك و حالك  
 ﴿ للذين / امنوا ﴾ أى ادعوا التصديق بكل ما جاءهم من الله : اغفروا  
 تسنا<sup>١</sup> به من أساء إليكم . و لما كان هذا الأمر فى الذروة من اقتضاء  
 الإحسان إلى المسىء فكيف بالصفح عنه ، كان كأنه علة مستقلة فى  
 ٥ الإقبال عليه و القبول منه و الإعراض عن مؤاخذه المسىء . فان ذلك  
 يقدح فى كمال الإقبال عليه مع أن من كان يريد هو سبحانه الانتقام  
 منه فهو يكفى أمره ، و من<sup>٢</sup> لم يرد ذلك منه فلا حيلة فى كفه بوجه  
 فالاشتغال<sup>٣</sup> به عبث . فبه على ذلك بأن جعل جواب الأمر قوله :  
 ﴿ يغفروا ﴾ أى يستروا سترا بالغا .

١٠ و لما كان العاقل من سعى جهده فى نفع نفسه ، و كان الأذى  
 لعباد الله مظنة لتوقع الغضب منه و قادحا فيما يرجى من إحسانه قال :  
 ﴿ للذين ﴾ و عبر فى موضع " أسأؤا إليهم " بقوله تعالى : ﴿ لا يرجون ﴾  
 أى حقيقة و مجازا ، و التعبير فى موضع الخوف بالرجاء لما فيه من  
 الاستجلاب و الترغيب و التأليف و الاستعطاف ، و قال بعد ما به  
 ١٥ [ عليه - ٦ ] بتلك العبارة من جليل الإشارة : ﴿ ايام الله ﴾ أى مثل

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يحلف ، و زيد بعده فى الأصل : صلى الله  
 عليه و على آله و أصحاب الكرام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحدفاها .  
 (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تدبى (م) من مد ، و فى الأصل و ظ : لمن .  
 (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : قال (هـ) من ظ و مد ، و فى الأصل :  
 فاشتغال (٧) زيد من مد .



وقائع الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال في ' الأُمم الخالية بادالة الدول  
تارة لهم وأخرى عليهم، وفيه أعظم ترغيب' في الحث على الغفران  
للموافق' في الدين، وتنبه على أنه لا يقدم على الإساءة إلى عبيده إلا من  
أعرض عنه، فصار حاله حال الآئس من صنائعه ' سبحانه في جزائه  
للسوء والمحسن في الأيام والليالي، وعبر بالاسم الشريف تنبيها على ما ه  
له من الجلال والجمال في معاملة كل منهما، قال [ ابن - ١ ] بربان :  
وهذه الآية وشبهها من النسي المذكور في قوله تعالى " ما ننسخ من  
آية أو نفسها " و ليس بنسخ بل هو حكم يحىء' ويذهب بحسب القدرة  
على الانتصار، وكان ينزل مثل هذا بمكة والمسلمون في ضعف، و نزل  
بعد الهجرة آية الجهاد والأمر بالمعروف، وترك' هذه وأمثالها ١٠  
مسطورة في القرآن" لما عسى أن يدور من دوائر أيام الله ومن أيامه  
إزالة أهل الكفر تنبيها للسلين ليراجعوا أمرهم ويصلحوا ما بينهم  
و بين ربهم " .

- (١) من مد، وفي الأصل وظ : من (٢) من مد، وفي الأصل وظ :  
الترغيب (٣) من مد، وفي الأصل وظ : الموافق (٤) من ظ و مد، وفي  
الأصل : على (٥) من مد، وفي الأصل وظ : صانعه (٦) زيد من مد (٧) زيد  
في الأصل وظ : فات . ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٨) من ظ و مد،  
وفي الأصل يحى (٩) من ظ و مد، وفي الأصل : ترك (١٠) زيد في مد :  
موصدة (١١) من مد، وفي الأصل وظ : الله تعالى .

ولما كان من قورصص على جنائته في الدنيا، سقط 'عنه أمرها'  
 في الآخرة، و كان المسلط للجاني في الحقيقة إنما هو الله تعالى وكان  
 تسلطه إزاء الحكم بالغة تظهر غاية الظهور في الآخرة، علل الأمر بالفقران  
 مهتداً للجاني ومسلماً للجنى عليه : ( ليحزى ) أى الله في قراءة الجماعة  
 ٥ بالتحتانية والبناء للفاعل، ونحن بما لنا من العظمة في قراءة ابن عامر  
 وحمة والكسائي بالنون، وبناء أبو جعفر للفعول فيكون النائب عن  
 الفاعل الخير أو الشر بتقدير حارب الجر لجرائمهم في الدنيا وفي الآخرة  
 حيث يظهر الحكم وينجلي الظلم .

ولما كان ربما جوزى جميع الجناة، وربما عني عن بعضهم بالتوبة  
 ١٠ / ٧٥٨ عليه أو غيرها ~~تفضل~~ / لحكم أخرى ويثاب المظلوم على ظلامته لمثل  
 ذلك قال : ( قومنا ) أى من الجناة وإن كانوا في غاية العلو والكبرياء  
 والجبروت ومن المجنى عليهم وإن كانوا في غاية الضعف ( بما ) أى  
 بسبب الذى ( كانوا ) أى في جبلاتهم وأرزؤهم إلى الخارج  
 ( يكسبون ) أى يفعلون على ظن أنه يفهمهم أو بسبب كسبهم من  
 ١٥ خير أو شر، والحاصل أنه تعالى يقول : أعرض عمن ظلمك و كل  
 أمره إلى فاني لا أظلمك<sup>٢</sup> ولا أظلم<sup>٣</sup> أحداً، فسوف أجزيك على صبرك

( ١ - ١ ) من مد، وفي الأصل و ظ : أمرها عنه ( ٢ ) من ظ و مد، وفي  
 الأصل : يقول مهتداً ( ٣ ) راجع نثر المرجان ٦ / ٥٠٢ ( ٤ ) زيدت الواو في  
 الأصل ولم تكن في ظ و مد لخلافها ( ٥ ) في ظ : لئلا ( ٦ ) من ظ، وفي  
 الأصل : الكبر، وليس وأخذاً في مد ( ٧ - ٧ ) سقط ما بين الرقيين من ظ .

أجزيه على بغيه وأنا قادر . وأقادت قراءة أبي جعفر<sup>١</sup> الإبلاغ في تعظيم  
 الفاعل [ و - ٢ ] أنه معلوم ، و تعظيم ما أقيم مقامه وهو الجزء يجعله  
 عمدة مسندا إليه لأن عظمته على حسب ما أقيم مقامه ، فالتقدير لكون  
 الفعل يتعدى إلى مفعولين كما قال تعالى "و جزاهم بما صبروا جنة و حريرا"<sup>٢</sup> .  
 ليجزى الملك الأعظم الجزء الأعظم من الخير للؤمن و الشر للكافر<sup>٣</sup> .  
 قوما ، فجعل الجزء كالفاعل و [ إن - ١ ] كان مفعولا كما جعل  
 " زيد " فاعلا في مات زيد و إن كان مفعولا في المعنى : تنديها على  
 عظيم تأثير الفعل . فانه لا انفكاك عنه لانه يحمل متمكنا من المجزى  
 [ تمكن المجزى - ٢ ] من جزائه و محيضا به لأن الله تعالى بعظم قدرته  
 يجعل عمل الإنسان نفسه جزاء له ، قال الله تعالى " سيجزيهم وصفهم " ١٠  
 بما كانوا يعملون ، و يجوز أن يكون النائب عن الفاعل ضمير " الذين "  
 بالنظر إلى لفظه فيكون المعنى : سيجزى الذين آمنوا ناسا كانوا أقربا  
 على القيام في أذاهم بسبب أذاهم [ لهم - ٣ ] فيجعل كلا<sup>٤</sup> منهم فداء  
 لكل منهم من النار ، و ربما<sup>٥</sup> رأوا بعض آثار ذلك في الدنيا ، روى مسلم  
 و الترمذى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه ١٥  
 و سلم قال : ما نقصت صدقة من مال و ما زاد الله عبدا بغفو إلا  
 عزاء ، و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز و جل . و لأحمد و الترمذى -

(١) راجع نثر المرجان ٦ / ٥٠٢ (٢) زيد من ظ (٣) زيد في الأصل : محيطا ،  
 و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٤) في م : ما ، و استأنهت النسخة من  
 بها (٥) زيد من م و مد (٦) في م : كل (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل :  
 بما (٧) في م : عبيد ، و الحديث مضى قريبا .

واللفظ له وقال : حسن صحيح<sup>١</sup> بن أبي كبشة الأعمري رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه : ما نقص مال عبد<sup>٢</sup> من صدقة ، و ما ظلم عبد مظلمة صر عليها إلا زاده الله عزاء ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله باب فقر - أو كلفة نحوها ، وروى الحاكم وصحح إسناده ، قال المنذرى : وفيه انقطاع عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : من سره أن يشرف له البيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه<sup>٣</sup> .

ولما رغب سبحانه ورهب وقرر أنه لا بد من الجزاء ، زاد في ١٠ [ الترغيب و - ]<sup>٤</sup> [ الترهيب بأن النفع والضر لا يبدوم فقال شارحاً للجزاء : ( من عمل صالحاً ) قل أو جل ( فلنفسه ) أى خاصة عمله يرى جزاءه فى الدنيا ' أو فى ' الآخرة ( ومن أساء ) أى ' كذلك ' إساءة قت أو جلت ' ( فليها ) خاصة إساءته كذلك ، وذلك فى غاية الظهور لأنه لا يسوغ فى عقل عاقل أن ملكا يدع<sup>٥</sup>

(١) زيدت الوارد فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و م ومد لحدوثها (٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اء - (٣) هامش م : روى مسلم عن أبي موسى رفعه : إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً يقول : هذا فكاكك من النار (٤) زيد من م ومد ( ، - ه ) من م ومد ، وفى الأصل وظ « و » (٥) - قط من ظ و م ومد (٦ - ٧) - قط ما بين الرقين من ظ وم ومد (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : رذع ، وفى م : روع .

عبيد من غير جزاء ولا سيما إذا كان حكيمًا وإن كانت نقائص  
النفوس قد غطت على كثير / من العقول ذلك و من جزائه أنه يدل  
المسيء على المحسن لهفوة وقعت له ليراجع حاله بالتوبة .

ولما كان سبحانه قادراً لا يفوته شيء كان بحيث لا يعجل فأخر  
الجزء إلى اليوم الموعود : ( ثم ) أى بعد الابتلاء بالإملاء في الدنيا ه  
والحبس في البرزخ ( إلى ربكم ) أى المالك لكم وحده لا إلى غيره  
( ترجعون ) .

ولما علم بهذه الحكم ما افتتحت به السورة من [ أن - ] منزل  
هذا الكتاب عزيز حكيم ، فكان التقدير فذلك : فلقد آتيناك  
الكتاب والحكم والنبوة وفضلناك وأمتك على العالمين وأرسلناك ١٠  
لتنبيه الناس على ما أمامهم و كان قومه بعد اتلافهم على الضلال قد  
اختلفوا بهذا الكتاب الذى كان ينبغي لهم أن يشتد اجتماعهم به  
واستنصارهم من أجله ، عطف عليه مسلياً قوله : ( ولقد آتينا ) أى

- (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لنفوسهم (٢) من م و مد ، وفى  
الأصل و ظ : بدليل (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لمنوة (٤) سقط  
من م (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : قادران - كذا (٦-٦) من م  
و مد ، وفى الأصل و ظ : لليوم (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بأملاء .  
(٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بهذا (٩) زيد من م و مد (١٠) من  
م و مد ، وفى الأصل و ظ : فذلك (١١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ :  
قومهم (١٢) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : استنصارهم .

على ما لنا من العظمة 'و القدرة' الباهرة ﴿ بنى إسرائيل ﴾ نبي الله ابن  
عمكم إسحاق نبي الله ابن أبيكم إبراهيم خليل الله عليهم الصلاة والسلام  
﴿ الكتب ﴾ الجامع للخيرات وهو يعم التوراة والإنجيل والزبور وغيرها<sup>٢</sup>  
ما أنزل على أنبيائهم ﴿ والحكم ﴾ أى العلم والعمل الثابتين ثبات الاحكام  
٥ [بحيث - ٣] لا يتطرق إليهما 'فساد بما للعلم من الزينة بالعمل ، وللعمل من  
الإتقان' بالعلم ﴿ و النبوة ﴾ التى تدرك بها الاخبار العظيمة التى لا يمكن  
اطلاع الخلق عليها بنوع اكتساب منهم ، فأكثرنا فيهم من الانبياء  
﴿ ورزقهم ﴾ بعظمتنا لإقامة أبدانهم ﴿ من الطيبات ﴾ من آمن والسلوى  
وغيرهما من الارزاق الدنية وغيرها ﴿ وفضلهم ﴾ بما لنا من العزة  
١٠ ﴿ على العالمين ﴾ وهم الذين تحقق إيجادنا لهم فى زمانهم وما قبله فانا  
آتيناهم من الآيات المرتبة والمسرعة وأكثرنا فيهم من الانبياء ما  
لم نفعله لغيرهم من سبق ، وكل ذلك فضيلة ظاهرة ﴿ وائتيتهم ﴾ مع  
ذلك<sup>٦</sup> ﴿ بينت من الامر ﴾ الموحى به إلى أنبيائهم من الأدلة القطعية  
والاحكام والمواعظ المؤيدة بالمعجزات . ومن صفات الانبياء الآتين  
١٥ بعدهم وغير ذلك مما هو فى غاية الوضوح لمن قضينا بسعاده ، وذلك  
أمر يقتضى الآلفة والاجتماع وز قد - ٢ ] كانوا متفقين وهم فى زمن

---

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ و م ومد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ  
وم : غيرهما (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : اليها .  
(٥) من م و م ومد ، وفى الأصل و ظ : الاتفاق (٦) زيد فى الأصل : ايضا ،  
ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفنا (٧) زيد من م ومد .

الضلال لا يختلفون إلا اختلافا يسيرا لا يضر مثله ولا يعد اختلافا .

ولما كان حالهم بعد هذا الإتياء مجحولا ، فصله فقال تعالى :

( فَاخْتَلَفُوا ) أى أوقفوا الاختلاف والافتراق بقاية جهدهم . ولما

لم يكن اختلافهم مستغرقا لجميع الزمن الذى بعد الإتياء ، أثبت الجار

فقال : ( الامن بعد ما جاءهم العلم لا ) الذى من شأنه الجمع على المعلوم ، هـ

فكان ما هو سبب الاجتماع سيالهم فى الافتراق لأن الله تعالى أراد

ذلك وهو عزيز .

ولما كان هذا عجبا ، بين علته محذرا من مثلها فقال : ( بغيا ) -

أى للمجاوزة فى الحدود التى اقتضاهما لهم طلب الرئاسة والحد وغيرهما

من نقائص النفوس . ولما كان / البغى على البعيد مذموما ، زاده عجبا ١٠ / ٧٦٥

بقوله : ( بينهم ) واقعا فيهم لم يعدم إلى غيرهم ، وقد كانوا قبل ذلك

وهم تحت أيدى القبط فى غاية الاتفاق واجتماع الكلمة على الرضا

بالذل ، ولذلك إستأنف قوله الذى اقتضاه الحال على ما يشاهده العباد

من أفعال الملوك فيمن ' خالف أوامرهم ' ، مؤكدا لأجل إنكارهم :

( ان ربك ) أى المحسن اليك بارسالك وتكثير أمتك وحفظهم مما ١٥

ضل به القرون الأولى وبيان يوم الفصل الذى هو محط الحكمة يانا

لم يبينه على لسان أحد من سلف ( يقضى بينهم ) باحصاء الاعمال والجزاء

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : المجاوزة (٢) من م ومد ، وفى

الأصل و ظ : ممن (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : امرهم (٤) من م

ومد ، وفى الأصل و ظ : من .

عليها، لأن هذا مقتضى الحكمة والعزة ﴿يوم القيمة﴾ الذى ينكره قومك الذين شرفناهم برسالتك مع أنه لا يجوز فى الحكمة إنكاره ﴿فيا كانوا﴾ أى بما هو لهم كالجبله ﴿فيه يخلفونه﴾ بغاية الجهد متعمدين له بخلاف ما كان يقع منهم خطأ فانه يجوز فى الحكمة أن يتفضل عليهم بالقفو عنه فقد علم أنه لا يجوز فى الحكمة أصلا أن يترك المختلفون من غير حكم بينهم لأن هذا لا يرضاه أقل الملوك فانه لا يعرف الملك إلا بالقهر والعزة ولا يعرف كونه حكيما إلا بالعدل، وإذا كان هذا لا يرضاه ملك فكيف يرضاه ملك الملوك، وإذا كان هذا القضاء مقتضى الحكمة كان لا فرق فيه بين ناس وناس، فهو يقتضى ١٠. ينكم أيضا بذلك، ومن التأكيد للوعد بذلك اليوم التعبير باسم الرب مضافا إليه صلى الله عليه وسلم.

ولما كان معنى هذا أنه سبحانه وتعالى جعل بنى إسرائيل على شريعة وهددهم على الخلاف فيها، فكان تهديدهم تهديدا لنا، قال مصرحا بما اقتضاه سوق الكلام وغيره من تهديدنا منها على علو شريعتنا: ١٥. ﴿ثم﴾ أى بعد فترة من رسلهم ومجازرة رتب كثيرة عالية على

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: إنكارها (٢) زيد فى الأصل: بن هو حيلة لها وطبعا، ولم تكن الزيادة فى ظ م و مد لخدمتها (٣-٢) من م و مد، وفى الأصل وظ: يجر حكم - كذا (٤-٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الملك (هـ) من مد، وفى الأصل وظ وم: ذلك (٦) فى مد: الوعد. (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: رسل.



[ رتبة - ١ ] شريعتهم ﴿ جعلتك ﴾ أى ' بعظمتنا ﴿ على شريعة ﴾ أى طريقة واسعة عظيمة ظاهرة مستقيمة سهلة موصلة إلى المقصود هى جديرة بأن يشرع الناس فيها و يخاطبونها مبتدئة <sup>٢</sup> ﴿ من الامر ﴾ الذى هو وحينا وهو حياة الأرواح كما أن الأرواح حياة الأشباح .

ولما بين بهذه العبارة بعض فضلها على ما كان قبلها، سبب عنه ه قوله موجها الخطاب إلى الإمام بما أراد به المأمومين؛ ليكون أدعى إلى اجتهادهم، فإن أمرهم تكليف وأمر إمامهم تكونين: ﴿ فاتبعها ﴾ أى بغاية جهدك . ولما كانت الشريعة العقل المحفوظ الذى أخبر الله أنه به يأخذ وبه يعطى، كان الإعراض عنها إلى غيرها إنما هو هوى، ولما كان

أحد الأمة غير معصومين أشار إلى العفو<sup>٥</sup> عن هفواتهم بقوله تعالى: ١٠ ﴿ ولا تتبع ﴾ أى تعتمدوا أن تتبعوا ﴿ أهواء الذين لا يعلمون ﴾ أى لا علم لهم أولهم علم ولكنهم يعملون عمل من ليس لهم علم أصلا من كفار العرب وغيرهم، فإن من تعمد أتباعهم ففعلت بهم<sup>٦</sup> ما فعلت

بنى<sup>٧</sup> / إسرائيل / حيث لعنتهم على لسان داود وعيسى بن مريم عليهما

الصلاة والسلام<sup>٨</sup> بعد ما لعنتهم على لسان موسى عليه الصلاة والسلام، ١٥

- (١) زيد من ظ و م ومد (٢) سقط من ظ ومد (٣) زيد فى الأصل : تامة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : المأمومون (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : عفوه (٦ - ٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : نفس (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : بنى . (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ و م ومد فحذفناها .

ثم علل هذا النهى مهددا بقوله [ مؤكدا تنديها على أن من خالف أمر الله  
لأجل أحدي كان عمله عمل من يظن أنه يحبه -<sup>١</sup> ] : ( انهم ) وأكد<sup>٢</sup>  
النبي فقال تعالى : ( لن يغفوا عنك ) أى لا يتجدد لهم نوع إغناء  
مبتدئ ( من الله ) المحيط بكل شئ ، قدرة و علما واصل إليه ، وكل  
ه ما لا يكون ذا وصلة به فهو عدم ( شيئا<sup>٣</sup> ) من إغناء إن تبعتم كما  
أنهم لن<sup>٤</sup> يقدروا لك على شئ من أذى إن خالفتم و ناصبتهم .

ولما كان التقدير : فانهم ظلة لا يضعون شيئا فى موضعه ، و من  
اتبعهم فهو منهم ، قال تعالى عاطفا عليه : ( وان ) وكان الأصل :  
وإنهم ، ولكنه أظهر للاعلام بوصفهم فقال : ( الظلمين ) أى العريقين  
١٠ فى هذا الوصف الذمى<sup>٥</sup> ( بعضهم اولياء بعض<sup>٦</sup> ) فلا ولاية - أى  
قرب - بينهم و بين الحكيم أصلا لتباعد ما بين الوصفين فكانت أعمالهم  
[ كلها -<sup>٧</sup> ] باطلة لبنائها على غير اساس خلافا لمن يظن بها غير ذلك  
تقيدا بالأمور الظاهرة فى هذه الدار ( والله ) أى الذى له جميع  
صفات الجلال و الجمال و العز و الكمال ( ولى المتقين ه ) الذين  
١٥ همهم<sup>٨</sup> الأعظم الاتصاف بالحكمة باتخاذ الوقايات المنجية لهم من سخط الله

(١) زيد من م و مد (٢) زيد بعده فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ  
و م و مد فخذناها (٣) فى مد : لم (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :  
لكن (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : الاعلام (٦) زيد فى الأصل : فان  
الظالمين ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٧) سقط من ظ و م  
و مد (٨) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها .  
(٩ - ٩) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (١٠) من مد ، وفى الأصل  
و ظ و م : همهم .

و لا ولاية بينه وبين الظالمين .

ولما أوصل سبحانه إلى هذا الحد من البيان ، القاتل لقوى الإنسان ، قال مترجما عنه : ( هذا ) أى الوحي المنزل . ولما كان فى عظم يانه ' وإزالة ' اللبس عن كل ملبس دق أو جل بحيث لا يلحقه شيء من ' خفاء ، جعله ' نفس البصيرة ، مجموعة جمع كثرة بصيغة منتهى الجموع كما جعله هـ روحا فقال : ( بصائر للناس ) أى الذين هم فى أدنى المراتب ، يصرم بما يضرم وما ينغمهم ، فما ظنك بمن فوقهم من الذين آمنوا ثم الذين يؤمنون ومن فوقهم .

ولما بين ما هو لأهل السفل ، بين ما هو لأهل العلو فقال تعالى : ( وهدى ) أى قائد ' إلى كل خير ، مانع ' من كل زيغ ( ورحمة ) ١٠ أى كرامة وفوز ' ونعمة ( لقوم يؤمنون هـ ) أى ناس فيهم قوة القيام بالوصول إلى العلم الثابت وتجديد الترقى فى درجاته إلى ما لا نهاية له أبدا ' . ولما كان ' التقدير بعد هذا البيان الذى لم يدع لبسا فى أمر الحساب بما حده من الملك الذى يوجب [ ما له - هـ ] من العظمة والحكمة أن يحاسب عبيده لثواب المحسن وعقاب المسيء : أعلم ' هؤلاء المخاطبون - لأنهم ١٥

(١-١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : مازاله - كذا (٢-٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الحفاء جعلت (٣) من ظ ، وفى الأصل و م و مد ، قائدا . (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : و مانعا (هـ) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فوزا (٦) سقط من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل و ظ : هذا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٨) زيد من م و مد (٩) زيد فى الأصل و ظ : ان ، ولم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها .

لا يبعدون أن يكونوا من الناس أو من الذين يوقنون بهذه البصائر لما لهم من حسن الغرائز المعلية<sup>١</sup> لهم عن حضيض الحيوان إلى أوج الإنسان - أنا نفرق<sup>٢</sup> بين<sup>٣</sup> المسيئين الذين بعضهم أولياء بعض وبين المحسنين الذين نحن أولياؤهم، عطف عليه سبحانه وتعالى قوله: ﴿إِمام﴾ قال الأصهباني: قال الإمام / : كلمة وضعت للاستفهام عن شيء حال كونه معطوفاً على آخر سواء كان المعطوف مذكوراً أو مضمرًا - انتهى . وكان الأصل: حسبوا<sup>٤</sup>، ولكنه [عدل - °] عنه<sup>٥</sup> للتنبيه على أن ارتكاب<sup>٦</sup> السوء - هم للبصيرة مضعف للعقل كما أفاده التعبير بالحسبان كما تقدم بيانه في البقرة فقال: ﴿حسب الذين اجتروحوا﴾ أى فعلوا<sup>٧</sup> بقاية جهدهم ١٠ ونزوع<sup>٨</sup> شهواتهم ﴿السيئات ان يجعلهم﴾ مع ما لنا من العظمة المانعة من الظلم المقتضية للحكمة ﴿كالذين آمنوا وعملوا﴾ تصديقاً لإقرارهم<sup>٩</sup> ظاهراً وباطناً وسراً وعلاية<sup>١٠</sup> ﴿الصلح﴾ بأن تركهم بلا حساب للفصل بين المحسن والمسيء .

ولما كانت المائلة مجملة، بينها استثناء بقوله "مقدماً ما" هو عين

(١) من مد، وفي الأصل وظ وم : العلية (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ : نقرن (٣) زيد في الأصل : المستثنين ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لحذفناها (٤) من م ومد، وفي الأصل وظ : احسبوا (٥) زيد من م ومد (٦ - ٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل : إلى التنبيه إلى اركاب (٧) في م ومد : فعملوا (٨) من م ومد، وفي الأصل وظ : ردع (٩ - ١٠) سقط ما بين الرقن من ظ وم ومد (١٠ - ١١) من م ومد، وفي الأصل وظ : ميئنا لما .

المقصود من الجملة الأولى : ﴿ سواء ﴾ أى مستمى استواء عظيمًا  
 ﴿ محبهم ومماتهم ﴾ أى حياتهم وموتهم وزمان ذلك و مكانه فى الارتفاع  
 و السفول و اللذة و الكدر و غير ذلك من الأعيان و المعاني . و لما  
 كان هذا مما لا يرضاه أحد لمن تحت يده و لا لغيره ، قال معبرا بجميع  
 الذم : ﴿ ساء ما يحكون ﴾ أى بلغ حكمهم هذا فى نفسه و لاسيما و هم ه  
 باصرارهم عليه فى تجديد [ له - ' ] كل ساعة أقصى نهايات السوء ، فهو  
 مما يتعجب منه ، لأنه لا يدرى الخامل عليه ، و ذلك أنهم نسبوا الحكيم  
 الذى لا حكم فى الحقيقة غيره إلى ما لا يفعله أقل الناس فيمن تحت يده .  
 و لما أنكر التسوية و ذمهم على الحكم بها ، أتبع ذلك الدليل  
 القطعى على أن الفريقين لا يستويان و إلا لما كان الخالق لهذا الوجود ١٠  
 عزيزا و لا حكيما ، فقال دالا على إنكار التسوية و سوء حكمهم بها ، عاطفا  
 على ما تقديره : فقد خلق الله الناس كلهم بالحق و هو الأمر الثابت  
 الذى يطابقه الواقع ، و هو ثبات أعمال المحسنين و بطلان أفعال المسيئين ،  
 عطف عليه قوله : ﴿ و خلق الله ﴾ أى الذى له جميع أوصاف الكمال  
 و لا يصح و لا يتصور أن يلحقه نوع نقص ﴿ السموات و الأرض ﴾ ١٥  
 اللتين هما ظرف الحكم و ابتدئت [ السورة - ' ] بالثنى على آياتهما ، خلقا  
 ملتبسا \* ﴿ بالحق ﴾ فلا يطابق الواقع فيها [ أبدا - ' ] شيئا باطلا ،

---

(١) زيد فى الأصل : و ما كان هذا مناسبا له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد  
 لخذفناها (٢) زيد من م و مد (م) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يطابقه .  
 (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : أعمال (ه) فى ظ : متلبسا .

فتمى وجد سبب الشيء و اتقى مانعه وجد ، و متى وجد مانع الشيء و اتقى  
 سببه اتقى ، لا يتخلف ذلك أصلاً ، و لذلك جملة ما وقع من خلقها  
 طابقه الواقع الذى هو ' قدرة الله و علمه و حكمته و جميع ما له من صفات  
 الكمال التى دل خلقها ' عليها ، فاذا كان الظرف على هذا الإحكام فما  
 الظن بالمظروف الذى ما خلق الظرف إلا من أجله ، <sup>١</sup> مل يمكن فى  
 الحكمة أن يكون على غير ذلك فيكون الواقع الذى هو تفضيل المحسن  
 على المسىء غير مطابق لأحوالهم ، و من جملة المظروف ما بينهما فلذا  
 لم يذكر هنا ، ولو [ كان - ] ذلك من غير بعث و مجازاة بحسب الاعمال  
 لما كان هذا الخلق العظيم بالحق بل بالباطل / الذى تعالى عنه الحكيم  
 ١٠ فكيف وهو أحكم الحاكمين .

/ ٧٦٣

و لما كان التقدير : ليكون كل مسبب مطابقاً لأسبابه ، عطف عليه  
 قوله : ﴿ و لتجزى ﴾ [ بأيسر أمر - ] ﴿ كل نفس ﴾ أى منكم و من  
 غيركم ﴿ بما ﴾ أى بسبب الأمر الذى . و لما كان السياق للعموم ، و كان  
 المؤمن لا يجزى إلا بما عمله ' على عمد منه و قصد ليكتب فى أعماله ،  
 (١) زيد فى الأصل : تفصيل المحسن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .  
 (٢) من م ، و فى الأصل و مد : خلقها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :  
 ما (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلذلك (٥) زيد من م و مد .  
 (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مجاوزة (٧) زيدت الواو فى الأصل  
 و لم تكن فى ظ و م و مد لحذفها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يتعالى .  
 (٩) زيد فى الأصل و ظ و م : وهو ، و لم تكن الزيادة فى مد لحذفها .

[عبر-١] بالكسب الذى هو اخص من العمل فقال: ﴿كسبت﴾ أى كسبها من خير أو شر، فيكون ما وقع الوعد به مطاقا لكسبها ﴿وهم﴾ أى والحال أنهم ﴿لا يظلمون﴾ أى لا يوجد من "موجد ما" في وقت "من الآوقات جزاء لهم في غير موضعه، وهذا [على - °] ما جرت به عوائدكم في العدل والفضل، ولو وجد منه سبحانه غير هـ ذلك لم يكن ظلما منه لأنه المالك المطلق و الملك الأعظم، فلو عذب أهل سماواته وأهل أرضه كلهم لكان غير ظالم لهم في نفس الأمر، فهذا الخطاب إنما هو على ما تتعارفه من إقامة الحجة بمخالفة الأمر . ولما بين غاية البيان أنه الإله وحده بما له من الإمطة بجميع صفات الكمال، وأنه لا بد "من جمعه" الخلاق ليوم الفصل للحكم بينهم ١٠ بما له من الحكمة "والقدرة، وحقر الهوى ونهى عن اتباعه، وكانوا هم قد عظموه بحيث جعلوه معبودا، فلزم من ذلك تحقيرهم الإله، ولم يرجعوا عن ضلالهم، تسبب عن ذلك "التعجب عن" يظن أنه يقدر

---

(١) زيد من م مد (٢) في م و مد: او (٣-٢) في الأصل وظ بياض ملائها من م و مد (٤) في الأصل وظ ما، ولم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عذاب. (٧) من م و مد، وفي الأصل وظ: وهذا (٨) في الأصل وظ بياض ملائها من م و مد (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: متعارفة (١٠) من مد، وفي الأصل وظ و م: مخالفة (١١-١١) من مد، وفي وظ و م: لجمعه. (١٢) من مد، وفي الأصل وظ و م: الحكم (١٣-١٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: التعجب من.

على رد أحد منهم عن غيه بشيء من الأشياء فقال: ﴿افريت﴾ أى  
أعلنت علما هو فى يقينه كالمحسوس بحاسة البصر التى هى أثبت الحواس  
﴿من اتخذ﴾ [أى - ١] بقاية جهده<sup>١</sup> واجتهاده<sup>٢</sup> ﴿الله هو﴾ أى  
حول وصف الإله حتى صار هوى لنفسه، فهو تابع لهواه ليس غير،  
هـ فهو فى أودية الضلال يهيم على غير سنن فهو معرض لكل بلاء، فخر  
أكثر من رحمه لكونه بلا دليل، والدليل على أنهم لا يعبدون  
إلا مجرد الهوى ما رواه البخارى فى وفد بنى حنيفة من المغازى من  
صحيحه<sup>٣</sup> عن أبى رجاء العطاردى وهو مخضرم ثقة أدرك الجاهلية ومات  
سنة خمس و مائة عن مائة وعشرين سنة، قال: كنا نعبد الحجر، فاذا  
وجدنا حجرا أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فاذا لم نجد حجرا جمعنا  
جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فخلبنا<sup>٤</sup> عليه ثم طفنا به - انتهى - ومع  
ذلك فكيفما قلبت أمرهم وجدته شعبة يسيرة من كفر الاتحادية،  
و كل متشبثات<sup>٥</sup> قريش التى عابهم الله بها تشبثت<sup>٦</sup> بها الاتحادية حتى قولهم  
”ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى“ ولو قدم الهوى لكان المعنى أنه  
هـ حول وصفه إلى الألوهية فاضمحل الهوى، ولم يبق إلا ما ينسب إلى  
١٠

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ وم ومد (٣) راجع ٢/٦٢٨ .  
(٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: رفة (هـ) من ظ وم ومد والصحيح، وفى  
الأصل وم: فخلبناها (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: مستببات (٧) من  
ظ وم ومد، وفى الأصل: تيشت .



الإلهية كما اضمحل الطين في : احدث الطين حرقا ، فصار المعنى أن العابد لا يتحرك إلا بحسب<sup>٢</sup> ما يأمره به الإله<sup>٣</sup> ويصير التركيب يفيد تعظيمه بغلبة الإثبات وإذهاب الهوى غاية الإذهاب ، ولو كان التقديم في هذا بحسب السياق من غير اختلاف المعنى لقدم<sup>٤</sup> هنا [ الهوى - <sup>٥</sup> ] لأن السياق والسباق [ له - <sup>٦</sup> ] وقد تقدم في سورة الفرقان ما ينفع [ هنا - <sup>٧</sup> ] .  
و مفعول " رأى " الثاني مقدر يدل عليه قوله آخر الكلام " فمن يهديه " تقديره : أي يمكن أحدا<sup>٨</sup> غير الله هدايته ما دام هو موجودا ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه - انتهى .  
ومعناه أنه يهوى بصاحبه في الهراء الممدود<sup>٩</sup> وهو النقص ، أي ينزل به عن<sup>١٠</sup> " درجة عليا إلى ما دونها ، فهو في سفول ما دام " تابعا له " لأنه ١٠ بحيث " لا قرار ولا تمكن ، فلذلك هو يوجب الهوان ، قال " الأصمهاى : سئل ابن المقفع<sup>١١</sup> عن الهوى ، فقال : هوان سرفت نونه " ، فنظمه من قال<sup>١٢</sup> :

( ١ ) زيد في الأصل و ظ : لا ، ولم تكن الزيادة في م ومد فحذفناها ( ٢ ) في مد : على حسب ( ٣ ) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : الالهية ( ٤ ) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : تقدم ( ٥ ) زيد من م ومد ( ٦ ) زيد من م و م ومد ( ٧ ) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : المدود ( ٨ ) من م مد ، وفي الأصل و ظ و م : نزل ( ٩ ) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : في ( ١٠ - ١١ ) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : تابعه ( ١٢ ) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : لا ( ١٣ - ١٤ ) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : ابن المقفع سئل الأصمهاى سئل ابن المقفع ولم تكن الزيادة في م ومد فحذفناها ( ١٥ ) من م و م ومد ، وفي الأصل : نون ( ١٥ ) زيد في =

نؤمن الهوان من الهوى مسروقه . وأسير كل هوى أسير هوان  
وقال آخر<sup>١</sup> ولم يخطئ المعنى وأجاد :

إن الهوى لهو الهوان بعينه فاذا هويت فقد لقيت هوانا

(واضله الله) أى بما<sup>٢</sup> له من الإحاطة (على علم<sup>٣</sup>) منه بما فطر عليه  
من أنه لا يكون أثر بلا مؤثر، ومن أنه لا يكون منفردا بالملك<sup>٤</sup> إلا وهو  
مستحق للتفرد بالعبادة . وهو أنه لم يخلق الكون إلا حكيم ، وأن الحكيم  
لا بدع من تحت يده يبغي بعضهم<sup>٥</sup> على بعض<sup>٦</sup> من غير فصل [بينهم -<sup>٧</sup>]  
لا سيما . قد وعد بذلك ولا سيما والوعد بذلك فى أساليب الإعجاز  
التي هم أعرف الناس بها ، أو على<sup>٨</sup> علم من المضل بأن الضال مستحق  
١٠ لذلك لأنه جله جلة شر .

ولما كان الضال أحوج إلى سماع صوت الهادى<sup>٩</sup> منه إلى غيره ،  
وكان من لا يتفجع بما هو له فى حكم العادم له قال : (وختم<sup>١٠</sup>) أى زيادة

= الأصل : شعر ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد .

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد ، وفى  
الأصل : فلقد (٣) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : لا (٤) زيد فى الأصل :  
هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها (٥) من م ومد ، وفى  
الأصل و ظ : لا (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ و م ومد (٧) زيد  
من ظ و م ومد (٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اعلى (٩) من ظ  
وم ومد ، وفى الأصل : التادى .

على الإضلال الحاضر ﴿ على سمعه ﴾ فلا فهم [ له - ' ] في الآيات المسموعة . ولما كان الأصم قد يفهم بالإشارة قال : ﴿ وقلبه ﴾ أى فهو لا يعى بما<sup>٢</sup> من حقه وعيه . ولما كان المجنون الأصم قد يبصر مضاره<sup>٣</sup> ومنافعه فيأشرها مباشرة البهائم قال : ﴿ وجعل على بصره غشوة<sup>٤</sup> ﴾ فصار لا يبصر الآيات المرئية ، وترتيبها هكذا لأنها في سياق الإضلال ه كما<sup>٥</sup> تقدم في البقرة .

ولما صار هذا الإنسان الذى [ صار<sup>١</sup> ] لا يسمع الهادى فيقصده ولا يعى المعانى ليتفح بما تقدم له عليه ، ولا يبصر حق البصر ليهدى<sup>٦</sup> يبصره دون رتبة الحيوان ، قال تعالى منكرا مسييا للانكار<sup>٧</sup> عما تقدمه<sup>٨</sup> : ﴿ فن يهديه ﴾ وأشار إلى قدرة الله عليه بقوله : ﴿ من بعد الله<sup>٩</sup> ﴾ أى ١٠ إضلال الذى له الإحاطة بكل شئ . ولما كان من المعلوم قطعاً أنه لا هادى له غيره ، سبب عنه الإنكار لعدم التذكر<sup>١١</sup> حتا على التذكر<sup>١٢</sup> فقال<sup>١٣</sup> مشيراً بادغام تاء التفعّل إلى<sup>١٤</sup> عدم الاحتياج بسبب وضوحه إلى كثير

---

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) فى الأصل وظ بياض ملأناه من م ومد (٣) فى مد : بما (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : مضره (هـ) من مد ، وفى الأصل وظ و م : لما (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لا يهدى . (٧-٧) من م ومد ، وفى الأصل وظ : على تقدم (٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : التكبر (٩) من م ومد ، وفى الأصل وظ : التكبر (١٠) من م ومد ، وفى الأصل وظ : قال (١١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : على .

تذكر: ﴿ افلا تذكرون ٥ ﴾ أى يكون لكم نوع تذكر فتذكرون<sup>١</sup> أنهم لا يسمعون الآيات المتلوة ولا يعتبرون بالآيات المرئية مع ما لكل منهما من الظهور، / و أن من كان هذا حاله فلا سبيل لمخلوق مثله إلى هدايته .

٥ ولما كان التقدير للدلالة على الحتم على مشاعرهم، فقد قالوا مع اعترافهم بتفرد تعالى بمخلقهم و رزقهم و خلق جميع الموجودات فى إنكار الوحداية: إن له شركاء<sup>٢</sup>، عطف عليه قوله: ﴿ وقالوا ﴾ أى فى إنكارهم البعث مع اعترافهم بأنه<sup>٣</sup> قادر على كل شئ. ومعرفتهم أنه قد وعد بذلك فى الأساليب المعجزة<sup>٤</sup> وأنه<sup>٥</sup> لا يلقى بحكم أصلا أن يدع من تحت يده يتهارجون من غير حكم بينهم: ﴿ ما هى ﴾ أى الحياة<sup>٦</sup> ﴿ الاحياتا ﴾ أى أيها الناس ﴿ الدنيا ﴾ أى هذه التى نحن فيها<sup>٧</sup> مع أن تذكر مدلول هذا الوصف الذى هو أمر نسى لا يعقل إلا بالإضافة<sup>٨</sup> إلى حياة أخرى بُغدى<sup>٩</sup> كاف<sup>١٠</sup> فى إثبات البعث .

ولما أثبتوا<sup>١١</sup> بادعائهم الباطل هذه<sup>١٢</sup> الحياة أتبعوها حالها فقالوا:

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تذكرون (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : شريكا (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : انه (٤ - ٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فانه (٥) زيد فى الأصل و م : الدنيا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٦) فى ظ و م و مد : بها (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بدون الاضافة (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : كانت . (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد .

(موت ونحيا) أى تنزع الروح من بعض فيموت، وتنفخ فى [بعض -] آخر فيحيى، وليس وراء الموت حياة أخرى للذى مات، "فقد" أسلخوا أنفسهم بهذا القول<sup>٢</sup> من الإنسانية إلى<sup>٣</sup> البهيمية لوقوفهم مع الجزئيات . ولما كان هلاكهم فى زعمهم لا آخر له، عدوا الحياة<sup>٤</sup> فى جنبه<sup>٥</sup> عدما فلم يذكروها وقالوا بجهلهم<sup>٦</sup> : (وما يهلكنا) أى بعد هذه الحياة ه (الا الدهر) أى الزمان الطويل بغلبته علينا بتجدد إقباله و تجدد إدبارنا بنزول الأمور المكروهة بنا، من دهره - إذا غلبه . ولما<sup>٧</sup> أسند إليهم هذا القول الواهى، بين حالهم عند قوله فقال تعالى : (وما) أى قالوه والحال أنه ما (لهم بذلك) أى القول البعيد من الصواب وهو أنه لاحياة بعد هذه، وأن الهلاك منسوب إلى الدهر على أنه مؤثر بنفسه، ١٠ وأعرق فى التنى فقال : (من علم) أى كثير ولا قليل (ان) أى ما (هم الا يظنون) بقرينة أن الإنسان كلما تقدم فى السن ضعف، وأنه لم يرجع أحد من الموتى<sup>٨</sup> .

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل : فسلخوا بهذا القول أنفسهم (٣) زيد فى الأصل : الحالة، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤ - ٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ : فمن حسه (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ : ما اذا (٧) زيد فى الأصل و ظ : هم، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل و ظ : إلى، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل و ظ : اى، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل : المولى .

ولما كان هذا من قولهم عجبا . زاده عجبا بحالهم عند سماعهم للبراهين  
القطعية ، فقال عاطفا على <sup>١</sup> " قالوا " : ( و اذا تتلى ) أى تابع <sup>٢</sup> بالقراءة  
من أى تال كان ( عليهم 'ايننا ) أى <sup>٣</sup> على ما لها من العظمة <sup>٤</sup> ' فى نفسها '  
و بالإضافة إلينا حال كونها ( يئنت ) أى فى غاية الممكنة فى الدلالة  
على البعث ، فلا عذر لهم فى ردها ( ما كان ) أى <sup>٥</sup> بوجه من وجوه  
الكون <sup>٦</sup> ( حجتهم ) أى قولهم الذى ساقوه مساق الحجة ، وهو لا يستحق  
أن يسمى شبهة ( الآ ان قالوا ) <sup>٧</sup> قولا ذميا ولم ينظروا إلى مبدئهم <sup>٨</sup>  
( اتوا ) أيها التالون للحجج الينة <sup>٩</sup> من النبي - صلى الله عليه وسلم -  
و أتباعه <sup>١٠</sup> الذين اهتموا بهداه <sup>١١</sup> ( بابآثنا ) الموتى ، وحاصل هذا  
١٠ أنه ما كان لهم حجة إلا أن أتوا بكلام معناه : ليس لنا حجة لأنه ليس  
فيه شبهة فضلا عن حجة ، وما كفاهم مناداتهم <sup>١٢</sup> على أنفسهم بالجهل  
حتى عرضوا <sup>١٣</sup> لأهل الينات بالكذب فقالوا : ( ان كنتم صدقين <sup>١٤</sup> )  
أى عريقين فى الكون فى أهل الصدق / الراضين فيه <sup>١٥</sup> من أنه سبحانه  
و تعالى يبعث الخلق بعد موتهم ، وذلك استبعاد منهم لأن يقدر على

/ ٧٦٦

(١) زيد فى الأصل وظ : ما ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٢) من  
ظ و م ومد ، وفى الأصل : تتابع (٣) سقط من م ومد (٤ - ٤) من م  
ومد ، وفى الأصل وظ : نفسها (٥) سقط من ظ و م ومد (٦) زيد فى  
الأصل : لكون ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٧ - ٧) سقط  
ما بين الرقين من ظ و م ومد (٨) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الينة .  
(٩) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : مادانهم (١٠) من ظ و م ومد ، وفى  
الأصل : تعرضوا (١١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : فى الصدق .

جمع الجسم بعد ما يلى ، وهم يقرون بأنه الذى خلق ذلك الجسم ابتداء ،  
ومن المعلوم قطعاً أن من قدر على إنشاء شيء من العدم قدر على إعادته  
بطريق الأولى .

ولما كان سبحانه وتعالى إنما يقبل الإيمان عند إمكان تصوره ،  
وذلك إذا كان بالغيب لم يجبهم<sup>٢</sup> إلى إحياء آبائهم لإكراماً لهذه الأمة<sup>٣</sup> ه  
لشرف فيها عليه أفضل الصلاة والسلام 'لأن سفته' الإلهية جرت  
بأن من لم يؤمن بعد كشف الأمر بإيجاد الآيات المقترحات أهلكه كما  
فعل بالأمم الماضية ، فرغمهم<sup>٤</sup> عن الحس إلى<sup>٥</sup> التدريب على<sup>٦</sup> الحبيج العقلية  
فقال آمراً<sup>٧</sup> له صلى الله عليه وسلم بالجواب بقوله تعالى : ( قل الله )  
أى المحيط<sup>٨</sup> بكل شيء قدرة وعلماً<sup>٩</sup> وحكمة ( يجيبكم ) أى يحدد هذا<sup>١٠</sup>  
تجديداً لا يمحى كما أنتم [ به - ١ ] مقرون إحياء لأجساد بنزعها من  
غير أن يكون لها أصل فى الحياة ( ثم يمينكم ) بأن يجمع أرواحكم  
من أجسادكم فيستلها منها لا يدع شيئاً منها<sup>١١</sup> فى شيء من الجسد<sup>١٢</sup> "وما"

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قادر (٢) من مد ، وفى الأصل وظ  
وم : لم يجيبهم (٣) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م و مد  
لحذفها (٤-٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لاسنة (ه-ه) من ظ و م  
ومد ، وفى الأصل : الى الحسن عن (٦) من مد ، وفى الأصل وظ و م :  
عن (٧) من م و مد ، وفى الأصل وظ : امر (٨-٨) م و مد : علماً و قدرة  
(٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : هذه الحياة (١٠) زيد من م .  
(١١-٢١) من م و مد ، وفى الأصل وظ : منها شيئاً (١٢-١٢) سقط ما بين  
الرفيقين من ظ و م و مد .

‘ذلك على الله بعزیز‘ فاذا هو‘ كما كان قبل الإحياء كما تشاهدون، ومن قدر على هذا الإبداء<sup>٢</sup> على هذا<sup>١</sup> الوجه من التكرار ثم على تمييز ما بث من الروح في حال سلها من تلك الأعضاء الظاهرة عادة مستمرة كان المخبر عنه بأنه يجمع الخلق بعد موتهم من العريقين في الصدق، فلذلك ه قال من غير تأكيد: ﴿ثم يجمعكم﴾ أى بعد التمزق فيعيد فيكم أرواحكم كما كانت بعد طول مدة الرقاد، منتهين ﴿الى يوم القيمة﴾ أى القيام الأعظم لكونه عاما لجميع الخلائق الذين أماتهم.

ولما صح بهذا الدليل القطعى المدعى، أتج قوله: ﴿لاريب﴾ أى شك بوجه من الوجوه ﴿فيه﴾ بل هو معلوم علما قطعيا ضروريا ١٠ ﴿ولكن اكثر الناس﴾ بما لهم من السفول بما ركبنا فيهم من الحظوظ والشهوات التى غلبت على غريزة العقل فردوا بها أسفل سافلين فى حد النوس و هو التردد لم يرتقوا [ إلى سن الإيمان - <sup>٨</sup> ] ﴿لا يعلمون<sup>٩</sup>﴾ [ أى لا يتجدد لهم علم لما لهم من النوس و التردد و السفول - <sup>٨</sup> ] عن

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ و م و مد (٢) فى الأصل وظ بياض ملأناه من م و مد (٣ - ٣) ما بين الرقین بياض فى الأصل ملأناه من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: سكان (٥) زيد فى الأصل وظ: لا، ولم تكرر الزيادة فى م و مد لخلافها (٦) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخلافها (٧) من م و مد، وفى الأصل وظ: فراوا. (٨) زيد من م و مد (٩ - ٩) وقع ما بين الرقین فى الأصل وظ بعد «اكثر الناس» والترتيب من م و مد.



أوج العقل إلى حضيض الجهل ، فهم واقفون مع المحسوسات ، لا يلوح لهم ذلك مع ما له من الظهور لتظهر قدرتنا و يتحقق اسمنا الباطن كما تحقق الظاهر عند من هديناه لعل ذلك .

ولما دل على قدرته على الإعادة بهذا الدليل الخاص الذى تقديره :  
 قاله الذى [ ابتداء - ١ ] خلقكم من الأرض على هذا الوجه قادر على هـ  
 إعادتكم ، عطف عليه دليلا آخر جامعا فقال تعالى : ﴿ و الله ﴾ [ أى - ٢ ]  
 الملك الأعظم وحده ﴿ ملك السموات ﴾ كلها ﴿ و الأرض ﴾ التى ابتداءكم  
 منها ، و من تصرف فى ملكه بشئ من الأشياء ، كان قادرا على مثله  
 ما دام ملكا .

ولما كان التقدير : له ملك ذلك أبدا ، فهو يفعل فيه اليوم ما ١٠  
 تشاهدون / مع رفع هذا و خفض هذا ، فلو أن الناس سلوا لقضائه  
 لوصلوا إلى جميع ما وصلوا إليه بالبغي والعدوان ، فانه لا يخرج شئ  
 عن أمره ولكن أكثر الناس اليوم فى ١ ريبهم يترددون ، بنى  
 عليه قوله تعالى : ﴿ و يوم تقوم الساعة ﴾ أى توجد و تتحقق تحقق القائم  
 الذى هو ٢ على كمال تمكنه و تمام أمره الناض بأعباء ما يريد ، وكرر ١٥

( ١ - ١ ) سقط ما بين الرقيين من ظ ، و زيد بعده فى الأصل بالباطن ، و لم تكن  
 الزيادة فى ظ و م و مد لخرفاه ( ٢ ) زيد من م و مد ( ٣ ) زيد من ظ و م  
 و مد ( ٤ ) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : توصلوا ( ه - ه ) من ظ و م  
 و مد ، و فى الأصل : أكثرهم ( ٦ ) فى م : فهو ( ٧ ) فى الأصل و ظ بياض  
 ملائقاه من م و مد .

سبحانه للتهويل والتأكيد قوله : ﴿ يومئذ ﴾ [أى - ١] إذ تقوم يخسرون -  
هكذا كان الأصل ، ولكنه قال للتعميم والتعليق بالوصف :  
﴿ يخسر المبطلون ﴾ أى الداخلون فى الباطل المريقون فى الاتصاف به ،  
الذين كانوا لا يرضون بقضائى فيستعجلون فيتوصلون إلى مراداتهم بما  
لم آمر به ، ولا يزالون ييغون إلى أن يأتى الوقت الذى قدرت وصولهم  
إليها فيه ، فيصلون ويطنون أنهم وصلوا بسعيهم ، وأنهم لو تركوا لما  
كان لهم ذلك فيخسرون لأجل سعيهم بما جعلت لهم من الاختيار  
'بمرادى فيهم' على خلاف أمرى ، خسارة مستمرة التجدد لا انفكاك  
لهم عنها و' يفوز المحقون' .

١٠ ولما كان ذلك من شأن اليوم مهولا ، عم فى الهول بقوله مصورا  
لحالته : ﴿ وترى ﴾ أى فى ذلك اليوم ﴿ كل أمة ﴾ من الأمم الخاسرة فيها  
والفائزة ﴿ جاثية ﴾ أى مجتمعة لا يخالطها غيرها ، وهى مع ذلك باركة  
على الركب رعبا واستيفازا لما لعلها تؤمر به ، جلسة المخاصم بين يدى  
الحاكم ، ينتظروا القضاء الحاتم ، والأمر الجازم اللازم ، لشدة ما يظهر لها من  
١٥ هول ذلك اليوم . ولما كان كأن قيل : هم ' مستوفزون ، قال : ﴿ كل أمة ﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى الأصل بياض ملأناه من م و مد (٣) من  
مد ، وفى الأصل و ظ و م . التى (٤-٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :  
عداى منهم (٥) زيد فى الأصل : مع ذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م  
و مد لخصاها (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : المحقون (٧) سقط من  
م و مد (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يعلها (٩) من ظ و م و مد ،  
وفى الأصل : شدة (١٠) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد .

أى من الجائين ( تدعى<sup>٢</sup> الى كتبها<sup>١</sup> ) أى الذى أنزل إليها و تعبدها الله به  
والذى نسخته الحفظة من أعمالها يطبق أحدهما بالآخر، فمن وافق<sup>٣</sup> كتابه  
ما أمر به من كتاب ربه نجا، ومن خالفه هلك، ويقال لهم حال  
الدعاء: ( اليوم تجزون ) على وفق الحكمة بأيسر أمر ( ما ) أى عين<sup>٤</sup>  
الذى ( كنتم ) بما هو لكم كالجبلات ( تعملون<sup>٥</sup> ) أى مصرين عليه<sup>٥</sup>  
غير راجعين عنه [ من -<sup>٢</sup> ] خير أو شر .

ولما أخبر بالجزاء، بين كيفية ما به يطبق بين كتاب الإنزال  
وكتاب الأعمال، فباحكم به كتاب الإنزال أنفذه الكبير المتعال، فقال  
مشيرا إلى كتاب الإنزال بأداة القريب<sup>٦</sup> لقربه وسهولة فهمه: ( هذا كتبنا )  
[ أى -<sup>٥</sup> ] الذى أنزلناه على السنة رسلنا ( ينطق<sup>٧</sup> ) أى يشهد شهادته<sup>١٠</sup>  
[ هى -<sup>٥</sup> ] فى بيانها كالنطق ( عليكم بالحق<sup>٨</sup> ) أى الأمر الثابت الذى  
يطابقه الواقع من أعمالكم، وذلك بأن يقول: من عمل كذا فهو كافر،  
ومن عمل كذا فهو عاص، ومن عمل كذا فهو مطيع، فيطبق ذلك  
على ما عملتموه فاذا الذى أخبر به الكتاب مطابق لأعمالكم<sup>٩</sup> لازيادة<sup>٦</sup>  
فيه ولا نقص، كل كلى ينطبق على جزئيه سواء بسواء كما نعطيكم علم<sup>١٥</sup>  
ذلك فى ذلك اليوم، فيكشف أمر جبلاتكم / وما وقع منكم من جزئيات  
الأفعال لا يشذ عنه<sup>١١</sup> منه ذرة<sup>١٢</sup>، وتعلمون أن هذا الواقع منكم مطابق

٧٦٨ /

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: وائ (٢) من م ومد، وفى الأصل  
وظ: غير (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) من م ومد، وفى الأصل  
وظ: القرب (٥) زيد من م ومد (٦-٦) من م ومد، وفى الأصل وظ:  
لان سياقه (٧-٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: مرة .

لما أخبر به<sup>١</sup> الكتاب الذى أنزلناه ، فهو حق لأن الواقع طابقه ،  
هذا نطقه عليكم ، وأما نطقه لكم فالفضل : الحسنة بعشر أمثالها إلى  
ما فوق ذلك .

ولما كانت العادة جارية فى الدنيا باقامة الحقوق بكتابة الوثائق<sup>٢</sup> ،  
وكانوا كأنهم يقولون : من يحفظ أعمالنا على كثرتها مع طول المدة  
وبعد الزمان ، وكانوا ينكرون أمر الحفظه وغيره مما أنت به الرسل ،  
أكد قوله مجيبا بما يقرب إلى عقل من يسأل عن ذلك : ( انا ) على  
ما لنا من " القدرة " و " العظمة الغنية عن الكتابة " ( كنا ) على الدوام  
( نستنسخ ) أى نأمر ملائكتنا بنسخ أى نقل ( ما كنتم ) طبعا لكم  
١٠ وخلقنا ( تعملون ) قولاً وفعلاً ونية ، فإن كان المراد بالنسخ مطلق  
النقل فهو واضح<sup>٣</sup> ، وإن كان النقل من أصل فهو إشارة إلى لوح  
الجبالات المشار إليه بكنتم أو من اللوح المحفوظ ليطابق به ما يفعله العامل ،  
ومن المشهور بين الناس أن كل احد يسطر<sup>٤</sup> فى جبينه ما يلقاه من  
خير أو شر .

١٥ ولما صرح بالمبطلين حسب ما اقتضاه الحال كما تقدم ، وأشار

( ١ ) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : من ( ٢ ) من ظ وم ومد ، وفى  
الأصل : الوفاق ( ٣ - ٣ ) سقط ما بين الرقين من ظ وم ومد ( ٤ ) من ظ  
وم ومد ، وفى الأصل : الكتاب أيضا ( ٥ ) من م ومد ، وفى الأصل  
و ظ : أوضح ( ٦ ) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : ينظر .

إلى

إلى المحقين<sup>١</sup>، صرح بما لوح إليه من أمر [ المحقين -<sup>٢</sup> ] و [ عطف -<sup>٣</sup> ]  
عليهم أضدادهم، فقال بادئا بهم على طريق النشر المشوش مفصلا:  
﴿ فاما الذين امنوا ﴾ أى من الأمم الجاثية ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لدعواهم  
الإيمان ﴿ الصلحت فيدخلهم ﴾ أى فى ذلك اليوم<sup>٤</sup> الذى ذكرنا عظمته  
وشدة هوله<sup>٥</sup> ﴿ ربهم ﴾ الذى أحسن إليهم بالتوفيق بالأعمال<sup>٦</sup> الصالحة  
المرضية الموصلة<sup>٧</sup> ﴿ فى رحمته<sup>٨</sup> ﴾ أى تقريبه<sup>٩</sup> وإكرامه<sup>١٠</sup> بحليل الثواب  
وحسن المآب، وتقول لهم الملائكة تشريفا<sup>١١</sup>: سلام عليكم أيها المؤمنون،  
ودل على عظيم الرحمة بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الإحسان العالى المنزلة  
﴿ هو ﴾ [ أى -<sup>١٢</sup> ] لا غيره ﴿ الفوز ﴾ .

ولما كان السياق لغبارتهم وخفاء الأشياء عليهم قال تعالى: ﴿ المبين<sup>١٣</sup> ﴾  
الذى لا يخفى على أحد شيء من أمره، لأنه لا يشوبه كدر أصلا ولا  
نقص، بخلاف ما كان من أسبابه<sup>١٤</sup> فى الدنيا، فانها - مع كونها كانت  
فوزا - كانت خفية جدا على غير الموقنين ﴿ و اما الذين كفروا ﴾  
أى ستروا ما جلته لهم مرأى عقولهم وفطرتهم الأولى من الحق الذى  
أمر الله به ولو عملوا جميع الصالحات غير الإيمان، فيدخلهم الملك<sup>١٥</sup>

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: التقين (٢) زيد من م ومد (٣-٢) - سقط  
ما بين الرقين من م ومد (٤-٤) - سقط ما بين الرقين من ظ وم ومد .  
(٥-٥) من مد، وفى الأصل وظ وم: وباكرامه (٦) زيد فى الأصل  
وظ: لهم، ولم تكن الزيادة فى م ومد فلذفناها (٧) من ظ وم ومد،  
وفى الأصل: أشيائه .

الاعظم في لعنته .

ولما كان هذا الستر سببا واضحا في تبكيتهم قال : ﴿ اظلم ﴾ أى  
فيقال لهم : ألم يأتكم رسلى ، وأخلق لكم عقولا تدلكم على الصواب  
من التفكير فى الآيات المرئية من المعجزات التى أنزلت عليكم  
بواسطة رسلهم . آيات مسموعة فلم ﴿ تكن ايتى ﴾ على / ما لها من عظمة  
الإضافة إلى وعظمة الإتيان إليكم على ألسنة رسل الذين هم  
أشرف خلقى .

ولما كانت هذه الآيات " توجب الإيمان لما لها من العظمة  
بمجرد تلاوتها " ، بنى للفعول قوله : ﴿ تتلى ﴾ أى تواصل " قراءتها من  
أى نال كان ، فكيف إذا كانت بواسطة الرسل ، تلاوة مستعجلة  
﴿ عليكم ﴾ لا تقدر على رفع شئ منها بشئ برضاه منصف

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : التستر (٢) من ظ و م و مد ، وفى  
الأصل : تبكيتهم (٣-٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : عقلا يدلكم ، وفى  
ظ : عقلا تدلكم (٤) زيد فى الأصل بعده : رسلى عليهم الصلاة والسلام ،  
ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٥-٥) من ظ و م و مد ، وفى  
الأصل : من الآيات المسموعة (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : وهى  
كلامى وزادها وضوحا بقوله (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : العظمة .  
(٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : عظمتها (٩) من ظ و م و مد ، وفى  
الأصل : أشرفى (١٠-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (١١) من م  
و مد ، وفى الأصل و ظ : تلاوتنا (١٢) من مد ، وفى الأصل و ظ :  
تواصل (١٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : دفع .

( فاستكبرتم ) أى ' فتسبب عن تلاوتها التى من ' شأنها لإبراث  
 الخشوع<sup>٢</sup> والإخبات و الخضوع أن طلبتم الكبر لأنفسكم وأوجدتموه  
 على رسل و آياتى ( و كنتم ) خلقا لازما ( قوما ) أى ذوى قيام  
 وقدره على ما تحاولونه ( مجرمين هـ ) أى ' عريقين فى قطع ما يستحق  
 الوصل ، وذلك هو الخسران المبين ، ' والآية ' من الاحتباك : ذكر هـ  
 الإدخال فى الرحمة أولا دليلا على الإدخال فى اللعنة ثانيا ، وذكر التبكيت  
 ثانيا دليلا على التشريف أولا ، وسره أن ما ذكره أدل على شرف  
 الولي وحقارة العدو ( وإذا ) أى و كنتم ذا ( قيل ) من أى  
 قاتل كان ولو على سبيل التأكيد : ( ان وعد الله ) الذى ' كل أحد  
 يعلم<sup>٣</sup> أنه محبط بصفات الكمال ( حق ) أى ثابت لا محيد عنه يطابقه الواقع ١٠  
 من البعث وغيره لأن أقل الملوك لا يرضى بأن ' يخلف وعده فكيف  
 به سبحانه و تعالى ' فكيف إذا ' كان الإخلاف فيه مناقضا للحكمة  
 ( والساعة ) التى هى عما وعد به وهى محط الحكمة فهى أعظم ما تعلق  
 (١) زيد بعده فى الأصل : عند سماعها من الرسل ، وغيرهم ، ولم تكن الزيادة  
 فى ظ و م ومد فحذفناها (٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : ما (٣) من  
 ظ و م ومد ، وفى الأصل : الخشوع (٤) سقط من م ومد (هـ) من  
 م ومد ، وفى الأصل و ظ : فالآية (٦) زيد فى الأصل و ظ : أى ، ولم تكن  
 الزيادة فى م ومد فحذفناها (٧-٧) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : يعلم كل  
 احد (٨) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : ان (٩-٩) فى الأصل بياض ملائمة  
 من ظ و م ومد .

به الوعد (لأريب فيها) بوجه من الوجوه لأنها محل إظهار الملك لما له من الجلال والجمال أم إظهار (قلتم) راضين لأنفسكم بمحض الجهل: (ما ندرى) أى الآن دراية علم ولو بذلنا جهدنا فى محاولة الوصول إليه (ما الساعة) أى نعرف حقيقتها فضلا عما نخبرونا به من أحوالها .

ولما كان أمرها مركزا فى الفطر لا يحتاج إلى كبير نظر، بما يعلم كل أحد من تمام قدرة الله تعالى، ففى به عليها نوع تنبيه سبق إلى القلب عليها، سموا ذلك ظنا عنادا واستكبارا، فقالوا مستأنفين فى جواب من " كانه يقول: أفلم تقدم" تلاوة هذه الآيات البينات "علما بها: (ان) أى ما (نظن) أى نعتقد ما نخبرونا به عنها (الاظنا) وأما وصوله إلى درجة العلم فلا . ولما كان المحصور لا بد وأن يكون أخص من المحصور فيه كان الظن الأول بمعنى الاعتقاد، ولعله عبر عنه بلفظ الظن تأكيدا لمعنى المحصر، ولذلك عطفوا عليه - تصريحاً بالمراد لأن الظن قد يطلق على العلم - قولهم: (وما نحن) وأكدوا النفي فقالوا: (بمستيقنين) أى بموجود<sup>١</sup> عندنا اليقين فى أمرها ولا بطلالين

(١) من مد، وفى الأصل وظ و م: يحزون (٢) من م و مد، وفى الأصل وظ: سواء (٣) زيد فى الأصل: كان، ولم تكن الزيادة فى م ومد فخذناها. (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فلم تقدم (٥ - ٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: قبل قالوا (٦) من م و مد، وفى الأصل وظ: عنه (٧) من م و مد، وفى الأصل وظ: لموجود .



له<sup>١</sup> - هذا مع ما تشاهدونه من الآيات [ في الآفاق وفي أنفسكم و ما

يث من دابة و ما بينهم على ذلك من الآيات -<sup>٢</sup> ] المسموعة ، و هذا

لاينافي [ آية -<sup>٣</sup> ] " ان هي [ الا -<sup>٤</sup> ] حياتنا الدنيا " لان آخرها مثبت

للظن ، فكأنهم كانوا / تارة يقوى عندهم ما في جبلاتهم و فطرهم الاولى / ٧٧٠

من أمرها فيظنونها ، و<sup>٥</sup> تارة تقوى<sup>٦</sup> عليهم الحظوظ مع ما يقترن بها من ٥

الشبه المبنية على الجهل فيظنون عدمها فيقطعون به<sup>٧</sup> لما للنفس إليه من

الميل ، أو كانوا فرقتين - والله أعلم .

ولما وصلوا إلى حد<sup>٨</sup> عظيم من العناد ، التفت إلى أسلوب الغيبة

إعراضا عنهم إيذانا بشديد<sup>٩</sup> الغضب فقال تعالى : ﴿ و بدأ ﴾ أي

و لم يزالوا يقولون ذلك إلى أن بدت لهم الساعة بما فيها من الأوجال ، ١٠

و الزلازل<sup>١٠</sup> و الأهوال ، و ظهر<sup>١١</sup> ﴿ لهم ﴾ غاية<sup>١٢</sup> الظهور ﴿ سيئات ما ﴾

ولما كان السباق للكفرة ، و كانوا مؤاخذين بجميع<sup>١٣</sup> أعمالهم فانه ليس

(١) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد

من م و مد (٣-٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ترى سوى (٤) من م

و مد ، و في الأصل و ظ : بها (٥) في م : حظ (٦) زيد في الأصل : العطب و ،

و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٧-٧) من ظ و م و مد ،

و في الأصل : الأموال (٨) زيد في الأصل : لى في ، و لم تكن الزيادة في ظ

و م و مد فحذفناها (٩) زيد في الأصل : الاشتهار و ، و لم تكن الزيادة في ظ

و م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : جميع .

لهم أساس صالح يكون سببا 'التكفير شيء' بما تقبلوا فيه ولم يقتض  
السياق خصوصا مثل الزمر، عبر بالعمل الذي هو أعم من الكسب  
فقال: (عملوا) فتمثلت لهم وعرفوا مقدار جزائنها واطلعوا على  
جميع ما يلزم على ذلك (و حاق بهم) أى أحاط [على -] حال القهر  
و الغلبة، قال أبو حيان: ولا يستعمل إلا فى المكروه. (ما كانوا)  
جبله و خلقا (به' يستهزمون) أى يوجدون الهزم به على غاية الشهوة  
و اللذة إيجاد من هو طالب لذلك (وقبل) أى لهم على قطع الأحوال  
و أشدها قولاً لا معقب له، فكأنه بلسان كل قائل: (اليوم ننسكم)  
أى نفعل معكم بالترك من جميع ما يصلحكم [فعل -] المنسى الذى  
١٠. نقطع عنه جميع إحساننا فيأتيه كل شر (كما نسيتم) و أضاف المصدر  
إلى ظرفه لما فيه من الرشاقة و البلاغة فقال تعالى: (لقاء يومكم هذا)  
أى الذى عملتم فى أمره عمل النامى له، و من نسى لقاء اليوم نسي لقاء  
الكاثر فيه بطريق الأولى، و قد عابهم الله سبحانه تعالى بذلك أشد

- (١ - ١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا لنكفر شيئا (٢) من م و مد.  
و فى الأصل و ظ: اقبلوا (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لم يقتضى.  
(٤) زيد فى الأصل: اعم و. و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها.  
(٥) من م و مد. و فى الأصل و ظ: اطلقوا (٦) زيد من م و مد.  
(٧) ليس فى الأصل و ظ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقطع (٩) من م  
و مد، و فى الأصل و ظ: إضافة (١٠) سقط من ظ و م و مد (١١) من م  
و مد، و فى الأصل و ظ: انسى (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عابهم.

العيب<sup>١</sup> لأن ما عملوه ليس من فعل الحزمة أن يتركوا ما ضرره محتمل لا يعتدون له، وإنما هذا فعل الحق الذين هم عديم أسقاط [ لا - ٢ ] عبرة بهم ولا وزن لهم، وعبر بالنسيان لأن عمله مركوز في طبائعهم، وعبر في فعله بالمضارع ليدل على [ الاستمرار، وفي فعلهم بالماضي ليدل على - ٢ ] أن من وقع منه ذلك<sup>٢</sup> وقتا ما وإن قل كان على خطر عظيم بتعرض نفسه لاستمرار الإعراض عنه .

ولما كان تركه على هذا الحال يلزم منه استمرار العذاب، صرح به إضاحا له لئلا يظن غير ذلك، فقال مينا لحالمهم : ﴿ و ماؤنكم النار ﴾ ليس لكم براح عنها أصلا، لأن أعمالكم أدخلتكموها، ولا يخرج منها إلا من أذنا في إخراجها، نحن قد جعلناكم في عداد المنسى فلا يكون ١٠ من قبلنا لكم فرج ﴿ و ما لكم ﴾ في نفس الأمر سواء أفكرتم وأنتم مكذبون في مدافعة هذا اليوم أو تركتموه ترك المنسى ﴿ من نصرينه ﴾ ينفذونكم من ذلك بشفاعه ولا مقاهرة .

ولما ذكر جزاءهم على ما هو الحق المساوي لأعمالهم طبق الفعل بالفعل، علله بما يلزم على أعمالهم فقال : ﴿ ذلكم ﴾ أى العذاب العظيم ١٥ ﴿ بأنكم اتخذتم ﴾ أى بتكليف منكم لأنفسكم وقسر على خلاف

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل : العتب (٢) زيد من ظ و م ومد .

(٣-٢) من م ومد، وفي الأصل وظ : ذلك منه (٤) من م ومد، وفي

الأصل وظ : مكذبين (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل : التساوى .

(٦) من م ومد، وفي الأصل وظ : من .

ما أدى إليه العقل، وجاءت به الرسل، وساعدت عليه الفطر الأول'  
 / (أثبت الله) أى الملك الأعظم "الذى لا شئ أعظم منه" (هزوا)  
 أى جعلتموها عين ما أزلت للعباد منه (وغرتكم) لضعف عقولكم  
 (الحياة الدنيا) أى الدنية فأزتموها لكونها حاضرة وأنتم كالبهايم  
 لا بعدو فظركم المحسوس فقلتم: لا حياة غيرها ولا بعث ولا حساب، ولو  
 تعقلتم وصفكم لها لآداكم إلى الإقرار بالآخرة .

/ ٧٧١

ولما أوصاهم إلى هذا الحد من الإهانة، سبب عنه زيادة في  
 إهانتهم وتلذيذا لأوليائه الذين عادوهم فيه وإشماما لهم بهم: (قالوم)  
 بعد إيوائهم فيها (لا يخرجون) بمنخرج ما (منها) لأن الله لا يخرجهم  
 ١٠ ولا يقدر غيره على ذلك (ولام) خاصة (يستعبدون) أى يطلب  
 من طالب ما منهم الإعتاب، وهو الاعتذار بما يثبت لهم العذر ويزيل  
 عنهم العتب الموجب للغضب بعمل من الأعمال الصالحات لأنهم في دار  
 الجزاء لا دار العمل .

ولما أثبت سبحانه بعده بآيات المروية والمسموعة وإعزاز  
 ١٥ أوليائه وإدلال أعدائه من غير مبالاة بشئ ولا عجز عن شئ مع  
 الإحاطة التامة بكل شئ قدرة وعلما، تسبب عن ذلك حتما قوله تعالى:

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: الأولى (٢-٢) سقط ما بين الرقين من  
 ظ و م ومد (٣-٣) من م ومد، وفي الأصل و ظ: عاهدوهم (٤) زيد في  
 الأصل: لفيظهم، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها (٥) من م  
 و مد، وفي الأصل و ظ: لكل .

(فله) أى الذى له الأمر كله (المجد) أى الإحاطة بجميع صفات الكمال . ولما أبان سبحانه<sup>١</sup> أن ذلك ثابت له لذاته لا لشيء آخر، أثبت أنه له بالإحسان والتدبير فقال تعالى: (رب السموات) أى ذات العلو والاتساع والبركات . ولما كان السياق لإثبات الاختصاص بالكمال، وكانوا قد جعلوا له سبحانه ما دل [على -<sup>٢</sup>] أنهم لاشبهة لهم في عبادتهم . بحصر<sup>٣</sup> أمرهم في الهوى، أعاد ذكر الرب تأكيدا وإعلاما أن له في كل واحد من الخائفين أسراراً غير ما له في الآخر<sup>٤</sup>، فالترية متفاوتة بحسب ذلك، وأثبت العاطف إعلاماً بأن كمال قدرته في ربوبيته<sup>٥</sup> الأعلى والأسفل<sup>٦</sup> على حد سواء دفعا لتوهم أن حكمه في الأعلى يمكن لتوهم الاحتياج إلى مسافة فقال تعالى<sup>٧</sup>: (ورب الأرض) أى ذات القبول للواردات . ١٠ . ولما خص الخائفين تنبيها على الاعتبار بما فيها من الآيات لظهورها، عم تنبيها على<sup>٨</sup> أن له<sup>٩</sup> وراء ذلك من الخلائق ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى<sup>١٠</sup> فقال مسقطاً العاطف لعدم الاحتياج إليه بعد إثبات استواء الكونين الأعلى والأسفل في حكمه من حيث العلم والقدرة للتميز عن المسافة،

---

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: اوصاف (٢) سقط من م ومد .  
 (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: لخصر (٥) من م ومد، وفي الأصل وم: الآخرة (٦-٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: الأعلى للأسفل (٧) زيد في الأصل: مينا وهو هنا لهذا الاشكال الواهى، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لخصها (٨-٨) من م ومد، وفي الأصل وظ: انه (٩-٩) في م ومد: هو .

وذلك لا يخرج عنه شيء من الخلق لأنه إما أن يكون علوياً أو سفلياً  
 ﴿وب العالين﴾ فجمع ما مفردة يدل على جميع الحوادث لأن العالم  
 ما سوى الله . تنبيهاً على أصنافه و تصريحاً بها وإعلاماً بأنه أريد به  
 مدلوله المطابق لا البعض بدلالة التضمن ، وأعاد ذكر الرب تنبيهاً على  
 ه أن حفظه للخلق وتربيته لهم ذو ألوان بحسب شؤون الخلق ، لحفظه  
 لهذا الجزء على وجه يغير حفظه [جزء آخر ، وحفظه للكل من حيث  
 هو كل على وجه يغير حفظه - ٢] لكل جزء على حدته ، مع أن الكل  
 بالنسبة إلى تمام قدره على حد سواء .

وما أفاد / ذلك غناه<sup>٢</sup> الغنى المطلق وسيادته وأنه لا كفوء له ،  
 ١٠ عطف عليه بعض اللوازم لذلك تنبيهاً على مزيد الاعتناء به لدفع ما  
 يتوهمونه من ادعاء الشركة التي [لا - ٢] يرضونها لأنفسهم فقال : ﴿وله﴾  
 أى وحده<sup>١</sup> ﴿الكبرياء﴾ أى الكبر الأعظم الذى لانهاية له :  
 ﴿فى السموات﴾ كلها ﴿والارض﴾ جميعها<sup>١</sup> اللتين فيها آيات  
 للمؤمنين<sup>٢</sup> ، روى مسلم وأبو داود<sup>٣</sup> وابن ماجه<sup>٤</sup> عن أنس<sup>٥</sup> عن أبي هريرة ومسلم

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : سول - كذا (٢) زيد من م ومد (م) من  
 ظ و م ومد ، وفى الأصل : غنى (٤) زيد فى الأصل : لامناف له ، ولم تكن  
 الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها (٥) زيد فى الأصل : لمكانه ، ولم تكن  
 فى م ومد لحذفها (٦) من م ومد ، وفى الأصل : جميعاً (٧) زيدت  
 الواو فى الأصل : ظ ، ولم تكن فى م ومد لحذفها (٨) راجع السنن  
 أبواب اللباس (٩) راجع السنن أبواب الزهد .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منها أدخلته النار ، وفي رواية : عذبت<sup>١</sup> ، وفي رواية : قصمته .  
 ( وهو ) وحده ( العزيز ) الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء .  
 ( الحكيم ) الذي يضع الأشياء في ألقن مواضعها ولا يضع شيئا ه  
 إلا كذلك ' كما أحكم أمره ونهيه وجميع شرعه ، و أحكم نظم هذا القرآن  
 جملا وآيات ، وفواصل وغايات ، بعد أن حرر معانيه وتنزله جوابا لما  
 كانوا يعتنون به ، قصار معجزا في نظمه ومعناه وإزاله طبق أجوبة<sup>٢</sup>  
 الوقائع على ما اقتضاه الحال ، فانطبق آخرها<sup>٣</sup> على أولها بالصفير المذكورتين ،  
 وبالحث على الاعتبار بآيات الخافقين ، والتصريح بما لزم ذلك من الكبرياء ١٠  
 المقتضية لإذلال الأعداء وإعزاز الأولياء - والله الهادي إلى الصواب  
 وإليه المرجع والمآب - والله أعلم بمراده .

\* \* \*

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : لذلك (٢) زيد في الأصل : الواقع من ،  
 ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، وفي  
 الأصل : آخر السورة (٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد .

## سورة الأحقاف

مقصودها إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة  
 اللازم للعزة والحكمة الكاشف لها أتم كشف بما وقع الصدق في الوعد  
 به من إهلاك المكذبين بما يضاد حال بلادهم<sup>٢</sup> وأنه لا يمنع من شيء  
 من ذلك مانع لأن فاعل ذلك لا شريك له فهو المستحق للأفراد بالعبادة،  
 وعلى ذلك دلت تسميتها بالأحقاف الدالة على هدوء الريح وسكون الجو<sup>٣</sup>  
 بما دلت عليه قصة [ قوم - ]<sup>٤</sup> هود عليه الصلاة والسلام من التوحيد  
 وإنذارهم بالعذاب دنیا وأخرى ومن إهلاكهم وعدم إغناء ما عبده<sup>٥</sup>  
 عنهم ولا يصح تسميتها بيهود ولا تسمية هود بالأحقاف لما ذكر من  
 ١٠ المقصود بكل منهما<sup>٦</sup> (بسم الله) الذي لا يذل من والى ولا يعز من  
 عادى (الرحمن) الذي سبقت رحمته غضبه بزواج الإنذار (الرحيم)  
 الذي خص حربه بعمل الآرار للفوز في دار القرار بدخول الجنة والنجاة  
 من النار (حتم) حكمة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي النهاية<sup>٧</sup> في  
 الصواب والسداد أحكمها الذي أحاطت قدرته فهو لا يخلف المباد.

لما<sup>٨</sup> بنيت الجائية على النظر في آيات الحافقين / خطاباً لأهل الإيمان ١٥ / ٧٧٣

(١) السادسة والأربعون من سور القرآن الكريم، وعدد آياتها ٣٥ عند  
 الكوفيين و ٣٤ عند غيرهم، وزيد بعده في الأصل: الدالة على صدق الوعد  
 بالساعة، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفها (٢) من ظ و م و مد،  
 وفي الأصل: رجال (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من مد (٤) زيد من م و مد.  
 (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عهدوه (٦) زيد في الأصل: وأفع اعلم،  
 ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفها (٧) من م و مد، وفي الأصل وظ:  
 نهاية (٨) من م و مد، وفي الأصل وظ: ولما.



استدللا على يوم الفصل المدلول عليه 'في الدخان' بآية "و ما خلقنا السموات و الارض و ما بينهما لعبن" و التي بعدها، فأنتجت العلم بأن الكبرياء الخالقها بما يشاهد من قهره للوك فمن سواهم بالموت و ما دونه من غير مبالاة بأحد<sup>١</sup> و بينت - بما أفهمه الملك و الكبرياء و الحكمة لأن عادة من كان بهذا الوصف ألا يكون [كلامه -<sup>٢</sup>] إلا بحسب الحاجة - ٥ أن الكتاب منزل نجوما لبيان ما 'يحاولون به' مدحض لحجتهم 'هادم' لعزتهم بحكمته و عزته، ثبّت الحشر و حق النشر، و ختم بصفى العزة و الحكمة. ذكر بما ثبت<sup>٣</sup> من ذلك كله "تأكيدا لأمر البعث و تحقيقا لليوم الآخر على وجه مبين"<sup>٤</sup> أن الخلق كله آيات و حرم و اعتبارات لأنه أثبت أنه كله حق. و نفي عنه كل باطل، فقال خطابا لأهل ١٠ الأوثان من سائر الأديان الصاية و المجوس و غيرهم الذين افتتحت<sup>٥</sup> السورة بهم و ختمت بالفسق الجامع لهم الموجب لكفرهم: ﴿تنزيل الكتب﴾ أى "الجامع لجميع" الخيرات بالتدرج على حسب المصالح ﴿من الله﴾

---

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالدخان (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: باخذ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما (٤) زيد من م و مد (٥-هـ) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يحاولونه (٦) زيد فى الأصل: بل و لحججهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هاديا (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الشر. (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بصفاء (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذكر (١١) سقط من م و مد (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يبين (١٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فتحت (١٤-١٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جامع.

أى الجبار المتكبر المختص بصفات الكمال الذى هو الحمد بما دلت عليه ربوبيته ، وختم بقوله : ﴿ العزيز الحكيم ٥ ﴾ تقريراً لأنه لم يضع شيئاً إلا فى أوفق محاله ، وأنه الخالق [للشئ كما أنه الخالق - ٤] للخير والجميع الأفعال ٥ وأنه يعز أوليائه ويذل أعداءه ويحكم أمر دينه فيظهره على الدين كله من غير أن يقدر أحد على معارضته فى شئ منه فصارت آية ١ الجاثية مقدمة لهذه وهذه نتيجة .

ولما ثبت فى الجاثية مضمون قوله تعالى فى الدخان " [ وما خلقنا - ١ ] السَّمُوتِ والارض وما بينهما لَّعِينٍ " بما ذكر فيها من [ الآيات و - ١ ] المنافع والحكم ، أثبت [ هنا - ١ ] مضمون [ ما بعد - ٤ ] ذلك بزيادة ١٠ الأجل فقال دالا على عزته وحكمته : ﴿ ما خلقنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة الموجبة للتفرد بالكبرياء ﴿ السَّمُوتِ والارض ﴾ على ما فيها من الآيات التى فصل بعضها فى الجاثية . ولما كان من المقاصد هنا الرد على المجوس وغيرهم ممن ثبت خلقاً لغير الله قال : ﴿ وما بينهما ﴾ أى من الهواء المشحون بالمنافع وكل خير وكل شر من أفعال العباد ١٥ وغيرهم ، وقال ابن برجان فى تفسيره : جميع الوجود أوله وآخره نسخة

(١) زيد فى الأصل : والجمال والكبرياء ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد  
لحذفناها (٢) فى الأصل يياض ملائمة من ظ و م ومد (٣) من مد ، وفى  
الأصل و ظ و م : بانه (٤) زيد من م ومد (٥) من م ومد ، وفى الأصل  
و ظ : الأعمال (٦) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : آيات (٧) من مد ،  
وفى الأصل و ظ و م : فقال (٨) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : شئ .  
(٩) زيد فى الأصل و ظ : كل هواء ، ولم تكن الزيادة فى م ومد لحذفناها .

لام الكتاب و السماوات و الأرض إشارة إلى بعض الوجود<sup>١</sup> . و يعطيه  
يعطى من الدلالة على المطلوب ما يعطيه لكل بوجه ما ، غير أن ما علا  
أصح دلالة و أقرب شهادة و آين إشارة ، و ما صغر من الموجودات دلالة  
بجملة يحتاج المستعرض فيه إلى الثبت و "تدقيق النظر" و البحث - انتهى .

(الابالحق) أى الأمر الثابت من القدرة التامة و التصرف المطلق . هـ  
خلق [الباطل - ٢] بالحق لأنه تصرف فى ملكه الذى لاشائبة لغيره  
فيه للابتلاء و الاختبار للجأزة بالعدل و المن بالفضل إلى غير ذلك من  
الحكم التى لا يعلمها / سواء ، و فى خلق ذلك على هذا الوجه أعظم دلالة  
على وجود الحق سبحانه . و أنه واحد لاشريك له ، و دل على قهره بقوله :

(و اجل مسمى) أى لبعث الناس إلى دار القرار لفصل أهل الجنة ١٠  
من أهل النار ، و فناء الحافقين و ما نشأ عنهما من الليل و النهار .

و لما كان التقدير : و أمرنا الناس بالعمل فى ذلك الأجل بطاعتنا  
و وعدناهم عليها جنات النعيم ، فالذين آمنوا على ما أئذروا مقبلون ،  
و من غوائله مشفقون ، فهم بضاعتنا عاملون ، عطف عليه ما السياق له  
من قوله : (و الذين كفروا) أى ستروا من أعلام الدلائل ما ١٥  
لو خلوا أنفسهم و ما فطرناها عليه لعلوه فهم لذلك (عما أئذروا)

---

(١) من ط و م و مد ، و فى الأصل : الموجودات (٢-٣) من ظ و م و مد ،  
و فى الأصل : التدقيق (٤) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى  
الأصل : لا (هـ) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جنات (٦) من مد ، و فى  
الأصل و ظ و م : كذلك .

من هم عارفون<sup>١</sup> بأن إنذاره<sup>٢</sup> لا يتخلف (معرضون<sup>٣</sup>) ومن غوائله آمنون، فهم بما يغضبنا فاعلون، شهدت عنهم شواهد الوجود فاسمعوا لها ولا<sup>٤</sup> أصغوا إليها وأنذرتهم الرسل والكتب من عنده فاعرضوا عنها واشتأزوا منها.

٥ وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير رحمه الله تعالى: لما قدم ذكر الكتاب وعظيم الرحمة به وجليل يانه، وأردف ذلك بما تضمنته سورة الشريعة من توبيخ من كذب به وقطع تعلقهم وأنه سبحانه وتعالى قد نصب من دلائل السماوات والأرض [إلى - ٦] ما ذكر في صدر السورة ما كل قسم منها كاف في الدلالة وقائم بالحجة، ومع ذلك فلم يحرم عليهم التماذى على ضلالهم والانتهاك في سوء حالهم وسمى<sup>١٠</sup> حالهم، أردفت<sup>١١</sup> بسورة الاحقاف تسجيلا بسوء مرتكبهم وإعلاما بالآثم<sup>١٢</sup> منقلبهم فقال تعالى "ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى" ولو اعتبروا بعظيم ارتباط ذلك الحق وإحكامه وإتقانه لعلموا أنه لم يوجد عبثا<sup>١٣</sup>، ولكنهم عموا عن الآيات وتكبروا عن<sup>١٤</sup> انتهاج الدلالات "والذين كفروا عما أنذروا معرضون" ثم أخذ

(١ - ١) من مد، وفي الأصل وظ و م: بأنذاره (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: صغوا لها ولا (٣) في مد: ذلك (٤) زيد من مد (ه) في مد: منه. (٦) من م و مد، وفي الأصل وظ: فلم يحرم (٧) من م و مد، وفي الأصل وظ: أردف (٨) من م و مد، وفي الأصل وظ: لهم - كذا. (٩) من م و مد، وفي الأصل وظ: غنا.

سبحانه و تعالى في تغنيهم و تقيهم في عبادة ما لا يضر و لا ينفع فقال  
 " أفرايتم ما تدعون<sup>١</sup> من دون الله - إلى قوله : و كانوا بعبادتهم كافرين "  
 ثم ذكر عنادهم عند<sup>٢</sup> سماع الآيات فقال " و اذا تلى عليهم 'إنا أنزلنا'  
 الآيات ، ثم التحم الكلام و تناسج إلى آخر السورة - انتهى .

و لما قرر سبحانه الأصل الدال على التوحيد و إثبات العدل و الرحمة ه  
 بالبحث للفصل<sup>٣</sup> ، و كانوا يقولون : إنهم أعقل الناس ، و كان العاقل لا يأمن  
 'غوائل الإنذار' إلا أن أعد لها ما يتحقق 'دفعه لها' و كان لا يقدر على  
 دفع المتوعد<sup>٤</sup> إلا من يساريه أو يزيد عليه بشركة أو غيرها ، و كانوا يدعون  
 في أصنامهم أنها<sup>٥</sup> شركاء ، بنى على ذلك<sup>٦</sup> الأصل تقاريبه<sup>٧</sup> ، وبدأ بإبطال  
 متمسكهم فقال سبحانه و تعالى آمرا له صلى الله عليه و سلم بأن ينبهم<sup>٨</sup>  
 على مفاهيم بأنهم أعرضوا عما قد بضرهم من غير احتراز منه دالا على  
 عدم إلهية ما دعوه آلهة بعدم الدليل على إلهيتها من عقل أو نقل ، لأن  
 منصب الإلهية لا يمكن أن يثبت [ و - ' ] له من الشرف / ما هو معلوم

٧٧٥ /

(١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : تعبدون (٢) من مد ، و في الأصل  
 و ظ : عن (٣) من مد ، و في الأصل و ظ و م : للفضل (٤ - ٤) من ظ  
 و م و مد ، و في الأصل : الغوائل (٥ - هـ) من م و مد ، و في الأصل و ظ :  
 دفعها به (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : التوحيد (٧) من م و مد ، و في  
 الأصل و ظ : أنهم (٨) زيد في الأصل و ظ : قوله ، و لم تكن الزيادة في م  
 و مد لغدتها (٩) من مد ، و في الأصل و ظ و م : تقاريبه (١٠) زيد من  
 ظ و م و مد .

بغير دليل قاطع: ﴿ قل أي هؤلاء الممرضين أنفسهم لعاية الخطر  
منكرا عليهم تبيكيتا و تويخا: ﴿ اريدتم ﴾ أي أخبروني بعد تأمل و رؤية  
باطلة ﴿ ما تدعون ﴾ أي دعاء عبادة، و نبه على سفولهم بقوله تعالى:  
﴿ من دون الله ﴾ أي الملك الأعظم الذي كل شيء دونه، فلا  
كفوه له .

ولما كان من المعلوم أن الاستفهام عن رؤية ما 'مشاهدتهم له'  
معلومة لا يصح إلا تأويل<sup>٢</sup> أنه عن بعض الأحوال، و كان التقدير: أم<sup>٣</sup>  
شركاء في الأرض. استأنف قوله: ﴿ اروني ما ﴾ و أكد الكلام بقوله  
سبحانه و تعالى: ﴿ ما ذا خلقوا ﴾ أي اخترعوه ﴿ من الأرض ﴾ ليصح  
١٠ ادعاء<sup>٤</sup> أنهم شركاء فيها<sup>٥</sup> باختراع ذلك الجزء . ولما كان معنى الكلام  
و ترجمته: أروني أم شركاء في الأرض؟ عادله بقوله: ﴿ ام لهم ﴾ أي الذين  
تدعونهم ﴿ شرك<sup>٦</sup> في السموات ﴾ أي نوع من أنواع الشرك: تدير - كما  
يقول أهل الطائعات، أو خلق أو غيره، أروني ذلك الذي خلقوه منها  
ليصح ادعاؤكم فيه و اعتمادكم عليهم بسببه . فالآية من الاحتباك: ذكر  
١١ الخلق أولا دليلا على حذفه ثانيا، و الشرك ثانيا دليلا على  
حذفها أولا .

(١-١) من م و مد، و في الأصل و ظ: شاهدتهم (٢) من ظ و م و مد،  
و في الأصل: يتأمل و تاويل (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ و م .  
(٤-٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: لا يصح الادعاء (٥) من ظ و م و مد،  
و في الأصل: في الأرض (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: تدعون انهم  
شركاء (٧) و رد في الأصل بده ام لهم و الترتيب من ظ و م و مد .

ولما كان الدليل أحد شيئين : سمع و عقل ، قال تعالى : ﴿ ايتوني ﴾ [ أى - ١ ] حجة على دعواكم في هذه الاصنام أنها خلقت شيئا ، أو أنها تستحق أن تعبد ﴿ بكتب ﴾ أى ٢ واحد يصح التمسك به ، لا أكلفكم إلى ٣ الإتيان بأكثر من كتاب واحد . ولما كانت الكتب متعددة ولم يكن كتاب قبل القرآن عاما لجميع ما سلف من الزمان ، أدخل هـ الجار فقال تعالى : ﴿ من قبل هذا ﴾ [ أى - ١ ] الذى نزل على كالنوراة والإنجيل والزيور ، وهذا من أعلام النبوة فانها كلها شاهدة بالوحدانية ، لو أتى بها آت لشهدت عليه .

ولما ذكر الأعلى الذى لا يجب التكليف إلا به ، وهو النقل القاطع ، سهل عليهم فزل إلى ما دونه الذى منه العقل ، وأقنع [ منه - ١٠ ] ببقية واحدة ولو كانت أورا لا عينا فقال : ﴿ او ائثرة ﴾ أى بقية رسم صالح للاحتجاج ، قال ابن برجان : وهى ' البقية من أثر ' كل شيء يرى ' بعد ذهابه ' و حال رؤيته بأثرها ' خلف عن سلف ' يتحدثون بها فى آثارهم ، قال البغوى : ' وأصل الكلمة من الأثر وهو الرواية . ﴾ ( من علم )

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ و م (٣) من م و مد ، وفى الأصل وظ : على (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) زيد فى الأصل : مبينا لذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٧) من مد ، وفى الأصل وظ و م : هو (٨) من م و مد ، وفى الأصل وظ : آثار (٩-٩) من م و مد ، وفى الأصل وظ : تعددها به (١٠-١٠) من م و مد ، وفى الأصل وظ : سلف عن خلف (١١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/ ١٣٠ .

أى قطعى بضرورة أو تجربة أو مشاهدة أو غيره ولو ظنا يدل على ما ادعيتهم فيهم من الشركه . و لما كان لهم من النفرة من الكذب [ واستغناؤه - ' ] واستبشاعه واستفظاظه ما ليس لامة من الامم ، أشار إلى تفرعهم بالكذب إن لم يقيموا دليلا على دعواهم بقوله تعالى : ( ان كنتم ) أى بما هو لكم كالجلة ( صدقين ) أى عريقين فى الصدق على ما تدعون لا تقسكم .

و لما أبطل سبحانه و تعالى قولهم فى الاصنام بعدم<sup>٢</sup> قدرتها على إتيان شئ من ذلك لأنها من جملة مخلوقات فى الأصل<sup>٣</sup> ، أتبعه بإبطاله بعدم علمها ليعلم قطعا أنهم أضل الناس حيث ارتبطوا فى أجل الأشياء ١٠ / ٧٧٦ - / و هو أصول الدين - بما لا دليل عليه أصلا ، فقال تعالى منكرا<sup>٤</sup> أن يكون أحد أضل منهم ، غاطما على ما هدى السياق حتما إلى<sup>٥</sup> تقديره و هو : فن أضل ممن يدعى شيئا من الأشياء و إن قل بلا دليل : ( و من أضل ممن ) يدعى أعظم الأشياء بغير دليل ما<sup>٦</sup> عقلى و لا نقل ، فهو<sup>٧</sup> ( يدعوا ) ما لا قدرة له و لا علم ، و ما انتفت<sup>٨</sup> قدرته و علمه لم تصح عبادته يديه ١٥ العقل ، و أرشد إلى سفولها بقوله تعالى : ( من دون الله ) أى من أدنى

- (١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فو : الأصل و ظ : لعدم .  
(٣) سقط ما بين الرقعتين من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل و ظ : عليهم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) من مد ، و فو : الأصل و ظ و م :  
أتى (٦) زيد فى الأصل و ظ : لا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها ،  
(٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و هو و هو (٨) من م و مد ، و فو :  
الأصل و ظ : انتعت تكلموا .



رتبة [ من رتب - ١ ] الذى له جميع صفات "الجلال والجلال والكمال"،  
فهو سبحانه يعلم كل شئ وبقدر على كل شئ بحيث يجيب الدعاء  
ويكشف البلاء ويحقق الرجاء إذا شاء، ويدبر عبده لما يعلم من سره  
وعليه بما لا يقدر هو على تدبير نفسه [ به - ٢ ]، ويريد العبد فى كثير  
من الأشياء ما لو وكل [ العبد - ٣ ] فيه إلى نفسه وأجيب: إلى طلبته  
كان فيه حقه، فيدبره سبحانه بما تشد كراهيته له فيكشف الحال عن  
أنه لم يكن له فرج إلا فيه (من لا يستجيب له) أى لا يوجد الإجابة  
ولا يطلب إيجادها من الأصنام وغيرها لأنه لا أهلية له لذلك .

ولما كان أقل الاستجابة مطلق الكلام، وكانوا فى الآخرة يكلمونهم  
فى الجملة وإن كان بما يضرهم، غي هذا النقي بوقت لا ينفع فيه استجابة ١٠  
أصلاً ولا يبقى أحد عن أحد أبداً قال تعالى: ( إلى يوم القيمة )  
أى الذى صرفناهم من أدله ما هو أوضح من الشمس ولا يزيدهم  
ذلك [ إلا - ٤ ] إنكاراً وركوة إلى ما لا دليل عليه أصلاً وهم يدعون  
الهداية ويميون "أشد عيب" الفوارة . ولما كان من لا يستجيب قد  
يكون له [ علم - ٥ ] بطاعة الإنسان له ترجى معه إجابته يوماً ما، نقي ١٥

(١) زيد من ظ و م ومد (٢-٢) -قط ما بين الرقين من ظ و م ومد .  
(٣) من م ومد، وفى الأصل وظ : بما (٤) زيد من م ومد (٥) زيد من  
مد (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ : اجب (٧) فى الأصل ومد  
ظ : كراهته (٨) ليس فى الأصل وم (٩) من م ومد، وفى  
الأصل وظ : النقم (١٠) -قط من ظ و م ومد (١١) من ظ و م ومد،  
وفى الأصل : لا يزيدهم (١٢-١٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل :  
أشار بحيث - كذا .

ذلك بقوله زيادة في عيهم في دعاء ما لا رجاء في فقهه : ( وهم عن دعائهم )  
 أى دعاء المشركين إياهم ( غفلون هـ ) أى لهم هذا الوصف ثابت لا ينفكون  
 عنه ، لا يعلمون من يدعوم ولا من لا يدعوم ، وعبر بالغفلة التى هى من  
 أوصاف العقلاء للجهد تغليا إن كان المراد أعم من الأصنام وغيرها من  
 عبوده من عقلاء الإنس والجن وغيرهم واتصافا إن كان المراد الأصنام  
 خاصة ، أو تهكما كأنه قيل : هم علماء فانكم أجل مقاما من أن تعبدوا  
 ما لا يعقل ، وإنما عدم استجابتهم لكم دائما غفلة دائمة كما تقول لمن  
 كتب كتابا كله فاسد : أنت عالم لكنك كنت ناعسا - ونحو هذا .  
 ولما غي سبجانه يوم القيامة فأفهم أنهم يستجيون لهم فيه ،  
 ١٠ بين ما يحاورونهم به إذ ذاك فقال : ( وإذا حشر ) أى جمع بكره  
 على أيسر وجه وأسهل أمر ( الناس ) أى كل من يصح منه  
 النوس - أى التحرك - يوم القيامة ( كانوا ) أى المدعوون ( لهم )  
 أى للداعين ( أعداء ) و عطيم الله قوة الكلام في مخاطبتهم بكل ما  
 يخاطب به العدو عدوه ( و كانوا ) أى المعبودون ( بعبادتهم ) أى  
 ١٥ الداعين ، وهم المشركون - إياهم ( كفريه هـ ) لأنهم كانوا عنها غافلين  
 كما قال سبجانه وتعالى / في سورة يونس عليه الصلاة والسلام

/ ٧٧٧

(١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : من (٢) ف م : فيه (٣) من مد ، وفي  
 الأصل و ظ و م : أحسن (٤) زيد في الأصل : جميع ، ولم تكن الزيادة في  
 ظ و م و مد لحذفها (٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ ، المدعوت .  
 (٦) زيد في الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها .

”وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون“ .

ولما بين أنهم<sup>١</sup> في غاية السفه في عبادة ما لا دليل بوجه على عبادته، أتبعه بيان أنهم<sup>٢</sup> في غاية الغباوة بانكار ما لا شيء أئين منه، فقال عاطفا على ”والذين كفروا عما انذروا معرضون“: (واذا تلى) أى قرأ من أى قارئ كان على وجه المتابعة (عليهم آيتنا) [أى - ٢] هـ التى لا أعظم منها فى أنفسهم<sup>٣</sup> وباضافتها إلينا (يفت) لا شيء أئين منها قالوا - هكذا كان الأصل ولكنه بين الوصف الحامل لهم على القول فقال: (قال الذين كفروا) أى ستروا تلك الأنوار التى أبرزتها تلك التلاوة لها - هكذا كان الأصل ولكنه قال: (للحق) أى لاجله (لما) أى حين (جاءم) يانها لأنها<sup>٤</sup> مع يانها لا شيء أثبت ١٠ منها وأنهم بادروا أول سماعهم لها إلى إنكارها دون تفكر: (هذا) أى الذى تلى (سحر) أى خيال لاحقيقة له (مبين) أى ظاهر فى أنه خيال، فدل قولهم هذا - بمبادرتهم<sup>٥</sup> إليه من غير تأمل أصلا، وبكونه أبعد الأشياء عن حقيقة ما قيل فيه - على أنهم أكثر الناس عنادا وأجرؤم على الكذب وهم يدعون أنهم أعرق الناس فى الإنصاف ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقین من مد (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ : نفسها (٤) زيدت الواو فى الأصل و ظ و م ولم تكن فى مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل و ظ : بين الوصف الحامل لهم ولكنه، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٦-٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل : بآياتنا (٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ : بما دلهم (٨) من م و مد، وفى الأصل و ظ : اعرف (٩-٩) من م و مد، وفى الأصل و ظ : بالانصاف .

و الزمهم للصدق .

ولما دلت هذه الآيات بعظيم 'حججها وزخار ما' أغرق من  
لججها، على أن ما يدينون به أوهى' من الخيال، وأن هذا الكتاب  
في صدقه وكل شيء من أمره أثبت من الجبال؟ فكانوا أجدر الخلق  
• بأن يقولوا: رجعتا عما كنا فيه و آمنّا'، كان موضع أن يقال: هل أقروا  
بأنك صادق في نسبة هذا الكتاب إلى الله، فعادله بقوله دليلا عليه:  
(أم يقولون) مجددين لذلك متابعين' له (أقرته) أي تعتمد  
كذبه، فيكون ذلك من قولهم عجباً لأنه قول مقرون بما يكذبه  
ويطله كما يأتي في تقريره .

١٠. ولما كان كأنه قيل: إنهم ليقولون ذلك، وقد فرحوا القلوب  
به فماذا يردم عنه؟ [قيل - ١]: (قل) ما هو أشد عليهم من وقع  
النبيل، وهو ما يرد ما رموك به عليهم بحجة هي أجلى من الشمس في  
الظهير صحو<sup>١</sup> ليس دونها صحاب . ولما كان من عادة الملوك أنه متى  
كذب عليهم أحد<sup>٢</sup> عاجلوه بالعقوبة<sup>٣</sup> قال: (ان أقرته) أي تعدت  
(١ - ١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: زحاربا - كذا (٢) من ظ و م  
و مد، وفي الأصل: او هو (٣) من م و مد، وفي الأصل و ظ: الخيال .  
(٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لما (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ:  
متتابعين (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بحوا .  
(٨ - ٨) من م و مد، وفي الأصل و ظ: بما حلوه! من العقوبة .

كذبه

كذبه على زعمكم<sup>١</sup> و أنا إنما أريد [ به - ٢ ] نصيحتكم، فالذى<sup>٣</sup> أقربه عليه و أنسبه إليه يعاقبني على ذلك و لا يتركني أصلاً، و ذلك هو معنى قوله: ( فلا تملكون ) أى أيها المنصوحون فى وقت من الاوقات بوجه من الوجوه ( لى من الله ) أى الملك الاعظم العزيز المتكبر الحكيم ( شيئاً ) بما يرد عنى انتقامه منى لأن الملك لا يترك من كذب عليه ه مطلق كذب، فكيف بمن يتعمد الكذب عليه فى الرسالة بأمر عظمه و يلزمه مساء و صباحا غدوا و رواحا، فأى حامل لى حيثذ<sup>٤</sup> على اقترائه، و المقصود [ به - ٦ ] لا ينفعى، و المكذوب عليه لا يتركنى؛ ثم علل ما أفاده الكلام من وجوب الانتقام بقوله: ( هو اعلم ) أى منكم و من كل أحد ( بما تفيضون فيه<sup>٥</sup> ) من / نسقى إلى الكذب، ١٠ / ٧٧٨ فلو أنه كما تقولون ما ناظرنى فضلاً عن أنه يؤيدنى و ينصرنى، و فيه على ذلك تهديد لهم و تسلية له و تفرجج عنه .

ولما كان الإللاء وحده ليس قاطعاً فى ذلك و إن كان ظاهراً فيه، فكان لابد فى دعوى الصدق من دليل قاطع و برهان ساطع، و كانت شهادة الملك الذى الكلام فيه أعظم الأدلة لأنه الاعلم، و مدار ١٥ الشهادة العلم، فأتج الكلام قطعاً قوله: ( كفى ) و أكد الكلام بما قرن بالفاعل من حرف الجر تحقيقاً للفعل و نقياً للجواز<sup>٦</sup> فقال: ( به شهيدا )

- (١) م م و مد، و فى الأصل و ظ : زعمهم (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م : فى الذى (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : تعمد . (٥-هـ) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فى (٦) زيد من م و مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م : ليجاز - كذا .

أى شاهداً بليغ الشهادة لانه الأعلم بجميع أحوالنا ( ينفى وبينكم )  
 يشهد بنفسه الأقدس للصادق منا وعلى الكاذب ، وقد شهد بصدق  
 بعجزكم عن معارضة شئ من هذا الكتاب الذى أتيت به ، ثبت بذلك  
 أنه كلامه لاني لا أقدر وحدى على ما لا تقدرون عليه فرادى ولا مجتمعين  
 ه وأتم عرب مثلى ، بل [ و - ' ] أنا أمى و فيكم [ أتم - ' ] الكتبة  
 والذين خالطوا العلماء و سمعوا أحاديث الأمم و ضربوا - بعد بلاد  
 العجم - فى بلاد العرب ، فظهر بذلك ظهور الشمس أنكم كاذبون  
 ( وهو الغفور ) الذى من شأنه أن يمحو الذنوب كلها<sup>٢</sup> أعيانها  
 و آثارها<sup>٣</sup> فلا يعاقب عليها و لا يعاتب ( الرحيم ) الذى يكرم بعد  
 ١٠ المغفرة و يفضل بالتوفيق لما يرضيه ، ففى هذا الختام ترغيب للنبي صلى الله  
 عليه و سلم فى الصفح عنهم فيما نسبوه إليه فى افتتاحها من الاقتراء ،  
 و نذب إلى الإحسان إليهم ، و ترغيب لهم فى التوبة ، و منع من أن يقولوا :  
 فلم لا يعاجلنا بالعقوبة على نسبتنا لك [ إلى - ' ] الكذب إن كنت  
 صادقاً بأنه يجوز أن يمهل الكاذب ، و أما أنه يؤيده بما يشد به كذبه  
 ١٥ اللازم منه أنه يزيد فيه فلا يجوز ، لأن ذلك قاذح فى الحكمة و [ فى - ' ]  
 الكبرياء و فى الملك .

(١) زيد من م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣-٢) من م و مد ، و فى  
 الأصل و ظ : آثارها و أعيانها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعد  
 الذى (٥) فى ظ و مد : فيما .

ولما كان [ من - ١ ] أعظم الضلال أن يسبب<sup>٢</sup> الإنسان إلى الكذب<sup>٣</sup> من غير دليل في شيء لم يبتدعه، بل تقدمه بمثله فأس قد ثبت صدقهم في مثل ذلك ومضت عليه<sup>٤</sup> الأزمان وقرر غاية التقرر في القلوب والأذهان، قال تعالى: ﴿ قل ﴾ أي لهؤلاء الذين نسبوك إلى الاقتراء: ﴿ ما كنت ﴾ أي كونا ما ﴿ بدعا ﴾ أي منشأ مبتدعا محدثا ه  
مخترا بحيث أكون أجنيا منقطعا ﴿ من الرسل ﴾ لم يتقدم لي منهم مثال في أصل ما جئت به، وهو الحرف الذي طال النزاع بيني وبينكم فيه وعظم الخطب وهو التوحيد ومحاسن الأخلاق. بل قد تقدمني رسل كثيرون أتوا بمثل ما أتيت به ودعوا إليه كما دعوت وصدقهم [ الله - ١ ]  
بمثل ما صدقي به، فثبت بذلك رسالاتهم\* وسعد بهم من صدقهم من ١٠ قومهم، وشق بهم من كذبهم، فانظروا إلى آثارهم، واسألوا عن سيرهم من أتباعهم وأنصارهم [ وأشياهم - ١ ]، قال الإمام أبو عبد الله القزاز في ديوانه: والبدعة الاسم لما ابتدئ<sup>٥</sup> و<sup>٦</sup> ضد البدعة السنة، لأن<sup>٧</sup> السنة ما تقدم له إمام، والبدعة ما اخترع على غير مثال، وفي الحديث  
« كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، معناه - والله أعلم - أن ١٥  
يبتدع ما يخالف السنة إذ كانت البدعة ضد السنة، فإذا / أحدث ما يخالفها

٧٧٩ /

- (١) زيد من م ومد (٢ - ٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: إلى الإنسان.  
(٢) من ظ ومد، وفي الأصل وم: عليهم (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: التقرير (٥) من مد، وفي الأصل وظ وم: رسالتهم (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) زيد في الأصل: والبدعة، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: إلا ان.

كان باحدائه لها ضالا مشركا، وكان ما أحدث في النار، ولم يدخل تحت هذا ما يخترع الإنسان من أفعال البر يسمى بدعة لعدم فعله قبل ذلك فيخرج عما ذكرنا إن كان له نظير في الأصول، وهو الحضر على كل أفعال البر ما علم منها وما لم يعلم، فان أحدث محدث من ذلك شيئا فكأنه زيادة فيما تقدم من البر وليس بضد لما تقدمه من السنة، بل هو باب من أبوابها، ويقولون: ما فلان يبدع في هذا الأمر أى ليس [هو - \*] بأول من أصابه ذلك ولكن سبقه غيره أيضا، قال الشاعر:

و لست يبدع من النسائبات ونقض الخطوب و إمرارها  
١٠ ويقال: أبدع بالرجل - إذا كلت راحلته، وأبدعت الركاب إذا كلت وعطبت، وقيل: كل من عطبت ركابه [فانقطع به فقد أبدع به، وقال في القاموس: والبدعة الحدث في الدين بعد الإكمال أو ما استحدث بعده صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال، وأبدع بالرجل: عطبت ركابه - ١٢]، وبقي منقطعا به، وأبدع فلان بفلان: قطع به وخذله،

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اشرك (٢) من م و مد، وفي الأصل وظ: فاذا (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لمن (٤) من م و مد، وفي الأصل وظ: بدع (٥) زيد من م و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (٧) من م و مد، وفي الأصل وظ: فن (٨) من م و مد، وفي الأصل وظ: إمرارها (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اكلت (١٠) من م و مد، وفي الأصل وظ: الركات (١١) من م و مد، وفي الأصل وظ: كلت (١٢) زيد من مد.



- ولم يقم بحاجته ، وحجته بطلت ، وقال الصفاني في مجمع البحرين : وشئ بدع - بالكسر أى مبتدع ، وفلان بدع في هذا الأمر أى بديع ، وقوم أبداع ، وعن ' الأخفش : [ و - ٢ ] البديع المبتدع والبديع المبتدع أيضا ، وأبدعت حجة فلان - إذا بطلت ، وأبدعت : أبطلت - يتعدى ولا يقعدى .
- ولما أثبت بمواقفه صلى الله عليه وسلم للرسول أصل الكلام ، ه
- وبقي أن يقال : إن التكذيب في أن الله أرسله [ به ] ، قام الدليل على صدقه في دعواه ، وذلك بأنه مماثل لهم في أصل الحلقة ليس له من ذاته من العلم إلا ما لهم ، وليس منهم أحد يصح له حكم على المغنيات ، فلو لا أن الله أرسله [ ٢ ] لما صح كل شئ حكم به على المستقبلات ولم يتخلف من ذلك شئ . فقال : ( وما أدرى ) أى في هذا الحال ١٠
- بنوع حيلة وعمل واجتهاد ' ( ما ) [ أى الذى - ٢ ] ( يفعل ) أى من أى فاعل [ كان - ٢ ] سواء كان هو الله تعالى بلا واسطة أو بواسطة [ غيره - ٠ ] ( بى ) وأكد النفي ليكون ظاهرا في الاجتماع ، وكذلك في الانفراد أيضا ' [ فقال - ٠ ] : ( ولا ) [ أى ولا أدرى الذى يفعل - ٢ ] ( بكم ' ) هذا في أصل الحلقة وأتم تزوتى أحكم ١٥ على نفسى بأشياء لا يحتل شئ منها مثل أن أقول : إني ' اتيمكم من القرآن ' ( ١ ) من مد ، وفي الأصل وظ و م : وعن ( ٢ ) زيد من ظ و مد ( ٣ ) زيد من م و مد ( ٤ ) زيد في الأصل : ولو تكلف عدمه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها ( ٥ ) زيد من ظ و م و مد ( ٦ - ٦ ) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد ( ٧ ) سقط من ظ و م و مد ( ٨ - ٨ ) من م و مد ، وفي الأصل وظ : اتيمكم بقرآن .

بما يعجزكم، فلا تقدرون عليكم على معارضة شيء منه فيصح ذلك على  
سبيل التكرار لا يتخلف أصلاً، فلولا أن الله أرسلني به لم أقدر وحدي  
على ما [ لا - ١ ] تقدرون عليه كلكم، وإن قدرت على شيء كنتم  
أتم أقدر مني عليه، وفي الآية بعمومها دليل على أن الله أن يفعل ما  
يشاء، فله أن يعذب الطائع وينعم العاصي، ولو فعل ذلك لكان عدلاً  
وحقاً وإن كنا نعتقد أنه لا يفعله .

ولما سوى نفسه الشريفة بهم في أصل الخلقة، وكان قد ميزه الله  
عنهم بما خصه من النبوة والرسالة، [ أبرز له ذلك - ٢ ] سبحانه وتعالى  
على وجه النتيجة فقال: ( ان ) أي ما ( اتبع ) [ أي - ٢ ] بغاية  
١٠ جهدي وجهدي ( الا ما ) أي الذي ( يوحى ) أي يحدد<sup>٢</sup> إلقاؤه  
من لا يوحى بحق ' إلا هو ' ( الى ) على سبيل التدرج سرا، لا يطلع  
عليه حق اطلاعه غيري، ومنه ما أخبر فيه عن المغيبات فيكون  
كما قلت، فلا يرتاب / في أني لا أقدر على ذلك بنفسى فعلم<sup>٢</sup> أنه من الله .

٧٨٠ /

ولما نسبوه إلى الإقراء تارة<sup>٢</sup> والجنون أخرى، وكان السبب  
١٥ الأعظم في نسبتهم له<sup>٢</sup> إلى ذلك<sup>٢</sup> صدعهم بما يسوهم على غير عادته  
الساقطة وعادة أمثاله، قال على سبيل القصر القلبي: ( وما أنا ) أي

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من م ومد، وفي  
الأصل وظ: يتجدد (٤-٤) ف م ومد: سواء (٥) من ظ وم ومد، وفي  
الأصل فلم (٦) زيد في الأصل: الى، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد  
لخذناها (٧-٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: في ذلك .

باخبارى' لكم عما يوحى إلى (الانذار) أى لكم ولكل من بلغه القرآن (مبينه) أى ظاهراً أنى كذلك فى نفسه مظهر له - أى كوفى نذيراً - وجميع' الجزئيات التى أنذر منها بالأدلة القطعية .

ولما أثبت أنه من عند الله بشهادة الله نفسه بجزم عن المعارضة، قبح عليهم إصرارهم على التكذيب على تقدير شهادة أحد من يثقون ه . بهم يسألونهم عنه من أهل الكتاب فقال تعالى : ( قل اريدتم ) أى اخبروني ° وابتوا لى وأقيموا ولو ببعض حجة أو برهان ° ( ان كان ) أى هذا الذى يوحى إلى وآتيكم به وأنذركم وأعلمكم أنه من الله فانه ( من عند الله ) أى الملك الأعظم .

ولما كان مقصود السورة إنذار الكافرين الذين لا ينظرون فى علم ، ١٠ . بل شأنهم تغطية المعارف والعلوم، عطف بالواو الدالة على مطلق الجمع الشامل لمقارنة الأمرين المجموعين من غير مهلة<sup>١</sup> فبدل على الإسراع فى الكفر من غير تأمل [قال - ٧] : ( وكفرتم به ) أى على هذا التقدير ( وشهد شاهد ) أى واحد وأكثر ( من بنى إسرائيل ) الذين جرت عادتهم أن تستفتوهم وتنقوا بهم ( على مثله ) أى مثل ما فى القرآن ١٥

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : باخباركم (٢) زيد فى الأصل و ظ : فى ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فخذناها (٣) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : جميع (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : يثبتون ( ه - ه ) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد (٦) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : مهلة (٧) زيد من ظ و م ومد .

من أن من وحد فقد آمن، ومن أشرك فقد كفر، وأن الله أنزل ذلك في التوراة والإنجيل وجميع أسفارهم، فطابقت عليه كتبهم، وتطافت به رسالهم، وتواترت على الدعاء [إليه - ١] والأمر به أنيأوهم عليهم الصلاة والسلام، ثم سبب عن شهادته وعقب وفصل ٥ فقال: ﴿فأمن﴾ أي هذا الذي شهد هذه الشهادة بهذا القرآن عند ما رآه، مصدقا لما ذكر و علم أنه الكتاب الذي بشرت به كتبهم. فاهتدى إلى وضع الشيء في محله فوضعه ولم يستكر.

ولما كان الحامل [لهم - ١] بعد هذه الأدلة على التماهى على الكفر إنما هو الشبهة والافتقار قال: ﴿واستكفرتم﴾ أي أوجدتم الكبر بالإعراض عنه طالبين بذلك الرئاسة والفخر والنفاسة، فكنتم بعد شهادة هذا الشاهد معاندين من غير شبهة أصلا فضلتكم [فكفرتم - ١] فوضعتم الشيء في غير موضعه فأنسد عليكم باب الهداية.

ولما كانوا يدعون أنهم أهدى الناس وأعد لهم، وكان من رد شهادة الخالق والخلق ظلما شديدا الظلم، فكان ضالا على علم، قال الله ١٥ تعالى 'مستأفا دالا' على أن تقدير الجواب: أقلم تكونوا بتخلفكم عن الإيمان بمد العلم قد ظلمتم ظلما عظيما بوضع الكفران موضع الإيمان، فتكونوا ضالين تاركين للطريق الموصل على عمد ﴿ان الله﴾ أي الملك

(١) زيد من م ومد (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: را (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: محله (٤-٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: دالا مستأفا.

٧٨١/

الاعظم / ذا العزة والحكمة ( لا يهدى القوم ) أى الذين لهم قدرة على  
القيام بما يريدون محاولته ( الظلمين ) أى الذين من شأنهم وضع  
الأمور فى غير مواضعها ، فلا تـُـجـل ذلك لا يهديكم لأنه لا أحد أرسخ  
منكم فى الظلم الذى تسبب عنه ضلالكم ، أما من كان منكم عالماً فالأمر  
فيه واضح ، وأما من كان منكم جاهلاً فهو كالعمى لعدم تدبره مثل ٥  
هذه الأدلة التى ما بين العالم بلسان العرب وبين انكشافها له إلا تدبرها  
مع ترك الهوى ، وقال الحسن - كما نقله البغوى - الجواب : فمن أضل  
منكم كما قال فى " فصلت " " قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم  
به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد " فالآية من الاحتباك : ذكر الإيمان  
أولاً دليلاً على ضده ثانياً ، والاستكبار والظلم وعدم الهداية ثانياً ١٠  
دليلاً على أضدادها أولاً ، وسره أنه ذكر سبب السعادة ترغيباً وترهيباً .  
ولما دل على أن تركهم للإيمان إنما هو تعمد للظلم استكباراً ،  
عطف على قولهم " أنه سحر " ما دل على الاستكبار فقال تعالى :  
﴿ وقال الذين كفروا ﴾ أى تعمدوا تغطية الحق ﴿ للذين ﴾ أى لأجل  
إيمان الذين ﴿ آمنوا ﴾ إذ سبقوا إلى الإيمان : ﴿ لو كان ﴾ إيمانهم ١٥  
(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لأجل أنه (٢ - ٢) من م ، وفى الأصل  
و ظ : مثلكم ، وفى مد : منهم عالماً (٣) سقط من م و مد (٤) راجع معالم  
التنزيل بهامش باب التأويل ١٣٢/٦ (٥) زيد فى الأصل : بالباطل والتعاقل عنه  
كأنهم على الرشاد ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد مخدفتها (٦) من ظ  
و م و مد ، وفى الأصل : أى .

بالقرآن 'و بهذا الرسول' (خيرا) أى من جملة الخيور (ما يسبقونا إليه<sup>١</sup>)  
ونحن أشرف منهم وأكثر أموالا وأولادا وأعلم بتحصيل العز  
والسودد الذى هو مناط الخير فكان<sup>٢</sup> لم يسبقونا<sup>٣</sup> إلى شيء من هذه الخيرات  
التي نحن فائزون بها وهم صفر منها، لكنه ليس بخير، فلذلك سبقوا<sup>٤</sup>  
هـ إليه [ فكان - ° ] حالهم فيه حالهم فيما هو محسوس من أمورهم في  
المال والجاه .

ولما أخبر عما قالوا حين سبقهم غيرهم، أخبر عما يقولون عند  
تعدد الإعراض عنه فقال : ( واذا ) أى وحين ( لم يهتدوا به )  
يقولون عنادا 'وتكبرا وكفرا' : لو كان هدى لأبصرناه ' ولم يعلموا  
١٠ أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

ولما كان التقدير : فان قيل لهم : فما هو ؟ أجابه بقوله مسيحا عن  
هذا المقدر علما من أعلام النبوة : ( فيقولون ) بوعد لاخلف فيه  
لأن الناس أعداء ما جهلوا ولأنهم لم يحدوا على ما يدعونه من أنه  
لو كان خيرا لسبقوا غيرهم [ إليه - ° ] دليلا : ( هذا ) أى الذى سبقتم  
١٥ إليه ( أفك ) أى شيء مصروف عن وجهه إلى قفاه ( قديمه ) أفكه  
غيره وعثر<sup>٥</sup> هو عليه فأتى به ونسبه إلى الله .

ولما كان هذا الكلام ساقطا في نفسه لما قام من الأدلة الباهرة

(١-٢) سقط ما بين الرتين من ظ وم ومد (٢) من ظ وم، وفي الأصل ومد :  
كان (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ : لم يسبقوا (٤) من م ومد، وفي الأصل  
وظ : سبقوا (٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ : غير .

على صدق القرآن وكان الوقوف مع المحسوسات غالبا عليهم لعدم قنودم  
في المعقولات، دل على بطلانه<sup>٢</sup> لمواقفة القرآن لاعظم<sup>٣</sup> الكتب القديمة  
التوراة التي اشتهر أنها من عند الله وأن الآتي بها كلام وقد صدقه الله  
في الإتيان بها بما لم يأت به نبي قبله من المعجزات والآيات اليبينات  
/ وهم يستفتون أهلها، فقال على وجه التبكيت [لهم -<sup>٤</sup>] و التوييح: ٥ / ٧٨٢

(ومن) أى قالوا ذلك والحال أنه كان في بعض الزمن الذي من  
(قبله) أى القرآن العظيم<sup>٥</sup> الذي حرموا تدبر آياته وحل مشكلاته  
وأعجزهم فصاحته<sup>٦</sup> (كتب موسى<sup>٧</sup>) كلم الله وصفوته عليه الصلاة والسلام  
وهو التوراة التي كله الله<sup>٨</sup> بها تكلمها حال كون<sup>٩</sup> كتابه (اماما) أى  
يستحق أن يؤمه كل من سمع به في أصول الدين مطلقا وفي جميع ما  
فيه قبل تحريفه ونسخه وتبديله (ورحة<sup>١٠</sup>) لما فيه من نعمة  
الدلالة على الله والبيان الشافي ففهم<sup>١١</sup> طعنوا في هذا القرآن وهم لا يقدررون  
على الطعن في كتاب موسى الذي قد سلوا لآله أنهم أهل العلم وجعلوهم  
حكما يرضون بقولهم في هذا النبي الكريم، وكتابهم مصادق<sup>١٢</sup> لكتابهم<sup>١٣</sup>

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل و م؛ تعودهم (٢) من ظ و م و مد، وفي  
الأصل: بطلان قولهم (٣) من م و مد، وفي الأصل و ظ: الاعظم.  
(٤) زيد من م و مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد.  
(٦ - ٦) سقط ما بين الرقين من م و مد (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل:  
كونه (٨) من مد، وفي الأصل و ظ و م: فيهاهم - كذا (٩) من مد،  
وفي الأصل و ظ و م: يصادق (١٠) من ظ و م و مد، وفي  
الأصل: لكتابهم.

فقد صاروا بذلك مصدقين بما كذبوا به ، ولذلك قال الله تعالى :  
 ( وهذا ) أى القرآن 'المبين المبين' ( كُتِبَ ) أى جامع لجميع  
 الخيرات . ولما أريد تعميم التصديق بجميع الكتب الإلهية و الحقوق  
 الشرعية ، حذف المتعلق فقال : ( مصدق ' ) أى ' لكتاب موسى عليه  
 الصلاة والسلام وغيره من الكتب التى تصح نسبتها إلى الله تعالى  
 'فان جميع الكتب التى جاءت بها الرسل ناطقة بتوحيد الله وأن هذا  
 الكتاب لم يخرج عن هذا' فأى يصح فيما ' هذا شأنه أن يكون' إفكا ،  
 إنما الإفك ما كذب كتب الله التى أتت بها أنبيأؤه و توارثها أوليأؤه .  
 ولما كان الكتاب قد تقوم الأدلة على مصادقته لكتب الله ويكون

١٠ بغير لسان المكذب' به فيكون فى التكذيب أقل ملامة ، احترز عن ذلك  
 بقوله : ( لسانا ) أى أشير إلى هذا المصدق القريب منكم زمانا و مكانا  
 و فيها حال كونه ( عربيا ) فى أعلى طبقات اللسان العربى مع كونه  
 أسهل الكتب تناولا و أبعداها عن التكليف' ، ليس هو بحيث يمنعه علوه  
 بفخامة الالفاظ و جلالة المعانى و علو النظم و 'رصافة السبك' و وجازة

(١-١) سقط ما بين الرتتين من ظ و م و مد (٢) من القرآن وظ و م و مد ،  
 و فى الأصل : مصدقا (٣) زيد فى الأصل : هذا الكتاب ، و لم تكن الزيادة  
 فى ظ و م و مد فذئناها (٤) من م و مد ، و فى الأصل وظ : بما (٥) زيد فى  
 الأصل وظ : هذا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فذئناها (٦) من م و مد ،  
 و فى الأصل وظ : للكذب (٧) من م و مد ، و فى الأصل وظ : أبعد .  
 (٨) من مد ، و فى الأصل وظ و م : التكليف (٩-٩) من ظ و م و مد ،  
 و فى الأصل : رصافة السيف - كذا .



العبارة، وظهور المعاني ودقة الإشارة مع سهولة الفهم وقرب المتناول بعد بعد المغزى .

ولما دل على أن الكتاب حق، بين ثمرته فقال : ( لينذر ) أى أشير إلى هذا الكتاب [ فى هذا الحال لينذر الكتاب - ' ] بحسن يانه وعظيم شأنه ( الذين ظلوا قسمة ) سواء كانوا عريقين فى الظلم أم لا ، فأما العريقون فهو لهم نذرى كاملة ، فانهم لا يهتدون كما تقدم ، وأما غيرهم فيهدى بنذارته ويسعد بعبارته وإشارته ، وليبشر الذين أحسنوا فى وقت ما ( و ) هو ( بشرى ) كاملة ( للمحسنين ) لا نذارة لهم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فالآية من الاحتباك : أثبت أولا " ينذر " [ و - ' ] الذين ظلوا " دلالة على حذف [ نحوه ثانيا ، " وبشرى " و " للمحسنين " ثانيا ١٠ دلالة على - ' ] " نذرى " " وللظالمين " أولا .

ولما بين حالة المحسنين شرح أمرهم فقال مستأنفا فى جواب من سأل عنهم وعن بشرام : ( ان الذين قالوا ربنا ) أى خالقنا ومولانا والمحسن إلينا ( الله ) سبحانه وتعالى لا غيره / و لما كانت الاستفامة - وهى

٧٨٣ /

الثبات على كل ما يرضى [ الله - ' ] مع ترتبها على التوحيد - عزيزة ١٥ المال<sup>١</sup> على الرتبة ، وكانت فى الغالب لا تنال إلا بعد منازلات طويلة ومجاهدات شديدة ، أشار إلى كل من بعدها وعلو رتبته بأداة التراخى فقال : ( ثم ) أى [ بعد - ' ] قولهم ذلك الذى وحدوا به ( استقاموا )

( ١ ) زيد من م ومد ( ٢ ) زيد فى الأصل : أى بشرى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها ( ٣ ) من م ومد ، وفى الأصل وظ : المثال ( ٤ ) زيد ولا بد منه .

أى [طلبوا - ١] القوم طلبا عظيما وأوجدوه .

ولما كان الوصف لرؤس المؤمنين ، عد أعمالهم أسبابا فأخير عنهم بقوله : ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ أى يعلمون بغلبة الضرر ، ولعله [يعبر - ١] فى [مثل - ٢] هذا بالاسم إشارة إلى أن هيئته بالنظر إلى جلاله وقهره ٥ وجبروته وكبره وكماله لا تنتفى ، ويحصل للانسان باستحضارها إخبات ٢ وطمأنينة ووقار وسكينة يزيده فى نفسه جلالاته ورفعة وكماله ، فالنقى خوف يخلق النفس ﴿ ولا هم ﴾ فى ضمايرهم ولا فى ظواهرهم ﴿ يحزنون ٣ ﴾ أى يتجدد لهم شيء من حزن أصلا .

ولما نفى عنهم المحذور ، مدمم بإيثار السرور ، فقال تعالى : ﴿ أولئك ﴾ ١٠ أى العالو الدرجات ﴿ اصحاب الجنة ﴾ ولما دلت الصحة على الملازمة ، صرح بها بقوله تعالى : ﴿ تخلصون فيها ٤ ﴾ خلودا لا آخر [له - ١] ، جوزوا بذلك ﴿ جزاء ﴾ ولما كانوا محسنين فكانت أعمالهم فى غاية الخلوص جعلها تعالى أسبابا أولا وثانيا ، فقال مشيرا إلى دوامها لأنها فى جبلاتهم ﴿ بما كانوا ﴾ أى طبعيا وخلقيا ﴿ يعملون ٥ ﴾ على سبيل ١٥ التجديد المستمر .

ولما تفضل سبحانه وتعالى على الإنسان بعد الأعمال التى هياها لها وأقدره عليها ووفقه لها أسبابا قرن بالوصية بطاعته - لكونه المبدع - الوصية بالوالدين لكونه تعالى جعله سبب الإيجاد ، فقال فى هذا السياق

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من م ومد ، وف  
الأصل وظ : احساها (٤) من م ومد ، وف الأصل وظ : وكانت .

الذى 'عد فيه' الأعمال [لكونه -'] سياق الإحسان التى أفضلها 'الصلاة على ميقاتها، وثانيها فى الرتبة بر الوالدين كما فى الصحيح'، وفى الترمذى: 'رضى الله' فى رضى الوالدين و'خطه' فى مخطيها'. وعلى هذا المتوال جرت عادة القرآن بوصى بطاعة الوالدين بعد الأمر بعبادته "وإذا أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا" [ويعبدوا ه الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا] -' وكذا ما بعدهما 'عاطفا على ما قدرته أول السورة من [نحو -'] أن يقال: وأمرنا الناس أجمعين أن يكونوا بطاعتنا فى مهلة الأجل عاملين ولمنعيتنا مجتنبين: (ووصينا الانسان) أى هذا النوع الذى أنس بنفسه (بوالديه) ولما استوفى "وصى" مفعوليه" كان التقدير: ليأتى إليهما حسنا، وقرأ ١٠ الكوفيون: (احسانا) وهو أوفق للسياق.

ولما كان حق الأب ظاهرا لما له من الكسب والإنفاق والذب والتأديب لم يذكره، وذكر ما للام لان أمده يسير، فربما استهين به فقال مستأنفا أو "معلا: (حملته امه) أى بعد أن وضعه أبوه

- (١ - ١) من م ومد، وفى الأصل وظ: فيه عد (٢) زيد من ظ وم ومد.  
(٣) راجع أبواب مواقيت الصلاة (٤) راجع أبواب البر (٥) زيد فى الأصل وظ وم: عنه، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٦) زيد فى الأصل وظ: فى، ولم تكن الزيادة فى م ومد لحذفها (٧ - ٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: وفى مخطيها.  
(٨ - ٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: اخذنا (٩) زيد من م ومد.  
(١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل: بعد هذا (١١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: مفعوليه (١٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل "و".

بمشاركتهما في أحشائهما. حملا (كرها) بثقل الحمل وأمراضه وأوصابه  
 وأعراضه (ووضعه) أى بعد تمام / مدة حمله (كرها) فدل  
 هذا - مع دلالة على وجوب حق الأم - على أن الأمر في تكوينه لله  
 وحده، وذكر أوسط ما للام من مدة التعب بذكر أقل مدة الحمل  
 هـ وأنهى مدة الرضاع لانضباطها فقال تعالى: (وحمله وفصله) أى  
 [و-] مدة حمله وغاية فطامه<sup>٢</sup> من الرضاع، وعبر بالفصل لإرادة  
 النهاية لأن الفطام قد يكون قبل النهاية لغرض ثم تظهر الحاجة فتعاد  
 الرضاعة (ثلاثون شهرا) فانصرف الفصل إلى الكامل الذى تقدم فى -  
 البقرة فعرف أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وبه قال الأطباء، وربما  
 ١٠. 'أشهر بأن' أقل مدة الرضاع سنة وتسعة أشهر لأن أغلب الحمل  
 تسعة أشهر .

ولما كان ما بعد ذلك تارة يشترك<sup>٣</sup> فى مؤنثه<sup>٤</sup> الأيوان وتارة  
 يتفرد أحدهما، طوى ذكرهما، وذكر حرف الغاية مقسما للموصى<sup>٥</sup> إلى  
 قسمين: مطيع وعاصى، ذاكرا ما لكل من الجزاء بشارة ونذارة،  
 ١٥ إرشادا إلى أن المعنى: واستمر كَلَّا على أبويه أو أحدهما  
 (حتى إذا بلغ أشده) قال فى القاموس: قوته، وهو ما بين ثمانى

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: بدل (٢) زيد من مد (٣) من م ومد،  
 وفى الأصل وظ: فصالة (٤-٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: اسعران .  
 (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يستندل (٦) من مد، وفى الأصل  
 وظ وم: مؤنة (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: موص .

عشرة سنة إلى ثلاثين ، واحد جاء على بناء الجمع كآئك ولا نظير لها ،  
أو جمع لا واحد له من لفظه ، أو واحد شدة بالكسر مع [أن-']  
فعلة لا تجمع على أفعل ، أو شد ككلب و أكلب أو شد ككذب و أذوب ،  
و ما هما<sup>٢</sup> بمسوعين بل قياس - انتهى<sup>١</sup> . وقد مضى في سورة يوسف  
ما ينفع هنا جدا<sup>٣</sup> ، وروى الطبراني<sup>٤</sup> في ترجمة [ابن-']<sup>٥</sup> أحمد بن ليد ه  
البيروني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الأشد ثلاث و ثلاثون  
سنة ،<sup>٦</sup> وهو الذي<sup>٧</sup> رفع عليه<sup>٨</sup> عيسى بن مريم - قال<sup>٩</sup> الهيثمي : وفيه صدقة  
ابن يزيد وثقه أبو زرعة و أبو حاتم و ضعفه أحمد و جماعة و بقية رجاله  
ثقات : قال الزمخشري<sup>١٠</sup> : وهو أول الأشد و غايته الأربعون . و لما كانت  
أيام الضى و الشباب و إن كانت صفوة عمر الإنسان و أوقات لذاته<sup>١١</sup> ١٠  
و مجتمع شمله و راحاته فيها يظهر له سر عمره في الغالب لغلبة الانقاس  
الحديثة عليه البهيمية و السبعة لما يحملانه<sup>١٢</sup> عليه من تناجح الشهوات و نوازع  
(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : على (٣) من ظ و م  
و مد ، وفي الأصل : هم (٤) زيد في الأصل : و بلغ أربعين سنة ، ولم تكن  
الزيادة في ظ و م و مد فحذفنا (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : جيد .  
(٦) راجع لقول ابن عباس بمجم الزوائد ٧ / ١٠٦ (٧) زيد من ظ و م و مد .  
(٨-٩) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : هي التي (٩) من م و مد ، وفي الأصل  
و ظ : عليها (١٠) زيد في الأصل : الحافظ ابن حجر ، ولم تكن الزيادة في ظ  
و م و مد فحذفنا (١١) في الكشف (١٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل و م :  
لذاته (١٣) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : يحملان .

الغضب و البطالات ، عبر بما يدل على القحط و الشوم و الضيق تنبيها  
على ذلك ، فقال شارحا للاستواء و معبرا عنه : ﴿ و بلغ اربعين سنة لا ﴾ [ ١ -  
فاجتمع أشده ' و تم حزمه ' و جده . و زالت عنه شرة ' الشباب و طيش  
الصبا و رعونة الجهل ، و لذلك كان هذا السن وقت بعثة الأنبياء . و هو  
يشعر بأن أوقات الصبي أخف ؛ في المواخذه ' مما بعدها و كذا ما بين  
أول الأشدة ' و الأربعين ﴿ قال ﴾ إن كان محسنا قابلا لوصية ربه :  
﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلى بالإيجاد و تيسير ' الأيوين و غيرها  
و تسخيرها ﴿ اوزعنى ﴾ أى اجعلنى أطيع ﴿ ان اشكر نعمتك ﴾ أى  
وازعا للشكر ' أى كافا مرتبطا حتى لا يغلبنى فى وقت من الاوقات ،  
١٠ و ذلك الشكر بالوحيد فى العبادة كما أنه يوحد بنعمة الإيجاد و التزويق ،  
و وحدها تعظيما للأمر بالإشارة إلى / أن النعمة الواحدة لا يبلغ شكرها  
إلا بمعوة الله مع أن ذكر الأيوين يعرف أن المراد بها الجنس .

/ ٧٨٥

ولما كان ربما ظن ظان ' أن المراد بنعمته قدرته على الإنعام ليكون  
المنى : أن أشكر لك لكونك قادرا على الإنعام ، قال : ﴿ التى أنعمت على ﴾  
(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) من م و مد ، وفى الأصل : بلغ حرمه ، وفى  
ظ : بلغ حزمه (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : شدة (٤) من ظ و م  
و مد ، وفى الأصل : اخذ (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الموجدة .  
(٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الاشداد (٧) من مد ، وفى الأصل  
و ظ و م : تيسر (٨) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : الكر (٩) سقط  
من ظ و م و مد (١٠) زيد فى الأصل و ظ : تعالى ، و لم تكن الزيادة فى م  
و مد فحذفناها .

أى بالفعل لوجوب ذلك على لخصوصه بـ ﴿ و على والدى ﴾ ولو  
عطلق الإيجاد والعافية فى الدن ، لأن النعمة عليها نعمة على ، وقد  
مضى فى النمل ما يتعين استحضاره هنا .

ولما كان المقصود الأعظم من النعمة الماضية نعمة الإيجاد المراد  
من شكرها التوحيد ، أتبعها [ تمام - ١ ] الشكر فقال : ﴿ وان اعمل ﴾ .  
[ أى - ٢ ] أنا فى خاصة نفسى [ ( صالحا ) - ١ ] . ولما كان الصالح  
فى نفسه قد لا يقع الموقع لعدم الإذن فيه قال : ﴿ ترضه ﴾ والتشكير  
إشارة إلى العجز عن بلوغ الغاية فانه لن ' يقدر الله حق قدره أحد .  
ولما دعا ' لنفسه بعد أن أوصى برعاية حق آيه ، لقنه ' سبحانه  
الدعاء لمن يتفرع منه ' ، حثا على رعاية حقوقهم لئلا يسلطهم على عقوقه ١٠  
فقال : ﴿ واصلح ﴾ أى أوقع الإصلاح ، وقال : ﴿ لى فى ذرىتى ﴾  
لأن صلاحهم يلحقه قعه ، والمراد بقصر الفعل وجعلهم ظرفا له أن  
يكون ثابتا راسخا ساريا فيهم وهم محيطون به فيكونوا صالحين .

ولما استحضر عند كمال العقل فى الأربعين أن ما مضى من العمر  
كان أغلبه ضائعا فدعا ، وكان من شرط قبول الدعاء التوبة ، علله بقوله : ١٥  
﴿ انى تبت ﴾ أى رجعت ﴿ اليك ﴾ أى عن كل ما يقدر فى الإقبال

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ، وفى الأصل  
ومد : الشكر (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لأن (٥) من م ومد ،  
وفى الأصل وظ : ادعى (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لفت .  
(٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : من هذا المواد بعد ذلك فقال تعالى .

عليك ، و أكدّه إعلاماً بأن حاله في الإقبال على الشهوات حال من يبعد  
 عنه الإقلاع فينكره إخباره به ، وكذا قوله : ﴿ واني من المسلمين ﴾  
 أي الذين أسلموا ظواهرهم وبواطنهم لك ، فانقادوا أتم انقياداً واحسنه .  
 ولما وصف هذا المؤمن بادئاً به لكونه في سياق الإحسان ، وكان  
 المراد بالإسناد الجنس ، قال مادحاً له بصيغة الجمع منها على أن قبول  
 الطاعات مشروط ببر الوالدين لأن ما ظهر دليل ما بطن ، ومن لا يشكر  
 من كان من جنسه لاسيما وهو اقرب الناس إليه لاسيما وهو السبب في  
 إيجاده لم يشكر الله كما في الحديث " لا يشكر الله من لا يشكر الناس "  
 ومن صلح ما بينه وبين [ الله صلح ما بينه وبين - ] الناس عامة  
 ١٠ لاسيما الأقارب نسباً أو مكاناً لاسيما الوالدين : ﴿ اولئك ﴾ أي العالو  
 الرتبة ﴿ الذين يتقبل ﴾ بأسهل وجهه ﴿ عنهم ﴾ وأشار سبحانه بصيغة  
 التفعّل إلى أنه يعمل في قبوله عمل المعنى ، و قرأ حمزة والكسائي  
 وحفص بالتون فيه وفي الذي بعده ، ويدل على ذلك قوله تعالى :  
 ( ١ - ١ ) من م ومد ، وفي الأصل : عنه الاقبال فينكره ، وفي ظ : عنه  
 الاقلاع فينكره ( ٢ ) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : لكم ( ٣ - ٢ ) - قط ما  
 بين الرقيين من ظ وم ومد ( ٤ ) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : بين .  
 ( ٥ ) زيد بعده في الأصل : الاقارب نسباً لا مكاناً لاسيما الوالدين اوليك ،  
 ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لخلفائها ( ٦ ) في ظ : لم ( ٧ ) زيد من ظ  
 ومد ( ٨ ) زيد في الأصل : كان واحسنه ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد  
 لخلفائها ( ٩ ) في مد : قراءة ( ١٠ ) راجع في المرجان ٦ / ٥٤٤ .



(أحسن) ويجوز أن يراد به مطلق 'الدعاء أو الطاعات' ويكون ما دون / الأحسن مقبولا مقبولا مطلقا على مقدار النية فيه، وتكون 'التعديّة' بعن<sup>٢</sup> إشارة إلى أن جلاتهم مبنية على الترقى<sup>٣</sup> في معارج<sup>٤</sup> الكمال في كل وقت إلى غير نهاية، فتكون<sup>٥</sup> هذه المحاسن ليست [منهم -<sup>٦</sup>] بمعنى أنهم مجبولون على أعلى منها في نهاياتهم والعبرة بالنهايات<sup>٧</sup> ولذلك<sup>٨</sup> قال تعالى: (ما عملوا) هـ ولم يقل: أعمالهم. ولما كان الإنسان محل النقصان وإن كان محسنا، نبه على ذلك وعسى أن شرط تكفير السيئات التوبة بقوله تعالى: (ويتجاوز) أى بوعده مقبول لا بد من كونه، وهو معنى قراءة حمزة والكسائي بالنون في الفعلين (عن سيئاتهم) أى فلا يعاقبهم عليها.

ولما كان هذا مفهما لأنهم من أهل الجنة، صرح<sup>٩</sup> به زيادة في ١٠ مدحهم بقوله: (فى اصحب الجنة) أى أنه فعل بهم ذلك وهم في عدادهم لأنهم لم يزالوا فيهم<sup>١٠</sup> لأنهم ما برحوا<sup>١١</sup> بعين الرضا. ولما كان هذا وعدا، أكد مضمونه بقوله: (وعد الصدق) لكونه مطابقا

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد (٢-٢) من مد، وفي الأصل وظ و م: المبدئية يعنى (٣) من م و مد، وفي الأصل وظ: الترافى. (٤) من م و مد، وفي الأصل وظ: درجات (٥) من م و مد، وفي الأصل وظ: مكون (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بالشهائيات (٨) من م و مد، وفي الأصل وظ: كذلك. (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: نفع (١٠) من م و مد، وفي الأصل وظ: فيها (١١) من م و مد، وفي الأصل وظ: رحوا.

للاواقع (الذى كانوا) 'يكون ثابت' جدا (يوعدون ه) أى يقطع لهم الوعد به فى الدنيا بمن لا أصدق منهم ، و هم الرسل عليهم الصلاة والسلام .

و لما ذكر سبحانه هذا المحسن بادئنا به ليكون المقام للاحسان ، أتبعه  
ه المسئى المناسب لمقصود السورة المذكورة صريحا فى مطلعها فقال تعالى :

(والذى قال لوالديه) 'مع اجتماعهما كافرا لنعمهما' نابذا لوصيتاهما فكان كافرا بنعمة أعظم منعم محسوس بعد الكفر بنعمة أعظم منعم مطلقا ، و التثنية مشيرة إلى أنه أغلظ الناس كيدا ، لأن العادة جرت بقبول الإنسان كلام أصله و لو كان واحدا ، و أن الاجتماع مطلقا له تأثير فكيف إذا كان والدا : (اف) أى تضجر و تقذر و استرذال و تكره<sup>٢</sup> منى و لغاتها<sup>٣</sup> أربعون - حكاهما فى القاموس ، المتواتر منها عن القراء ثلاث<sup>٤</sup> : الكسر بغير تنوين و هو قراءة الجمهور ، و المراد به أن المعنى الذى قصده مقترن بسفول ثابت<sup>٥</sup> ، و مع التنوين و هو قراءة

- (١ - ١) من مد ، وفى الأصل و ظ : أى يكون ثابتا ، وفى م : يكون ثابتا .
- (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : المذكورة (٣) زيد فى الأصل و ظ :
- أى ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : منعهما (ه) زيد فى الأصل و ظ : قل ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : كان ، ولم تكن الزيادة ظ و م و مد فحذفناها .
- (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : يكره (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : نعاتها (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : ثلاثة (١٠) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : دائم ثابت .

المدنيين وحفص<sup>١</sup> والمراد به أنه سفول عظيم سائر مع الدهر بالغلبة والقهر، والفتح من غير تنوين وهو قراءة ابن كثير، ابن عامر ويعقوب، والمراد به اقتران المعنى المقصود 'بالاشتغال بالعلو والانتشار' مع الدوام، وقد تقدم في الإسراء عن الحرالي - وهو الحق - أن "التأيف أنهى" الأذى وأشده، فإن معناه 'أن اتوقف به لاخطر له' ولا وزن أصلا، ولا يصلح لشيء بل [هو - °] عدم بل العدم خير منه مع أنهى القدر<sup>٢</sup>.

ولما كان كأنه قيل: لمن هذا التأيف؟ قال: (لكمآ) ولما كانا<sup>٣</sup> كأنهما قالوا له: لم هذا التقدير<sup>٤</sup> العظيم بعد الإحسان الذي لا تقدر

على 'جزأتا به'، قال مبكنا موبخا منكرا على تقدير لونه وعدا: ١٠

(اتعدنن) أى على سبيل الاستمرار بالتجديد / فى كل وقت ٧٨٧ /  
(ان اخرج) [أى - ١٠] من مخرج ما يخرجنى من الارض  
بعد أن غبت فيها وصرت ترابا يحبى كما كنت أول مرة (وقد)  
أى والحال أنه قد (خلت) أى "تقدمت و سبقت" ومضت على

- (١) راجع نثر المرجان ٥٤٦/٦ (٢-٣) من مد، وفى الأصل وظ: بالاشتغال
- والعلو وانتشار، وفى م: بالاشتغال والعلو الانتشار (٣-٣) من م ومد،
- وفى الأصل وظ: التأيف أنهى (٤) من م ومد، وفى الأصل: المعنى.
- (٥) زيد من مد (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: العذر (٧) من مد،
- وفى الأصل وظ وم: كان (٨) من م ومد، وفى الأصل وظ: التعذر.
- (٩-١٠) من م ومد، وفى الأصل: جزاء مثاله (١٠) زيد من م ومد.
- (١١-١١) سقط ما بين الرقین من م ومد.

سنن الموت ﴿ القرون ﴾ أى الأجيال الكثيرة من صلابتهم ، و أثبت  
الجار لأن القرن لا ينخرم إلا بعد مدة طويلة ، فالانحرام فى ذلك غير  
مستغرق للزمان فقال : ﴿ من قبل ع ﴾ أى قرنا بعد قرن و أمة بعد أمة  
و تطاولت الأزمان و أغلبهم يكذب بهذا الحديث فأنا مع الاغلب ،  
ه و تأيد ذلك بأنه لم يرجع أحد منهم ﴿ وهما ﴾ أى و الحال أنهما كلما قال  
لها ذلك ﴿ يستغيثن الله ﴾ أى يطلبان بدعائهما من له جميع الكمال  
أن يعينهما " بالهامه قبول " كلامهما ، قائلين لولدهما مجتهدين بالنصيحة له  
بعد الاجتهاد بالدعاء : ﴿ ويلك ﴾ كما يقوله المشفق إذا زاد به الكرب  
و بلغ منه الغم ، إشارة إلى أنه لم يبق [ له - ] إن أعرض إلا الويل  
١٠ و هو الهلاك ﴿ امن قلم ﴾ أى أوقع الإيمان الذى لا إيمان غيره ، و هو  
الذى ينقذ من كل هلكة ، و يوجب كل فوز بالتصديق بالبعث و بكل  
ما جاء عن الله ، ثم عللا : أمرهما على هذا الوجه مؤكدين فى مقابلة  
إنكاره فقالا : ﴿ ان وعد الله ﴾ أى الملك الاعظم المحيط بجميع  
صفات المهابة و الكمال الموصوف بالعزة و الحكمة ﴿ حق قلم ﴾ أى ثابت  
١٥ أعظم ثبات لأنه لو لم يكن حقا لكان نقصا من جهة الإخلاف الذى  
لا يرضاه لنفسه أقل<sup>١</sup> العرب فكيف وهو يلزم منه منافاة<sup>٢</sup> الحكمة بكون

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قيل (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، وفى  
الأصل : بالفهامه (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل و م :  
عل (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : فقال (٦) سقط من م و مد .  
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٨) من م و مد ، وفى الأصل  
و ظ : اقرب (٩) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : مناف .

الخلق حيثند على وجه البعث<sup>١</sup> لانهم عباد ورعايا لايعرضون على ملكهم الذى ابدعهم مع علمه بما هم عليه من ظلم بعضهم لبعض وبنى بعضهم على بعض ( فيقول ) مسيبا عن قولها و مقبالة : ( ما هذا ) أى الذى ذكرناه لى من<sup>٢</sup> البعث ( الآ اساطير الاولين ) أى خرافات [ كتبها - ° ] على وجه الكذب الاوائل<sup>١</sup> و تناقلها منهم الاعمار<sup>٥</sup> هـ جيلا بعد جيل فصارت<sup>٢</sup> بحيث يظن الضعفاء أنها صحيحة - هذا والعجب كل العجب أنه بتصديقه لايلزمه فساد على تقدير من التقادير الممكنة ، بل يحمله التصديق على محاسن الأعمال و معالى<sup>٤</sup> الاخلاق التى هو مقر بأنها<sup>٩</sup> محاسن من لزوم طريق الخير و ترك طريق الشر ، و تكذيبه يجره إلى المرح و الاشر ، و البطر و أفعال الشر ، و دنايا الاخلاق مع احتمال ١٠ الهلاك الذى يخوفاته به و هو لاينفى أنه محتمل<sup>١١</sup> و إن استبعده فما دعوه<sup>١٢</sup> إليه كما ترى<sup>١٣</sup> لا ياباه عاقل و لكنها<sup>١٤</sup> عقول كادها باريها .

- (١) فى الأصل و ظ و م : العتب ، وفى مد : العيب - كذا (٢) زيد فى الأصل : أى قوله هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣-٣) فى ظ و م و مد : تذكرا نه (٤) زيد فى الأصل : ما هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد من م و مد (٦-٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : تناقلها من الأخبار (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : نصار (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : معانى (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بالها . (١٠) زيد فى الأصل : التى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (١١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : دعوه (١٢) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : يرى (١٣) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : لكنهم .

/ ٧٨٨

ولما كان هذا الكلام، مع بلوغ النهاية في حسن الانتظام، قد  
 حصر الإنسان في هذين القسمين مثلاً بليغاً لكفار العرب و مؤمنهم،  
 / فالأول للمؤمنين التابعين لمة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، الآتي بها  
 أعظم أنبيائه الكرام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. و الثاني للكفار  
 ٥ المنابذين لأعظم آبائهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي يعرفون منه  
 نقلاً يتوارثونه من آبائهم، و قرأنا معجزاً كأنهم سمعوه من خالقهم  
 أنه موحد لله مقرر بالبعث محذر من غوائله، و كان قد ابتدأ سبحانه الحديث  
 عنهم بما ذكر مما كفروا فيه المنعمين و استحقوا كلنا السوءتين، خزي  
 الدنيا و عذاب الآخرة، أخبر عنهم بما أتيجه تكذيبهم بموعود ربهم  
 ١٠ و عقوبتهم لوالديهم حقيقة أو تعليماً بقوله: ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء.  
 [ من - ٣ ] العقل و المروءة و كل خير\* ﴿ الذين حق ﴾ أى ثبت  
 و وجب . و لما كان هذا وعيداً، دل عليه بأداة الاستعلاء فقال:  
 ﴿ عليهم القول ﴾ أى الكامل فى بابهم بأنهم أسفل السافلين<sup>١</sup>، و هذا  
 يكذب من قال: إنها نزلت فى عبد الرحمن بن [ أبى - ٢ ] بكر رضى الله  
 ١٥ عنهما، فانه أسلم و صار من أكابر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين،  
 فحققت له الجنة .

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: يوفونه (٢) فى مد: بنقل (م) زيد من  
 م و مد (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها .  
 (٥) زيد فى الأصل و ظ: طردو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها .  
 (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل، لانهم (٧) من م و مد، و فى الأصل  
 و ظ: يسافلين .

ولما أثبت<sup>١</sup> لهم هذه الشنعة ، عرف بكثرة من شاركهم فيها  
 قتل : ( في ) أى كائين في ( امم ) أى خلائق كانوا بحيث يقصدم  
 الناس و يتبع<sup>٢</sup> بعضهم بعضا<sup>٣</sup> ( قد خلت ) تلك الامم . ولما كان  
 المحكوم عليه بعض السالفين ، أدخل الجار فقال : ( من قبلهم ) فكانوا  
 قذوتهم ( من الجن ) بدأ بهم لان العرب تستعظمهم و تستجير بهم ، و  
 ذلك لانهم يتظاهرون لهم و يؤذونهم و لم يقطع<sup>٤</sup> اذامهم لهم و تسلطهم  
 عليهم<sup>٥</sup> ظاهرا و باطنا<sup>٦</sup> ، إلا القرآن ، فانه أحرقهم بأنواره و جلامه عن  
 تلك البلاد بجلى آثاره ( والانس )<sup>٧</sup> و ما نفعتهم<sup>٨</sup> كثرتهم و لا أغت  
 عنهم قوتهم ، ثم علل حقوق الامر<sup>٩</sup> عليهم<sup>١٠</sup> أو استأنف<sup>١١</sup> بقوله مؤكدا  
 تكذيبا لظن هذا القسم الذى الكلام فيه أن الصواب مع الأكثر : ١٠  
 ( انهم ) أى كلهم ( كانوا ) أى جيلة و طبعا و خلقا لا يقدرين على  
 الانتفاك عنه ( نحسينه ) أى عريقين فى هذا الوصف .

ولما قسمهم فى الاعمال ، جمعهم فى العدل و الإفضال فقال :  
 ( ولكل ) أى<sup>١</sup> من فريق السعداء و البعداء من القيلتين : الجن

( ١ ) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ثبت ( ٢ ) من ظ و م و مد ، وفى  
 الأصل : يتبعهم ( ٣ ) زيد فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد  
 لحذفها ( ٤ ) فى مد : لم يقع ( ٥ - ٥ ) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : باطنا  
 و ظاهرا ( ٦ - ٦ ) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : و انهم لم يتفعهم ( ٧ - ٧ ) من  
 ظ و م و مد ، وفى الأصل : فاستأنف ( ٨ ) زيد فى الأصل : الفريقين وهم ،  
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .

و الإنسان، في الدنيا والآخرة ﴿ درجت ﴾ أى دركات أى منازل  
و مراتب متفاضلين فيها ﴿ من ﴾ أجل ﴿ ما عملوا ﴾ أو من جوهره  
و نوعه من الأعمال الصالحة و الطالحة . و لما كان التقدير : ليظهر ظهورا  
بيننا أنه سبحانه فاعل بالاختيار بالمفاوطة<sup>١</sup> بين العقلاء<sup>٢</sup> و يظهر<sup>٣</sup> ظهورا  
ه بيننا<sup>٤</sup> لا وقفة فيه<sup>٥</sup> أن الحقائق على غير ما كان<sup>٦</sup> يترأى لهم في الدنيا،  
فان حجب المكاره و الشهوات كانت ترى الأمور على خلاف ما هي  
عليه، عطف عليه قوله في قراءة البصريين و عاصم و مشام عن ابن  
عامر<sup>٧</sup> بخلاف / عنه : ﴿ و لو فهم ﴾ أى ربهم الذى تقدم إقبال المحسن  
عليه<sup>٨</sup> و دعاؤه له ، و قراءة الباقيين بالنون أنسب لمطلع السورة و لما يشير  
١٠ إليه من كشف حجب<sup>٩</sup> الكبرياء في يوم الفصل .

و لما كان سبحانه يعلم مثاقيل الذر و ما دونها و ما فوقها و يحمل<sup>١٠</sup>  
الجزاء على حسبها في المقدار و الشبه و الجنس و النوع و الشخص حتى  
يكاد يظن العامل أن الجزاء هو العمل قال : ﴿ اعمالهم ﴾ أى جزاءها  
من خير و شر و جنة و نار - و هذا ظاهر ، أو نص في أن الجن يثابون  
١٥ بالإحسان كما يعاقبون بالعصيان ، و سورة الرحمن كلها خطاب للثقلين

(١) من م و مد . و فى الأصل و ظ : بالمعاوطة (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى  
الأصل و م : ليظهر (٣ - ٣) من م و مد . و فى الأصل و ظ : رمة (٤) من ظ  
و م و مد ، و فى الأصل : كا - كذا (٥) راجع ثمر المرجان ٦ / ٤٩ هـ (٦) من  
ظ و م و مد ، و فى الأصل : اله (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حجيّه .  
(٨) من م و مد . و فى الأصل و ظ : يعلم .



بالثواب لأهل الطاعة ، والعقاب لأهل المعصية من كل من القبيلتين ؛  
 كما سيأتى إن شاء الله تعالى يانه ، ويمجى مطيعهم بالثواب كما يجازى  
 عاصيهم بالعقاب - قاله مالك وابن أبى ليلى والضحاك وغيرهم كما  
 نقله البغوى ( و م ) أى والجال أنهم ( لا يظلمون ) أى لا يتجدد  
 لهم شىء من ظالم ما من ظلم فى جزاء أعمالهم بزيادة فى عقاب أو نقص ه  
 من ثواب ، بل الرحمانية كما كانت لهم فى الدنيا فهى لهم فى الآخرة  
 فلا يظلم ربك أحدا بأن يعذبه فوق ما يستحقه من العقاب ، أو ينقصه  
 عما يستأهل من الثواب .

ولما كان الظاهر فى هذه السورة الإنذار كما يشهد به مطلعها ،  
 قال ذاكر بعض ما يىكت به المجرمون يوم البعث الذى كانوا به يكذبون ١٠  
 ويكون فيه توفية جزاء الأعمال ، عاطفا على ما تقديره : اذكر لهم هذا  
 لعلمهم بأنقون أن يكونوا المسيئين فيكونوا من المحسنين : ( و يوم ) أى  
 و اذكر لهم يوم يعرضون - هكذا كان الأصل ولكنه أظهر الوصف  
 الذى أوجب لهم الجزاء إشارة إلى أن الامر كان ظاهرا لهم ولكنهم  
 سئروا ، أنوار عقولهم فقال : ( يعرض الذين كفروا ) أى من الفريقين ١٥  
 المذكورين ( على النار ) أى يصلون لها و يقبلون فيها كما يعرض اللحم  
 الذى يشوى ، مقولا لهم على سبل التدبير والتفريع والتوبيخ والتشنيع  
 ( ١ ) لم نفر به فى العالم ( ٢ ) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : زيادة ( ٣ - ٢ ) من  
 ظ و م و مد ، وفى الأصل : فى الآخرة لهم ( ٤ ) من ظ و م و مد ، وفى  
 الأصل : يشكب ( ٥ ) من مد ، وفى الأصل و ظ و م . شوى .

لأنهم لم يذكر الله حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها مع مخالفة أمره سبحانه ونهيه : ﴿ اذهبتم ﴾ في قراءة نافع و أبي عمرو و الكوفيين<sup>١</sup> بالإخبار ، و قراءة الباقيين بالاستفهام لزيادة الإنكار و التوبيخ ﴿ طيبتكم ﴾ أى لذاتكم باتباعكم الشهوات ﴿ فى حياتكم ﴾ و نقر<sup>٢</sup> منها بقوله تعالى : ﴿ الدنيا ﴾ أى القرية الدنية المؤذن وصفها لمن يعقل بحياة أخرى بعدها ، فكان سعيكم فى حركاتكم و سكناتكم لأجلها حتى نلتموها ﴿ و استمتعتم ﴾ أى طلبتم و أوجدتم انتفاعكم<sup>٣</sup> ﴿ بها ﴾ و جعلتموها غاية حظكم فى رفعتكم و نعمتكم .

و لما كان ذلك استهانة بالأوامر و النواهي للاستهانة بيوم الجزاء ،

١٠ سبب عنه قوله تعالى : ﴿ فاليوم تجزون ﴾ أى على إعراضكم [عنا -<sup>٤</sup>]

بجزاء من لا تقدرون<sup>٥</sup> / التفصي<sup>٦</sup> من جزائه بأيسر أمر منه ﴿ عذاب الهون ﴾ / ٧٩٠

أى الهون<sup>٧</sup> العظيم المجتمع الشديد الذى فيه ذل و خزي ﴿ بما كنتم ﴾

جلة و طبعاً ﴿ تستكبرون ﴾ أى تطلبون<sup>٨</sup> الترفع و توجودونه<sup>٩</sup> على الاستمرار

﴿ فى الارض ﴾ التى هى لكونها تراباً و موضوعة على الزوال و الخراب ،

(١) راجع نثر المرجان ٦/ ٥٤٩ - ٥٥٠ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يقر .

(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اسفاؤكم (٤) زيد من م و مد (٥) زيد

بعده فى الأصل : اعراضكم بجزاء من لا تقدرون على ، و لم تكن الزيادة فى ظ

و م و مد لحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : البعض (٧) زيد فى

الأصل : الوان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٨ - ٨) من ظ

و م و مد ، و فى الأصل : الرفع و تجددونه .

أحق شيء بالتواضع والذل والهوان . ولما كان الاستكبار يكون  
 بالحق لكونه على الظالمين فيكون ممدوحا ، فیده بقوله : ( بغير الحق )  
 أى الأمر الذى يطابقه الواقع وهو أوامرها ونواهيها ، [ ودل - ١ ]  
 بأداة الكمال على أنه لا يعاقب على الاستكبار مع الشبهة ( وبما كنتم )  
 على الاستمرار ( تفسقون ) أى تمجددون الخروج عن محيط الطاعة ه  
 الذى تدعو إليه الفطرة الأولى والعقل ٢ إلى نوازع ٣ المعاصي .

ولما هددهم سبحانه بالأمور الآخروية ، وستر الأمر بالتذكير بها  
 لكونها مستورة وهم بها يكذبون فى قوله " ويوم " ، وختم بالعذاب  
 على الاستكبار المذموم والفسق ، عطف عليه تهديدهم بالأمور المحسوسة  
 لأنهم متقيدون بها مصرحا بالأمر بالذكر فقال تعالى : ( واذكر ) ١٠  
 أى لهؤلاء الذين لا يمتطون بمحط الحكمة الذى ٢ لا يخفى على [ ذى - ١ ]  
 لب ، وهو البعث . ولما كان أقدم ما يهددون به فى هذه السورة وأنسبه  
 لمقصودها عاد لكونهم أقوى الناس أبدانا وأعتام رقابا وأشدهم قلوبا  
 وأوسعهم ملكا وأعظمهم استكبارا بحيث ٣ كانوا يقولون " من أشد منا  
 قوة " وبنوا البيان الذى يفنى الدهر ولا يفنى ، فلا يعمله إلا من نسى ١٥  
 الموت أو ٤ رجا الخلود واصطنعوا ٥ جنة على وجه الأرض لأن ملكهم

(١) زيد من م ومد (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : على أنواع ، وفى م :  
 على نوازع (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : التى (٤) زيد من م ومد  
 ومد (٥) من مد ، وفى الأصل وظ وم : الشبه (٦) من م ومد ،  
 وفى الأصل وظ : حيث (٧) من مد ، وفى الأصل وظ وم «و» (٨) فى  
 مد : اصطفوا .

عما كلها مع قرب بلادهم لكونها في بلاد العرب من قریش و معرفتهم  
 بأخبارهم و رؤيتهم لديارهم و كون عذابهم نشأ من بلادهم بدعاء من  
 دعا منهم، ذكر أمرهم على وجه دل على مقصود السورة، و عبر بالآخرة  
 تسلية لئله صلى الله عليه و سلم لأن فظيعة القوم لمن هو منهم و يعلون  
 مناقبه و مفاخره أنكأ فقال: (أخا عاد) وهو أخو هود عليه الصلاة  
 و السلام الذي كان بين قوم لا يعشرهم قومك في قوة و لامتكنة،  
 و صدعهم مع ذلك بمر الحق و بادأهم بأمر الله، لم يخف عاقبتهم  
 و نجيته منهم، فهو لك قدوة و فيه أسوة، و لقومك في قصد إياك  
 بالأذى من أمره موعظة.

١٠ ولما ذكره عليه الصلاة و السلام لمثل هذه المقاصد الجليلة، أبدل  
 منه قصته زيادة في البيان، فقال مينا أن الإنذار هو المقصد الأعظم  
 من الرسالة: (اذ) أي حين (انذر قومه) أي الذين لهم قوة  
 زائدة على القيام فيما يحاولونه (بالاحقاف) قال الأصماني: قال  
 ابن عباس: واد بين عمان و مهرة، قال: و قال مقاتل: كانت منازل

/ ٧٩١

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: ينشأ (٢) من ظ و م و مد، و في  
 الأصل: بلادهم (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: أخا (٤) من ظ و م  
 و مد، و في الأصل: قومهم (٥) من مد، و في الأصل و ظ و م: صدعهم.  
 (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: غير (٧) من م و مد، و في الأصل  
 و ظ: قصة (٨) زبدت الواو في الأصل و ظ و لم تكن في م و مد لحذفها.  
 (٩) في الأصل ياض (١٠) راجع المعالم بهامش الباب ١٣٧/٦.

عاد باليمن في حضرموت بموضع<sup>١</sup> يقال له مهرة، إليه ينسب الإبل  
المهرية، وكانوا أهل عمد<sup>٢</sup> سيارة في الربيع، فإذا هاج العود رجفوا  
إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم<sup>٣</sup>. وقال قتادة: كانوا مشرفين على البحر  
بأرض يقال لها الشجر، والاحقاف جمع حقف بالكسر، وهو رمل  
مستطيل مرتفع فيه انحناء، وقال ابن زيد: هو ما استطال من الرمل  
كهية الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا، وقال في القاموس: وهو الرمل  
العظيم المستدير، وأصل الرمل، واحقوق الرمل والظهر واللال:  
طال واعوج. ومن الأمر الجلي أن هذه الهية لا تكون في بلاد الريح  
بها غالبية شديدة لأنه لو كان ذلك 'نسف الجبل' نسفا بخلاف بلاد الجبال  
كككة المشرفة، فإن الريح تكون بها غاية في الشدة لأنها إما أن تصك<sup>١٠</sup>  
الجبل فتعكس راجمة بقوة شديدة، أو يكون هناك جبال فتراد بينها<sup>١١</sup> أو  
تنضغط فتخرج مما تجد<sup>١٢</sup> من الفروج<sup>١٣</sup> على هيئة مزعجة<sup>١٤</sup> فينبغي أن يكون  
أهل الجبال أشد من ذلك حذرا<sup>١٥</sup>.

ولما ذكر النذير والمندرين ومكانهم لما ذكر من المقاصد، ذكر

(١) من م ومد والعالم، وفي الأصل وظ: في موضع (٢) من م ومد والعالم، وفي  
الأصل وظ: عهد (٣) من م ومد والعالم، وفي الأصل وظ: آدم (٤-٤) من  
مد، وفي الأصل: لسفته الريح، وفي ظ وم: نسفته للجبل (٥) من ظ وم  
ومد، وفي الأصل: منها (٦-٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: في  
العروج (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: مزعجة (٨) من م ومد،  
وفي الأصل وظ: حذرا.

أنهم أعرضوا عنه ولم يكن بدعا<sup>١</sup> من الرسل ولا كان قومه جاهلين بأحوالهم، فاستحقوا العذاب تحذيرا من مثل حالهم، فقال: ﴿وقد﴾  
 أى والحال أنه قد ﴿خلت﴾ أى مرت ومضت وماتت ﴿النذر﴾  
 أى الرسل الكثيرون الذين محط أمرهم الإنذار.

و لما لم يكن لإرسالهم بالفعل مستغفرا لجميع الأزمنة، أدخل الجار  
 ٥ فقال: ﴿من بين يديه﴾ أى قبله كنوح وشيث و آدم عليهم الصلاة  
 والسلام فما كان بدعا منهم ﴿ومن خلقة﴾ أى الذين أنوا [من-]٢  
 بعده فما كنت أنت بدعا منهم . ولما أشار إلى كثرة الرسل، ذكر  
 وحدتهم فى أصل الدعاء، فقال مفسرا للإنذار معبرا بالتهى :  
 ١٠ ﴿الاعتبدوا﴾ أى أيها العباد المندوبون، بوجه من الوجوه، شيئا  
 من الأشياء ﴿إلا الله﴾ الملك الذى لا ملك غيره ولا خالق سواه  
 ولا منعم إلا هو، فاقى أراكم تشركون به من لم يشركه فى شيء من  
 تدبيركم، والملك لا يقر على مثل هذا .

ولما أمرهم ونهاهم، علل ذلك فقال<sup>٣</sup> محذرا لهم من العذاب مؤكدا  
 ١٥ لا لهم من الإنكار لاعتمادهم على قوة أبدانهم و عظيم شأنهم :  
 ﴿انى أخاف عليكم﴾ لكونكم قومي وأعز الناس على ﴿عذاب يوم عظيم﴾  
 لا يدع جهة إلا ملأها عذابه، إن أصررتم على ما أنتم فيه من الشرك .

(١) زيد فى الأصل وظ : أعرضوا عنه ، ولم تكن الزيادة فى م ومد  
 لحذفها (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : منها ، ولم تكن الزيادة فى ظ  
 وم ومد لحذفها (٤) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم  
 ومد لحذفها .

ولما تشوف السامع إلى 'جوابهم' عن 'هذه الحكمة'، أجيب بقوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ أي منكرين عليه: ﴿اجتَنَّا﴾ أي يا هود ﴿تلافكنا﴾ أي تصرفنا عن وجه أمرنا إلى قهاه ﴿عَنِ الْهَتَاءِ﴾ فلا نعبدها ولا نعتد بها. ولما كان معنى الإنكار النفي، فكان المعنى: إنا لا نتصرف عنها، سيوا عنه قولهم: ﴿قَاتَا﴾ بما تعدياً ﴿سَمُوا الوعيد وعداً﴾ / استهزاء ه ٧٩٢ / به. ولما كان ذلك معناه تكذيبه، زادوه وضوحاً بقولهم معبرين بأداة الشك إشارة إلى أن صدقه في ذلك من فرض المحال: ﴿ان كنت﴾ أي كما يقال عنك، كونا ثابتاً ﴿من الصديقين ه﴾ في أنك رسول من الله وأنه يأتينا بما تخافه علينا من العذاب إن أصررنا.

ولما تضمن قولهم هذا نسبة داعيهم عليه الصلاة والسلام إلى ما لا دلالة لكلامه عليه بوجه، وهو ادعاء العلم بعذابهم والقدرة عليه وتكذيبه في كل منهما اللازم منه [أمنهم اللازم منه - ١] ادعاؤهم العلم بأنهم لا يعذبون، وكانوا كاذبين في جميع ذلك [كان - ١] كأنه قيل:

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: عن (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: إلى (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لا تتصرف (٤) زيد في الأصل: امر من الإيتاء أي قاتنا، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها. (ه) زيد في الأصل: به، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٦) زيد في الأصل: وهو، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٧) زيد في الأصل وظ: أي، ولم تكن الزيادة في م ومد فحذفناها (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بما - كذا (٩) زيد من م ومد.

بم أجابهم ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ مصداق لهم في سلب<sup>١</sup> عليه بذلك وقدرته عليه ، مكذبا لهم في نسبتهم إليه ادعاء شيء منهما وإلى أنفسهم بأنه لا يقع : ﴿ انما العلم ﴾ أى<sup>٢</sup> المحيط بكل شيء عذابكم وغيره ﴿ عند الله ناطق ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ، فهو ينزل علم ما توعدون على<sup>٣</sup> من يشاء إن شاء<sup>٤</sup> ولا علم لى الآن ولا لكم بشيء من ذلك ولا قدرة<sup>٥</sup> .

ولما كان العلم المحيط يستلزم القدرة ، فكان التقدير : فليست القدرة على الإتيان بعذابكم إلا له سبحانه وتعالى لالى ولا لغيرى ، وليس على<sup>٦</sup> إلا البلاغ<sup>٧</sup> كما أوحى إلى<sup>٨</sup> ربي بقوله سبحانه " ان عليك الا البلاغ " وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم من الوعظ بأن أعمالكم أعمال من قد<sup>٩</sup> أعرض عن سيده<sup>١٠</sup> وعرض نفسه<sup>١١</sup> للهلاك والعذاب<sup>١٢</sup> باشرأكه بالمحسن المطلق من لا يكاثره بوجه فهو<sup>١٣</sup> بحيث يخشى عليه الأخذ ، عطف عليه قوله : ﴿ وابلغكم ﴾ أى أيضا فى الحال والاستقبال ﴿ ما أرسلت ﴾ أى ممن لا مرسل فى الحقيقة غيره ، فانه يقدر على نصر رسوله<sup>١٤</sup> ﴿ به ﴾

(١) من م و مد ، وفى الأصل وظ : سلبه (٢) زيد فى الأصل وظ : العلم ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، وفى الأصل وظ : الى (٤) من م و مد ، وفى الأصل وظ : يشاء (٥) زيد فى الأصل : ايضا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦ - ٧) سقط ما بين الرقین من ظ و م و مد (٧ - ٧) فى م : للهلاك وللعذاب ، وفى مد : للعذاب (٨) سقط من مد (٩) زيد فى الأصل : وان فى الحقيقة رسوله منصور ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .



أى من التوحيد وغيره، سواء كان وعدا أو وعيدا أو غيرها لو لم يذكر  
الغاية لأن ما أرسل به صالح لهم ولغيرهم .

ولما كان معنى الإخبار بالإبلاغ أنه ليس على إلا ذلك، وكان  
معنى قصر العلم المطلق على الله تصديقهم في نفي عنه عليه الصلاة  
والسلام بذلك، حسن قوله مستدركا 'عليه بجهلهم : (ولكنى أرزكم) °  
أى أعلمكم علما هو كالرؤية (قوما) غلاظا شدادا عاسين (تجهلون °)  
أى [بكم - ٢] مع ذلك صفة الجهل، وهو الغلظة في غير موضعها مع  
قلة العلم، تجددون ذلك على سبيل [الاستمرار بسبب - ٢] أنكم تفعلون  
باشراكم بالحسن المطلق و [هو - ٢] للملك الأعظم من لا أحسان  
له بوجه أفعال من يستحق العذاب ثم لا تجوزون وقوعه وتكذبون ١٠  
من ينهكم على أن ذلك أمر يحق أن يحتز منه، وتفسونه إلى غير ما  
أرسل له من الإنذار من ادعاء القدرة على العذاب ونحوه .

ولما تسبب عن قولهم هذا إتيان العذاب [فأتام - ٢] في صحاب  
أسود، "استمروا على جهلهم" وعادتهم في الأمن وعدم تجويز

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل : مستركا (٢) زيد في الأصل : أنكم،  
ولم تكن الزيادة في ط و م ومد لحذفها (٣) زيد من م (٤-٤) من ظ  
وم ومد، وفي الأصل : إلا له ومنه بوجه وأفعالكم - كذا (٥) من مد،  
وفي الأصل و ظ و م : لانجرون (٦) من ظ و مد، وفي الأصل و م :  
بهمكم (٧) من م ومد، وفي الأصل و ظ : إليه (٨) من م ومد، وفي  
الأصل و ظ : بسبب (٩) زيدت الواو في الأصل و ظ ولم تكن في م ومد  
لحذفها (١٠-١٠) سقط ما بين الرمين من ظ و م ومد .

الانتقام، وكيان إتيانه كان قريبا من / استعجالهم به، فلذلك أتى بالفاء  
في قوله مسيا 'عن تكذيبهم' مينا لعظيم جهلهم بجهلهم في المحسوسات،  
مفصلا لما كان من حالهم عند رؤية البأس: ﴿فلما راوه﴾ أي العذاب  
الذي يعدم به ﴿عارضاً﴾ أي سحاباً أسود بارزاً في الأفق ظاهر الأمر  
عند من له أهلية النظر، حال كونه قاصداً [إليهم - ٢] ﴿مستقبل أوديتهم ٣﴾  
أي طالباً لأن يكون مقابلاً لها وموجداً لذلك، وهو وصف لعارضا  
فهو نكرة إضافته لفظية وإن كان مضافاً إلى معرفة، وكذا "بمطرنا"  
﴿قالوا﴾ على عادة جهلهم مشيرين إليه بأداة القرب الدالة على أنهم  
في غاية الجهل، لأن جهلهم به استمر حتى كاد أن يواقعهم:  
١٠ ﴿هذا عارض﴾ أي سحاب معترض في عرض السماء أي ناحيتها  
﴿بمطرنا ١﴾ لكونهم رأوه أسود مرتادا فظنوه بملك ماء يعاقبون به بعد  
طول القحط وإرسال رسلهم إلى مكة المشرفة ليدعوا لهم هنالك إيه الذي  
استخفوا به بالقدح في ملكه بأن أشركوا به من هو دونهم، علما منهم  
بأن شركاءهم لا تنفع عنهم في الإمطار شيئا، غافلين عن ذنوبهم الموجبة  
١٥ لعذابهم، فلذلك قال الله تعالى مضرباً ١١ عن كلامهم، والظاهر أنه حكاية

(١-١) من م ومد، وفي الأصل و ظ: عنهم (٢) زيد من م ومد (٣) من  
مد، وفي الأصل و ظ وم: عارض (٤) من م ومد، وفي الأصل و ظ:  
إضافة (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: مضائه (٦) من ظ وم ومد،  
وفي الأصل: عتابه (٧) من مد، وفي الأصل و ظ وم: يواقعهم (٨) من  
ظ وم ومد، وفي الأصل: لانهم (٩) من مد، وفي الأصل و ظ وم:  
يعانون (١٠) من م ومد، وفي الأصل و ظ: مضربهم.

لقول هود عليه الصلاة والسلام في جواب كلامهم : ﴿ بل هو ﴾  
 أى هذا العارض الذى ترونه ﴿ ما استعجلتم به <sup>١</sup> ﴾ أى طلتم العجلة في  
 إتيانه إليكم من العذاب .

ولما اشتد تشوف السامع إلى معرفته <sup>٢</sup> قال : ﴿ ريح ﴾ أى ركت  
 هذا السحاب الذى رأيتموه ﴿ فيها عذاب اليم <sup>٣</sup> ﴾ أى شديد الإيلام ، هـ  
 كانت تحمل الظعينة في الجو تحملها وهودجها حتى ترى كأنها جردة ،  
 وكانوا يرون ما كان خارجا عن منازلهم من الناس والمواشى تطير بهم  
 الريح بين السماء والأرض ثم تقذف بهم ﴿ تدمر ﴾ أى تهلك إهلاكا  
 عظيما شديدا سريعا تأتى بقتة على طريق الهجوم ﴿ كل شيء ﴾ أى  
 [ أت عليه - <sup>٤</sup> ] ، هذا شأنها فمن سلم منها كهود عليه الصلاة والسلام ١٠  
 ومن آمن به رضى الله عنهم فسلامته أمر خارق للعادة كما أن أهرما  
 في إهلاك كل ما مرت عليه أمر خارق للعادة <sup>٥</sup> ، والمجلتان يحتمل  
 أن تكونا وصفا لريح <sup>٦</sup> ويحتمل وهو أعذب وأهز للنفس وأعجب  
 أن تكونا <sup>٧</sup> استثناء . ولما كان ربما ظن ظان <sup>٨</sup> أنها مؤثرة بنفسها قال :

(١-١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : لمعرفته (٢) زيد في الأصل : به ،  
 ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٣) زيد من م ومد (٤-٤) من  
 ظ وم ومد ، وفي الأصل : هلاك من (٥) زيد في الأصل وظ : كذلك ،  
 ولم تكن الزيادة في م ومد فحذفناها (٦-٦) من م ومد ، وفي الأصل  
 وظ : يكون وصف الريح (٧) من م ومد ، وفي الأصل وظ : يكون .  
 (٨) من ظ وم ومد ، وفي الأصل اظانا .

( يا مريم ربها ) أى المبدع لها والمربى والمحسن بالانتقام بها من أعدائه .

ولما ذكرها بهذا الذكر الهائل ، وكان التقدير : جاءتهم فدمرتهم لم<sup>١</sup> تترك منهم أحدا ، سبب عن ذلك زيادة فى التهويل قوله : ( فاصبروا ) ٧٩٤ / هـ ولما اشتد إصغاء السامع إلى كيفية إصباحهم : قال / مترجما هلاكمهم : ( لا ترى<sup>٢</sup> ) أى أيها الرأى ، فلما عظمت روعة القلب وهول<sup>٣</sup> النفس قال تعالى : ( الا منكنهم<sup>٤</sup> ) أى جزاء على إجرامهم ، فانطبقت العبارة على المعنى ، وعلم أن المراد بالإصباح بطلق الكون ، ولكنه عبر به لأن المصيبة فيه أعظم ، وعلم أنه لم يبق من المكذبين ديار ولا نافخ نار ، وهذا كناية عن عموم الهلاك<sup>٥</sup> لهم سواء كان الرمل دفنهم<sup>٦</sup> أو على وجه الأرض مرتبين كما فى الآية الأخرى " فترى القوم فيها صرعى كأنه اعجاز نخل خاوية " وروى أن هودا عليه الصلاة والسلام لما أحس بالريح اعتزل بمن آمن معه فى حظيرة فأمال<sup>٧</sup> الريح على الكفرة الاحقاف التى كانت مجتمعهم إذا تحدثوا ومحل بسطهم إذا لعبوا ، فكانوا ١٥ تحتها سبع ليال وثمانية أيام . ثم كشفت عنهم فاحتملتهم فقذفتهم فى البحر وكذا<sup>٨</sup> أهلكت مواشيهم وكل شئ لهم فيه ربح ولم يصب هودا

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : ذكرما (٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : فلم (٣) راجع لاختلاف القراءة نثر المرجان ٦/ ٥٥٦ (٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : هو (٥) زيد فى الأصل : والعذاب ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحدفها (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : وقهم (٧) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : لذا .

عليه الصلاة والسلام و من معه رضى الله عنهم [ منها - ١ ] إلا ما لين  
أبشارهم و نفش<sup>٢</sup> أرواحهم، و الآية<sup>٣</sup> على هذا على حقيقتها في أنه لم يصبح  
الصباح و منهم أحد يرى .

و لما طارت لهذا الهول الأفتدة و اندهشت الأبواب ، قال تعالى  
منبها على زبدة المراد بطريق الاستئناف : ( كذلك ) أى مثل هذا الجزاء هـ  
الهائل في أصله أو جنسه أو نوعه أو شخصه من الإهلاك<sup>٤</sup> ( نجزي )  
بعظمتنا دائما إذا شئنا ( القوم ) و إن كانوا أقوى ما يكون ( المجرمين هـ )  
أى العريقين في الإجمام الذين يقطعون ما حقه الوصل فيصلون<sup>٥</sup> ما حقه  
القطع ، و ذلك الجزاء هو الإهلاك على هذا الوجه الشنيع ، فاحذروا أيها  
العرب مثل ذلك إن لم ترجعوا .

١٠

و لما كان [ هذا - ١ ] محلا يتوقع فيه الإخبار عن حال<sup>٦</sup> مكنتهم  
ليعلم هل تركوا الدفع لمانع فيهم أو لأن ما اتأم بحيث لا يمكن لأحد  
دفاعه ، قال ذا كرا حرف التوقع مخوفا للعرب مقسما لأن قريشا قد قال  
قاتلهم : إنهم يدفعون العذاب بدفع الزبانية ، و نحوها : ( و لقد ) أى  
فعل بهم ذلك و الحال أنا و عزتنا قد ( مكنتهم ) تمكينا تظهر به عظمتنا ١٥

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بفسى (٣) من  
ظ و م و مد ، وفي الأصل : علايه - كذا (٤) من ظ و م و مد ، وفي  
الأصل : الهايلة (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الهلاك (٦) من ظ  
و مد ، وفي الأصل و ظ : و يصلون (٧) من ظ و م و مد ، وفي  
الأصل : حالهم .

(فيمّا ان) أى الذى ما (مكشكم فيه) من قوة الأبدان وكثرة  
 الأموال وغيرها، وجعل الثانى «ان» لأنها أبلغ من «ما» لأن «ما»  
 تنفى تمام القوت لتركيبها من الميم والالف التى حقيقة إدراكها فوت  
 تمام الإدراك و«ان» تنفى أدنى مظاهر مدخولها فكيف بما وراءه  
 ه من تمامه لأن الهمزة أول مظهر لقوت الالف والتون لمطلق الإظهار -  
 هذا إلى ما فى ذلك من عذرية اللفظ وصونه عن ثقل التكرار إلى غير  
 ذلك من بدائع الأسرار .

ولما كانت قريش تقتخر بمقولها، فربما ظنت أنها فى العقل  
 و مقدماته من الحواس أمكن منهم /، و أنهم ما أتى عليهم إلا من /٧٩٥  
 ١٠ عدم فهمهم، قال تعالى: (وجعلنا) أى جعلنا يليق بما «زدناهم عليكم»  
 من المكنة على ما اقتضته عظمتنا (لهم سمعا) بدأ به لأن المقام  
 للانذار المنبه بحاسة السمع على ما فى الآيات المراثيات من «المواعظ»  
 فهو أنفع لأنه أوضح، ووحده لفلة التفاوت فيه (وابصارا) أى  
 منبهة على ما فى الآيات المراثيات من مطابقة واقعها لآخبار السمع،

(١ - ١) من م ومد، وفى الأصل و ظ : انتقى (٢) من ظ و م ومد، وفى  
 الأصل : الميزة (٣) من م ومد، وفى الأصل و ظ : بديع (٤) من م ومد،  
 وفى الأصل و ظ : بقولها (٥ - ٥) من م ومد، وفى الأصل و ظ : زدناكم  
 عليهم (٦) وقع فى الأصل و ظ و م بعد «جعلنا» والترتيب من مد، ووقع  
 فى الأصل و ظ : لكم (٧) من م ومد، وفى الأصل و ظ : عن (٨) من م  
 ومد، وفى الأصل و ظ : منبه .

و جمع لكثرة التفاوت في أنوار الأبصار ، وكذا في قوله : ﴿ واقتدة ذممة ﴾  
 أى قلوبا ليعرفوا بها الحق فيتبعوه و الباطل فيجتنبوه و يشكروا من  
 وهبها لهم ، و ختم بها لأنها الغاية التى ليس ' بعد الإدراك منتهى و لا ' راءها '   
 مرمى ، و عبر بما هو من النفود ' و هو التجرد إشارة إلى أنها في غاية  
 الذكاء ﴿ فأغنى عنهم ﴾ ' فى حال إرسالنا إليهم الرحمة على لسان نبيا ' ه  
 هود عليه الصلاة والسلام ثم النعمة بيد الريح ﴿ سمعهم ﴾ و أكد  
 النفي ' بتكرير النافي فقال : ﴿ ولا ابصارهم ﴾ و كذا في قوله :  
 ﴿ ولا اقتدتهم ﴾ أى لما أردنا إهلاكهم ، و أكد باثبات الجار فقال :  
 ﴿ من شيء ﴾ [ أى - ٧ ] من الإغناء ، و ' إن قل ' [ لا - ٨ ] فى دفع  
 العذاب ، و لا فى معرفة الصواب ، بل صرفوا ما وهبنا لهم من القوى فيما ' ١٠  
 لا ينبغي تعليق الهمم به من أمور الدنيا حتى فاقوا فى ذلك الأمم و عملوا  
 أعمال من تخلد كما قيل :

و الخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولما ذكر نبي الإغناء ، ذكر ظرفه على وجه يفهم التعليل ، فانه إذا  
 ذكر الانتقام فى وقت فعل الشيء علم أن علته فعل ذلك الشيء فقال : ١٥

- (١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ليست (٢) من ظ و م و مد ، وفى  
 الأصل : ادراها (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : التعود (٤) زيد فى  
 الأصل و ظ : أى ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) سقط من ظ  
 و م و مد (٦) من م و مد ، وفى الأصل : بالنفي (٧) زيد من ظ و م و مد .  
 (٨) زيد من م و مد (٩) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بما .

( اذ كانوا ) أى ' طبعاً لهم و خلقاً ' ( يبحدون )<sup>١</sup> أى يكرهون<sup>٢</sup>  
 على مر الزمان الحمد ( بآيت الله ) أى الإنكار لما يعرف من دلائل  
 الملك الأعظم ( و حاق ) أى أحاط على جهة الإحراق و العظم بأمور  
 لا يدرى وجه المخلص منها ( بهم ما ) أى عقاب الذى ( كانوا ) على  
 جهة الدوام لكونه خلقاً لهم ( به يستهزمون )<sup>٣</sup> أى يوجدونه<sup>٤</sup> على سبيل  
 الاستمرار إيجاد من هو طالب له عاشق فيه .

و لما تم المراد من الإخبار بهلاكهم على ما لهم من المكنة العظيمة  
 ليتعظ بهم من سماع أمرهم ، أتبعهم من كان مشاركاً لهم فى التكذيب  
 فشاركهم فى الهلاك ، فقال مكرراً لتخويفهم دالاً<sup>٥</sup> على إحاطة قدرته  
 ١٠. بإحاطة عليه : ( و لقد اهلكنا ) بما لنا من العظمة<sup>٦</sup> و القدرة المحيطتين  
 الماضيتين بكل ما نريد<sup>٧</sup> ( ما حولكم ) أى يا أهل مكة ( من القرى )  
 كأهل الحجر و سبا و مدين و الأيكة و قوم لوط و فرعون و أصحاب  
 الرس<sup>٨</sup> و نود<sup>٩</sup> و غيرهم ممن<sup>١٠</sup> فيهم معتبر<sup>١١</sup> . و لما كان الموعوظ به الإهلاك<sup>١٢</sup>  
 ذكر مقدماً ، فتشوف السامع إلى السؤال عن حالهم فى الآيات ، فقال

( ١ ) زيد فى الأصل : أى الطائفة التى ذكرناهم و ذكرنا ما حصل لهم لأن  
 هذا كان . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها ( ٢ - ٢ ) فى ظ و م  
 و مد : خلقاً و طبعاً ( ٣ ) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يكثرُونَ ( ٤ ) من م  
 و مد ، و فى الأصل و ظ : يوجدون ( ٥ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :  
 دلالة ( ٦ - ٦ ) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد ( ٧ - ٧ ) سقط ما بين الرقين  
 من م و مد ( ٨ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمن ( ٩ ) من مد ، و فى  
 الأصل و ظ و م : معبراً ( ١٠ ) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الهلاك .



عاطفا بالواو [ التي - ١ ] لا يمنع معطوفها التقدم على ما عطف عليه :

( وصرفنا الأيت ) أى حولنا الموجع اليناث وكررتها موصلة / مفصلة ٧٩٦ /

مزينة محسنة على وجوه شتى من الدلالات ، خالصة عن كل شبهة .

و لما كان تصريف الآيات لا يخص أحدا بعينه ، بل هو لكل من

رآه أو سمع به ، لم يقيداهم\* وذكر العلة الشاملة لغيرهم فقال : ( لعلمهم ) هـ

أى الكفار ( يرجعون هـ ) أى ليكونوا عند من يعرف حالهم فى رؤية

الآيات حال من يرجع عن النى الذى كان يركبه\* لتقليد أو شبهة كشفته

الآيات وفضحته الدلالات فلم يرجعوا ، فكان عدم رجوعهم سبب

أملأ كنا لهم .

و لما كانوا قد جملوا محط حالهم فى الشركاء أنهم سبب التواصل ١٠

بينهم و التفاوت ، و ادعوا أنهم يشفعون فيهم فيقربونهم إلى الله زلنى

و يمنعونهم من العذاب فى الآخرة ، و كان أدنى الأمور التسوية بينه

( ١ ) زيد من م و مد ( ٢ ) زيدت الواو فى الأصل و ظ و م و لم تكن فى مد

لحذفها ( ٣ ) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م و مد لحذفها .

( ٤ ) سقط من ظ و م و مد ( ٥ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بها .

( ٦ ) زيد فى الأصل : بهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها ( ٧ ) من

ظ و م و مد ، و فى الأصل : يرتكبه ( ٨ ) من ظ و مد ، و فى الأصل و م :

فضحتها ( ٩ - ١٠ ) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اهلاكم ( ١٠ ) من م و مد ،

و فى الأصل و ظ : التواصل ( ١١ ) زيد فى الأصل : وشاهده قولهم يقربونا

إلى الله زانى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .

و بين عذاب الدنيا ، سبب عن أخباره عن إهلاك الأمم الماضية قوله  
 مقدما لليلة التي جعلها محط نظرم منكرا عليهم موبخا لهم : ﴿ فلولا ﴾  
 أى فهل لا ولم لا ﴿ نصرم ﴾ أى هؤلاء المهلكين ﴿ الذين اتخذوا ﴾  
 أى اجتهدوا فى صرف أنفسهم عن دواعي العقل و الفطر الأولى حتى  
 ٥ أخذوا ، وأشار إلى قلة عقولهم ببيان - فقولهم فقال : ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك  
 الذى هو أعظم من كل عظيم ﴿ قربانا ﴾ [ أى - ] لأجل القربة  
 و التقرب العظيم يتقربون إليها و يزعمون أنها تقربهم إلى الله ﴿ الهة ﴾  
 أشركوهم مع الملك الأعظم لأجل ذلك - قاتلهم الله و أخزاهم .

و لما كان التخصيص يفهم أنهم ما نصرهم ، أضرب عنه فقال :  
 ١٠ ﴿ بل ضلوا ﴾ أى غابوا ٢ و عموا عن الطريق الآقوم و بددوا ٣ ﴿ عنهم ﴾  
 وقت بروك ٤ النعمة و قروع المثلة حسا و معنى . و لما كان التقدير : فذلك  
 الاتخاذ الذى أدتههم ٥ إليه عقولهم السافل جدا البعيد من الصواب كان  
 الموصل إلى ما لهم هذا ، عطف عليه قوله : ﴿ و ذلك ﴾ أى الضلال  
 البعيد من السداد الذى تحصل من هذه القصة من إخلاف ما كانوا  
 ١٥ يقولون : إن أوثانهم آلهة . و أنها تضر و تنفع و تقربهم إلى الله و تشفع  
 لهم عنده ﴿ افكهم ﴾ أى صرفهم الأمور عن وجهها إلى ألقائها ،  
 و يجوز أن تكون الإشارة إلى العذاب ، أى و هذا العذاب

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقين  
 من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نزول (٥) من م  
 و مد ، و فى الأصل و ظ : ادت (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك .

'جزاءهم في مقابلة' إفكهم ( وما كانوا ) أى على وجه الدوام لكونه<sup>١</sup>  
 في طباعهم ( يفترون<sup>٢</sup> ) أى يتعمدون كذبه لأن<sup>٣</sup> إصرارهم عليه بعد  
 مجيء الآيات لا يكون إلا<sup>٤</sup> لذلك لأن من نظر<sup>٥</sup> فيها مجردا نفسه عن  
 الهوى اهتدى .

ولما كان ما ذكر من البعد من الإيمان مع تصريف العظات ه  
 و العبر والآيات يكاد أن يؤنس السامع من إيمان هؤلاء المدعين<sup>٦</sup>،  
 قربة دلالة على عزته وحكمته بالتذكير بالإيمان<sup>٧</sup> من<sup>٨</sup> أعلى منهم عتوا  
 وأشد نفرة وأبعد إجابة وأخفى شخصا، فقال جوابا عما وقع له صلى الله  
 عليه وسلم في عرض نفسه الشريفة [ على -<sup>٩</sup> ] القبائل وإبعادهم عنه  
 لاسيما أهل الطائف، دالا على تمام / القدرة بشارة للنزل [ عليه -<sup>١٠</sup> ] ٧٩٧ /  
 صلى الله عليه وسلم و تويخا لمن تأخر عن إجابته من قومه عاطفا على  
 ما تقديره: اذكر هذه الأخبار: ( واذا ) أى و اذكر حين  
 ( صرفنا إليك ) أى وجهنا توجيها خالصا حسنا متقنا فيه ميل إليك  
 وإقبال<sup>١١</sup> عليك، وإعراض عن غيرك، بوادى نخلة عند انصرافك من  
 الطائف حين عرضت نفسك الشريفة عليهم بعد موت النصيرين<sup>١٢</sup> فردوك<sup>١٣</sup> ١٥

(١-١) في ظ و م و مد: جزاء (٢) من م و مد، وفي الأصل وظ: لكونهم.  
 (٣) من م و مد، وفي الأصل وظ: ان (٤-٤) من م و مد، وفي  
 الأصل وظ: كذلك لا من يظن (٥) من مد، وفي الأصل وظ و م:  
 المدعين (٦-٦) من مد، وفي الأصل وظ و م: منهم (٧) زيد من م  
 و مد (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اقبالا (٩) من م و مد، وفي  
 الأصل وظ: الصور .

ردا تكاد تنشق منه المراتر ، و تسل من تذكره النواظر .

ولما كان استعطاف من جبل على النفرة وإظهار من نبى على  
الاجتئان أعظم فى النعمة ، عبر بما يدل على ذلك فقال : ﴿ قرا ﴾ وهو  
اسم يطلق على ما دون العشرة ، وهو المراد هنا ، و يطلق على الناس  
كلهم ، و حسن التعمير به ' أن هؤلاء لما خصوا بشرف السبق و حسن  
المتابعة كانوا كأنهم هم النفرا لا غيرهم ﴿ من الجن ﴾ من أهل نصيين  
من الناحية التى منها عداس الذى جبرناك ' به فى ' الطائف بما شهد به  
لسيديه ' عتبة و شيعة ابني ربيعة أنك خير أهل الارض مع أنه ' ليس  
لهؤلاء النفر من جبلاتهم إلا النفرة و الاجتئان وهو الاختفاء و السر  
١٠ لجعلناهم ' أفين لك ظاهرين عندك لتبلغهم ما أرسلناك ' به فانا أرسلناك  
إلى جميع الخلائق ، و هذا جبر لك و بشارة بإيمان النافرين ' عن الإنس  
كما أيدناك منهم بعد نفرة ' أهل الطائف بعداس ، ثم وصفهم بقوله :  
﴿ يستمعون القرآن ﴾ أى يطلبون سماع الذكر الجامع لكل خير ، الفارق  
' بين كل ' ملابس و أنت فى صلاة الفجر فى نخلة تصلى بأصحابك ، و دل

- (١-١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالنسبة (٢) من م و مد ، و فى  
الأصل و ظ : أخبرناك (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٤) من  
ظ و م و مد ، و فى الأصل : لسيده - كذا (٥) من م و مد ، و فى الأصل  
و ظ : انت (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يخلصنا (٧) زيد فى الأصل  
و ظ : اليهم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها (٨) من ظ و م و مد ،  
و فى الأصل : السافرين (٩) من مد و م ، و فى الأصل و ظ : بضره .  
(١٠-١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لكل .

على قرب زمن 'الصرف من زمن الحضور بتعبيره' سبحانه بالفاء في قوله تعالى مفصلاً لحالم: ﴿فلما حضروه﴾ أى صاروا بحيث يسمونه ﴿قالوا﴾ أى قال بعضهم<sup>٢</sup> ورضى الآخرون<sup>٣</sup>: ﴿انصتوا﴾ أى [اسكتوا-] ميلوا بكلياتكم واستمعوا<sup>٤</sup> حفظاً للادب على بساط الخدمة، وفيه تأدب مع العلم<sup>٥</sup> في تلهه<sup>٦</sup> وأيضاً مع معلمه<sup>٧</sup>، قال الفشيري: فأهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار، والثوران والانزعاج يدل على غيبة أو قلة تيقظ<sup>٨</sup> وقصان من الاطلاع، ودل على أن ما "استمعوه كان" يسيراً وزمته<sup>٩</sup> قصيراً، وعلى تفصيل حالم بعد انقضائه بالفاء في قوله تعالى: ﴿فلما﴾ أى فأنصتوا<sup>١٠</sup> حين ﴿قضى﴾ أى "حصل الفراغ من قراءته الدالة على عظمته من أى قارئ كان ﴿ولوا﴾ أى أوقموا<sup>١١</sup>

(١) زيد في الأصل و ظ : الفضل ، ولم تكن الزيادة في م ومد لحذفها .  
(٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : بتيسره ، وفي م : فتيسره (٣) زيد في الأصل : لبعض ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها . (٤) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : آخرون (٥) زيد من م ومد (٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : اسمعوا أى (٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : العلم (٨ - ٨) - قط ما بين الرقين من ظ و م ومد (٩) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : تنعظ . (١٠ - ١٠) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : سمعوا . (١١) زيد في الأصل : كان ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها (١٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : فأنصتوا (١٣) زيد في الأصل و ظ : حين ، ولم تكن الزيادة في م ومد لحذفها .

التوبة - أى القرب - بتوجيه الوجوه والهمم والعزائم (إلى قومهم)  
الذين فيهم قوة القيام بما يحاولونه ، و دل على حسن قبلهم لما سموه  
ورسوخهم في اعتقاده بقوله تعالى : (منذرينه) أى مخوفين لهم ومخبرين  
عواقب الضلال بأمر من رسول / الله صلى الله عليه وسلم ، قال [ابن -]  
عباس رضى الله عنهما : جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا  
إلى قومهم .

/ ٧٩٨

ولما كان كأنه قيل : ما قالوا لهم في إنذارهم ؟ قيل : (قالوا) أى  
'قومهم حين أقبلوا عليهم' : (يقومنا) مترقين لهم ومشفقين بهم  
بذكر ما يدل على أنهم منهم بهم ما يهمهم ويكرههم ما يكرههم  
١٠ كما قيل :

وإن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك .

ولما كانوا - بنزول ما فى أسفار الأنبياء من نبى إسرائيل والزبور  
والإنجيل خالية من الأحكام والحدود إلا يسيرا من ذلك فى الإنجيل -  
قاطعين أو كقاطعين بأنه لا ينزل كتاب يناظر التوراة فى الأحكام والحدود

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بما (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد  
فى الأصل : لهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٤ - ٤) سقط ما  
بين الرقبتين من ظ و م و مد (٥) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى  
ظ و م و مد لحذفها (٦ - ٦) سقط ما بين الرقبتين من م و مد (٧) بهامش  
الأصل : ورفيق هذا البيت : ومن إذا ريب زمان صدك  
شق شمل نفسه ليجمعك .

و غيرها، فكان قومهم ربما توقفوا في الإخبار بانزال ما هو اشرف  
من ذلك، أكدوا قولهم: ( انا سمعنا ) أى بينا وبين القارئ واسطة،  
وأشاروا إلى أنه لم ينزل بعد التوراة شئ جامع لجميع ما يراد منه،  
مغن عن جميع الكتب غير هذا، وبذلك عرفوا أنه ناسخ لجميع الشرائع  
فقالوا<sup>١</sup> على سبيل التبيين لما سمعوا<sup>٢</sup>: ( كتبنا ) أى ذكرنا جامعا، لا كما  
نزل بعد التوراة على بنى إسرائيل<sup>٣</sup> ( أنزل ) أى عن لامنزل<sup>٤</sup> في الحقيقة  
غيره، وهو مالك الملك و ملك الملوك لأن عليه من روث الكتب  
الإلهية ما يوجب القطع لسمعه بأنه منها فكيف إذا انضم إلى ذلك  
الإعجاز، وعلوا قطعا بعريته أنه عربى و بأنهم كانوا يضربون مشارق  
الأرض ومغار بها و يسمعون قراءة الناس لما يحدثونه من الحكم و الخطب<sup>٥</sup>  
و الكهانة و الرسائل و الأشعار، و بأنه<sup>٦</sup> مبين لجميع ذلك أنه قريب العهد  
بالنزول من محل العظمة، فقالوا مثبتين للجار: ( من بعد موسى ) عليه  
الصلاة و السلام، فلم يعتدوا بما أنزل بين هذا الكتاب و بين التوراة  
من الإنجيل و ما قبله، لأنه لا يساوى التوراة في الجمع، و لا يعشر<sup>٧</sup> هذا  
الكتاب في الأحكام و الحكم و اللطائف و المواعظ [ مع<sup>٨</sup> ] ما زاد<sup>٩</sup>

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: مغنى (٢ - ٢) - سقط ما بين الرقین من  
ظ و م و مد (٣) زيد في الأصل: بن. و م تثنى الزيادة في ظ و م و مد  
لخذفها (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: الكتاب (ه) في م مد: انه.  
(٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: ولم (٧) من مد، و في الأصل و ظ  
و م: لا يفسر (٨) زيد من م و مد.

به من الإعجاز و غيره .

ولما أخبروا بأنه منزل، أتبعوه ما يشهد له بالصحة فقالوا:  
(مصدقاً لما بين يديه) أى من جميع كتب نبي إسرائيل الإنجيل وما قبله؛  
ثم بينوا تصديقه بقولهم: (يهدى الى الحق) أى الامر الثابت الذى  
يطابقه الواقع فلا يقدر أحد على إزالة شىء مما يخبر به، الكامل فى جميع  
ذلك (و الى طريق) موصل إلى المقصود 'الاعظم' وهو الإيمان بمنزله  
(مستقيم) فهو يوصل بغاية ما يمكن من السرعة، لا يمكن أن يكون  
فيه عوج، فيقدر السالك فيه<sup>٢</sup> على<sup>٣</sup> أن يختصر طريقاً يكون وتراً لما  
تقوس منه .

١٠ ولما أخبروهم بالكتاب و بينوا أنه من عند الله و أنه اقرب  
موصل إليه، فكان قومهم جديرين بأن يقولوا: فما الذى ينبغى أن نفعل؟  
أجابوهم بقوله: (يقومنا) الذين لهم قوة العلم والعمل (اجيوا/ داعى الله)  
أى الملك الاعظم المحيط بصفات الجلال و الجلال و الكمال، فان دعوة  
هذا الداعى عامة لجميع الخلق، فالإجابة واجبة على كل من  
١٥ بلغه أمره .

ولما كان المجيب قد يجب في شىء دون شىء كما كان أبو طالب  
عم النبي صلى الله عليه وسلم. 'عظفوا فى خطابهم لهم فى الدعوة أن' قالوا:  
(واؤمنوا به) أى أوقعوا التسديق بسبب الداعى لاسبب آخر، فان  
(١ - ١) سقط ما بين الرفين من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و مد .  
(٣) سقط من مد (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ : اجابهم .



المفعول معه مفعول مع 'من أرسله و هو' الله 'الذى جلت قدرته'  
 وآمنوه من كل تكذيب، أو 'الضمير للضاف إليه [و هو الله - ٣]  
 بدليل قولهم: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾: 'فانه يستر ويسامح' ﴿من ذنوبكم﴾ أى  
 الشرك وما شابهه بما هو حق لله تعالى 'أى وذلك السر لا يكون إلا إذا  
 حصل منكم الإجابة التامة والتصديق التام' وأدخلوا [ "من" - ٤ ] [إعلاما ه  
 بأن مظالم العباد لا تنفرد إلا بارتضاء أهلها و لذا ما يجازى به صاحبه  
 فى الدنيا بالعقوبات والنكبات والهموم ونحوها مما أشار إليه قوله تعالى  
 "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير" ﴿ويحرمكم﴾  
 أى يمنعكم 'إذا أجبتم' منع الجار لجاره لكونكم بالتحيز إلى داعيه  
 صرتم من حزبه ﴿من عذاب اليم ه﴾ واقتصارهم على المغفرة تذكير ١٠  
 'بذنوبهم لأن' مقصودهم الإنذار لا ينافى صريح قوله فى هذه [السورة - ٩]  
 "ولكل درجت مما عملوا" فى إثبات الثواب، ونقله أبو حيان ' عن  
 ابن عباس رضى الله عنهما قال: لهم نواب وعليهم عقاب يلتقون فى  
 الجنة ويزدحجون على أبوابها .

ولما فرغوا من التعريف بالحق والدلالة عليه والدعاء إليه والإنذار ١٥

- (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد، وفى  
 الأصل: فان (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) فى ظ و م ومد: قوله .  
 (٥) زيد من مد (٦) من م ومد، وفى الأصل و ظ: برضاء - كذا (٧-٧) من  
 م ومد، وفى الأصل و ظ: لذنوبهم الآن - كذا (٨) من م ومد، وفى  
 الأصل و ظ: قولهم (٩) زيد من م ومد (١٠) فى البحر المحيط .

بالرقى بما أفهم كلامهم من أنهم إن لم يحييوا انقم منهم بالعذاب  
 [الآلیم - ١] ، أتبعوه ما هو أغظ إنذارا منه فقالوا : ﴿ ومن لا يجب ﴾  
 أى لا يتجدد منه أن يجب ﴿ داعى الله ﴾ أى الملك ٢ الاظم المحيط  
 بكل شئ ٣ الذى لا كفوء له ٤ ولا طاقة [ لأحد - ١ ] بسخطه فعم  
 ٥ بدعوة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم جميع الخلق .

ولما دل الكتاب و السنة كما قدمته فى سورتي الانعام والفرقان  
 على عموم الرسالة ، و كان التارك لإجابة من عمت رسالته عاصيا مستحقا  
 للعذاب ، عبر عن عذابه بما دل على تحتمه فقال تعالى : ﴿ فليس بمعجز ﴾  
 أى لما يقضى به عليه ﴿ فى الارض ﴾ فانه ٢ آية سلك ٣ فيها فهو ٤ فى  
 ١٠ ملكه و ملكه و قدرته محيطة به ﴿ و ليس له من دونه ﴾ أى الله الذى لا يحير  
 ' الا هو ' ﴿ اوليآء ' ﴾ يفعلون لأجله ما ١ يفعل القريب مع قريبه  
 من الذب عنه و الاستشفاع له ٢ و الاقتداء و المناصبة لأجله .

ولما اتنى عنه الخلاص من كل وجه . و كان ذلك لا يختلف  
 سواء كان العاصى واحدا أو أكثر ٢ ، أتبع قوله سبحانه و تعالى معبرا بالجمع

(١) زيد من م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد (٣) من ظ و م  
 و مد ، و فى الأصل : لأحد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى ظ و م :  
 الذى لا يحيط بكفى . (٦) سقط من م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :  
 أنه ملك (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فانه (٩) زيد فى الأصل : أى ،  
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفها (١٠) من ظ و م و مد ، و فى  
 الأصل : كما (١١) من م ، و فى الأصل و ظ : عنه (١٢) فى م : كثيرا .

٨٠٠ /

لأنه أدل على القدرة ودلالة على أن / العصاة كثيرة<sup>١</sup> لملامة المعاصي  
 لاكثر الطبايع: ﴿اولئك﴾ أى البعيدون من كل خير ﴿فى ضلل مبينه﴾  
 أى ظاهر فى نفسه أنه ضلال، مظهر لكل أحد قبح إحاطتهم به<sup>٢</sup>، قال  
 القشيري: ويقال: الإجابة على ضربين: إجابة الله، وإجابة الداعى، فإجابة  
 الداعى بشهود الوسطة وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وإجابة الله  
 بالجهر إذا بلغت المدعو<sup>٣</sup> رسالته صلى الله عليه وسلم على لسان السفير،  
 وبالسر إذا حصلت التعريفات من الواردات على القلب، فستجيب بنفسه،  
 ومستجيب بقلبه، ومستجيب بروحه، ومستجيب بصره، ومن توقف  
 عن دعاء الداعى إياه هجر فيما كان يخاطب به.

- ولما أتم سبحانه وتعالى ما اقتضاه مقصود هذه السورة من أصول ١٠  
 الدين وفروعه والتحذير من سطوانه بذكر بعض مثلاته، وختم بضلال  
 من لم يجب الداعى، به على أن أوضح الأدلة على إحاطته بالجلال والجمال  
 وقدرته على الأجل المسمى الذى خلق الخلق لأجله ما جلى به مطلع  
 السورة من إبداع الخافقين وما فيهما<sup>٤</sup> من الآيات الظاهرة<sup>٥</sup> للآذن  
 والعين، فقال مبكتا لهم على ضلالهم عن إجابة الداعى ومنكرا عليهم ١٥  
 وموبخا لهم<sup>٦</sup> مرشدا بالمعطف على<sup>٧</sup> غير مذكور إلى أن التقدير: ألم ير<sup>٨</sup>

(١) فى م ومد: كثير (٢) من ظ ومد، وفى الأصل وم: هم (م-م) فى ظ  
 وم ومد: بفتح (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: عنهما (ه) من ظ وم  
 ومد، وفى الأصل: الظاهر (٤) زيدت الواو فى الأصل وظ ولم تكن  
 فى م ومد فحذفناها (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: إلى (٨) من م ومد،  
 وفى الأصل وظ: الميرو - كذا.

هؤلاء الضلال<sup>١</sup> ما نصبنا في هذه السورة من أعلام الدلائل. وواضح<sup>٢</sup>  
 الرسائل في المقاصد و الوسائل ، عاطفا عليه قوله تعالى ردا لمقطع السورة  
 بتقرير المعاد على<sup>٣</sup> مطلعها المقرر للبدء بخلق الكونين [ بالحق : ( اولم يروا )  
 أى يعلموا علما هو فى الوضوح كالرؤية - <sup>٤</sup> ] ( " ان الله " ) و دل<sup>٥</sup> على  
 ه هذا الاسم<sup>٦</sup> الأعظم بقوله : ( الذى خلق السموات ) على ما  
 احتوت عليه بما يعجز [ الوصف - <sup>٧</sup> ] من العبر. ( و الارض ) على  
 ما اشتملت عليه من الآيات المدركة بالعيان<sup>٨</sup> و الخبر<sup>٩</sup> ( ولم يعى ) أى  
 يعجز ، يقال : عى بالامر - إذا لم يهتد<sup>١٠</sup> لوجه مراده أو عجز عنه  
 ولم يطق إحكامه<sup>١١</sup> ، قال الزجاج : يقال : عيت بالامر - إذا لم تعرف وجهه ،  
 ١٠ و أعيت : تعبت<sup>١٢</sup> ، و<sup>١٣</sup> فى القاموس : و أعى بالامر : كل<sup>١٤</sup> ( بخلفهن ) أى  
 بسببه<sup>١٥</sup> فانه لو حصل له شيء من ذلك لادى إلى نقصان فيها أو فى

- (١) زيد فى الأصل وظ : الى غير مذكور ، ولم تكن الزيادة فى م ومد لحذفها .  
 (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : اوضح (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الى .  
 (٤) زيد من ظ وم ومد (٥-١٠) وقع فى الأصل بعد « الأعظم بقوله » والترتيب  
 من ظ وم (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : ما (٧-٧) من ظ وم ومد ، وفى  
 الأصل : عليه بالاسم (٨) زيد من م ومد (٩) زيد فى الأصل : و ما فيها من  
 البركة ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفها (١٠) من م ومد ، وفى  
 الأصل وظ : الخبر (١١) فى الأصل : لم يهتدى (١٢) زيدت الواو فى الأصل  
 ولم تكن فى ظ وم ومد لحذفها (١٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : تعبا .  
 (١٤) زيدت فى الأصل وظ : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفها .  
 (١٥) فى م : الى شيء (١٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : بسبب .

إحداهما، وأكد الإنكار المتضمن للنفي بزيادة الجار في حيز "ان" فقال تعالى: ﴿بقدر﴾ أى قدرة عظيمة 'تامة بليغة' ﴿على ان يحيى﴾ أى على سبيل التجديد مستمرا ﴿الموتى﴾ والامر فيهم لكونه إعادة و لكونهم جزءا يسيرا منها ذكر اخراعه اصغر شانا واسهل صنعا .

ولما كان هذا الاستفهام الإنكارى فى معنى النفي، أجابه بقوله تعالى هـ

﴿بلى﴾ "قد علوا أنه قادر على ذلك علما هو فى إتقانه كالرؤية بالبصر لأنهم يعلمون أنه المخترع لذلك، وأن الإعادة أمون من الابتداء فى مجارى عاداتهم، ولكنهم عن ذلك، غافلون لأنهم عنه معرضون. ولما كانوا"

مع هذه / الأدلة الواضحة التى هى أعظم من المشاهدة بالبصر ينكرون ما  
 ٨٠١ / دلت عليه هذه الصنعة من إحاطة القدرة، علل ذلك\* مؤكدا له بقوله ١٠  
 مقررًا للقدرة على وجه عام يدخل فيه البعث الذى ذكر أول النورة  
 أنه ما خلق هذا الخلق إلا لاجله ليختم بما بدأ به\* ﴿انه على كل شيء﴾  
 أى هو أهل لأن تتعلق القدرة به ﴿بقديره﴾ .

ولما ثبت البعث بما قام من الدلائل ذكر ببعض ما يحصل فى يومه

من الأحوال تحذيرا منه، فقال عاطفا على ما تقديره: اذكر لهم هذا ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (٢) من م و مد، وفى الأصل  
 و ظ : لكونه (٣) زيد فى الأصل : أى ، لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد  
 لحذفها (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ : كان (٥) زيد فى الأصل و ظ :  
 منكرا، ولم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها (٦) زيد فى الأصل : فقال ،  
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .

القياس الناطق بالمراد و ما مضى في هذه السورة من الزواجر<sup>(١)</sup> (و يوم)  
 أى [و-<sup>٢</sup>] اذكر<sup>٣</sup> يوم (يعرض<sup>٤</sup>) 'بأيسر أمر من أوامرنا' (الذين كفروا)  
 أى ستروا بغفلتهم<sup>٥</sup> و تماديهم عليها هذه الأدلة الظاهرة (على النار<sup>٦</sup>) عرض  
 الجند على الملك فيسمعوا من تعيظها و زفيرها و يروا من لهيها و اضطرامها<sup>٧</sup>  
 ٥ و سعيها ما لو قدر أن أحدا يموت من ذلك لما توا من معاينته  
 و هائل رؤيته .

ولما كان كأنه قيل : ماذا يصنع بهم في حال عرضهم ؟ قيل :  
 يقال على سبيل التبكيت و التقريع و التوبيخ : (ليس هذا) أى الامر  
 العظيم الذى كنتم به توعدون<sup>٨</sup> و لولنا في أخبارهم تكذبون (بالحق<sup>٩</sup>)  
 ١٠ أى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع ، فلا قدرة لكم على صليه أمر  
 هو خيال و سحر ، فلا تبالون بوروده .

ولما اشتد تشوف<sup>١٠</sup> السامع العالم بما كانوا يبدون من الشماخة  
 و العتو إلى جوابهم ، قال في جوابه مستأنفا<sup>١١</sup> : (قالوا) أى مصدقين

(١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : الزاجر (٢) زيد من م و مد (٣) زيد في  
 الأصل : أيضا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٤) زيد في الأصل  
 و ظ : أى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٥) زيد في الأصل و ظ :  
 الكامل ، ولم تكن الزيادة في م و مد لحذفها (٦) من ظ و م و مد ، وفي  
 الأصل : اضطرابها (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تدعون (٨) من ظ  
 و مد ، وفي الأصل و م : تشوق (٩) زيد في الأصل : بقواه ، ولم تكن الزيادة  
 في ظ و م و مد لحذفها .

حيث لا ينفع التصديق: ﴿ بلى ﴾ [ و - ١ ] ما كلفهم البدار<sup>١</sup> إلى  
تكذيب أنفسهم حتى أقسموا عليه لأن حالهم كان مباعدا للاقرار،  
وذكروا صفة الإحسان زيادة في الخضوع والإذعان ﴿ وربنا ﴾ أى  
إنه لحق هو من أثبت الأشياء، وليس فيه شيء مما يقارب السحر،  
ثم استأنف جواب من سأل عن جوابه [ لهم - ٢ ] بقوله تعالى: ه  
﴿ قال ﴾ مبكتا لهم يانا لذهم موضع كبرهم الذى كان فى الدنيا  
مسيا عن تصديقهم هذا الذى أوقعوه فى غير موضعه و جعلوه فى  
دار العمل التى مبناه على الإيمان بالغيب تكذيبا معبرا بما يفهم غاية  
الاستهانة لهم: ﴿ قدوقوا العذاب ﴾ أى باثروه مباشرة الذائق باللسان،  
ثم صرح بالسبب<sup>٣</sup> فقال: ﴿ بما كنتم ﴾ أى خلقا أو خلقا<sup>٤</sup> مستمرا ١٠  
دائما أبدا<sup>٥</sup> ﴿ تكفرون<sup>٥</sup> ﴾ فى دار العمل .

ولما علم بما قام من الأدلة وانتصب من القواطع أن هذا ما لهم،  
سبب عنه قوله ردا على ما بعد خلق الخافقين فى مطلعها من أمر  
الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبتهم له إلى الافتراء وما بعده:  
﴿ فاصبر ﴾ أى على مشاق ما ترى فى تبليغ الرسالة، قال القشيري: و الصبر ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل و م: التذار .  
(٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد . وفى الأصل و ظ: اوقعوا (٥) من  
ظ و م و مد، وفى الأصل: بالنسب (٦-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ و م  
و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقنين من م و مد (٨) من م و مد، وفى الأصل  
و ظ: به تكذبون .

هو الوقوف بحكم الله والثبات من غير بث ولا استكراه .  
 ( كما صبر اولوا العزم ) أى الجد / فى الامر والحزم فى الجد و الإرادة / ١٨٠٢  
 المقطوع بها و الثبات الذى لا يجد عنه ، الذين مضوا فى أمر الله مضيا  
 كأنهم أقسموا عليه فصاروا كالأسد<sup>٢</sup> فى جبلته<sup>٣</sup> و الرجل الشديد الشجاع  
 ٥ المحفوف بقيته ، قال الرازى فى اللوامع : فارقت نفوسهم الشهوات  
 والمى فذلوا نفوسهم لله صدقا لاتفاق<sup>٤</sup> النفس القلب على البذل .

و لما تشوف [ السامع - \* ] إلى بيانهم قال : ( من الرسل )  
 عليهم الصلاة والسلام ، وقيل و هو ظاهر جدا : ان « من » للتبويض ،  
 والمراد بهم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تأسيس قواعدها وتثبيت  
 ١٠ معاندها ، و مشاهيرهم<sup>٥</sup> نوح و إراهيم و موسى و عيسى<sup>٦</sup> صلوات الله  
 وسلامه عليهم اجمعين وقد نظمهم بعضهم فى قوله :

أولو العزم نوح والحليل بن آزر و موسى و عيسى و الحبيب محمد  
 والخلاف فى تعيينهم كثير متشر هذا<sup>٧</sup> القول أشهر ما فيه ، و كله مى  
 على ان « من » للتبويض و هو الظاهر ، و القول بأنهم جميع الرسل

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : سبيل (٢) من م و مد ، وفى الأصل  
 و ظ : كالأصغر - كذا (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : جملته .  
 (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لآيات (٥) زيد من ظ و م و مد .  
 (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : مشاهيرها (٧) زيد فى الأصل : و محمد .  
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٨) من ظ و م و مد ، وفى  
 الأصل : فهذا .



- قال ابن الجوزى - قاله ابن زيد واختاره ابن الأنبارى وقال: "من"  
للتجنيس لا للتبويض، وفي قول أنهم جميع الأنبياء إلا يونس عليه الصلاة  
والسلام - قال ابن الجوزى: حكاه الثعلبى .

ولما أمره بالصبر الذى هو من أعلى الفضائل، نهاه عن العجلة  
التي هي من أمهات الرذائل، ليصح التحلى بفضيلة الصبر الضامنة للفوز  
والتصر فقال: ﴿ولا تستعجل لهم﴾ أى تطلب العجلة وتوجدتها بأن  
تفعل شيئاً مما يسوءهم في غير حينه الأليق به . ولما كان ما أمر به  
ونهى عنه في غاية الصعوبة، سهله بقوله مستأنفاً: ﴿كانهم يوم يرون﴾  
أى في الدنيا 'عند الموت مثلاً' أو في الآخرة 'وقت العرض  
والحساب والمول الأعظم الأكبر الذى تقدمت الإشارة إليه جداً ١٠  
والتحذير منه لأهل المعاصى والبشارة فيه لأهل الطاعة، فأما هذه  
الطائفة فاذا رأوا' ﴿ما يوعدون لا﴾ من ظهور الدين في الدنيا والبعث  
في الآخرة<sup>٢</sup>، وبناء للمفعول لأن المنكى هو الإيعاد لا كونه من معين<sup>٣</sup>  
﴿لم يلبثوا﴾ أى في الدنيا حيث كانوا عالين<sup>٤</sup> ﴿الاساعة﴾ .

ولما كانت الساعة قد يراد بها الجنس ، قد تطلق على الزمن ١٥  
الطويل، حقق أمرها وحقرها بقوله: ﴿من نهار﴾ ولما تكفل ما  
ذكر في هذه السورة من الحجج الظاهرة والبراهين الباهرة ببيان ما هو

(١-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد (٣) من م و مد . وفى الأصل  
وظ : الارض (م) فى الأصول : معينه (٤) من م و مد ، وفى الأصل  
وظ : عالين .

مقصودها بحيث لم يبق فيه لبس ، و كان مقصودها آثلاً إلى سورة  
إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وهو التوحيد اللازم منه إحاطة العلم  
بكل شيء و شمول القدرة لكل شيء ختمت بما ختمت به إبراهيم إلا أن  
لحواميم لباباً ، حذف المبتدأ و متعلق الخبر و قيل : ( بلغ ) أى  
هـ هذا [ الذى - ٢ ] ذكر هنا [ هو - ٢ ] من الظهور و انتشار النور بحيث  
يرد المنذرين و يوصلهم إلى رضى العزيز الحكيم الكافل بالنور الدائم  
و النعيم المقيم ، و من لم يوصله فذلك الذى حكم العزيز بشقائه فلا حيلة  
لغيره فى شقائه من عظيم دائه ، و لذلك سبب عن كونه بلاغا قوله زيادة  
على ختام إبراهيم ما يناسب مطلقها : ( فهل يهلك ) بنى للفعول من  
أهلك ، لأن المحذور الهلاك و إن لم يعين المهلك ، و للدلالة على أن  
إهلاكهم عليه سبحانه و تعالى يسير جدا ( إلا القوم ) الذين فيهم أهلية  
القيام بما يحاولونه من اللدود ( الفسقون ) أى العريقون فى إدامة  
الخروج من محيط ما يدعوا إليه هادى العقل و الفطرة الأولى من  
الطاعة الآتى بها النقل إلى مضل المعصية الناهى عنها النقل و العقل ، و أما  
١٥ الذين فسقوا و الذين يفسقون فان هادى هذه السورة يردمهم و يوصلهم  
إلى المقصود ، فهذا الآخر نتيجة قوله أولها و الذين كفروا عما انذروا

( ١ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ايماء ( ٢ ) من م و مد ، و فى الأصل  
و ظ : ختم ( ٣ ) زيد من م و مد ( ٤ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اكل  
الملك ( ٥ ) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الملك ( ٦ ) زيد فى الأصل : وهم ،  
و لم تكن الريادة فى ظ و م و مد لحذفناها .

معرضون“ و ذكر اليوم الموعود<sup>٢</sup> هو الاجل الذى<sup>٣</sup> أوجد الخافقان<sup>٤</sup>  
 لاجله<sup>٥</sup> وبسببه و الدلالة على القدرة بخلقهما<sup>٦</sup> من غير إعياء هو ذكره  
 أولهما أنهما ما خلقا إلا بالحق، و ذكر البلاغ هو تنزيل الكتاب من الله  
 و حكمه على العريق بالفسق بالهلاك مع الهادى الشفيق و لغيره<sup>٧</sup> بالنجاة  
 بعد<sup>٨</sup> انسيابه فى الفسق مع التكرار<sup>٩</sup> هو من ثمرات العزة و الحكمة، ه  
 فقد التحم هذا الآخر بذاك الأول أى التحام، واتصل<sup>١٠</sup> بمعناه اتصال  
 الجوهر النفيس فى متين النظام، و التأم بأول<sup>١١</sup> اتى تليها أحسن التام<sup>١٢</sup>  
 فسبحان من جعله<sup>١٣</sup> أشرف الكلام، لكونه صفة الملك العلام، منزلا<sup>١٤</sup> على  
 خاتم الرسل الكرام، و رسول الملك العلام - صلى الله عليه و على آله  
 و أصحابه و أهل بيته الكرام و سلم تسليما كثيرا<sup>١٥</sup> .

١٠

- (١) من مد، وفى الأصل و ظ و م؛ الوجود (٢ - ٢) من ظ و م و م و مد،  
 وفى الأصل: خلق الخافقين (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من ظ و م و م و مد (٤) من  
 م و مد، وفى الأصل و ظ: أفر خلقهما (٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ:  
 مسره (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ: مع (٧) من م و مد، وفى  
 الأصل و ظ: التكرار (٨) من م و مد. وفى الأصل و ظ: اتصال (٩) من  
 ظ و م و مد، وفى الأصل: بالأول اعنى اول (١٠) زيد فى الأصل: بقوله  
 ”فهل يهلك الا القوم الفسقون الذين كفروا“ الى آخره، ولم تكن الزيادة  
 فى ظ و م و مد لحذفها (١١) من م و مد، وفى الأصل و ظ: جعل.  
 (١٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ: منزل.

## سورة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وتسمى القتال و تسمى أيضا الذين كفروا

مقصودها التقدم إلى المؤمنين في حفظ حظيرة الدين بادامة الجهاد  
للكفار، حتى يلزمهم الصغار، أو يطلوا<sup>١</sup> ضلالهم كما أضل [الله -<sup>١</sup>]  
هـ أعماهم، لاسيما أهل الردة الذين [فسقوا عن محيط الدين إلى -<sup>٢</sup>]  
أودية الضلال المين، والتزام<sup>٣</sup> هذا الخلق الشريف إلى أن تضع الحرب  
أوزارها بإسلام أهل الأرض كلهم بنزول<sup>٤</sup> عيسى عليه الصلاة والسلام،  
وعلى ذلك دل اسمها "الذين كفروا" لأن من المعلوم أن من صدك  
عن سبيلك قاتلته و [أنك -<sup>٥</sup>] إن لم تقاتله كنت مثله، واسمها محمد  
١٠ / ٨٠٤ واضح في ذلك لأن الجهاد كان خلقه عليه / أفضل الصلاة والسلام

إلى أن توفاه الله تعالى وهو نبي الرحمة بالملحمة لأنه لا يكون حمد وثم  
نوع ذم كما تقدم تحقيقه في سورة فاطر وفي سبا وفي الفاتحة، ومتى  
كان كف عن أعداء الله [كان -<sup>٦</sup>] الذم، [و -<sup>٧</sup>] أوضح أسمائها في

(١) السبم والأربعون من سور القرآن الكريم، وعدد آياتها ٣٨ عند  
الكوفيين، و ٣٩ عند المدنيين والمكي والشامي، و ٤٠ عند البصريين - راجع  
نثر المرجان ٦ / ٥٧٢ (٢ - ٢) - قط ما بين الرقيين من ظ و م ومد (٣) من  
مد، وفي الأصل و ظ و م: يبطل الله (٤) زيد من م ومد (هـ) زيد من  
ظ و م ومد (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ: الزام (٧) من مد، وفي  
الأصل و ظ و م: نزول.

هذا المقصد القتال ، فان من المعلوم أنه لأهل الضلال ﴿ بسم الله ﴾  
 الملك الاعظم الذى [ أقام - ١ ] جنده للذب عن حماه ﴿ الرحمن ﴾  
 الذى عمت رحمته تارة بالبيان وأخرى بالسيف والسنان ﴿ الرحيم ﴾  
 الذى خص حربه بالحفظ فى طريق الجنان .

لما أقام سبحانه الأدلة فى الحواميم حتى صارت كالشمس ، لا يزغ ه  
 عنها إلا هالك ، و ختم بأنه لا يهلك بعد هذه الأدلة إلا القوم<sup>٢</sup> الفاسقون ،  
 افتتح هذه بالترريف بهم فقال سبحانه و تعالى : ﴿ الذين كفروا ﴾ أى  
 سقروا أنوار الأدلة فضلوا على<sup>٣</sup> علم ﴿ و صدوا ﴾ أى امتنعوا بأنفسهم  
 و منعوا غيرهم لمراقبتهم فى الكفر ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى الطريق الرب  
 المستقيم الذى شرعه الملك الاعظم ﴿ اضل ﴾ أى أبطل إطلاعا عظيما ١٠  
 [ يزيل العين و الأثر - ١ ] ﴿ أعمالهم ﴾ التى هى أرواحهم المعنوية وهى  
 كل شئ يقصدون به تقع أنفسهم من جلب تقع أو دفع ضرر بعد أن  
 وفر سيئاتهم و أفسد بالهم ، و من جملة أعمالهم ما يكيدونكم<sup>٤</sup> به لأنها  
 إذا ضلت عما قصدوا بها بجملة سبحانه لها ضالة ضائعة هلكت من جهة  
 أنها ذهبت فى الممالك و من جهة<sup>٥</sup> أنها ذهبت فى غير الجهة التى قصدت ١٥  
 لها فبطلت منفعتها المقصودة منها فصارت هى باطلة فأذهبوا أنتم  
 أرواحهم<sup>٦</sup> الحسية بأن تبطلوا صورهم و أشباحهم بأن تقطعوا أوصالهم  
 (١) زيد من م و مد (٢) سقط من م و مد (٣) من ظ و مد ، و فى  
 الأصل وم : عن (٤) من م و مد ، و فى الأصل وظ : جملة (هـ) من م و مد ،  
 و فى الأصل وظ : أرواحهم .

و أنتم في غاية الاجتراء عليهم ، فان ربهم الذي أوجدكم قد أبطلهم  
و أذن لكم في إبطالهم ، فانه قد علم أنه لاصلاح لهم و المؤذى طبعاً  
يقتل شرعاً ، فمن قدرتم على قتله فهو محكوم بكفره ، محنوم  
بخبثه و خسره .

٥ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : ' لما انفتحت سورة الاحقاف  
على ما ذكر من مآل من كذب و افترى ' و كفر ' و فجر ، و افتتحت  
السورة باعراضهم ، ختمت بما [ قد - ٢ ] تكرر من قريحهم و توبيخهم ،  
فقال تعالى : " ألم يروا ان الله الذى خلق السموات و الارض و لم يبع  
بخلقهن بقدر على ان يحيى الموتى " أى لو اعتبروا بالبداة لئسر عليهم  
١٠ أمر العودة ، ثم ذكر عرضهم على النار إلى قوله " فهل يهلك الا القوم  
الفسقون " فلما ختم بذكر هلاكهم ، افتتح السورة الاخرى بعاجل  
ذلك اللاحق لهم فى دنياهم فقال تعالى " فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب  
الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد و اما فداء حتى  
تضع الحرب اوزارها " الآية بعد ابتداء السورة بقوله " الذين كفروا  
١٥ و صدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم " فبه على أن أصل معتهم إنما هو

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انبات - كذا (٢-٢) - سقط ما بين  
الرقين من م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : بلى ، و لم تكن  
الزيادة فى ظ و م و مد فحذفنا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى .  
(٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حتى إذا (٧-٧) - سقط ما بين الرقين  
من ظ و م و مد .

بما أراده تعالى بهم في سابق عليه ليعلم المؤمنون أن الهدى والضلال / يده ، فنه على الطريقين بقوله " اضل اعمالهم " وقوله في الآخر ٨٠٥ / " كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم " ثم بين " أنه تعالى " لو شاء لا تنصر منهم ولكن " أمر المؤمنين بقتالهم ابتلاء واختبارا ، ثم حض المؤمنين على ما أمرهم به من ذلك فقال " ان تنصروا الله ينصركم " ثم التحمت ه الآي - انتهى .

ولما ذكر أهل الكفر مبعرا عنهم بأدنى طبقاتهم ليشمل من فوقهم ، ذكر أصدادهم كذلك ليعلم من كان منهم من جميع الفرق فقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان باللسان (وعملوا) تصديقا لدعوائهم ذلك ﴿ الصلحت ﴾ أى الأعمال الكاملة في الصلاح بتأسيسها ١٠ على الإيمان . ولما كان هذا الوصف لا يخص أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، خصهم بقوله تعالى : ﴿ وامنوا ﴾ أى مع ذلك . ولما كان بعضهم كحبي بن أخطب ومن نخاخوه قد طعن في القرآن بنزوله منجبا مع أن التوراة ما نزلت إلا كذلك ، وليس أحد منهم يقدر أن ينكره قال : ﴿ بما نزل ﴾ أى آمن لا منزل إلا هو منجبا مفرقا ليجددوا بعد ١٥

(١-١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الضلالة يعده (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الآخرة (٣-٣) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : تعالى انه (٤) زيد في الأصل : المؤمنين بقتالهم لكن ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفنا (٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : اصل (٦) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : لدعواه (٧) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : قادر على . (٨-٨) - فقط ما بين الرقيين من م (٩) زيد فيه في الأصل : وهو ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفناها .

الإيمان به<sup>١</sup> إجمالا الإيمان بكل نجم منه (على محمد) النبي الأسمى العربي  
القرشي المسكي [م-٢] المدنى الذى يحدونه مكتوبا عندم<sup>٢</sup> فى التوراة  
والإنجيل صلى الله عليه وسلم، [ولما كان هذا معلما بأن كل إيمان  
لم يقترن بالإيمان به صلى الله عليه وسلم - ٢] لم يعتد به، اعترض بين  
المتباد وجوابه بما يفهم علته حثا عليه وتأكيده له فقال تعالى: (وهو)  
أى هذا الذى نزل عليه صلى الله عليه وسلم محقق بأنه (الحق) أى  
الكامل فى الحقيقة لأنه يفسخ ولا يفسخ، كآتنا (من رحم لا) المحسن إليهم  
بارساله<sup>٣</sup>، أما إحسانه إلى أمته فواضح، وأما سائر الأمم فبكونه هو الشافع  
فيهم الشفاعة العظمى يوم القيامة، و أمته هى الشاهدة لهم .

١٠ ولما ثبت بهذا أنهم أحق الناس بالحق، بين ما أئمر<sup>٤</sup> لهم ذلك  
دالا على أنه لا يقدر [أحد - ٢] أن يقدر الله حق قدره، فلا يسع  
الخلق إلا العفو لأنهم وإن اجتهدوا فى الإصلاح<sup>٥</sup> بدا لهم<sup>٤</sup> لنقصانهم من  
سيئات أو هفوات فقال تعالى: (كفر) أى غطى تغطية عظيمة (عنهم)  
فى الدارين بتوبتهم وإيمانهم لأن التوبة نجب ما كان قبلها كالإيمان  
١٥ (سيأتهم) أى الأعمال السيئة التى لحقتهم قبل ذلك بما يظهر لهم من

(١) سقط من م (٢) زيد من م و مد (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) زيد  
فى الأصل: لكونه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٥) من م  
و مد، وفى الأصل و ظ: بارسالهم (٦-٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل:  
فلكونه (٧) من مد، وفى الأصل و ظ و م: اغر (٨-١٠) من مد، وفى  
الأصل و ظ و م: بدرايه - كذا .



المحاسن و هدى أعمالهم . و لما كان من يعمل سوءا يخاف عاقبه فيتفرق فكره ، إذ لا عيشة لحاقف<sup>١</sup> قال تعالى : ( واصلح بالهم<sup>ه</sup> ) أى موضع سرهم و فكرهم بالأمن و التوفيق و السداد و قوة الفهم و الرشاد<sup>٢</sup> لما يوقههم له من محاسن الأعمال و يطيب به أسمهم فى الدارين ، قال ابن برجان : و إذا أصلح ذلك [ من العبد - ٢ ] صلح ما يدخل<sup>٣</sup> إليه و ما يخرج<sup>ه</sup> عنه و ما يثبت فيه ، و إذا فسد / فبالضد من ذلك ، و لذلك إذا اشتغل البال لم ينتفع<sup>٤</sup> من صفات<sup>٥</sup> الباطن بشئ<sup>٦</sup> ، و قد علم أن الآية من الاحتباك : ذكر ضلال الكفار أولا دليلا على إرادة الهدى للؤمنين ثانيا ، و إصلاح البال ثانيا دليلا على [ حذف - ١ ] لإفساده أولا .

٨٠٦/

و لما كان الجزاء من جنس العمل ، علل ما تقدم من فعله بالفريقين ١٠ بقوله : ( ذلك ) أى الامر العظيم الذى ذكر هنا من جزاء الطائفتين ( بان ) أى بسبب أن ( الذين كفروا ) أى ستروا مراى عقولهم ( اتبعوا ) أى بقاية جهدهم و معالجتهم لما قادتهم إليه فظرم الأولى ( الباطل ) من العمل الذى لاحقيقة [ له - ٢ ] فى الخارج يطابقه ، و ذلك هو الابتداع و الميل مع الهوى<sup>٧</sup> ايثارا للحظوظ<sup>٨</sup> فضلوا ١٥ ( و ان الذين آمنوا ) أى ولو كانوا<sup>٩</sup> فى أقل درجات الإيمان ( اتبعوا )

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لخاف (م) زبدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد لخفتاها (م) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يدخل (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بصفات (٦) زيد من م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امان الخطوبا (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كان .

أى بقاء جهنم متابعين لما تدعو إليه الفطرة الأولى مخالفين لنوازع الشهوات و دواعى الحظوظ على كثرتها و قوتها ﴿الحق﴾ أى الذى له واقع يطابقه و ذلك هو الحكمة و هى العمل بموافقة العلم و هو معرفة المعلوم على ما [ هو - ٢ ] عليه ﴿من رحمهم﴾ الذى أحسن إليهم بإيجادهم و ما سببه من حسن اعتقادهم فاهتدوا .

و لما علم من ٢ هذا أن باطن حال الذين كفروا الباطل ، و باطن حال الذين آمنوا الحق ، و تقدم فى البقرة أن المثل هو ما يتحصل فى باطن الإدراك من حقائق الأشياء المحسوسة ، فيكون أطف من الشيء المحسوس ، و أن ذلك هو وجه الشبه ، علم أن مثل كل من الفريقين ما ١٠ علم من باطن [ حاله - ٢ ] فمثل الأول الباطل و مثل ٢ الثانى الحق ، فلذلك ٢ قال سبحانه استئنافا جوابا لمن كأنه قال لما أدركه من دهش العقل لما راعه من علو هذا المقال : هل [ يضرب - ٢ ] مثل مثل هذا : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الضرب العظيم الشأن ﴿ يضرب الله ﴾ [ أى - ٢ ] الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ﴿ للناس ﴾ أى كل ١٥ من ٢ فيه قوة الاضطراب و الحركة ﴿ أمثالهم ﴾ أى أمثال أنفسهم و أمثال

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتى (٢) زيد من م و مد (٣-٢) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل و ظ (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم . (٥) سقط من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فذلك (٧) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها .

الفريقين المتقدمين أو أمثال جميع الأشياء التي يحتاجون إلى بيان أمثالها  
مينا لها مثل هذا البيان ليأخذ كل واحد من ذلك جزءا حاله ، فقد علم  
من هذا المثل أن من اتبع الباطل أضل الله عمله ووفر سيئاته  
وأفسد باله ، ومن اتبع الحق عمل به ضد ذلك كاتنا من كان ،  
وهو غاية الحث على طلب العلم في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله  
عليه وسلم والعمل بهما .

١ "ولما تحمر أن الكفار أحق الخلق بالدم" لأن الباطل  
مثلهم "وحقيقة حالهم" ، سبب عنه قوله : ( فاذا لقيتم ) أى أيها  
المؤمنون ( الذين كفروا ) " ولو بأذى أنواع الكفر فى أى مكان  
كان وأى زمان " اتفق . ولما كان المراد القتل المجهر بغاية التحقق ، ١٠  
عبر عنه مؤكدا له من الاختصار بذكر المصدر الدال على الفعل مصورا  
له ٢ " بأشنع " صوره مع " ما فيه من الغلظة على الكفار والاستهانة

(١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : الذى (٢) زيد فى الأصل و ظ : جميع .  
ولم تكن الزيادة فى م ومد لحذفها (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل :  
حبل - كذا (٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : الحب (٥) من م ومد ،  
وفى الأصل و ظ : من (٦) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : العلم .  
(٧-٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : بما عدا - كذا (٨) زيد فى الأصل :  
من ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفها (٩) من م ومد ، وفى  
الأصل و ظ : مثله (١٠) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : حاله (١١) زيد  
فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفها (١٢) زيد فى  
الأصل : كان أو ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفها (١٣) فى م : به .  
(١٤-١٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : تصور متبعم .

/ بهم فقال تعالى : ﴿ فاضرب الرقاب ﴾ أى عقبوا لقيكم لهم من غير مهلة بأن تضربوا رقابهم ضربا بالصدق فى الضرب بما يزهق أرواحهم ، فإن ذلك انتهاز للفرصة وعمل بالاحوط ، وكذلك النفس التى هى أعدى العدو إذا ظفرت بها وجب عليك أن لاتدع لها بقية ، قال القشيري :  
 ه فالحية إذا بقيت منها بقية فرضمت عليها إصبع ثبت فيها سمها .

و لما كان التقدير : أو لا يزال ذلك فطعم ، غياه بقوله : ﴿ حتى ﴾  
 و بشرم بالتعبير بأداة التحقق فقال تعالى : ﴿ إذا أختتموهم ﴾ أى أغلظتم  
 القتل فيهم و أكثرتموه بحيث صاروا لاهراك بهم كالننى ثخن فأفرط  
 ثخنه ، فجعل ذلك شرطا للأسر كما قال تعالى " وما كان لنبي أن يكون  
 ١٠ له أسرى حتى يثخن فى الارض " ثم قال تعالى ميثنا لما بعد الثخن :  
 ﴿ فشدوا ﴾ أى لأنه لا مانع لكم الآن من " الأسر " ( الوثاق ) أى

(١) م ر م و مد ، وفى الأصل و ظ : ارتابهم (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ  
 و م : اذلك (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بها (٤) فى مد : متى .  
 (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : اصيبا (٦) من م و مد ، وفى الأصل  
 و ظ : فلا (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : عنه (٨) من م و مد ، وفى  
 الأصل و ظ : التحقيق (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : أكثرتموه .  
 (١٠) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : احتراك (١١) - (١٢) - نقط ما بين الرقبين  
 من ظ و م و مد ، وزيد فى الأصل بعد « بعد الثخن » فقال ، فخذناها (١٣) من  
 م و مد ، وفى الأصل و ظ : بعد (١٤) زيد فى الأصل و ظ : من ، ولم تكن  
 الزيادة فى م و مد فخذناها .

الرباط الذى يستوثق<sup>١</sup> به<sup>٢</sup> من الأسر بالربط<sup>٣</sup> على أيديهم مجموعة إلى<sup>٤</sup> أعتاقهم - مجاز عن الأسر بغاية الاستيلاء<sup>٥</sup> والقهر .

ولما كان الامام مخيرا<sup>٦</sup> فى أسرام<sup>٧</sup> بين أربعة أشياء : القتل والإطلاق مجانا والإطلاق بالفدية وهى<sup>٨</sup> شئ يأخذه<sup>٩</sup> عوضا عن رقابهم و<sup>١٠</sup> الاسترقاق<sup>١١</sup> ، عر عن ذلك بقوله مفصلا : ( فاما من ) أى أن ينعموا عليهم إنعاما ( بعد ) أى فى جميع أزمان ما بعد الأسر باستبقائهم ثم بعد الإنعام باستبقائهم إما أن يكون ذلك مع الاسترقاق أو مع الإطلاق ثم الإطلاق إما<sup>١٢</sup> مجانا ( واما فداء ) بمال أو بأسرى من المسلمين ونحو ذلك ، فأفهم التعبير بالمس<sup>١٣</sup> الذى معناه الإنعام أن الإبقاء غير واجب [ بكل - " ] جاز<sup>١٤</sup> ، ودخل فى الإبقاء ثلاث صور : الاسترقاق والإطلاق ١٠

مجانا و<sup>١٥</sup> بالفداء فصرح سبحانه وتعالى بالفداء الذى معناه الأخذ

- (١) من مد ، وفى الأصل وظ و م : يتوثق (٢) زيد فى الأصل وظ : وهو ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فخذناها (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : أى الربط (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : عني (٥) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الاشتداد (٦-٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : بين أسرام ، وسقط ما بين الرقين من م (٧-٧) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يأخذ الامام (٨) زيد فى الأصل : الرابع ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فخذناها . (٩) زيد فى الأصل : ثم ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فخذناها (١٠) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : أى (١١) زيد من ظ وم ومد (١٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : جابر (١٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : أو .

على وجه أنه قسيم للز . فلم أن المراد به الإبقاء مع عدم الأخذ فدخل  
 فيه الإطلاق مجانا و هو واضح و الاسترقاق لأنه إنعام بالنسبة إلى القتل،  
 و أفهم التعبير بالز الذي معناه الإنعام من المنان الذي هو اسمه تعالى  
 و معناه المعطى ابتداء جواز [القتل - ١] لأن الإنعام مخير فيه لا واجب  
 ه لأنه لو كان واجبا كان حقا لا نعمة ، فقد دخلت المور الأربع في التعبير  
 بهاتين الكلمتين - والله الهادي ، و كل هذا على ما يراه الإمام أو نائبه  
 مصلحة ، قال النقشيري : كذلك حال المجاهدة<sup>٢</sup> مع النفس إذا كان في إغفاء  
 ساعة و إظهار يوم ترويح للنفس<sup>٣</sup> من الكد و قوة على الجهد فيما يستقبل  
 من الأمر على ما يحصل به الاستصواب من شيخ المريد و قوى لسان  
 ١٠ الوقت أو فراسة صاحب المجاهدة - انتهى . و قد أفهم هذا السياق أن  
 هذا الحكم ثابت 'غير منسوخ' و الأمر بالقتل [ وحده - ٥ ] في غيرها  
 من الآيات عام [ غير - ١ ] مخصوص بما أفهمته الغاية من أن التقدير :  
 / و الجهاد على هذه الصفة باق و ماض مع كل أمير<sup>٤</sup> برا كان<sup>٥</sup> أو فاجرا ،  
 لا يزال طائفة من الأمة قائمين به ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم  
 ١٥ حتى يأتي أمر الله ، و هو - والله أعلم - المراد بقوله تعالى : ( حتى ) أى  
 افعلوا ما أمرتكم به على ما جددت لكم إلى أن ( تضع الحرب أوزارها ) (٦)

/ ١٨٠٨

(١) زيد من م و مد (٢) في مد : المشاهدة (٣) من م و مد ، و في الأصل  
 و ظ : النفس (٤-٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : عن منسوخ (٥) زيد  
 من ظ و م و مد (٦-٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : كان برا (٧) من  
 ظ و م و مد ، و في الأصل : بقاله .

و هي اقلها أى الآلات التى تثقل القامنين بها من النفقات و السلاح  
و الكراع و نحوه . و ذلك لا يكون و فى الارض كافر . و ذلك على  
زمن عيسى عليه الصلاة و السلام حين تخرج الارض بركاتها ، و تكون  
الملة واحدة و هي الإسلام لله رب العالمين ، فيتخذ [ الناس - ١ ] حديد  
السلاح سككا و مناجل و فؤسا يتفعلون بها فى معاشهم كما ورد فى ه  
الحديث " الجهاد ماض [منذ بعثى الله - ٢] إلى أن يقاتل آخر أمتى  
الذجال - رواه فى الفردوس عن أنس رضى الله عنه " الجهاد واجب عليكم  
مع كل بر و فاجر " رواه أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه .  
و لما كانت الحرب كريمة إلى النفوس شديدة المشقة ، أكد  
أمرها بما معناه : إن هذا أمر قد فرغ منه ، فقال تعالى : ﴿ ذلك ﴾ أى ١٠  
الأمر العظيم العالى الحسن النافع الموجب لكل خير . و لما كان هذا  
ربما أوهم أن التأكيد فى هذا الأمر لكون الحال لا يمكن انتظامه إلا به ،  
أتبعه ما<sup>١</sup> يزيل [ هذا - ٢ ] الإيهام فقال<sup>٤</sup> : ﴿ ولو ﴾ و لما كان لو عبر  
بالماضى [ أفاد ] أنه كان و لم يبق ، عبر بالمضارع الدال على الحال و ما بعده

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ : بذلك و فى الحديث ، و لم تكن  
ازيادة فى م و مد لحذفها (٣) زيد من م و مد و ليس فى تلخيص الفردوس  
رقم الحديث : ٢٩٢ هـ (٤) راجع من سفته أبواب الجهاد (٥) من م و مد ،  
و فى الأصل و ظ : كان (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بما .  
(٧) زيد من مد (٨) زيد فى الأصل : مشيرا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م  
و مد لحذفها .

فقال : ﴿ يشاء الله ﴾ أى الملك الاعظم الذى له جميع صفات الكمال  
والقدرة على ما يمكن<sup>٢</sup> ﴿ لاتصر منهم ﴾ أى بنفسه من غير أحد اقتصارا  
عظيما بأن لا يبق منهم أحدا ﴿ و لكن ﴾<sup>٣</sup> أوجب ذلك عليكم  
﴿ ليلوا ﴾ .

٥ ولما كان الابتلاء ليس خاصا بفريق منهم بل عاما للفريقين لأنه  
يكشف عن أهل المحاسن و [ أهل - ' ] المساوئ من كل منهم، قال  
تعالى : ﴿ بعضكم ﴾<sup>٤</sup> من الفرقة المؤمنين بالإنكار عليهم من الفرقة الطاغين  
حتى يكون لهم بذلك اليد البيضاء<sup>٥</sup> ﴿ ببعض ﴾<sup>٦</sup> أى يفعل فى ذلك فعل  
المختبر ليترتب عليه الجزاء على حسب ما تألفونه من العوائد .

١٠ ولما أفهم هذا أن الابتلاء<sup>٧</sup> بين فريقين بالجهاد ، قال عاطفا على  
ما تقديره : فالذين قاتلوا أو قتلوا فى سبيل الشيطان أضل أعمالهم :  
﴿ والذين قتلوا<sup>٨</sup> ﴾ وفى قراءة البصريين وحفص<sup>٩</sup> " قتلوا " وهى  
أكثر ترجيا والاولى<sup>١٠</sup> أعظم ترجية ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى لاجل تسهيل

(١) سقط من ظ و م ومد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد .  
(٣) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها .  
(٤) زيد من م ومد (٥) زيد فى الأصل : سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم  
فى خلقه بما يريد لاراد لحكمه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها .  
(٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الابتداء (٧) من م ومد ، وفى الأصل  
وظ : قتلوا (٨) راجع نثر المرجان ٦ / ٥٧٨ (٩) من ظ و م ومد ، وفى  
الأصل : الاعظم لى .



طريق الملك الاعظم المتصف بجميع صفات الكمال .

ولما كان في سياق الترغيب، قرن الخبر بالفاء إعلاما بأن أعمالهم

سيبه<sup>١</sup> فقال تعالى: ﴿ فلن بضل ﴾ أى يضيع و يضل ﴿ أعمالهم ٥ ﴾

لكونها غير تابعة لدليل بل يبصرهم بالأدلة و يوقهم لاتباعها، وهو

معنى قوله تعالى تعليلا: ﴿ سيهد بهم ﴾ أى فى الدارين يوعد لاخلف ٥

فيه بعد المجاهدة إلى كل ما ينفعهم مجددا ذلك على سبيل الاستمرار

﴿ و يصلح بالهم ٥ ﴾ أى / موضع فكرهم فيجعله مهيا لكل خير بعيدا عن ٨٠٩ /

كل شر آمننا من الخواف<sup>٢</sup> مطمئنا بالإيمان<sup>٣</sup> بما فيه من السكينة، فإذا

قتل أحد فى سبيله<sup>٤</sup> تولى سبحانه و تعالى ورثته بأحسن من تولى<sup>٥</sup> المقتول<sup>٥</sup>

لو كان حيا . ١٠

ولما كان هذا<sup>٦</sup> ثوابا عظيما<sup>٧</sup> ونوالا جسيما<sup>٨</sup>، أتبعه ثوابا أعظم

منه فقال تعالى: ﴿ ويدخلهم الجنة ﴾ أى<sup>٩</sup> دار القرار<sup>١٠</sup> الكاملة فى

النعم، وأجاب من<sup>١١</sup> كأنه يسأل<sup>١٢</sup> عن كيفية إدخالهم إياها وكيفيتها عند

ذلك بقوله تعالى: ﴿ عرفها لهم ٥ ﴾ [ أى -<sup>١٣</sup> ] بتعريف الأعمال الموصلة

(١) من مد، وفى الأصل و ظ و م: سببة (٢ - ٣) سقط ما بين الرقين

من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: سبيل (٥) زيد فى

الأصل: فإذا رأى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٥) زيد فى

الأصل: ما اعدله تمنى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٦) زيد

فى الأصل: الثواب، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .

(٧-٧) فى ظ و م و مد: سأل (٨) زيد من م و مد .

إليها و التوفيق لهم إليها في الدنيا ' وأيضاً بالتبصير ' بالمنازل في الآخرة  
حتى أن أحدهم يصير ' أعرف بمنزله فيها منه بمنزله في الدنيا، وطيب  
رائحتها وجمال موضعها عالياً وجدرانها عالية وهي ذات أعراف  
وشرف، وفي هذه الآية بشرى عظيمة لمن جاهد ساعة ما بأن الله  
يُمِيت على الإسلام المستلزم لثلاث يضيع له عمل، ويؤيده ' ما رواه الطبراني  
في الكبير ' عن فضالة بن عبيد الأنصاري رضى الله عنه قال: سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: للإسلام ثلاث آيات: سفلى وعليا  
وغرفة، فأما السفلى فالإسلام دخل فيه عامة المسلمين ' فلا تسأل أحداً  
منهم إلا قال: أنا مسلم، وأما العليا فتفاضل أعمالهم ' بعض المسلمين  
أفضل من بعض، وأما الغرفة العليا فالجهاد في سبيل الله لا يبالغها  
إلا أفضلهم ' .

ولما ذكر القتال، تشوف السامع إلى حال المقاتل من النصر  
والخذلان فأجاب بما يعرف بشرط النصر فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾  
أي أقروا بذلك وإن كان في أدنى الدرجات بما أشعرت به أداة البعد

(١) العبارة من هنا إلى «منزله في الدنيا» ساقطة من مد وكلمة «أيضاً» ساقطة  
من ظ و م (٢) من م، وفي الأصل و ظ: بالتبصر (٣) سقط من ظ و م  
و مد (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ويؤيد هذا (٥) راجع بمجمع  
الزوائد للهيشمي ٢٧٤/٥ (٦ - ٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ: فلا يسأل  
أحد، وفي المجمع: فلا يسأل أحداً (٧) من ظ و م و مد والمجمع، وفي الأصل:  
اعمال (٨) من مد والمجمع، وفي الأصل و ظ و م: لا يبالغها (٩) من ظ و م  
و مد والمجمع، وفي الأصل: فضلهم .

و الصلة بالماضى ﴿ ان تصروا الله ﴾ اى يتجدد الكم فيه ' مستمرة  
و فعل دائم على نصرة دين الملك الاكظم بايضاح أدلة و تبينهها و توهية  
شبه أهل الباطل و قتالهم، و يكون ذلك خالصا له لا لغيره من النيات  
العاسدة المعلولة بطلب الدنيا أو الشهرة بالشجاعة و العلم و طيب الذكر  
و الغضب للأهل و غير ذلك ﴿ يتصركم ﴾ فانه ' انصر لا غيره من عدده  
أو عدده فيقمع أعداء الدين بأيديكم .

ولما كان النصر قد يكون مع العجز و الكسل و الجبن و الفشل،  
بين أنه يعيهم من ذلك فقال: ﴿ و ثبت ادعكم ﴾ اى تثبتا عظيما -  
بأن يملأ قلوبكم سكينه " و اطعنا و أبدانكم قوة و شجاعة " فى حال  
القتل و وقت البحث و الجدال، و عند مباشرة جميع الاعمال، فتكونوا ٥٠  
عالين [ قاهرين - ٢ ] فى غاية ما يكون من طيب النفوس و انشراح  
الصدور ثقة بالله و اعزازا به و إن تملا عليكم أهل الأرض .

و لما ذكر أهل الإيمان، بين ما لأهل الكفران، فقال سبحانه:  
﴿ و الذين كفروا ﴾ اى ستروا ما دل عليه العقل و قادت إليه الفطر  
الاولى / و يبر أن سوء أعمالهم أسباب و ما لهم بالفناء . فقال مؤكدا جعل ١٥ / ٨١٠  
الخبر مفعولا مطلقا ' لأجل استبعادهم بما لهم من القوة بكثرة العدد

( ١ - ١ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك منكم بنية ( ٢ ) من م و مد ،  
و فى الأصل و ظ : عدد ( ٣ - - ) سقط ما بين الرقین من ظ و م و مد .  
( ٤ ) زيد من م و مد ( ٥ ) زيدت الواو فى الأصل و ظ و م ، و لم تكن  
فى مد لخدمتها ( ٦ - ٧ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاستبعادهم للاخذان .

والملاءه' بالعدد : ﴿ قعسا ﴾ أى فقد عثروا<sup>١</sup> فيقال لهم ما يقال للعاز  
الذى يراد<sup>٢</sup> أنه لا يقوم : تعسا لا قيام معه ، كما يقال لمن عثر وأريد  
قيامه : تعسا [ لك - ' ] ، والمراد بالتعس الانحطاط والسفول والهوان  
والقلق . ولما كان كأنه قيل : لمن هذا ؟ قيل : ﴿ لهم ﴾ فلا يكادون  
يثبتون في قتال لمن صلحت<sup>٣</sup> منه الاعمال .

ولما كان الإنسان قد يعثر ويقع ويقال له : تعسا ، ويقوم بعد  
ذلك ، ولا يبطل عمله<sup>٤</sup> ، بين أن قوله ليس كذلك ، بل مهما قاله كان  
لا يتخلف أصلا ، فقال معبرا بالماضى إشارة إلى التحم فيه ، وأما  
الاستقبال فرمما تاب<sup>٥</sup> على بعضهم<sup>٦</sup> فيه عاطفا على ما تقديره فقال تعالى  
١٠ لهم ذلك : ﴿ واصل اعمالهم ﴾ وإن كانت ظاهرة الإيقان لأجل تضييع  
الاساس بالإيمان .

ولما بين ما صنع بهم ليجترئ به حزبه عليهم ، بين سببه ليجنب  
فقال : ﴿ ذلك ﴾ الامر البعيد من الخير ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم  
﴿ كرموا ﴾ بغضوا وخالفوا وأنكروا<sup>٧</sup> ﴿ ما أنزل الله ﴾ أى الملك

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الماة (٢) من ظ و م و مد . وفى  
الأصل : غروا (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يراو - كذا (٤) زيد  
من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قفيل (٦) من مد ، وفى  
الأصل : ظ و م : ضات (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : علمه (٨) زيد  
فى الأصل : ظ : بعضهم ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحدثاها (٩) من م  
و مد ، وفى الأصل : ظ : بعض ( ١٠ - ١٠ ) سقط ما بين الرقيين من  
ظ و م و مد .

الاعظم الذى لانعمه إلا منه ، و الذى أزاله من القرآن و السنة هو روح  
الوجود الذى لا يعاندونه ، فلما كرهه الروح الاعظم بطلت أرواحهم فتبعته  
أشباحهم ، و هو معنى قوله مسيا يانا لمعنى 'إضلال أعمالهم' : ( فاجبط )  
أى أبطل إبطالا لا صلاح معه ( أعمالهم هـ ) بسبب أنهم أفسدوها بنياتهم  
فصارت و إن كانت صورها صالحة ليس لها أرواح ، لكونها [ واقعة - ٢ ] هـ  
على غير ما أمر به الله الذى لا أمر إلا له و لا يقبل من العمل إلا ما حده  
و رسمه ، و هذا وعيد للأمة بأنها إن تخلت<sup>٢</sup> عن نصر الله و الجهاد فى  
سيله و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و كلها سبحانه إلى نفسها و تخلى  
عن نصرها [ و سلط عليها عدوها - ١ ] ، و لقد وجد بعض ذلك من  
تسلط الفسقة لما وجد التهاون فى بعض ذلك و التواكل فيه . ١٠

و لما كان لا يستهين بهذه القضايا و يحترق مثل هذه البلايا إلا  
من أمن العقوبة ، و لا يأمن العقوبة إلا من أعرض عن الله سبحانه  
و تعالى . و كان يكفى فى الصد عن الأمرين وقائمه تعالى بالأمم الخالية  
لأجل تكذيب رسله و مناصبة أوليائه و الاعتداء على حدوده . قال  
فمنكرا عليهم و موبخا لهم " تقدما إليهم " بالتحذير من بطشه و سطوته ١٥  
و شديد أخذه و عقوبته ، مسيا عن كراهيتهم المذكورة و ما تأثر عنها

( ١ - ١ ) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اضلالهم ( ٢ ) زيد من م و مد .

( ٣ ) من م و مد . و فى الأصل و ظ : انحلت ( ٤ ) زيد من ظ و م و مد .

( ٥ - هـ ) م م و مد . و فى الأصل و ظ : و مقدما لهم ( ٦ ) من ط و م و مد ،

و فى الأصل : كرهتهم .

من العداوة لأهل الله : ﴿ افلم يسيرا ﴾ [ اى - ' ] بسبب تصحيح  
أعمالهم و بنائها على أساس ﴿ فى الارض ﴾ أى التى فيها آثار الوقائع  
فانها هى الأرض / فى الحقيقة لما لها من زيادة التعريف بالله ﴿ فينظروا ﴾ / ٨١١

عقب سيرهم وبسبه . ولما كانت وقائمه خالعة للقلوب بما فيها من  
الأمور الباهرة الناطقة بها ألسنة الأحوال بعد التنبيه بالمقال<sup>٢</sup>، ساق ذلك  
بسوقه فى<sup>٣</sup> أسلوب الاستفهام مساقا منها على أنه من العظمة بحيث  
يفرغ الزمان للعناية بالسؤال عنه فقال : ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر  
أمر ﴿ الذين ﴾ ولما كان يمكنهم معرفة [ ذلك من جميع المهلكين ،  
نه باثبات الجار على أنهم بعضهم بل بعض المكذبين للرسل ، وهم  
١٠ الذين سمعوا أخبارهم ورأوا ديارهم -<sup>٤</sup> ] بباد و نمود و مدين : - ١ و قوم  
لوط فقال تعالى<sup>٥</sup> : ﴿ من قبلهم<sup>٦</sup> ﴾ ولما كان كأنه قيل : ما لهم ؟ قال :  
﴿ دمر الله ﴾ أى أوقع الملك الأعظم الهلاك العظيم الداخل بغير إذن ،  
الهاجم بغته ﴿ عليهم<sup>٧</sup> ﴾ بما علم أهاليهم و أحوالهم و كل من رضى  
فما لهم أو مقالمهم ، و عدل [ عن - ' ] ان يقول : « ول هؤلاء ، إل قوله :  
١٥ ﴾ والمكفرين ﴾ تعميما و تعليقا للحكم بالوصف وهو العرافة بـ الكفر ،  
فكان فيه بشارة بأن بعضهم سينجيهم الله تعالى من أسباب الهلاك لكونه

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : باليقول (٣) زيد  
فى الأصل : اسباب ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخدفتها (٤) زيد من  
ظ و م (٥) زيد فى الأصل : مبيئا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد  
لخدفتها (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : الكف .

ليس عريقا في الكفر، لانه لم يطبع عليه ﴿امثالها﴾ أى أمثال هذه العاقبة .

ولما بين أنه يعلى أوليائه ويذل أعداءه ، بين علته ' فقال : ﴿ذلك﴾  
 أى الأمر العظيم الذى فعله بالفريقين ﴿بأن الله﴾ أى بسبب أن الملك  
 الأعظم المحيط بصفات الكمال ﴿مولى الذين آمنوا﴾ أى القريب من هـ  
 المصدقين به المرضين له ، فهو ' يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما  
 يفعل القريب بقريبه الحبيب له ، قال القشيري : و يصح أن يقال :  
 أرجى آية في كتاب الله هذه الآية لانه لم يقل : الزهاد والعباد وأصحاب  
 الأوراد والاجتهاد . يعنى بل ذكر أدنى أسنان أهل الإيمان .  
 ﴿وان الكافرين﴾ أى الفريقين في هذا الوصف ﴿لامولى لهم ع﴾ ١٠  
 بهذا المعنى ، لانهم ' يعبدون من ' الله ' الذى لا يعبد على الحقيقة إلا هو ،  
 فلا ينفعهم قرب قريب [ أصلا - ° ] وإن [ كان - ' ] الله مولاهم  
 بغير هذا المعنى بل بمعنى أنه سيدهم ومالكهم ، وفيه إيماء إلى أنه سبحانه  
 وتعالى ولى من لم يكن عريقا في الكفر فيخرجه من الظلمات إلى النور .  
 ولما تشوف السامع ' إلى تعرف تمام آثار الولاية ، قال شافيا ١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : علة ذلك (٢) من م و مد ، وفى الأصل  
 و ظ : نهل (٣-٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يعبدون دون - كذا .  
 (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) زيد  
 من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل : سبحانه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م  
 و مد لحذفها (٨) زيد فى الأصل : كان فى هذا شدة ، ولم تكن الزيادة فى  
 ظ و م و مد لحذفها (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : للسامع .

لمى سواهم مؤكدا 'لأجل كثرة' المكذبين : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى  
 له جميع الكمال ﴿ يدخل الذين آمنوا ﴾ أى أوقعوا التصديق ﴿ وعملوا ﴾  
 تصديقا لما ادعوا أنهم أوقعوه ﴿ الصلحت ﴾ فتمتعوا بما رزقهم الله  
 من الملاذ لا على وجه أنها ملاذ بل على وجه أنها مأذون فيها ،  
 ٨١٢ / ٥ وهى بلاغ إلى الآخرة / وأكلوا للترف بل لتقوية البدن على ما أمروا  
 به "تقوتنا لانتعنا" ﴿ جنت ﴾ أى بساتين عظيمة الشأن موصوفة بأنها  
 ﴿ تجري ﴾ وبين قرب الماء من وجهها بقوله : ﴿ من تحتها الانهر ﴾  
 أى فهى دائمة النمو و البهجة و النضارة و الثمرة لأن أصول أشجارها  
 ربي وهى بحيث متى أثرت بقعة منها أدنى أنارة جرى منها نهر ، فأنسام  
 ١٠ دخولها غصص ما كانوا فيه فى الدنيا من نكد العيش و معاناة الشدائد ،  
 و ضموا نعيمها إلى ما كانوا فيه فى الدنيا من نعيم الوصلة بالله ثم لا يحصل  
 لهم كدر ما أصلا ، وهى مأواهم لا يغيثونها حولا ، وهذا فى  
 نظير ما زوى عنهم من [ الدنيا - ° ] و ضيق فيها عيشهم ثقاة منهم  
 عنها حتى فرغهم لخدمته و ألزمهم حضرته جبا لهم و تشريفا لمقاديرهم  
 ١٥ ﴿ والذين كفروا ﴾ أى غطوا ما دل عليه العقل فعملوا لأجل كفرهم  
 الأعمال الفاسدة المبعدة عن جناب الله ﴿ يتممون ﴾ أى فى الدنيا بالملاذ

- (١ - ١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لكثرة (٢) زيد فى الأصل : من ،  
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفنا (٣ - م) من م و مد ، وفى  
 الأصل و ظ : تمتعوا لا تقوتوا (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : النسق .  
 (٥) زيد من م و مد .



لكونها ملاذ كما تتمتع الأنعام، فاسين ما امر الله معرضين عن لقاءه بل<sup>١</sup>  
 عن الموت أصلاً<sup>٢</sup> بل يكون ذكر الموت حاثاً لهم على الانهماك في  
 اللذات مسابقة له جهلاً منهم بالله (و ياكلون) على سبيل الاستمرار  
 (كما تاكل الانعام) أكل التذاذ ومرح من أى موضع كان وكيف  
 كان الأكل في سبعة أمعاء، أى في جميع بطونهم من غير تمييز<sup>٣</sup> للحرام<sup>٤</sup>  
 من غيره لأن الله تعالى أعظم الدنيا ووسع عليهم فيها وفرغهم لها  
 حتى شغلهم عنه هو أتابهم وبفضا لهم<sup>٥</sup> لأنه علم حالهم قبل أن يوجد لهم<sup>٦</sup>  
 فيدخلهم ناراً وقودها الناس والحجارة (و النار) أى والحال أن  
 ذات الحرارة العظمى والإحراق الخارج عن الحد (مثنى) أى منزل  
 ومقام (لهم هـ) 'تنسيم أول انفسهم' فيها كل نعيم كانوا فيه ثم ١٠  
 لا يصير لهم نعيم [ما -<sup>٧</sup>] أصلاً، بل لا ينفع عنهم العذاب [وقتما -<sup>٨</sup>]  
 فالآية من الاحتباك، ذكر الأعمال الصالحة ودخول الجنات<sup>٩</sup> أولاً دليلاً  
 على حذف الفاسدة ودخول النار ثانياً. و التمتع والمثوى ثانياً دليلاً  
 على حذف التعلل والمأوى أولاً، فهو احتباك [في احتباك -<sup>١٠</sup>]

(١) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م ومد فحذفناها .

(٢) زيد في الأصل : الموصل الى الله . ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد

فحذفناها (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : تميز (و) من م ومد ، وفي

الأصل و ظ : الحرام (هـ - هـ) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد .

(٦ - ٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : لا لهم اول انفسهم - كذا .

(٧) زيد من م ومد (٨) زيد من ظ و م ومد (٩) من ظ و م ومد ، وفي

الأصل : الجنان .

و اشتباك مقارن لاشتباك<sup>١</sup>.

ولما وعد سبحانه أنه ينصر من ينصره لأنه مولاه ويدخله دار نعمته، ويخزل من يعانده لأنه عاداه إلى أن يدخله دار شقوته، كان التقدير دليلا على ذلك: فكأين من قوم هم أضعف من الذين اتبعوك نصرانهم على من كذبهم، فلا خاذل لهم، فغطف<sup>٢</sup> عليه قوله: (وكان)

ولما كانت قوة قرش في الحقيقة يلبدهم<sup>٣</sup>، وكان الإسناد إليها أدل على تماثل أهلها وشدّة اتقاقهم حتى كأنهم كالشيء الواحد [قال -<sup>٤</sup>]: (من قرية) أي كذبت رسولها (هي اشد قوة) وأكثر عدة (من قرينك) ولما كان إنزال<sup>٥</sup> هذه بعد الهجرة، عين فقال:

(التي أخرجتك) أي أخرجك / أهلها متفقين في أسباب الإخراج<sup>٦</sup> ١٠ / ٨١٣

من أنواع الأذى على كلمة واحدة حتى كأن<sup>٧</sup> قلوبهم قلب واحد فكأنها هي المخرجة - وهي مكة - كذبوك و آذوك حتى أخرجناك من عندهم لنصرك عليهم بمن أيدناك بهم من قرينك هذه الذي آوتك من الأنصار نصرا جاريا على ما تألفونه و تعادونه (أهلكنهم) ببذاب الاستئصال ١٥ كما اقتضت عظمتنا، وحكي حالهم الماضية بقوله: (فلا ناصر لهم).

ولما كان هذا دليلا شهوديا بعد الأدلة العقلية على ما تقدم الوعد

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لاحتباك الاشتباك (٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل: عطف (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: يلبدهم. (٤) زيد من م ومد (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل: أنزل (٦) من م ومد، وفي الأصل: إوئظ: الخروج (٧) من مد، وفي الأصل و ظ وم: كأنهم.

به ، سبب عنه ' الإنكار عليهم فقال : ( افن كان ) أى فى جميع أحواله  
 ( على بينة ) أى حالة ظاهرة البيان فى أنها حق ( من ربه ) الرب  
 المدبر له المحسن إليه بما يقيم من الأدلة التى تعجز ' الخلائق أجمع ' عن  
 أن يأتوا بواحد منها فبصر سوء عمله وأربه على حقيقته ' فرآه سيئا  
 فاجتنبه مخالفا لهواه ، قال القشيري : العلماء فى ضياء برهانهم والعارفون فى هـ  
 ضياء بيانهم . ( كمن زين له ) بتزيين الشيطان بتسليطنا له عليه وخلقنا  
 للآثار بأيسر أمر ( سوء عمله ) من شرك أو معصية دونه .

ولما كان التقدير : فرآه حسنا فعمله ملازما له ، فكان على عى  
 وضلال ، وكان ' قد أفرد الضير لقبول "من" له من جهة لفظها ، جمع  
 ردا على معناها بتعميم القبح مثنى وفرادى ، وإشارة إلى [ أن - ١ ]  
 القبيح يكون أولا ' قليلا جدا ' ، ففى غفل عنه فلم تحسم مادته دب  
 وانتشر ' فقال عاطفا على [ ما - ١ ] قدرته : ( " واتبعوا " اهواءهم ) فلا  
 شبهة لهم فى شيء من أعمالهم السيئة فضلا عن دليل ، والآية من الاحتباك

- (١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : منه (٢) زيد فى الأصل : عنها ،  
 ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفناها (٣) سقط من ظ وم ومد .  
 (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : حقيقة (٥) من م ومد ، وفى الأصل  
 وظ : كانه (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) زيد فى الأصل : اهواءهم أى ،  
 ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفناها (٨) من ظ وم ومد ، وفى  
 الأصل : جديد (٩) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : البس (١٠) زيد من م  
 ومد (١١) وقع ما بين الرقبن فى الأصل بعده يكون أولا ، والترتيب  
 من ظ وم ومد .

ذكر الجنة أولا دليلا على ضدها ثانيا، والتزيين و' اتباع الهوى [ثانيا -']  
 دليلا على ضدهما أولا، وسره أنه ذكر الأصل الجامع للخير ترغيا  
 والأصل الجامع للشر زهيا .

ولما تكرّر ذكر الجنة والنار في هذه السورة إلى أن ختم بهذه  
 ه الآية التي قسم الناس فيها إلى أولياء مهتدين وأعداء ضالين معتبدين،  
 فهدي سياقتها إلى أن التقدير: أفن كان على ينة "من ربه" أحياء الحياة  
 الطيبة في الدارين، ومن تبع هواه أرداه' فيهما، أتبعه وصف الجنة  
 التي هي دار أوليائه قادم إليها الهدى، والنار التي هي دار أعدائه  
 ساقهم إليها الضلال المحتم للردى، فقال: (مثل الجنة) أي البساتين العظيمة  
 ١٠ التي تستر داخلها من كثرة أشجارها .

ولما تكرّر وعده سبحانه<sup>٢</sup> للذين آمنوا بالجنة بالاسم الأعظم الجامع  
 وبعضها بالضمير العائد إليه، صار الوعد بها في غاية التحقق فعبّر / عنه  
 هنا بالماضي المبني للفعول إشارة إلى أنه أمر قد تحقق بأسهل أمر،  
 وفرغ منه إلى أن صار حاضرا لا مانع منه إلا الوصف الذي علق به  
 ١٥ الوعد ووصفها بصفات تفيد القطع بأنه لا يقدر عليها إلا الله فصار مجرد

/ ٨١٤

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: من (٢) زيد من ظ وم ومد .  
 (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ وم ومد (٤) من ظ وم ومد، وفي  
 الأصل: اراه (٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: تسر (٦) زيد في الأصل:  
 وانماها وانهارها وما اعد لأهلها فيها من الحور العين والولدان وغير ذلك،  
 ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٧) ومن هنا انقطعت نسخة م  
 إلى ما سننبه عليه .

ذكرها والإخبار به عنها بصيغة المجهول أعلى لأمره فقال :  
 (التي وعد المتقون<sup>١</sup>) أي الذين حملتهم تقواهم بعد الوقوف عن كل فعل  
 لم يدل عليه دليل على أن استمعوا منك فاتفعوا بما دللتهم عليه من أمور  
 الدين حتى انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : مقبل عليه بكنيته فهو متبع ،  
 و معرض عنه جملة ، و مستمع غير منتفع .

- و لما كان التقدير : مثل بستان عظيم لا يسقط ورقة ولا ينقطع ثمره  
 ولا ينفطن نعيمه لما فيه من الأنهار المتنوعة ، وكان ما هو بهذه الصفة  
 إنما هو موهوم لنا لالمعلوم ، طواه وذكر ما دل عليه من صفة الجنة  
 الموعودة المعلومة بوعد الصادق الذي ثبت صدقه بالمعجزات فقال استئنافا :
- ( فيها ) أي ' الجنة الموعودة . و لما كان ما يعهدونه من الجنان ١٠  
 لا يحتمل أكثر من ثلاثة أنهار ، عبر بالجمع الذي يستعار للكثرة إذا  
 دلت قربة ، و هي هنا المدح والامتنان ، فقال : (أنهر من ماء) و لما  
 كان ماء الدنيا مختلف الطعوم<sup>٢</sup> على ثلاثة : حلو و عذب و ملح<sup>٣</sup> ، مع  
 اتحاد الأرض ببساطتها و شدة اتصالها للدلالة على [ أن - ٢ ] فاعل ذلك  
 [ قادر - ٢ ] مختار<sup>٤</sup> ، و قد يكون آسنا أي متغيرا عن الماء الذي يشرب ١٥  
 بريح منتنة من أصل خلقه<sup>٥</sup> أو من عارض عرض له من منبعه أو مجراه  
 قال : ( غير السن ع ) أي ثابت له في وقت ما شيء<sup>٦</sup> من الطعم أو الريح
- (١) زيد في ظ وفي (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٣) زيد من مد.  
 (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : مختارا (٥) من مد ، وفي الأصل و ظ :  
 الحلقة (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : شيء - كذا .

او اللون بوجه من الوجوه و إن طالت إقامته و إن أضيف إليه غيره  
فانه لا يقبل التغير بوجه .

و لما كان أكثر شرايبهم بعد الماء اللبن، ثنى به فقال سبحانه :  
( وانهر من لبن ) و لما كان التغير غير محمود ، و كانوا يعهدون في  
٥ الدنيا أن اللبن كله على جميع أنواعه طيب حال نزوله من الضرع مع  
اختلاف ذوات الدر في الأشكال و الاوضاع و المقادير و الامزجة ،  
و مع انفصال كل واحدة منها من الأخرى ، و أنه إنما يتغير بعد حلبه ،  
عبر بما ينفي التغير في الماضي فقال : ( لم يتغير طعمه ) أى بنفسه عن  
أصل خلقته<sup>٢</sup> و إن أقام مدى الدهر ، و هذا يفهم أنهم لو أرادوا تغييره<sup>٣</sup>  
١٠ لشهوة اشتهوها تغير ، و أنه مع طيبه على أنواع كثيرة كما كان في  
الدنيا متنوعا .

و لما كان أكثر ما بعد اللبن الخمر قال : ( وانهر من خمر )  
و لما كانت الخمر يكثر طعمها ، و إنما يشربها شاربوها لآثرها ، و أنه  
متى تغير طعمها زال اسمها ، عرف أن كل ما في خمر الجنة في غاية  
١٥ الحسن غير متعرض لطعم فقال : ( لذة ) أى ثابتة لها اللذة و دائمة  
حال شربها و بعده ( للشرابين ) في طيب الطعم و حسن العاقبة<sup>٤</sup> .

(١) من مد ، و في الأصل و ظ : احواله (٢) من مد ، و في الأصل و ظ :  
تغير (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : خلقه (٤) من مد ، و في الأصل و ظ :  
انه (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : تغيره (٦) من مد ، و في الأصل  
و ظ : العاقبة .

و لما كان العسل أعزها وأقلها، آخره وإن كان أجلها فقال:

(أنهر من عسل) ولما كان عسل الدنيا لا يوجد إلا مخلوطا بالسمع وغيره من القذى قال: (مضني) أي [هو - ' ] صاف صفاء ما اجتهد في تصفيته من ذلك، وهذا الوصف ثابت له دائماً لا انفكاك له عنه في وقت ما، فقد حصل بهذا غاية التشويق إلى الجنة بالتمثيل بما يستلذ به من أشربة الدنيا لأنه غاية ما نعلم من ذلك مجرداً عما ينقصه أو ينقصه مع الوصف بالغزارة والاستمرار قال البغوي<sup>٢</sup>: قال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم. ونهر سيحان نهر عسلهم. وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر. و قال ابن عبد الحكم في فتوح مصر<sup>٣</sup>: حدثنا عثمان بن صالح [ثنا - ' ] ابن لهيعة عن يزيد بن [أبي - ' ] حبيب أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما سأل كعب الأحبار رضي الله عنه: هل تجد لهذا النيل في كتاب الله تعالى خبراً؟ قال: أي والذي فلق البحر لموسى، إنى لأجده في كتاب الله أن الله عز وجل يوحى إليه في كل عام مرتين، يوحى إليه عند جريه أن الله يأمرك أن تجرى، ١٥ فيجری ما كتب الله له ثم يوحى إليه بعد ذلك: يا نيل غر حيدا. حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن<sup>٤</sup> يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير

---

(١) زيد من مد (٢) من مد. وفي الأصل وظ: الشوق (٣) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١٤٨/٦ (٤) من مد وكتاب الفتوح ١٤٩، وفي الأصل وظ: عن (٥) من مد و الفتوح وفي الأصل وظ: أبي.

عن كعب الأحبار أنه كان يقول: أربعة أنهار من الجنة وضعها  
الله عز وجل في الدنيا، فالليل نهر العسل في الجنة، و الفرات نهر الخمر  
في الجنة، و سيحان نهر الماء في الجنة، و جيحان نهر اللبن في الجنة .  
حدثنا سعيد بن أبي مریم حدثنا الليث بن سعد و عبد الله بن لهيعة قالا حدثنا  
٥ يزيد بن [أبي] حبيب عن أبي الخثر عن أنى جادة الكتافي أنه سمع كعبا  
يقول: النيل في الآخرة عسلا أغزر ما يكون من الأنهار التي سمي الله  
عز وجل، و دجلة في الآخرة لبنا أغزر ما يكون من الأنهار التي سمي الله  
عز وجل، و [ و الفرات خمرًا أغزر ما يكون من الأنهار التي سمي الله  
عز وجل - ٢ ]، و جيحان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التي سمي الله  
١٠ و أصل هذا كله ما في الصحيح في "صفة الجنة" عن أبي هريرة  
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سيحان و جيحان  
و النيل و الفرات من أنهار الجنة: و قال أبو حيان\* في حكمة ترتيبها غير  
ما تقدم: إنه مدنى بالماء الذي لا يستغنى عنه في المشروبات، ثم باللبن إذ كان  
يمجرى مجرى المطعومات في كثير من أقوات العرب وغيرهم، ثم بالخمر  
١٥ لأنه إذا حصل الرى و المطعوم تشوقت النفس إلى ما يتلذذ به، ثم بالعسل  
لأن فيه الشفاء في الدنيا مما يعرض من المطعوم و المشروب - انتهى .  
و أحسن منه أنه لما كان السياق للتعجب في ضرب المثل لأنه قول

---

(١) من مد و هامش الفتوح، و في الأصل و ظ و الفتوح: غسل (٢) زيد  
من مد و الفتوح (٣) من مد، و في الأصل و ظ: من (٤) راجع المعالم بهامش  
الباب ١٤٨/٦ (٥) في البحر المحيط ٧٩/٨ (٦) من البحر، و في الأصل: من،  
و ليس في ظ و مد .



لا ينفك عن غرابة بدأ بانهار الماء اغرابتها في بلادهم وشدة حاجتهم إليها،  
ولما كان خلوها عن تغير<sup>١</sup> أغرب نقاه، ولما كان اللبن أقل فكان  
جربه أنهارا [ أغرب، ثنى -<sup>٢</sup> ] به، ولما كان الخمر أعز ثلث به،  
/ ولما كان العسل أشرفها وأقلها ختم به، ونبه - مع هذا التذكير بقدرته  
تعالى - على ما يريد بسبب وبغير سبب فان هذه المشروبات الثلاثة التي هـ  
بعضهم متمحض للشرابية كالخمر وبعضها فيه غذائية<sup>٣</sup> وهي فيه أغلب،  
وهو العسل، وبعضها ينزع إلى كل منهما وهو اللبن كلها من الماء مع  
تمايزها مذاقا وأزا في الغذاء والدواء وغير ذلك، فان الماء أصل  
النبات، ومن النبات يكون اللبن<sup>٤</sup>، والخمر والعسل بما لا يخفى من الأسباب،  
وأما الآخرة فغنية عن<sup>٥</sup> الأسباب لظهور اسمه الظاهر سبحانه هناك لأنه ١٠  
لا ابتلاء فيها، وبهذا فهم للترتيب سر آخر وهو [ أنه -<sup>٦</sup> ] تعالى قدم  
الماء لأنه الأصل لها، وتلاه بأقرب الأشياء إليه في الشراية والطبع : اللبن<sup>٧</sup>،  
[ ثم -<sup>٨</sup> ] بما هو أقرب إلى اللبن من جهة أنه شراب فقط، ثم بالعسل  
لأنه أبعدا منه .

ولما كانت الثمار ألذ مستطاب بعد<sup>٩</sup> سائق الشراب<sup>١٠</sup> قال تعالى : ١٥

(١) من مد، وفي الأصل و ظ : نصر - كذا (٢) زيد من مد (٣) من ظ  
ومد، وفي الأصل : غذائه (٤) وقم في الأصل و ظ : بعد « والعسل »  
والترتيب من مد (٥) زيد في الأصل : هذه، ولم تكن الزيادة في ظ ومد  
لحذفها (٦) من ظ ومد، وفي الأصل : بتدا (٧) من مد، وفي الأصل  
و ظ : باللبن (٨) زيد من ظ ومد (٩ - ١٠) من ظ ومد، وفي الأصل :  
ساير الاشرية .

(ولهم فيها) ولما كان أهلها متفارتين في الدرجات فلا  
تجمع جنان أغلبهم جميع ما في الجنة من الثمر بغير قبال:  
(من كل الثمرات) أي جميع أصنافها على وجه الحاجة معه من  
قله ولا انقطاع.

٥ ولما كان العيش لا يطيب مع الانصاف بما يوجب العتب، قال  
مشيرا إلى أنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره، لأن الرتب متضائلة  
عن رتبته سبحانه: (ومفخرة من ربهم) أي المحسن إليهم بمحو ذنوبهم  
السابقة أعيانها وآثارها بحيث لا يخشون لها عاقبة بعقاب، لا عتاب  
وعدم بلوغهم إلى ما يحق له من الشكر سبحانه.

ولما أرشد هذا السياق إلى أن التقدير: أفن هو في هذا النعيم  
الأكبر المقيم، بنى عليه قوله: (كن هو خالده) أي مقيم إقامة  
لا انقطاع معها، ووحده لأن الخلود يعم من فيها على حد سواء  
(في النار) أي التي لا يطفأ فيها ولا يفك أسيرها ولا يؤنس غريبها.  
ولما كان كل واحد من داخلها له سقي يخصه على حسب عمله  
١٥ ولا يظلم ربك أحدا. كان المؤثر اضرهم السقي على الكيفية التي تذكر  
لاكونه من ساق معين. بنى للجهة. قوله مسندا إلى ضمير الجمع قوله تعالى:

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: كانت (٢) من ظ و مد، وفي الأصل:  
معتزين (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: لا يحون - كذا (٤) زيد في الأصل  
وظ: في النار، ولم تكن الزيادة في مد لخلافها (٥) من ظ و مد، وفي  
الأصل: كون.

( وسقوا ) أى عوض ما ذكر من شراب أهل الجنة ( وآه حيماء )  
 أى فى غاية الحرارة ( فقطع امعاءهم ) ' ويمكن أن تكون الآية من  
 الاحتباك ، وذلك أنه تعالى لما قدم أن المؤمنين فى جنات تجري من تحتها  
 الأنهار ، وأن الكافرين ماوام النار ، وكان التقدير إنكاره على من لم يرتدع  
 للزواجر تنفيها على أن عمله عمل من يسوى بين الجنة والنار لأن  
 كون النار جزاء لمثله والجنة جزاء المؤمن صار<sup>٢</sup> فى حد لا يسوغ إنكاره :  
 أمثل الجنة الموصوفة كمثل النار ، ومن<sup>٣</sup> هو خالد<sup>٤</sup> فى الجنة كمن هو  
 خالد فى النار - والله الموفق للصواب .

ولما كان التقدير بعد هذا التمثيل والوصف<sup>٥</sup> والتشويق الذى يهر

العقول : فمن [ الناس من - ]<sup>٦</sup> يسمع منك بغاية المحبة والإنصاف فيعليه<sup>٧</sup> الله بفهم<sup>١٠</sup>

ما يتلوه واعتقاده والعمل به واعتماده وهم المتقون الذين وعدوا / الجنة ، ٨١٧ /

عطف عليه قوله تعالى : ( ومنهم من يستمع ) أى بغاية جهده لعله

يجد فى المتلو مطعنا يشك به على الضعفاء ، وبين تعالى بعدهم بقوله :

( اليك - ) ولما أفرد المستمع نظرا إلى لفظ « من » ، إشارة إلى قلبه المستمع

جمع نظرا إلى معناه إشارة إلى كثرة المعرضين الجامدين المستهزئين<sup>١٥</sup>

من المستمعين منهم والسامعين فقال تعالى : ( حتى<sup>٢</sup> ) أى<sup>٤</sup> واستمر

(١) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٢) فى الأصل

يباض ملأناه من ظ ومد (٣-٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : كان خالدا .

(٤) -قط من ظ ومد (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : اصوف الحميد .

(٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد . وفى الأصل : فعليه (٨) -قط من ظ .

لجهادم لانفسهم بالإصغاء حتى ﴿ اذا خرجوا ﴾ أى المستمعون و السامعون  
 جميعا ﴿ من عندك قالوا ﴾ أى الفريقان عمى و تعاميا و استهزاء . و لما  
 كان مجرد حصول العلم النافع مسعدا ، أشار إلى تعظيمه ببيتاه<sup>١</sup> لما لم  
 يسم فاعله فقال تعالى : ﴿ للذين اوتوا العلم ﴾ أى<sup>٢</sup> بسبب تهية الله لهم  
 بما<sup>٣</sup> آتاهم من صفاء الافهام لتجردهم عن النفوس و الحظوظ و اقيادهم<sup>٤</sup>  
 لما تدعو إليه الفطرة الأولى : ﴿ ما ذا قال ﴾ أى النبي صلى الله عليه وسلم  
 ﴿ اتقاق ﴾ أى قبل اقترافنا و خروجنا عنه من ساعة - أى أول وقت -  
 تقرب منه ، من أفقة الصلاة - بالتحريك ، و هو ابتداءها و أرها ، قال  
 أبو حيان<sup>٥</sup> : حال ، أى مبتدئا ، أى ما القول [ الذى -<sup>٦</sup> ] انتفخه الآن قبل  
 ١٠ انفصالنا عنه . و رد كونه ظرفا بأنه تفسير معنى ، و أنه لا يعلم أحدا من النجاة  
 عده فى الظروف . [ و -<sup>٦</sup> ] قال [ البغوى -<sup>٧</sup> ] : انتفت الامر : ابتدأه ،  
 و اتف الشئ أوله ، قال مقاتل : و ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان  
 يخطب و يعيب المناقضين ، فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن  
 مسعود رضى الله عنه استهزاء : ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال  
 ١٥ ابن عباس رضى الله عنه : وقد سئلت فيمن سئل .

و لما دل هذا من المصنفى و من المعرض على غاية الجمود الدال

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : بيانه (٣) من ظ  
 و مد ، وفى الأصل : من (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : انقيادا (٥) زيد من  
 البحر المحيط ٧٩/٨ (٦) زيد من مد (٧) زيد من مد ، و راجع معالم التنزيل  
 ١٤٩/٦ (٨) زيدت الواو فى مد .

على غاية الشقاء، أنج قوله: ﴿ اِرْلَتْكَ ﴾ أى خاصه هؤلاء البعذاء من الفهم ومن كل خير ﴿ الذين طبع الله ﴾ أى 'الملك الاعظم الذى لا تنهى لعظمه جل وعلا ﴿ على قلوبهم ﴾ أى 'فلم يؤمنوا ولم يفهموا فهم الاتضاع لان مثل هذا الجود لا يكون إلا بذلك . ولما كان التقدير: "لأنهم ضلوا حتى صاروا كالبهائم"، عطف عليه ما هو من أفعال البهائم ٥ فقال: ﴿ واتبعوا ﴾ أى بغاية جهدهم ﴿ اهوآهم ﴾ أى مجانين 'لوازع العقل ونهى المروءة، فلذلك هم يتهاونون بأعظم الكلام و يقبلون على جمع 'الحطام، فهم أهل النار المشار إليهم قبل آية "مثل الجنة" بأنهم زين لهم سوء أعمالهم .

ولما ذكر مام 'عليه وشنع عليهم' أقبح 'الذكر، ذكر الذين آتاهم ١٥ العلم فقال: ﴿ والذين اهدوا ﴾ أى اجتهدوا باستماعهم منك فى مطاوعة داعى الفطرة الأولى إلى الوقوع على الهدى بالصدق فى الإيمان والتسليم والإذعان بأنواع المجاهدات ﴿ زادم ﴾ أى الله الذى طبع على قلوب الجبهة ﴿ هدى ﴾ 'بأن شرح صدورهم ونورها بأنوار المشاهدات فصارت أوعية للحكمة "ان الذين آمنوا وعملوا الصلحت يهديهم ربهم بإيمانهم" ١٥ ﴿ واتهم تقوهم ﴾ 'أى بين لهم ما هو أهل لأن يحذروا ووقهم لاجتنابه'

- (١) سقط من ظ ومد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد .
- (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : مجانين .
- (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : جميع (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : بأقبح .
- (٧) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : يجيدو (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : لاجتناب .

مخالفة للهوى، فهم "القدم الأول من آية / نوطه المثل "الذين هم على بينة من ربهم"، ومعنى الإضافة أنه آتى كلا منهم منها بحسب ما يقتضيه حاله، قال ابن برجان: التقوى عمل الإيمان كما أن أعمال الجوارح عمل الإسلام - انتهى<sup>١</sup>.

و لما كان أشد ما يتقى القيامة التي هم بها مكذبون، سبب عن اتباعهم الهوى قوله تعالى: ﴿ فهل ينظرون ﴾ أى ينظرون، ولكنه جرده<sup>٢</sup> إشارة إلى شدة قربها ﴿ إلا الساعة ﴾ ولما كان كأنه قيل: [ ما - ] ينظرون من أمرها؟ 'أبدل منها قوله': ﴿ ان تاتيهم ﴾ أى تقوم عليهم، وعبر بالإتيان زيادة في التخويف<sup>٣</sup> ﴿ بفتنة ﴾ أى لحياة من غير شعور بها ولا استعداد لها.

ولما دل ذلك على مزيد القرب، و كان يحىء علامات الشيء أول على قربهِ مع الدلالة على عظمتِهِ، قال معللاً للفتنة<sup>٤</sup>: ﴿ قد ﴾<sup>٥</sup> ودل على القوة بتذكير الفعل فقال<sup>٦</sup>: ﴿ جاء اشراطها ﴾ أى علاماتها<sup>٧</sup> المنذرات بها

(١) ليس في ظ و مد (٢) ومن هنا تتألف نسخة م (٣) زيد من م و مد .  
(٤-٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ماذا قل (٥) زيد في الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لخدمتها (٦) من ظ، وفي الأصل: بالفتنة، وليست الكلمة في م و مد (٧-٧) وقم ما بين الرقيين في الأصل وظ بعد « للفتنة » والترتيب من م و مد (٨) من م و مد، وفي الأصل وظ : العلامات .

من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم "بعثت أنا و الساعة كهاتين" . انشقاق القمر المؤذن بآية الشمس في طلوعها من مغربها و غير ذلك ، و ما بعد مقدمات الشئ ، إلا حضوره<sup>٢</sup> .

و لما كان المجيء من أهوالها تذكرها<sup>٣</sup> قبل حله لها للعمل بما يقتضيه التذكر<sup>٤</sup> ، و كانت إذا جاءت شاغلة عن كل شئ<sup>٥</sup> ، سبب عن مجيئها قوله ه تعالى : ( فأتى ) أى فكيف و من أين ( لهم<sup>٦</sup> إذا جاءتهم ) أى الساعة و أشراتها المعينة لها<sup>٧</sup> مثل طلوع الشمس من مغربها<sup>٨</sup> ( ذكرهم<sup>٩</sup> ) لأنهم في أشغل الشغل ولو<sup>١٠</sup> فرغوا لما تذكروا فعملوا<sup>١١</sup> ما أفاد لقوات وقت الأعمال و شرطها ، و هو العمل على الإيمان بالغيب ، و هكذا ساعة الإنسان التي

(١) زيد بعده في الأصل و ظ : و في هذا اشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : حضور انتهى (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تذكرة . (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الذكر (٥) زيد في الأصل : من شافع يشفع لهم أو راحم يرحمهم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٦) زيد في الأصل : و ذلك ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٧) زيد في الأصل : و ما هو مذكور من أشراتها مما تقدم ، و لم تكن الزيادة في ظ م و مد لحذفها (٨) زيد في الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٩) من مد ، و في الأصل و ظ و م و لم (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لعمروا .

تخصه وهي ' موته و أشراطها ' الحاشية على الذكرى "وهو" المرض  
والشيب ومحو ذلك، ومن أشراطها المعينة لها التي [لا-'] [تفجع معها  
العمل الوصول إلى حد الغرغرة .

ولما علم بذلك أن الذكرى غير نافعة إذا انقضت هذه الدار التي  
ه جعلت للعمل أو جاءت الأشرط المحققة الكاشفة لها، سبب عنه أمر أعظم  
الخلق "وأشرفهم وأرقام وأجلهم صلى الله عليه وسلم" تكويننا ليكون  
لغيره تكليفاً فقال تعالى: ﴿فاعلم أنه﴾ أي الشأن الأعظم الذي  
﴿لا إله إلا الله﴾ أي اتق "انتقاء عظيماً" أن يكون معبود "بحق غير  
الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال  
١٠ الساعة، وإما تكون علماً إذا كان نافعا [وإما يكون نافعا-"] إذا كان  
مع الإدعان والعمل بما يقتضيه وإلا فهو جهل صرف"، [و-"] هذا  
العلم يفيد أنه لا بد من قيام الساعة لأن الآله وعد بذلك وهو متصف

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: هو (٢) من م ومد، وفي الأصل  
وظ: هي (٣-٣) سقط ما بين الرقین من ظ وم ومد (٤) زيد من ظ ومد.  
(٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: مانعة (٦) من ظ وم ومد، وفي  
الأصل: اسماً (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: تكلفاً (٨) زيد في الأصل:  
ما سوره، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فخذناها (٩) زيدت الواو في  
الأصل ولم تكن في ظ وم ومد فخذناها (١٠) من ظ وم ومد، وفي  
الأصل: معبوداً (١١) زيد من م ومد (١٢) من م ومد، وفي الأصل  
وظ: صر.



بالكمال ولا شريك له بمنعه من إنجاز وعده . قال القشيري: و العبد يعلم 'أولاً ربه' بدليل وبجدة فعله بنفسه ضروري وهذا هو أصل الأصول . وعليه بنى كل علم استدلالى ، ثم تزداد قوة علمه بزيادة اليان وكثرة الحجج و تناقص علمه بنفسه بقلبات / ذكره الله بقلبه ، فاذا انتهى إلى حال المشاهدة واستيلاء سلطان الحقيقة عليه صار علمه ' فى تلك ' الحالة ه ضرورياً ويقول ' إحساسه بنفسه حتى يصير علمه بنفسه كالاستدلال ' وكأنه غافل عن نفسه أو فاس لنفسه ، ويقال : الذى رأى البحر غلب عليه ما يأخذه فى ' الرؤية للبحر ' عن ' ذكر نفسه ' فاذا ركب البحر قوى هذا الحال ، فاذا غرق فى البحر فلا إحساس له بشئ سوى ما هو مستغرق فيه ومستهلك . ولهذا الكلمة من الأسرار ما يملأ الاقطار منها أنها بكلماتها الأربع ١٠ مركبة من ثلاثة أحرف إشارة إلى الوتر الذى هو الله سبحانه وتعالى والشفع الذى هو الخلق أنشأه تعالى أزواجاً ، [ و - هـ ] منها حرف لسانى وحرفان حلقيان : الهاء والالف ، غير أن الالف عبر عنها بمظهرها وهو الهمزة ' ظاهراً مرتين وخفياً فى أداة التعريف فى الابتداء مرة ، وذكرت

- (١-١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : ربه اولاً (٢-٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل وظ : بتلك (٣) من مد ، وفى الأصل وظ وم : تقبل . (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : كالاستدلال (هـ) من مد ، وفى الأصل وظ وم : تعالى (٦-٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الراوية من البحر (٧-٧) من م ومد ، وفى الأصل وظ : ذكره لنفسه (٨) زيد من مد (٩) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : المرة .

بلفظها أربع مرات، فذلك سبع هي أنتم العدد لذلك؛ وبى الخلق عليه،  
فالسماوات سبع و الأرض سبع كذلك سبع<sup>٢</sup> إشارة إلى [أن - ٢] الإله  
الحق الذى هو غيب محض إنما علم بالنزل بأفعاله، فهى وصلة إلى معرفته  
وهى منقسمة إلى علوى وسفلى كما أن الألف التى هى كالغيب لأنها  
لا يمكن<sup>٣</sup> النطق بها ابتداء نزلت فى مظهر الهمزة التى تكررت فى  
هذه الكلمة مرتين فى مقابلة الكونين العلوى والسفلى وبينهما ما لا نعلمه  
عما خفى عنا كما خفيت همزة الوصل. وعبر فى الأمر بهذه الكلمة بالعلم  
إعلاماً بأن عمل القلب بها هو العمدة العظمى لكن لما كانت حروفها  
حلقياً ولسانياً كان فى ذلك إشارة إلى أنه لا يكفى فى أمرها إلا إذعان  
الباطن ومطابقة الظاهر الذى هو اللسان، فهو ترجمان القلب، ومتى  
لم يطابق اللسان القلب حيث لا مانع كان صاحبه من أهل آية الصفات<sup>٤</sup>  
وأحرفها اللفظية أربعة عشر حرفاً على عدد السماوات والأرض الدالة  
على الذات الأقدس الذى هو غيب محض والمقصود<sup>٥</sup> منها مسمى الجلالة  
الذى هو الإله الحق سبحانه وتعالى والجلالة الدالة عليه خمسة أحرف  
على عدة دعائم الإسلام الخمس: ووترته دلالة على التوحيد، ولم يجعل  
فيها شيئاً شافهاً<sup>٦</sup> تمكن ملازمتها<sup>٧</sup> لكونها أعظم مقرب إلى الله وأقرب موصل

(١) من م ومد، وفى الأصل و ظ : ذلك (٢) سقط من ظ و م ومد .  
(٣) زيد من م ومد (٤ - ٤) من م ومد، وفى الأصل و ظ : بها النطق .  
(٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل : الصفات (٦) من ظ و م ومد، وفى  
الأصل : الموصل (٧ - ٧) من ظ و م ومد، وفى الأصل : ليكون بملازمتها .  
إليه (٥٨) ٢٣٢

إليه مع الإخلاص، فإن الذاكر بها يقدر على المواظبة عليها ولا يعلم جليسه بذلك أصلاً، لأن غيرك لا يعلم ما [ في - ] وراء شفتيك إلا باعلامك، وكما دل الكلام على التوحيد بهذه الكلمة صريحاً دل على كلمة الرسالة التي لا ينفع التوحيد إلا بها تلويحاً بتسمية السورة "سورة محمد"، فهي القتال لأنه أمر صلى الله عليه وسلم "أن يقاتل الناس" حتى يصرحوا بما صرحت به السورة من كلمة التوحيد. وهي سورة محمد صلى الله عليه وسلم لأن التوحيد لا ينفع بدون الشهادته له بالرسالة، وبين الكلمتين مزيد اتفاق يدل على تمام الاتحاد والاعتناق، وذلك / أن أحرف ٨٢٠ / كل منهما إن نظرنا إليها خطأ كانت اثني عشر حرفاً على عدد أجزاء السنة يكفر كل حرف منها شهراً، وإن نظرنا إليها نطقاً كانت ١٠ أربعة عشر حرفاً للملائكة الخافقين نوراً، وعظمة ومهابة وجلالة واحتشاماً، وإن نظرنا إليها بالنظرين ما كانت خمسة عشر لا يوقفها عن ذى العرش خالق الكونين موقف، وهو سر غريب دال على الحكمة الشرعية الذي هو عدم انفكاك إحداهما عن الأخرى. فمن لم يجمعهما اعتقاده لم يقبل

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد في الأصل: إياه، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٣-٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: أي بالقتال للناس (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: التقات (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بذلك (٧) وقع في الأصل و ظ قبل و كل، والترتيب من م و مد (٨-٩) سقط ما بين الرمين من ظ و م و مد (١٠) من م و مد، وفي الأصل و ظ: لم يجمعها.

إيمانه، وقدمت هذه سورة [ في هذا - ١ ] سابقة لأن لها السبق  
وذكرت<sup>٢</sup> الأخرى في الفتح تالية، وسميت سورة هذه بالقتال وسورة  
الكلمة المحمدية بالفتح إشارة إلى أنه ما قاتل أحد عليهما مع الإخلاص  
إلا فتح عليه ولا يقدر أحد على مخالفته مع مناصبته إلا نقابا على روجه  
هـ الذل والاضطراب .

ولما كان حصول التوحيد الذي هو كمال النفس موجبا للإجابة  
كما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عند الترمذي<sup>٣</sup> وأنى يعلى مما من  
مؤمن يدعو الله بدعوة إلا استجيب له ما لم يكن اثما أو قطيعة رحم،  
الحديث، قال معلما أنه يجب على الإنسان بعد تكميل نفسه السعى في  
١٠ تكميل غيره ليحصل التعاون على ما خلق العباد له . ( واستغفر ) أى  
اطلب الغفران من الله بعد العلم بأنه لا كفروه له<sup>٤</sup> بالدعاء له وبالاجتهد في  
الاعمال الصالحة لذنبك، وهو كل مقام [ عال - ١ ] ارتفعت عنه<sup>٥</sup>  
إلى أعلى منه، وأوجده أنت من نفسك لمن أساء إليك<sup>٦</sup> لتكثر  
أتباعك، فان الاستقامة مهينة للإمامة<sup>٧</sup> .

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل : لانها .  
(٣) من م و مد، وفي الأصل و ظ : ذكرات (٤ - ٤) من ظ و م و مد،  
وفي الأصل : السورة (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ : احدا (٦) راجع  
الجامع ١٧٤/٢ (٧) زيد في الأصل : وكن مجدا . ولم تكن الزيادة في ظ و م  
و مد فحذفها (٨ - ٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل : انتفعت منه (٩) من  
ظ و م و مد، وفي الأصل : في (١٠) من مد، وفي الأصل و ظ و م :  
عليك (١١) من ظ و م و مد، وفي الأصل : للاقامة .

ولما كان تكميل النفس مرقياً إلى تكميل الغير يكون له مثل أجره، قال تعالى 'مبيناً لهذه النعمة العظيمة و'لمنة' الجسيمة' معبداً للجار معبراً بالإيمان والوصف إذنا بأن أعلى الأمة محتاج إلى ذلك، لأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره، وهذا مشرفاً لهذه الأمة حيث أمر الشفيع المجاب الدعوة بالاستغفار<sup>٢</sup> لهم [ وهو - ' ] بالدعاء والحث على الاجتهاد في هـ الأعمال الصالحة، حافظاً المضاف إشارة إلى الاحتياج إلى المغفرة في كل حال لما للانسان من نقصان بالخطأ والسيئان: ( وللمؤمنين والمؤمنات ) أى الراغبين فى الإيمان لأنهم أحق الناس بذلك منك لأن ما عملوا من خير كان لك مثل أجره، ولا يخلو أحد منهم من تقصير فى المعارف الإلهية والعمل بموجبها أو هفوة .

١٠

ولما كان معرفة من يذنب ومن لا يذنب متوقفة على إحاطة العلم، قال عاطفاً على ما تقديره: فآله<sup>٣</sup> يعلم حركاتكم وسكناتكم سرا . جهراً ويعلم أنكم لابد أن تعملوا ما جبلكم عليه من ذنب وهو يغفر لمن أراد من يسعى فى كمال نفسه و تكميل غيره بغسل الذنوب، بالرجوع إلى طاعة<sup>٤</sup> علام الغيوب: / ( والله ) المحيط بجميع صفات الكمال ١٥ / ٨٢١ ( يعلم متقلبكم ) أى متقلبكم ومكانه وزمانه ( ومثواكم ) أى موضع

(١-١) سقط ما بين الرتبن من ط و م و مد (٢) من م و مد . وفى الأصل و ظ : مشرف (٣) سقط من م (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل و م : فان الله (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ : تعلموا . (٧) زيد فى الأصل : الملك العبود، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

سكونكم وقراره للراحة و كل ما يقع فيه من الثواء [ في وقته - ] في  
الدنيا و الآخرة من حين كونكم نطقا إلى ما لا آخر له .

و لما كان أدل دليل على إحاطة العلم ، علم ما ابطنه الإنسان  
ولا سيما إن كان مخالفا لما أظهره ، قال دالا على إحاطة علمه باظهار  
أسرار المناقنين عاطفا على " ومنهم من يستمع اليك " : ( ويقول )  
على سبيل التجديد المستمر ( الذين آمنوا ) أى ادعوا ذلك بالاستئتم  
وفهم<sup>٢</sup> الصادق و المناق دالين على صدقهم في إيمانهم بالتحريض على  
طلب الخير بتجدد الوحي الذى هو الروح الحقيقى : ( ولولا نزلت ) على  
سبيل التدرىج ، وبناء للفعول دلالة على إظهارهم أنهم صاروا في صدقهم  
١٠ في الإيمان<sup>٣</sup> . اعتقادهم أن التنزيل لا يكون إلا من الله بحيث لا يحتاجون  
إلى التصريح به ( سورة ج )<sup>٤</sup> أى سورة كانت لسر سماعها و تشعب  
بتلاوتها و نعمل بما فيها كائنا ما كان ، ويستمر الوحي فينا متجددا مع  
تجدد الزمان ليكون ذلك أشط لنا و أدخل في تحريك عزائمنا  
( فاذا أنزلت سورة ) أى قطعة<sup>٥</sup> من القرآن تكامل نزولها [ كلها - <sup>٦</sup> ]  
١٥ تدرىجا أو جملة ، و زادت على مطلوبهم بالحسن<sup>٧</sup> بأنها ( محكمة ) أى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فيه (٣) من  
ظ و م و مد ، وفى الأصل : و و (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :  
إيمانهم (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : حيث (٦) زيد فى الأصل و ظ :  
أى ، ولم تكن الزيادة في م و مد لحذفها (٧) زيد فى الأصل و ظ : كاملة ،  
ولم تكن الزيادة في م و مد لحذفها (٨) زيد من م و مد (٩) من ظ و م  
و مد ، وفى الأصل : بالحسن .

مينة [ لا - ' ] يلبس شيء منها بنوع إجمال ولا ينسخ لكونه جامعا للحاسن في [ كل - ' ] زمان ومكان ( وذكر فيها القتال لا )<sup>٢</sup> بأى ذكر كان، والواقع أنه<sup>٣</sup> لا يكون إلا ذكرنا ميتا [ أنه - ' ] لا يزداد إلا وجوبا وتأكدا حتى تضع الحرب أوزارها، قال البغوى<sup>٤</sup> : وكل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المناقضين . هـ وهو مروي عن قتادة ( رأيت ) [ أى - ' ] بالعين والقلب ( الذين في قلوبهم مرض ) أى ضعف في الدين أو فاق من الذين أقرؤا بالإيمان وطلبوا تنزيل القرآن وكانوا قد أقسموا بالله جهد أيمانهم : لئن أمرتهم ليخرجن ( ينظرون اليك ) كراهة لما نزل عليك بعد أن حرضوا على طلبه ( نظر المفتى عليه ) ولما كان للغنى أسباب ، ١٠ بين أن هذا أشد ما فقال تعالى : ( من الموت )<sup>٥</sup> الذى هو نهاية الغنى فهو لا يطرف بعينه بل هو شاخص لا يطرف كراهة للقتال من الجبن والخور .

ولما كان هذا أمرا متباذرا للإنسانية لأنه مباعد<sup>٦</sup> للدين والمروءة ، سبب عنه أعلى التهديد فقال متوعدا لهم بصورة الدعاء بأن يليهم<sup>٧</sup> المكروه : ١٥

(١) زيد من م و مد (٢) زيد في الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لأنه (٤) راجع العالم بهامش الباب ٦ / ١٥١ (٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : غاية (٦) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : مديدا (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : صاعد (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : بينهم .

( فاو ' ) أى أشد ميل وويل واتسكاس وعتار<sup>٢</sup> موقع لهم فى  
 الملكة كائن ( لهم ج ) أى خاص بهم ، وفسرته بذلك لما تقدم فى آخر  
 الانتقال من أن مادة "ولى" تدور على الميل ، فإذا<sup>٣</sup> كانت على صيغة أفعل  
 التفضيل - وهو قول الأكثر - جاءت الشدة ، قال / الأصمى : إنه فعل  
 ماضى أى قاربهم ما يهلكهم<sup>٤</sup> ، وأولام الله الهلاك ، وقال الرضى فى  
 باب المعرفة والنكرة : إنه علم للوعيد فيه وزن الفعل<sup>٥</sup> فلذا منع من  
 الصرف ، وليس بأفعل تفضيل ولا أفعل فعلا ولا اسم فعل لأن  
 أبازيد حكى لحاق تاء التأنيث له فقالوا : أولاة الآن - كآرملة<sup>٦</sup> وهو من  
 وله الشر أى قرنه حال ، وقبوله للتاء لا يضر الوزن ، لأن ذلك فى  
 ١٠ علم آخر .

/ ٨٢٢

ولما علم بما ذكر من التسبب أن هذا الدعاء عليهم لما تقدم من  
 سوء أديهم فى مقامهم ، وقبح ما ظهر من فعلهم ، حصل التشوف إلى  
 ما يبنى لهم ، فقال تعالى<sup>٧</sup> على طريق<sup>٨</sup> النشر المشوش : ( طاعة ) أى  
 ( ١ ) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اشل ( ٢ ) زيد فى الأصل : وعتاب ،  
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها ( ٣ ) من م ومد ، وفى الأصل  
 وظ : فان ( ٤ ) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اى ( ٥ ) من م ومد ، وفى  
 الأصل وظ : بهكهم ( ٦ ) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : القول ( ٧ ) من م  
 ومد ، وفى الأصل وظ : كآدملة - كذا ( ٨ ) من م ومد ، وفى الأصل  
 وظ : من ( ٩ ) زيد فى الأصل : سماع ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد  
 لحذفها ( ١٠ ) زيد فى الأصل : عاطفا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد  
 لحذفها ( ١١ ) من ظ و م ومد ، وفى الأصل وظ : طريقة .



منهم (وقول معروف ق) أى بالتسليم والإذعان وحسن الانقياد خير لهم  
 مما أظهروا من المحبة فى الطاعة وما كشف 'حالمهم عنه' من الكراهة،  
 [و - ٢] نكر الاسمين ليكونا<sup>٢</sup> صالحين للتعظيم وما دونه، ثم سبب  
 عنها قوله مستندا إلى الأمر ما [هو - ٣] لاهله تأكيداً لمضمون  
 الكلام: (فاذا عزم الأمر ق) أى فاذا أمر بالقتال الذى ذكر [فى - ٢] هـ  
 أول السورة وغيره من الأوامر أمرا مجزوما به معزوما عليه  
 (قلو صدقوا الله) أى الملك<sup>١</sup> الأعظم<sup>١</sup> المحيط قدرة وعلما<sup>١</sup> فى قولهم  
 الذى قالوه فى طلب التنزيل (لكن) صدقهم له (خيرا لهم ق) أى  
 من تعلمهم وتسلمهم عنه لوأذا على تقدير<sup>٤</sup> النزول فى تسليم أن فى  
 جماعهم عن الأمر وقاعدتهم عنه نوع خير<sup>٥</sup>، ويجوز [أن يكون - ٢] ١٠  
 "خير" اسما لا للتفضيل ليفهم أن كذبهم شر لهم.

ولما كان هذا نكيتنا لهم<sup>٦</sup> من أجل فتورهم عن أمر الله، سبب

[عن - ٢] ذلك الفتور يان ما يحصل منه من عظيم الفساد ويتأثر به

- 
- (١ - ١) من م ومد، وفى الأصل و ظ : عنه حالمهم (٢) زيد من م ومد .  
 (٣) من م ومد، وفى الأصل و ظ : ليكونوا (٤) زيد من ظ و م ومد .  
 (٥) زيد فى الأصل : العظم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها .  
 (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م ومد (٧) زيد فى الأصل : أى ،  
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٨) من ظ و م ومد، وفى  
 الأصل : سبيل (٩) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : خسر (١٠) زيد فى  
 الأصل : على ما حصل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها .

[من - ' ] خراب البلاد و شتات العباد في معرض سؤال في أسلوب الخطاب بعد التبكيت و التهديد في أسلوب الغيبة تنديها على تاهي الغضب و بلوغه الغاية فقال تعالى : ﴿ فهل عسيتم ﴾ أى قسب عن تسرعكم إلى السؤال في أن يأمركم الملك بما يرضيه ، فإذا أجابكم فرحكم<sup>٢</sup> بما يعلم أنه أصلح الأشياء لكم و هو الجهاد كرهتموه و وجهتم منه و قدتم<sup>٣</sup> عنه أن يقال لكم لما يرى منكم من الخايل الدالة على ضعف الإيمان : هل يمكن عندكم نوع إمكان و تتوقعون شيئا من توقع أن يكون حالكم جديرا و خليقا لتغطية علم الدواقب عنكم فتخافون من أنفسكم .

و لما كان المقام لزم الإعراض عن الأمر ، فصل بين " عسى " ١٠ و خبرها بشرطية معبر<sup>٤</sup> فيها بالتولى بصيغة التفعّل إشارة مع نهاية الذم إلى أن المعرض عن أمر الله معرض عما تدعوه الفطرة الأولى القويمة و العقل السديد إلى حسنه ، فهو لا يعرض عنه إلا بمجاهدة منه لنفسه فقال تعالى : ﴿ ان توليتكم ﴾ أى بأنفسكم عن الجهاد الذى أمركم به ربكم<sup>٥</sup> الذى عرفكم من فوائده / ما لا مزيد عليه<sup>٦</sup> بما لا يتركه مع عاقل و لا يتخيل ١٥ تركه إلا على سبيل القرض - بما أشارت إليه أداة الشرط - أو حصلت

/ ٨٢٣

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فقد رحمكم .  
(٣) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : تقدتم (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : متوقعون (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : تغطية (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : معبرا (٧) زيد فى الأصل : و مريمكم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخذفها (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : عنه .

توليتكم بتحصيل محصل أوجبها لكم وزينها في أعينكم حتى فعلتموها،  
وهذا المعنى الثاني هو المراد ببنائه للجهول<sup>١</sup> في رواية رويس عن يعقوب<sup>٢</sup>  
﴿ ان تغيبوا ﴾ أى توقفوا الإفساد العظيم الذى يستمر تجديد<sup>٣</sup> منكم<sup>٤</sup>  
﴿ فى الارض ﴾ بقتال يكرمه الله ويسخطه<sup>٥</sup> و يفضب أشد غضب على  
فاعله و تكونوا فى غاية الجرأة عليه، فان الذى رحمكم بازال ما أنزل ه  
حكم بأن<sup>٦</sup> من جبن عما يرضيه رغبة فى الآخرة اجتراً على [ ما - <sup>٧</sup> ]  
يسخطه حراً فى الدنيا، وقد كنتم فى الجاهلية على ذلك فى القارة من  
بعضكم على بعض ونحو ذلك ﴿ وتقطعوا ﴾ تقطعاً<sup>٨</sup> عظيماً شديداً<sup>٩</sup> كثيراً  
منتشراً كثيراً ﴿ ارحامكم ﴾ فتكونوا بذلك أعزة على المؤمنين كما  
كنتم أذلة على الكافرين، وأقل ما فى إعراضكم خذلانكم للمؤمنين المجاهدين ١٠  
بما قد يكون سبباً لظهور الكافرين عليهم فتكونوا بذلك قد جمعتم بين  
[ قطعة - <sup>١١</sup> ] ارحامهم<sup>١٢</sup> وقديكم لما كان يصل إليكم من منافعهم، فان  
كففتهم<sup>١٣</sup> بعدتم عن قتلهم كنتم مع ما فاتكم من خيرهم [ أجبن - <sup>١٤</sup> ]  
الناس وأرضاهم بالعار، وإن تعاطيتم الأخذ بأرهم كنتم<sup>١٥</sup> كن أخذ فى

---

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ : للفعول (٢) راجع نثر المرجان ٥٩٧/٦ .  
(٣) فى ظ و مد : تجديد (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) من ظ و م  
و مد، وفى الأصل : رسوله وسخطه (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ ؛  
ما (٧) زيد من ظ و م و مد (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد .  
(٩) زيد من م و مد (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل و م : ارحامكم .  
(١١) من مد، وفى الأصل وظ و مد : كنتم (١٢) من ظ و م و مد،  
وفى الأصل : اكنتم .

فعل ما أمر به بعد فواته و ان له ذلك، وقد علم من هذا أن من  
أمر بالمعروف وجاهد أهل المنكر أمن<sup>١</sup> الإفساد في الأرض و قطيعة  
الرحم، و من تركه وقع فيهما، و يمكن أن يكون "توليم" من ولاية  
الامر، فكون الآية مشيرة إلى ولاية الفجرة و منفرة بذلك أن اصنع  
الامر بالمعروف، و قد وقع ذلك و شرهد ما ابتقى عليه من الفساد  
و القطيعة، و عزائم الإنكاد<sup>٢</sup> و سوء الصنيعة .

و لما بين لهم ما يكون من ثاقل عن أمر الله، لأن الملك لا يطرق  
احتمالا في شيء إلا وهو واقع فرقا بين كلامه و كلام غيره، فكيف  
بملك الملوك المحيط بكل شيء قدرة و علما<sup>٣</sup>، بين حالهم الذي أنتج لهم  
١٠ ذلك، فقال ملتفتا عنهم إيدانا بالغضب مخاطبا لمن جبل على الشفقة على  
خلق الله و الرحمة لهم إعلاما له بأن هؤلاء قد تحتم شقاؤهم فليسوا بأهل  
للشفاعة فيهم و لا للاتى عليهم : ﴿ اوائتكت ﴾ أى البعداء البغضاء  
﴿ الذين لعنهم الله ﴾ أى طردهم أشد الطرد الملك الاعظم لما ذكر  
من إفسادهم و تقطيعهم<sup>٤</sup> : ثم سبب عن لعنهم قوله تعالى : ﴿ فاصمهم ﴾  
١١ عن الانتفاع بما يسمعون<sup>٥</sup> ﴿ و اعمى<sup>٦</sup> ابصارهم ﴾ عن الارتفاق بما يبصرون،

(١) من مد، و في الأصل و ظ و م : امر (٢) من م و مد، و في الأصل  
و ظ : الانكار (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل : علمه (٤-٥) من ظ و م  
و مد، و في الأصل : الملك العظيم الكبير طردهم أشد الطرد (٥) من ظ  
و م و مد، و في الأصل : تقطيعهم (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ :  
يسمعونه .

فليس سماعهم سماع اذكار ، ولا إبصارهم إبصار اعتبار ، فلا سماع لهم ولا إبصار .

ولما أخبر بذلك فكان ربما سأل من لا يعي الكلام حق وعيه عن السبب الموجب للغن المسبب للصم<sup>٢</sup> والعمى ، أجابه<sup>٣</sup> بقوله منكرا موجها مظهرا لتاء التفعّل إشارة إلى أن المأمور به صرف جميع المهمة إلى ه التأمّل : ( أفلا يتدبرون ) أى كل من له أهلية التدبر / بقلوب مفتحة منشحة ليهتدوا إلى [ كل - ٤ ] خير ( القرآن ) بأن يجهدوا أنفسهم فى أن يتفكروا فى الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس تفكر من ينظر فى أدبار الأمور وماذا يلزم من عواقبها ليعلموا أنه لا عون<sup>٥</sup> على الإصلاح فى الأرض و صلة الأرحام والإخلاص لله فى لزوم كل طاعة والبراءة من كل معصية مثل الأسر بالمعروف من الجهاد بالسيف وما دونه ، وربما دل إظهار التاء على أن ذلك من أظهر ما فى القرآن من المعاني ، فلا يحتاج فى العثور عليه إلى كبير تدبر - والله أعلم .

ولما كان الاستفهام إنكاريا فكان معناه نفيا ، فهو لكونه<sup>٦</sup> داخلا على النقي نقي له فصار إثباتا ، فكان كأنه قيل : هل يحددون<sup>٧</sup> التدبر تجديدا مستمرا لترق قلوبهم به وتير بصائرهم له ، فيكفوا عن

(١) سقط من ظ و م ومد (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : عن الصمم .  
(٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اجابهم (٤) زيد من م ومد (هـ) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يجوز (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لكنه .

الإفساد و التقطع، عادله بقوله مشبها للقلوب بالصناديق دالا على ذلك  
 التشبيه بذكر ما هو مختص بالصناديق من الأفعال : (أم على قلوب)  
 من قلوب الغافلين لذلك، و نكرها لتبعضها و تحقيرها بتعظيم  
 قسوتها (أفألهاء) أى الحقيقة بها الجديرة بأن تضاف إليها، فهى لذلك  
 ٥ لا تنى شيئا و لا تفهم أمرا و لا تزداد إلا غباوة و عنادا، لأنها لا تقدر  
 على التدبر، قال القشيري : فلا تدخلها زواجر التنيه و لا ينسبط عليها  
 شعاع العلم، فلا يحصل لهم فهم الخطاب، و الباب إذا كان مغفلا فكما  
 لا يدخل فيه شيء فلا يخرج ما فيه، فلا كفرهم يخرج و لا الإيمان الذي  
 يدعون إليه يدخل - انتهى . و الإضافة تشعر بأن [ بعض - ٢ ] المتولين  
 ١٠ على قلوبهم أقوال، لكن ليست متمكنة فيها، فهو سبحانه يفتحها بالتوبة  
 عليهم ٢ إذا أراد ٢. و أما الأولون فلا صلاحية لهم، و فى هذه  
 الآية اعظم حاث على قبول أوامر الله لاسيما الجهاد فى سبيله .  
 و أشد زاجر عن الإعراض عنه لأن حاصلها أنه لمن عرض عنه  
 لكونه لا يتدبر القرآن مع وضوحه . يسره يعلم فوائد الجهاد الداعية إليه  
 ١٥ المحيية فيه، فكان [ كأن - ٢ ] قلبه مقفل، و الآية من الاحتباك :

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الحقيرة (٢) زيد من ظ و م و مد.  
 (٣-٢) و قم فى الأصل بعد « سبحانه » و الترتيب من ظ و م و مد (٤) من  
 م و مد، و فى الأصل و ظ : قلوب (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م  
 و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : للحية (٧) زيد من م و مد .

ذكر التدبر أولا دليلا على ضده ثانيا، و الأفعال ثانيا دليلا على ضدها  
أولا، وسره أنه ذكر نتيجة الخير الكافلة بالسعادة أولا و سبب الشر  
الجامع للشقاوة ثانيا .

ولما أخبر سبحانه و تعالى بأفعال قلوبهم . بين منشأ ذلك . فقال  
مؤكدّا تنبيها [ لمن لا يهتم به - ١ ] على أنه مما ينبغي الاهتمام بالنظر  
فيه ليخلص الإنسان نفسه منه ، و تكذيبا لمن يقال : إن ذلك حسن :  
( ان الذين ارتدوا ) أى عالجوا نفوسهم فى منازعة الفطرة الأولى  
فى الرجوع عن الإسلام ، وهو المراد بقوله : ( على أديارهم ) أى من  
أهل الكتاب و غيرهم ، فقلبوا وجوه الأمور إلى ظهورها ، فرفعوا  
فى الضلال فكفروا .

١٠

ولما كان الذى يلامون عليه ترك ما أتاهم به النبي صلى الله عليه  
وسلم مما أوحاه الله سبحانه إليه من الشريعة ، لا ما فى غرائزهم من الملة  
التي / يكفى فى الهداية إليها نور العقل ، وكان الذم لاحقا بهم ولو كان  
ارتدادهم فى أدنى وقت ، أثبت الجار فقال : ( من بعد ما تبين ) غاية  
البيان الذى لا خفاء معه بوجه ما وظهر غاية الظهور<sup>٢</sup> ( لهم ) بالدلائل ١٥  
التي هى من شدة ظهورها غنية عن 'بيان مبين' ( الهدى لا ) أى  
الذى أتاهم به رسولنا صلى الله عليه وسلم .

(١) زيد من م و مد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : منازعتهم .  
(٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (٤-٤) من ظ و م و مد ،  
وفى الأصل : البيان المبين .

ولما كانوا قد أحرقوا بذلك أنفسهم وابتعدوها به غاية البعد عن كل خير، عبر عن المعنى بما يدل على ذلك فقال تعالى: ﴿الشيطان﴾ أى المحترق باللعنة البعيد من الرحمة ﴿رسول﴾ أى حسن ﴿لهم﴾ بتزيينه وإغوائه الذى حصل لهم منه استرخاء فى عزائمهم وقصور فى همهم فجروا معه فى مراده فى طول الأمل، والإكثار من موافقة الرأى والامانى من جميع الشهوات والعلل، بعد أن زين لهم سوء العمل، بنمكين الله له منهم، وهذا لما علم سبحانه منهم حال الفطرة الأولى ﴿املى لهم﴾ أى أطال فى ذلك ووسع بتكرار ذلك عليهم على تعاقب الملوك ومر الجديدين حتى نسوا المواعظ وأعرضوا عن الذكر ١ - هذا على قراءة الجماعة بفتح الهمزة واللام، وأما على قراءة البصريين بضم الهمزة وكسر اللام فالمراد أن الله تعالى هو المولى - أى الممهل - لهم بإطالة العمر وإسباغ النعم، وتسهيل الامانى والحلم، عن المعالجة بالنقم، حتى اغتروا، وهى ايضا موافقة لقلبه تعالى "سنستخرجهم من حيث لا يعلمون واملى لهم" ان كيدى متين"، وأما فى قراءة

(١) زيد فى الأصل: مبينا ان دليلهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م، مد لغذاتها (٢) زيد فى الأصل: رن و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لغذاتها (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فتورهم (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ عملهم (٥) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد (٦) زيد فى الأصل: انهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لغذاتها (٧) راجع بشرى المرحان ١٠١ (٨) سقط من ظ و م و مد.



ابی عمر: بفتح الیاء فهو ' فمر ماض مبی للفعول ، ودل علی ان المملی هو  
الله سبحانه وتعالی قراءة یعقوب ما كان الیاء علی أنه مضارع  
همزته للتکلم .

ولما بین تسلیطه الشیطان علیهم ، بین سیه فقال : ( ذلك )  
ای الامر البعید من الخیر و ما دل علیہ صریح العقل ( باهم ) ای ه  
بسبب<sup>۲</sup> أن هؤلاء المتوین ( قالوا للذین کرهوا ما ) ای جمیع ما ( نزل الله )  
ای الملك الاعظم علی التدریج بحسب الوقائع تنزیلا فیہ إعجاز الخلق  
فی بلاغة التركیب مع فصاحة المفردات و جزالتها مع السهولة فی النطق  
و العذوبة فی السمع و الملاءمة للطبع<sup>۳</sup> كما يشهد به کل ذوق من الأغیاء  
و الاذکیاء علی تباينهم فی مراتب الغیابة و الدکاء ، و إعجاز آخر لهم ۱۰  
فی رصانة المعنی و حکمته ، و ثالث<sup>۴</sup> فی مطابقتها للحال الذی اقتضى نزوله  
مطابقة یعجز الخلق عن الإتیان بمثلها ، و رابع بنظمه مع ما نزل قبله  
من آیات ، لا علی ترتیب النزول ، بل علی ما اقتضته الحکمة الی تنضال<sup>۵</sup>  
دونها الافکار ، و تولى خاسته من جلالها علی الادبار ، بصائر اولی  
الابصار ، و هؤلاء المقول لهم هذا الکلام هم - و الله أعلم - المصارحون ۱۵  
بالکفر ، قالوا لهم بعد هذه الأدلة من الإعجازات ، و ما تقدمها من

(۱) من مد ، و فی الأصل و ظ و م : همی (۲) من م و مد ، و فی الأصل  
و ظ . تسلط (۳) من م و مد ، و فی الأصل و ظ : سبب (۴) من م و مد ،  
و فی الأصل و ظ : فی الطبع (۵) فی م . ثابت (۶) من ظ و م و مد ، و فی  
الأصل : یتضال .

الآيات البينات الواضحات: ﴿ سنطيعكم ﴾ بوحمد صادق لاخلف فيه  
 ﴿ في بعض الامر ﴾ وهو القتال في سبيل الله الذي تقدم أنهم عند  
 نزول سورة يذكر بها يصيرون كالذى يغشى عليه من الموت، [فأتم في  
 أمان - ١] من أن تقا تلکم أبدا، فانا إنما أرسلنا الامان على دمانا  
 ه و أموالنا، و الذى نجبه عما ينزل هو التأمين لمن أقر بكلمة الإسلام  
 و القناعة منه بالظاهر و الوعد العام بالتبسط في البلاد و التوسعة في الارزاق  
 و نحو ذلك، فكانوا بذلك كفرة فان الدين لا يتجزأ، فن أضاع من  
 أصوله شيئا فقد أضاعه كله. و التقيد بالبعض يفهم أنهم لا يطيحونهم في  
 البعض الآخر، و هو إظهار الإسلام و التصور بصورة المسألة، و ذلك  
 ١٠ كله بأن الله تعالى جبلهم جبلة هيأهم بها لمثل هذا، فلما قالوا مضيعين  
 لما من عليهم من غريزة العقل استحقوا في مجارى عادتنا لاختيارهم طاعة  
 العدو - مع تعيب علم العواقب عنهم - أن يخذلوا و يسلط عليهم ليكون  
 أخدم في الظاهر من أطاعوه في الباطن، و لو أنهم استمسكوا بدينهم  
 و كانوا مع أهله يدا على من سواهم لم يقدر عليهم عدو، و لا طرقتهم  
 ١٥ طارقة يكرهونها سوء.

(١) سقط من ظ و م و مد (٢-٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: هذه  
 السورة (٣-٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: كالغشى عليهم (٤) زيد من  
 م و مد (٥-٥) من مد، و في الأصل و ظ: أرسلنا الامان، و في م: أرسلنا  
 للامان (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: باسط منه (٧-٧) من ظ و م  
 و مد، و في الأصل: في الدين (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: قنایب.  
 (٩) زيد بعده في الأصل: أبدا، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لخصاها.

ولما كان من له أدنى عقل لا يخون إلا [إذا -<sup>١</sup>] ظن أن حياته<sup>٢</sup>  
تخفى ليأمن عاقبتها، صور قباحة ما ارتكبه فقال: ﴿ والله ﴾ أى  
قالوا ذلك والحال أن الملك الأعظم المحيط بكل شيء علما وقدره  
﴿ يعلم ﴾ على<sup>٣</sup> مر الاوقات ﴿ اسرارهم ﴾ أى كلها هذا الذى [أفشاء -<sup>٤</sup>]  
عليهم وغيره مما فى ضمائرهم<sup>٥</sup> لم يبرز على ألسنتهم، ولعلهم لم يعلموه<sup>٥</sup>  
[هم -<sup>٦</sup>] فضلا عن أقوالهم التى تحدثت بها ألسنتهم، فإن بذلك أنه  
لا أديان لهم ولا عقول ولا مروءات.

ولما بين تعالى إحاطة علمه بهم، أتبعه إحاطة قدرته فقال تعالى  
مسيا عن حياتهم وهم فى القبضة بما لا يخفى مما يريدون به صيانة أنفسهم  
عن القتل معبرا بالاستفهام تنبيها على أن حالهم<sup>٦</sup> بما يجاوزون<sup>٧</sup> به على<sup>١٠</sup>  
هذا الاستحقاق له من البشاعة والقباحة والفظاعة<sup>٨</sup> ما يحق<sup>٩</sup> السؤال  
عنه لأجله [فقال -<sup>٤</sup>]: ﴿ فكيف ﴾ أى حالهم ﴿ اذا توفهم الملائكة ﴾  
أى قبضت رسلنا وهم ملك الموت وأعوانه أرواحهم<sup>٩</sup> كاملة، فجازتها  
إلى دار الجزاء مقطوعة عن جميع أسبابهم [وأنسابهم -<sup>٩</sup>] فلم يفهمهم  
تقاعدهم<sup>١٠</sup> عن الجهاد فى تأخير<sup>١١</sup> آجالهم، وصور حالهم وقت توفهم<sup>١٥</sup>

- (١) زيد من ظ و م ومد (٢) من م ومد، وفى الأصل و ظ: حياتهم.  
(٣) سقط من م (٤) زيد من م ومد (٥) من م ومد، وفى الأصل و ظ: ولما.  
(٦ - ٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل: فيما يجاوزونه (٧) من ظ و م  
ومد، وفى الأصل: الفظاظة (٨) من ظ و م ومد، وفى الأصل: يخف -  
كذا (٩) وقع فى الأصل بعده رسلنا، والترتيب من ظ و م ومد.  
(١٠) من مد، وفى الأصل و ظ و م: مقاعدهم (١١) من م ومد، وفى  
الأصل و ظ: تأخر.

فقال: ﴿يضربون﴾ أى يتابعون فى حال التوفية ضربهم ﴿وجوهمهم﴾  
التي هى أشرف جوارحهم التي جنبوا عن الحرب صيانة [لها - ١] عن  
ضرب الكفار . ولما كان حالهم فى جنبهم مقتضيا لضرب الأقفاء ،  
صوره بأشنع صورته فقال: ﴿وادبارهم﴾ التي ضربها أدل ما يكون  
هـ على هوان المضروب وسفاته ثم<sup>٢</sup> اتصل بعد ذلك [آلامهم وعذابهم  
وهوانهم إلى ما لا آخر له .

ولما كان كفران النعم يوجب - ٢ [مع إجلال النعم<sup>١</sup> إبطال ما  
تقدم من الحمد قال: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم الإهانة من [فعل - ١]  
رسلنا [بهم - ٢] ﴿بأنهم اتبعوا﴾ أى عاجلوا فطرم الأولى فى أن  
١٠ تبعوا<sup>١</sup> أعادا منهم<sup>٢</sup> ﴿ما أسخط الله﴾ أى الملك الأعظم وهو العمل  
بمعاصيه من موالاته أعدائه ومناوأة أوليائه وغير ذلك .

ولما كان فعل ما يسخط قد يكون مع / الغفلة عن أنه يسخط ،  
بين أنهم ليسوا كذلك فقال تعالى: ﴿وكرهوا﴾ أى<sup>١</sup> بالإشراك  
﴿رضوانه﴾ بكراهتهم [أعظم - ١] أسباب رضاه وهو الإيمان ،  
١٥ فهم لما دونه بالتعود عن سائر الطاعات أكرهه ، لأن ذلك ظاهر غاية

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : صهم (٣) زيد من  
ظ وم ومد (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : التعم (٥) من ظ وم  
ومد ، وفى الأصل : اتبعوا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من ظ وم ومد .  
(٧) سقط من ظ وم ومد (٨) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى  
ظ وم ومد فحذفناها .

الظهور في أنه مسخط قاعله<sup>١</sup> مع ذلك غير معذور في ترك النظر فيه  
 ( فاجبط ) أى فلذلك تسبب عنه أنه أفسد ( أعمالهم ) الصالحة  
 فأسقطها بحيث لم يبق لها وزن<sup>٢</sup> أصلا لتضييع الأساس من مكارم  
 الأخلاق من قرى الضيف والأخذ يد الضيف والصدقة والإعتاق  
 وغير ذلك من وجوه الإرفاق .

٥

ولما صور سبحانه ما أثرته خياتهم بأقبح صورته ، فإن [ به - ٢ ]  
 أنه ما حملهم على ما فعلوه إلا جهلهم وسفاهتهم ، فأنتج إهانتهم بالتبكيك  
 فقال عاطفا على ما تقديره : أعلوا حين قالوا ما يسخطنا أنا نعلم سرهم  
 وبحوام ، وأن قدرتنا محيطة بهم<sup>٣</sup> ليكونوا قد وطنوا أنفسهم على أنا  
 نظهر للناس ما يكتومونه وناخذهم أخذا ويلا فيكونوا أجمل الجهلة : ١٠  
 ( ام ) حسبوا لضعف عقولهم - بما أفهمه التعبير بالحسبان - هكذا كان  
 الأصل ، ولكنه عبر بما دل على الآفة التي أدتهم إلى ذلك فقال تعالى :  
 ( حسب الذين في قلوبهم ) التي إذا فسدت فسد جميع أجسادهم  
 ( مرض ) أى آفة لا طب لها<sup>٤</sup> حسابانا هو<sup>٥</sup> في غاية الثبات بما دل عليه  
 التأكيد في قوله سبحانه وتعالى : ( ان لن يخرج الله ) أى يبرز من هو ١٥  
 محيط بصفات الكمال للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضوان الله عليهم

( ١ ) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : وقاعله ( ٢ ) من ظ و م و مد ، وفي  
 الأصل : وزنا ( ٣ ) زيد من م و مد ( ٤ ) من م و مد ، وفي الأصل : وظ :  
 بنا ( ٥ - ٥ ) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : حسابانهم ( ٦ ) زيد في الأصل :  
 الجمال والعظمة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .

على سبيل التجديد و الاستمرار ﴿اضفانهم ه﴾ أى ميلهم و ما  
 يبطونهم [فى -<sup>١</sup>] 'دواخل أكشاحهم' من اعوجاجهم الدال على احقادهم،  
 وهى أنهم كآتمون عداوة فى قلوبهم مصرون عليها يترقبون الدوائر  
 لانتهاز فرصتها، ليس الامر كما توهموا بل الله يفضحهم و يكشف تلبسهم .  
 ٥ ولما<sup>٢</sup> علم من ذلك إحاطة الله سبحانه و تعالى و شمول قدرته علم  
 ما له سبحانه من باهر العظمة و قاهر العزة، فنقل الكلام إلى أسلوبها تنديها  
 على ذلك عاطفا على ما تقديره: خابت<sup>٣</sup> ظنونهم و قالت<sup>٤</sup> آراؤهم فلنخرجن<sup>٥</sup>  
 ما يبالبون فى ستره حتى لاندع منه شيئا يريدون إخفاءه<sup>٦</sup> إلا كشفناه  
 و أبديناه للناس و أوضناه، فانا نعلمهم و نعلم ذلك منهم من قبل أن  
 ١٠ نخلفهم، فلو نشاء لفضحنهم حتى يعرفهم الناس أجمعون، فلا يخفى منهم  
 أحد على أحد [منهم -<sup>٨</sup>] فقال تعالى: ﴿ولو﴾ و يجوز أن تكون  
 واوه للحال أى أم حسبوا ذلك و الحال أنا لو ﴿نشاء﴾ أى وقعت  
 منا مشيئة الآن أو قبله أو بعده . ولما كانوا لشدة جهلهم لا يتصورون  
 أن سرائرهم كلها معلومة مقدور / على أن يعلمها بشر<sup>٩</sup> مثلهم، أكد قوله:

/ ٨٢٨

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: داخل  
 حشائهم (٣) زيد فى الأصل: كان قد، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد  
 لحذفناها (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: حات (٥) من مد، وفى الأصل  
 و ظ و م: قالت (٦) زيد فى الأصل و ظ: على، ولم تكن الزيادة فى م و مد  
 لحذفناها (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: خفاءه (٨) زيد من م و مد .  
 (٩) من م و مد، وفى الأصل و ظ: بشد .

(لَا رَيْبَ لَكُمْ) 'أى رؤية تامة كاشفة لك الغطاء عنهم' (فلعرفهم)  
 أى فتعقبت رؤيتك لإيام معرفتك لهم أنت بخصوصك (بسينهم) 'أى  
 بسبب علاماتهم التى نجعلها عالية عليهم [غالبه لهم - ' ] فى إظهار  
 ضمائرهم عليها لا<sup>٢</sup> يقدرون على مدافعتها بوجه ، ولم يذكرهم سبحانه بأسمائهم  
 إبقاءً على قراباتهم المخلصين<sup>٣</sup> من الفتن .

و لما انتضى ما علق بالمشية بما كان ممكنا له فى الماضى وغيره ،  
 عطف عليه ما يجزه له بما كشف من أمرهم فى المستقبل فقال مؤكدا  
 لاستبعاد من يستبعد ذلك منهم أو ممن شاركهم<sup>٤</sup> فى مرض القلب من  
 غيرهم فقال فى جواب قسم محذوف دل عليه باللام<sup>٥</sup> : ( ولتعرفهم )  
 أى بعد هذا الوقت<sup>٦</sup> معرفة تتجدد بحسب تجديد أقوالهم مستمرة باستمرار<sup>٧</sup>  
 ضمائرهم الحية وإسرارهم ( فى لحن القول<sup>٨</sup> ) أى الصادر منهم ، ولحنه  
 فحواه<sup>٩</sup> أى معناه ومذهبه [ و - ' ] ما يدل عليه ويلوح به من مثله  
 عن حقائقه إلى عواقبه وما " يؤل إليه " أمره بما يخفى على غيرك ،

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد (٢) زيد من م ، ومد (٣) من  
 ظ و م ومد ، وفى الأصل : فلا (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ و م :  
 انفا (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : المخلصون (٦) من ظ و م  
 ومد ، وفى الأصل : شاكلهم (٧) زيد فى الأصل : بقوله تعالى ، ولم تكن  
 الزيادة فى ظ و م ومد لخذفها (٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل :  
 القول (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : نجواه (١٠) زيد من ظ و م ومد  
 (١١-١١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : يدل عليه .

وقال ابن برجان : هو ما تنحو إليه بلسانك أى تميل إليه ليقطن لك صاحبك وتخفيه على من لم يكن له عهد بمراكك ، وعلى القول بالتحقيق قلن القول ما يبدو من غرض الكلام وخفيات الخطاب وسباق اللفظ وهمة السخنة حال القول وإن لم يرد المتكلم أن يظهره ولكنه على الأغلب يقله حالا ، فلا يقدر على كل كلمته وإن كان فى تكليمه معتمدا على ذلك ، وحقيقته حال بلوح عن السر وإظهار كلام الباطن يكاد يناقض كلام اللسان بحال خفية ومعان يقف عليها باطن التخاطب [و-٢] قال :

ولقد لحنت لكم لكىما تفقهوا" ولاحن يعرفه ذوو الالباب  
١٠ وقال [آخر-٢] :

عينك قد دلنا عيناى منك على أشياء لولا ما كنت أدريها  
وقال أبو حيان : كانوا اصطلاحوا على ألفاظ يخاطبون بها الرسول صلى الله عليه وسلم بما ظاهره حسن ويعنون به القبيح ، وقال الأصمهاى :  
وقيل للخطىء : لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب : وقال البغوى :  
١٥ للحن<sup>١</sup> وجهان<sup>٢</sup> : صواب [وخطأ - ١] . فالفعل من الصواب لحن بلحن

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : تمثل (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يتناقص (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) من مد ، وفى الأصل وظ وم : تفهموا : (٥) من م ومد ، وفى الأصل وظ : دلنا (٦) راجع البحر المحيط ٨٥/٨ .  
(٧) فى معالم التنزيل بهامش الباب ٦/ ١٥٣ (٨) من م ومد والمعلم ، وفى الأصل وظ : لاحن (٩) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن الزيادة فى م ومد والمعلم لخذناهما (١٠) زيد من ظ وم ومد والمعلم .



لحنا فهو لحز - إذا فطن<sup>١</sup> للشيء، و الفعل من الخطأ لحن يلحن لحنا  
 فهو لاحن، والأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، [قال -<sup>٢</sup>] : فكان  
 بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم إلا عرفه، وقال  
 الثعلبي: وعن أنس رضي الله عنه: ما خفي على رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين، [كان يعرفهم بسيماهم،<sup>٥</sup>  
 ولقد كنا في غزوة وفيها سبعة من المنافقين -<sup>٢</sup>] يشكرهم الناس فناموا  
 ذات ليلة وأصبحوا على جهة كل واحد منهم مكتوب "هذا منافق"  
 ومثل ابن عباس رضي الله عنهم بقولهم "ما لنا إن اطعنا من الثواب"  
 قال: ولا / يقولون: [ما لنا -<sup>٥</sup>] إن عصينا من العقاب<sup>١</sup>.

٨٢٩ /

ولما أخبر سبحانه أنه يعلم ظواهرهم وبواطنهم، وأنه يحلهم لنيه<sup>١٠</sup>  
 صلى الله عليه وسلم في صور ما يخفوه من أقوالهم، وأكد ذلك  
 لعله بشكرهم<sup>٦</sup> فيه، واجههم بالتبكيك زيادة في إهانتهم عاما لغيرهم إعلاما  
 بأنه محيط بالكل<sup>٧</sup> فقال عاطفا على ما تقديره: فانه يعلم أقوالكم:  
 (والله) أي بما له من صفات الكمال<sup>٨</sup> (يعلم اعمالكم<sup>٩</sup>) كلها الفعلية  
 والقولية جليها وخفيها، علما<sup>١١</sup> ثابتا غيبيا وعلما<sup>١٢</sup> راسخا شهوديا يتجدد<sup>١٥</sup>

- (١) من م ومد والمعلم، وفي الأصل و ظ : تفظن (٢) زيد من م ومد  
 والمعلم (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد، وفي الأصل و ظ : شكرهم.  
 (٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد، وفي الأصل : العقبات.  
 (٧) من م ومد، وفي الأصل : بشكرهم (٨) من م ومد، وفي  
 الأصل : لكل (٩) سقط من م ومد (١٠) زيد في الأصل : شائيا،  
 ولم تكن الزيادة في م ومد مخذفتاها.

بحسب تجددها مستمرا باستمرار ذلك .

ولما أخبر سبحانه أنه يعرفهم لديه صلى الله عليه وسلم ، أتبعه  
الإخبار بأنه يعرفهم لسكافة المؤمنين أيضا ، فقال مؤكدا لأجل ظنهم  
أن عندهم من الملكة الشديدة و العقل الرصين ما يخفون به أمورهم :  
٥ ﴿ ولنبولونكم ﴾ أى نعاملكم معاملة المبتلى بأن نخاطبكم بما لنا من صفات  
العظمة بالأوامر الشديدة على النفوس و النواهي الكريمة إليها والمصائب ،  
خلطة بملة محبة ، وهكذا التقدير فى الفعلين الآتين فى قراءة الجماعة ٢  
بالنون جريا على الأسلوب الاول ، وفى قراءة أى بكر عن عاصم بالياء  
الضمير لله تعالى الذى هو محيط بصفات ٣ العظمة الراجعة إلى القهر  
١٠ وغيرها من صفات الإكرام ٤ الآتية إلى الإنعام ، فهو فى غاية المواقة  
لقراءة النون ﴿ حتى نعلم ﴾ بالابتلاء علما شهوديا يشهده غيرنا مطابقا  
لما كنا نعلمه علما غيبيا فستخرج ٥ من سراركم ما كونه فيكم [ وجلبناكم  
عليه بما لا يعلمه أحد منكم - ٦ ] بل ولا تعلمونه أتم حق عليه  
﴿ المجتهدين منكم ﴾ فى القتال و [ فى - ٧ ] سائر الأعمال والشدائد  
١٥ والأحوال امتثالا للأمر بذلك .

ولما كان عماد الجهاد الصبر على المكروه ، قال تأكيداً لأمره :

(١) سقط من ظ و م ومد (٢) راجع نثر المرجان ٦/٦٠٦ (٣) زيد فى الأصل :  
الكمال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها (٤) من ظ و م ومد ،  
وفى الأصل : غيره (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : القدرة (٦) من م  
ومد ، وفى الأصل و ظ : فيخرج (٧) زيد من م ومد .

( والصبرين لايم ) أى على شدائد الجهاد وغيره من الإنكاد . قال القشيري :  
 فبالابتلاء والامتحان تبين جواهر الرجال ، فيظهر المخلص ويتضح الممازق  
 وينكشف المناق . ولما نصب معيارا للعلم بالذوات ، أتبعه مسبارا<sup>١</sup> للعرية  
 للاخبار ، فقال عاطفا على " نعلم " فى رواية الجماعة وعلى " نبلو " فى  
 الرواية عن يعقوب باسكان الوار : ( و نبلوا اخباركم ) أى نخالطها بان ه  
 نسلط عليها من يحرفها فيجعل حسنها قبيحا وقبيحا مليحا<sup>٢</sup> ليظهر للناس العامل  
 لله<sup>٣</sup> والعامل للشيطان ، فان العامل لله إذا سمي قبيحا باسم الحسن علم أن  
 ذلك إحسان<sup>٤</sup> من الله إليه فيستحي منه ويرجع إليه ، وإذا سمي حسنة  
 باسم القبيح واشتهر به علم أن ذلك لطف من الله به كيلا يدركه العجب  
 أو بهاجمه الرياء فيزيد فى إحسانه ، والعامل للشيطان يزداد فى القباح :  
 لأن شهرته عند الناس / محط نظره ، ويرجع عن<sup>٥</sup> الحسن لأنه لم يوصله  
 إلى ما أراد به من ثناء الناس عليه بالخبر ولم يؤكد بنا ، وفى قراءة يعقوب<sup>٦</sup>  
 إشارة إلى أن إحالة حال الخبر بعد ظهور خوره أسهل من إحالة قبل  
 ظهوره ، وعن الفضيل أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى وقال : اللهم  
 لا تبلىنا فانك إن بولتنا هتكت أستارنا وفضحتنا .

١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : معيارا (٢) من ظ و م و مد ، وفى  
 الأصل : انما بعلينا (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : حسنا (٤) من ظ  
 و م و مد ، وفى الأصل : به (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : احسنا .  
 (٦) (من مد ، وفى الأصل و ظ و م : بهاجه (٧) من م و مد ، وفى الأصل  
 و ظ : فى (٨) راجع نشر المرجان ٦/٦٠٦ .

ولما جرت العادة بأن الإنسان لا يعذب ولا يهدد إلا من ضره  
كما تقدم من الإخبار بنكالهم وقبيح أعمالهم مهيناً<sup>٢</sup> للسؤال عن ذلك  
فاستأنف قوله مؤكداً لظنهم أنهم هم الغالبون لحزب الله :  
(ان الذين كفروا) أى غطوا ما دلت عليه عقولهم من ظاهر آيات الله  
٥ لاسيما بعد إرسال الرسول المؤيد بواضح المعجزات صلى الله عليه وسلم  
(وصدوا) أى امتنعوا ومنعوا غيرهم زيادة في كفرهم (عن سبيل الله)  
أى الطريق الواضح الذى نهجه الملك الاعظم . ولما كان أكثر السياق  
للساترين بكفرهم ، أدغم في قوله : (وشاقوا الرسول) أى الكامل  
في الرسلية المعروف غاية المعرفة .

١٠ ولما كان سبحانه قد عفا عن إهمال الدليل العقلى على الوحداية  
قبل الإرسال ، قال مثبتاً الجار إعلاما بأنه لا يغفر لمضيعة بعد الإرسال  
ولو في أدنى وقت : (من بعد ما تبين) أى غايبة التبين بالمعجز<sup>٣</sup>  
(لهم الهدى لا) بحيث صار ظاهرا بنفسه غير محتاج بما أظهره الرسول  
من الخوارق إلى مبين ، ومنه ما أخبرت به الكتب القديمة الإلهية .  
١٥ ولما كان المناصب للرسول إنما ناصب من أرسله ، دل على ذلك بقوله  
معربا له من انفاء دلالة على عدم التسبب<sup>٤</sup> بمعنى أن عدم هذا الضر

(١) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : جرى (٢) سقط من م ومد (٣) من م  
ومد ، وفي الأصل و ظ : مهشأ (٤) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : في  
كفرهم (٥) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : بالمعجز (٦) زيد في الأصل :  
أى ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفها (٧) من م ومد ، وفي الأصل  
و ظ : التسبب .

موجود عملوا أو لم يعملوا وجدوا أو لم يوجدوا (لن يضروا الله) أي ملك الملوك، ولم يقل: الرسول (شيئا) أي كثيرا ولا قليلا من ضرر بما تجمعوا عليه من الكفر والصد.

ولما كان التقدير: إما ضروا أنفسهم ناجزا بأنهم أتبعوها بما لم 'يغن عنهم' شيئا، عطف عليه: (وسيحبط) أي يفسد فيظل بوعده لاخلف فيه (اعمالهم) من المحاسن لبناتها من المناق [على غير أساس ثابت، فهو إنما يرائي بها، ومن المجاهر على غير -] أساس أصلا، فلا ينفعهم شيء منها، ومن المكاييد التي يريدون بها توهين الإسلام ونجعل تدميرهم بها في تدميرهم وإن تناهوا في إحكامها، فلا تضرهم إلا عكس مرادهم سواء.

١٠

ولما حدى ما تقدم كله من ترغيب المخلص وترهيب المتردد والمبطل إلى الإخلاص ودعا إلى ذلك مع بيان أنه لا غرض أصلا، وإما هو رحمة و لطف وإحسان [و -] من، أتج قوله مناديا من احتاج إلى النداء من نوع بعد لاحتياجه إلى ذلك وعدم مبادرته قبله: (يأياها الذين آمنوا) أي أقروا بالسنتهم (اطيعوا الله) أي الملك ١٥

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: لم يجدوا (٢-٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: تعرفهم (٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: يحبط (٥) زيد من ظ وم ومد (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: وسوى (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بيانه (٧) زيد من م ومد (٨-٩) من م ومد، وفي الأصل وظ: بنوع (٩) من مد، وفي الأصل وظ وم: منادته.

الاعظم تصديقاً لدعواكم طاعته<sup>١</sup> بشدة الاجتهاد فيها / انها خالصة،  
وعظم الرسول صلى الله عليه وسلم بافراده فقال تعالى: ﴿واطيعوا الرسول﴾  
لان طاعته من<sup>٢</sup> طاعة الذى أرسله، فاذا فعلتم ذلك حققت<sup>٣</sup> أنفسكم  
وأعمالكم كما مضى اول السورة، فتكون صحيحة ببنائها على الطاعة<sup>٤</sup>  
٥ بتصحيح النيات و تصفيتها مع الإحسان للصورة فى الظاهر ليكمل العمل  
صورة و روحاً .

ولما كانت الطاعة قد تحمل على إقامة الصورة الظاهرة، قال منبها على  
الإخلاص لتكمل حساً ومعنى: ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ أى بمعصيتها،  
فان الأعمال الصالحة إذا نوى بها ما لا يرضيها بطلت وإن كانت فى  
١٠ الذروة من حسن الصورة، فكانت صورة بلا معنى، ففى مما يكون  
هباءً منثوراً مثل ما فعل أولئك المظهرون للإيمان المبطنون للشاقة  
بالتناق و الرياء و العجب و الم<sup>٥</sup> و الأذى و نحو ذلك من المعاصى،  
ولكن السياق بسياقه و لحاقه يدل على أن الكفر هو المراد الاعظم  
بذلك، والآية [من الاحتباك - ٦]: ذكر الطاعة أولاً دليلاً على المعصية  
١٥ ثانياً، و الإبطال ثانياً دليلاً على الصحة أولاً، و سره أنه أمر بمبدأ<sup>٧</sup>

(١) فى مد: طاعة (٢) زيد فى الأصل: طاعته اعنى من، و لم تكن الزيادة فى  
ظ و م و مد لحذفها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حقنتم (٤) من  
ظ و م و مد، و فى الأصل: الطلة - كذا (٥) زيد فى الأصل: و الرياء،  
و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٦) زيد من ظ و م و مد .  
(٧) من م و مد، و فى الأصل: و ظ: بهذا .

السعادة ونهى عن نهاية الفساد ثانياً ، لأنه اعظم في النهى عن الفساد لما فيه من تقييح صورته و هتك سريره .

ولما دل ما أخبر به أولاً عن المشاقين على أنهم مغلوبون في الدنيا خاسرون في الآخرة ، وكانت الخسارة في الآخرة مشروطة بشرط ، علل ما أمر به المؤمنون هنا من الطاعة ونهوا عنه من إبطال الأعمال بالمعصية ، [ زيادة - ١ ] في حثهم على ما أمر به بعتين كل منهما مستقل بامثال أمره واجتناب نهيه : إحداهما عدم المغفرة ، والثانية بطلان الأعمال والأموال بكون الدنيا لاحقية لها ، وقدم الأولى لأن الثانية - وهى أن الدنيا لعب - كالملة الحاصلة على ما أوجبها ، ومن حسن التعليم بيان الحكم ثم تعليله بأقرب ما يحمل عليه أو يصد عنه ، فكأنه قيل : لا تبطلوها ١٠ بالصد عن سبيل الله الحامل عليه الإقبال على الدنيا التى هى عين الباطل ، فانكم إن فعلتم ذلك فاتكم المغفرة ، وذلك من معنى قوله تعالى مؤكدا لإنكارهم مضمونه : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى أوقعوا الكفر بفعلهم فعل السائر لما دله عليه عقله من آيات الله المرئية ثم المسموعة ﴿ وصدوا عن سبيل الله ﴾ أى طريق الملك الأعلى الواضح المستقيم ١٥ الموصل إلى كل ما ينبغى أن يقصد كل من أراد بهتادهم على باطلهم ٢ وأذام لمن خالفهم .

ولما كان هذا أمراً قبيحاً من جهات عديدة لما فيه من / مخالفة

٨٣٢ /

(١) ريد من م ومد (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : أحدهما (م) من  
ظ وم ومد ، وفى الأصل : دل (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : باطله .

الملك الأعظم المرهوب بطشه المحذورة<sup>١</sup> سطوته، و من ترك<sup>٢</sup> الواسع<sup>٣</sup> إلى الضيق و المستقيم إلى المعوج و الموصل إلى الفوز [ إلى -<sup>٢</sup> ] الموصل إلى الحية، فكان التماذى فيه في غاية البعد، نه على ذلك بأداة التراخي فقال: (م ماتوا) أى بعد المد لهم في مضارهم بالتطويل في أعمارهم ه (و هم) أى و الحال أنهم (كفار) و لما كان السبب الأعظم في الإحباط الموت على الكفر، نبه عليه بالقاء الدالة على ربط الجزاء بالشرط و تسيه عنه فقال مؤكدا [ له -<sup>٢</sup> ] لأنكارهم ذلك: (فلن يغفر الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال التى تمنع من تسوية المسمى بالمحسن (لهم) فلا يمحو ذنوبهم و لا يستر عيوبهم، بل يفضح سرارهم و يوهن كيدهم ١٠ و يردم على أعقابهم فى كل ما يتقلبون فيه لأنهم قد أبطلوا أعمالهم بالخروج عن دائره الطاعة، فلم يبق لهم ما يغفر لهم<sup>٤</sup> بسببه، و قد دلت هذه الآية على ما دلت عليه آية البقرة من أن إحباط العمل<sup>٥</sup> فى المرتد مشروط بالموت على الكفر.

و لما قدم سبحانه ذم الكفرة و أنه عليهم و أنه يبطل أعمالهم فى الدنيا فى الحرب و غيرها، و ختم بأن عداوته لهم متحتمة لا انفكاك

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : المحذور (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الوسع (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : على ذلك بأداة التراخي، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) سقط من مد . (٦) زيدت فى الأصل : كفر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .



لها ، وكان ذلك موجبا للاجترأ عليهم ، سبب عنه قوله مرغبا لهم في لزوم الجهاد<sup>١</sup> محذرا من تركه : ( فلا تنهوا ) أى تضعفوا ضعفا يؤدى بكم إلى الهوان والذل ( وتدعوا ) أى أعداءكم ( إلى السلم قس ) أى المسألة وهى الصلح ( واثم ) أى والحال أنكم ( الاعلون عليه ) على كل من ناواكم لأن الله عليهم ، ثم عطف على الحال قوله : ( والله ) .  
 أى الملك الأعظم الذى لا يعجزه شئ ، ولا كفوء له ( معكم ) أى بنصره ومعوته وجميع ما يفعله الكريم إذا كان مع غيره ، ومن علم أن سيده معه و علم أنه قادر على ما يريد لم يبال بشئ أصلا ( ولن يترك أعمالكم ) [ أى - ٢ ] فيسلبكموها فيجعلكم وترا منها بمعنى أنه يظلمها كما يفعل مع أعدائكم فى إحباط أعمالهم فيصرون مفردين عنها لأنكم لم تبطلوا أعمالكم<sup>١٠</sup> بجعل الدنيا محط أمركم ، فلا يجوز لإمام المسلمين أن يجيب<sup>٢</sup> إلى مسألة الكفار وبه قوة على مدافعتهم ، ولا يحل له ترك الجهاد إلا لمقى يظهر [ فيه النظر - ٢ ] للمسلمين ، ومتى لم يجاهد فى سبيل الله انصرف بأسه إلى المسلمين .

ولما آتم العلة الأولى أقبل على الثانية الصادة<sup>٤</sup> عن الطاعة القائدة<sup>١٥</sup> إلى المعصية الملائمة للشهوة المبطللة للأعمال الموجبة للتهاون المؤدى إلى عدم المغفرة ، فقال مرغبا فى طاعته الموجبة للفوز الدائم ببيان قصر أيام المحنة

---

(١) زيدت الواو فى الأصل وظ ، ولم تكن فى م ومد فحذفنا هاء (٢) زيد من م ومد (٣) من مد ، وفى الأصل وظ وم : بحث (٤) من مد ، وفى الأصل وظ وم : الصادرة .

وتجرج مرارات المشقة<sup>١</sup> : ﴿ انما الحياة ﴾ 'و أشار إلى دنائها تغيرا  
عنها بقوله : ﴿ الدنيا ﴾ ولما كان مطلق العلو موجبا لأعظم اللذات

فكيف إذا كان موجب الدين الضامن لدوام اللذة / [موصولا -<sup>٢</sup>]  
دنيوها بأخروها ، وكان اللعب ما ينشأ من زيادة البسط وينقضى بسرعة

ه مع دلالة على الخفة<sup>٣</sup> كالرقص ، قدمه إشارة إلى أن العاقل من يسعى  
في زيادة بسط<sup>٤</sup> يحمل على الرزاة<sup>٥</sup> ويدوم ، وأتبعه<sup>٦</sup> اللهو<sup>٧</sup> لأنه ما<sup>٨</sup>

يستجلب به السرور كالغنا إشارة إلى أنه إن كان المراد بالدنيا زيادة  
بسطها فهو ينقضى بسرعة ، مع ما فيه من الرعونة ، وإن كان المراد أصل

البسط و السرور فتندكم منه بالعلو الحاصل لكم بالجهد ما هو في غاية  
١٠ العظمة والجد والثبات فلا سفه أعظم من العدول عنه إلى ما إن سر

[حمل -<sup>٩</sup>] على الطيش<sup>١٠</sup> و انقضى بسرعة ، فقال : ﴿ لعب ﴾ أى [أعمال -<sup>١١</sup>]  
ضائعة سائلة تزيد في السرور و"يسرع اضمحلاله ، فيطل من غير ثمرة

﴿ ولهو ﴾ أى مشغلة يطالب بها إثارة اللذة كالغنا و حيرة<sup>١٢</sup> و غفلة ، فإن

(١) زيد في الأصل و ظ و م : الدنيا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م  
ومد ، وفي الأصل و ظ : الجنة (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : بسطه .

(٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : المواوزة (٦) من ظ و م و مد ، وفي  
الأصل : يتبعه (٧-٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فانه لما (٨) زيد من

مد (٩) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : البطش (١٠) زيد من م و مد .

(١١) من مد . وفي الأصل و ظ و م : ما (١٢) من م و مد : وفي الأصل

و ظ : حسرة .

تبعوها تكفروا و تبطروا و تيجرتوا<sup>١</sup> على الله ، [و إن تكفروا به  
و تيجرتوا عليه -<sup>٢</sup>] بطل أجوركم فلا يكون لكم [أجر -<sup>٣</sup>] و لا مال  
لأنه يبطل أعمالكم و أموالكم بكونها تصير صوراً لا معنى لها .  
و لا صور سبحانه الدنيا بالذ صورها عند الجاهل و أمضها عند  
العاقل ، و حاصله<sup>٤</sup> أنها زيادة سرور لمن كان مسروراً ، و استجلاب<sup>٥</sup>  
[له -<sup>٦</sup>] لمن كان مضروراً ، لكنه سريع الانصرام بخلاف ثمرة<sup>٧</sup> الاجتماع  
على الدين من سرور العلو بالإسلام ، فانه باق على الدوام ، علم أن التقدير  
بناء على ما تبع وصف الدنيا ،<sup>٨</sup> و الآخرة<sup>٩</sup> جد و عمل و حضور فان  
تقبلوا عليها تؤمنوا و تتقوا فلا تخدعنكم الدنيا على دفائها<sup>١٠</sup> عن نيل  
الآخرة بالجهاد الأكبر و الأصغر<sup>١١</sup> على شرفها<sup>١٢</sup> و شرفه ، [قال بانيا على ما ١٠  
أرشد السياق إلى تقديره -<sup>١٣</sup>] : (و ان تؤمنوا و تتقوا ) أى تخافوا  
فتجعلوا بينكم و بين غضبه سبحانه وقاية من جهاد أعدائه و مقاساة لنفح  
إيقاد الحروب و حر الأمر بالمعروف و إنفاق الأموال فى ذلك ،  
فتكونوا جادين فتركوا اللهو و اللعب القائدين إلى الكفر ( يؤنكم )  
أى الله الذى فعلتم ذلك من أجله فى الدار الآخرة ( أجوركم ) أى ١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تنجرتوا (٢) زيد من ظ و م و مد .  
(٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : حاله (٤) زيد من م و مد (٥) فى م  
و مد : اثمره (٦-٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بالآخرة (٧) من ظ  
و م و مد ، وفى الأصل : وقاتها (٨) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن  
فى ظ و م و مد فخذناها (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : سرفها .

ثواب كل أعمالكم لبنائها على الأساس و لانه غنى لا ينقصه إلا عطاء،  
والآية من الاحتباك: ذكر الحياة الدنيا واللهم واللعب أولا دال على  
ذكر الآخرة و الجسد ثانيا، و ذكر الإيمان والتقوى ثانيا دال على حذف  
ضدتهما الكفران و الجرأة أولا، و سره أن تصوير الشيء بحال الصبي  
و السفيه أشد في الزجر عنه عند ذوى الهمم العالية، و ذكر الاجر  
المرتب على الخوف الذى هو فعل الحزمة أعون على تركه .

و لما كان الملعوب به الملهو منه يسأل اللاعب اللامى من ماله،  
و لا يفتنع عند سؤاله، فيكون سببا لضياع أعماله و أمواله، بين [أن-ه]  
المعبود بخلاف ذلك فى الأمرين، و أنه يعطى و لا يأخذ لنفسه شيئا  
١٠ / ٨٣٤ : إنما أخذه أمره<sup>٥</sup> بمواصلة بعضهم لبعض فقال / تعالى : ﴿ و لا يستلکم ﴾  
أى [الله-ه] فى الدنيا ﴿ أموالکم ٥ ﴾ أى لنفسه و لا كلها، و هذا مفهم  
لأنهم إن لم يتقوا بما ذكر سلط عليهم من- يأخذ أموالهم بما يخرج  
أضغانهم، قال ابن برجان: و متى سلوا أموالهم بخلوا، فان أكرها  
على ذلك أشحنوا ضغائن و حقائد، و لم يكن من الإمام لهم نصيحة  
١٥ و لامنهم للإمام و لالبعضهم لبعض، و كان الخلاف، [و-ه] فى ذلك

(١) من ظ و م، و فى الأصل: دلالة (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م؛  
الحرية (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اللهم (٤) زيدت الواو فى  
الأصل و ظ و م و لم تكن فى مد لحذفناها (٥) زيد من مد (٦) ليس فى م  
و مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: امر (٨) زيد من م و مد .  
(٩) زيد من ظ و م و مد .

الحالقة ، و هو إنذار منه سبحانه بما يكون بعد ، و ما أفتر شيئا إلا كان منه ما شاء الله .

- و لما كان الإنسان ، لما جبل عليه من نقصان ، قد يهلك جميع أمواله لهوا و لعبا بالمقامرة و نحوها ، و لا ينهيه ذلك بل لا يزيد به إلا إقبالا رجاء أن يظفر ، و لو سئل جميع ماله في الطاعة لبخل ، قال تعالى ه ذاكرا لهم ذلك تنبيها عليه و إيماء إلى حله تعالى عنهم و تحييه إليهم معللا ما قبله : ( ان يستلكموها ) أى الاموال كلها ، و لما كانت الاموال قد تطلق على معظمها ، حقق المعنى بقوله : ( فيخفكم ) أى بالغ في سؤالكم و يبلغ فيه الغاية حتى يستأصلها فيجهدكم بذلك ( تبخلوا ) فلا تعطوا شيئا ( و يخرج ) أى الله أو المصدر المفهوم من " تبخلوا " ١٠ بذلك السؤال ( اضغانكم ) أى ميلكم عنه حتى يكون آخر ذلك عداوة و حقد ، و قد دل إضافة الاضغان إلى ضميرهم أن كل إنسان ينطوى بما له من النقصان ، على ما جبل عليه من الاضغان ، إلا من عصم الرحيم الرحمن ، قال الرازى : و هذا دليل على ان العبد إذا منع في مواسم الخيرات سوى الزكاة لم يخرج من البخل ، فخذ البخل منع ما يرتضيه ١٥ الشرع و المروءة فلا بد من مراعاة المروءة و رفع قبح الاحدوثة ، و ذلك يختلف باختلاف الاشخاص ، و قد المدة مهما ظهر له أن فائدة البذل
- (١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : كان (٢) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : احس .
- (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ذلك ايضا أن (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : منها .

أعظم من فائدة الإمساك ثم<sup>١</sup> يشق عليه البذل فهو بخيل محب للمال، والمال لا ينبغي أن يحب لذاته بل لفائدته، وحفظ المروءة<sup>٢</sup> أعظم و<sup>٣</sup> أفضل وأقوى من التعم بالاكل الكثير مثلا .

ولما أخبر يخلهم لو سئلوا جميع أموالهم أو أكثرها، دل عليه

٥ بمن يخل منهم عما سأله [ منهم - ٣ ] وهو جزء يسير [ جدا - ٢ ]

من أموالهم، فقال منها لهم على حسن تدبيره لهم وعفوه عنهم عند

من جعل "ها" للثنيه، ومن جعل الها بدلا من همزة استفهام جعلها

للتوبيخ والتفريع، لأن من حق من دعاه مولاه أن يبادر للإجابة

مسرورا فضلا أن يخل، وفي هاء التنيه ولا سيما عند من يرى تكررها

١٠ تأكيد لاجل استبعادهم أن أحدا يخل عما يأمر الله به سبحانه :

(هاتم) وحق أمرهم أو أحضره في الزمن وصوره بقوله :

(هؤلاء تدعون) [ أى - ٢ ] إلى ربكم الذى لا يريد بدعائكم إلا قمعكم،

وأما هو فلا يلحقه قمع ولا ضرر<sup>٦</sup> (لتنفقوا) شيئا يسيرا من الزكاة

وهى<sup>٧</sup> ربع العشر ومحوه، ومن نفقة الغزو<sup>٨</sup> وقد يحصل من الغنime

١٥ أضعافها والحج وقد<sup>٩</sup> يحصل من المتجر أو أكثر، وقد عم ذلك وغيره

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل : لم - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقبتين

من م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل : الهاء .

(٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ : من به استفهام (٦) من ظ و م و مد،

وفي الأصل : ضرر (٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ : هو (٨) من م

و مد، وفي الأصل و ظ : العشر (٩) من ظ و مد، وفي الأصل و م : ما .

قوله : ﴿ و سبيل الله ﴾ اى الملك الاعظم الذى / يرجى خيره و يخشى

٨٣٥ /

ضيره ، بخلاف من يكون و ما يكون به اللهو و اللعب .

و لما أخبر بدعائهم ، فصلهم فقال تعالى : ﴿ فتم ﴾ اى أيها المدعون

﴿ من يخل ﴾ و هو منكم لاشك فيه ، و حذف القسم [ الآخر - ' ]

و هو ' و منكم من يهود ، لأن المراد الاستدلال على ' ما قبله من هـ

البخل . و لما كان بخله عن أعطائه المال بجزء<sup>٢</sup> يسير منه إنما طلبه ليقع

المطلوب منه فقط ، زاد العجب بقوله : ﴿ ومن ﴾ اى و الحال أنه

من ﴿ يخل ﴾ ' بذلك ﴿ فأنما يخل ﴾ اى بجماله بخلا صادرا ﴿ عن نفسه ' ﴾

' التى هى منبع الدنيا ، فلا تنفس و [ لا - ' ] تنفس إلا فى الشيء الحسيس ،

فان تقع ذلك الذى طلب منه فخل به إنما هو له ، و أكدده لأنه لا يكاد ١٠

أحد يصدق أن عاقلا يتجاوز بجماله عن تقع نفسه ، ولذا حذف ' و من

يحمد فأنما يحمد على نفسه ، لفهمه عن السياق و استغناء الدليل عنه ، هذا

و الأحسن أن يكون " يخل " متضمنا " يمسك " ثم حذف " يمسك "

و دل عليه بحال محذوفة دل عليها التعدية بمن .

و لما كان سؤال المال قد يوم شيئا ، قال مزيلا له مقررا " لأن بخل " ١٥

الإنسان إنما هو عن نفسه عطفا على ما تقديره : لأن ضرر بخله إنما<sup>١</sup>

(١) زيد من مد (٢) ومن هنا انقطعت نسخة م إلى سورة المجادلة (٣) من ظ

و مد ، و فى الأصل : يجبرى (٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ

و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : البخل من (٦) زيد فى

الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

يعود عليه وهو سبحانه لم يسألكم ذلك لحاجته إليه ولا إلى شيء منكم، بل لحاجتكم إلى الثواب، وهو سبحانه قد بنى أمور هذه الدار كما اقتضته الحكمة على الأسباب: ﴿ والله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ﴿ الفنى ﴾ أى وحده ﴿ وانتم ﴾ أيها المكلفون خاصة ﴿ افقرآء ﴾ لأن العطاء ينعمكم والمنع يضركم. فمن افتقر منكم إلى فقير مثله وقع فى الذل والهوان، وقد جرت عادتكم أن يداخلكم من السرور ما لا يجد إذا طلب من أحد منكم [ أحد - ١ ] من الأجواد<sup>٥</sup> الأغنياء شيئاً طمعاً فى جزائه، فكونوا كذلك وأعظم إذا طلب منكم الفنى المطلق .

١٠. ولما كان التقدير: فان قبلوا بنولكم تفلحوا، عطف عليه قوله مرها لأن الترهيب أردع: ﴿ وان تولوا ﴾ أى توقعوا التولى عنه تكلفوا أنفسهم ضد<sup>٦</sup> ما تدعو إليه الفطرة الأولى من السماح بذلك الجزاء اليسير جداً الموجب للثواب الخطير والفوز الدائم، ومن الجهاد فى سبيله، والقيام بطاعته، لكونه المحسن الذى لا محسن فى الحقيقة غيره ١٥ ﴿ يستبدل ﴾ أى يوجد ﴿ قوما ﴾ فيهم قوة وكفاية لما يطلب منهم محاوله .

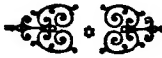
(١) سقط من ظ (٢) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد  
لحذفناها (٣) من مد، وفى الأصل و ظ: فى (٤) زيد من مد (هـ) من ظ  
ومد، وفى الأصل: الأجود (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: تكفوا .  
(٧) من مد، وفى الأصل و ظ: عند .



و لما كان ذلك منزها عنهم ، لكنه لا يمنع ان يكونوا - مع كونهم غير أعيانهم - ' من قومهم أو أن يشأ دونهم في الصفات وإن كانوا من غير قومهم ، به على أنهم يكونون ' من غير قومهم و على غير صفاتهم . بل هم أعلى منهم درجة و أكرم خليفة و أحسن فعلا فقال تعالى : ﴿ غيركم لا ﴾ أى بدلا منكم و هو على غير صفة التولى . ٥  
و لما كان الناس متقارنين في الجبلات . و كان المال محبوبا ، كان من المستبعد جدا أن يكون هذا البذل على غير ما هم عليه ، قال تعالى مشيرا إلى ذلك بحرف التراخي ٢ تأكيداً لما أفهمه ما قلته من التعبير بـ " غير " و تثبتا [ له - ' ] : ﴿ ثم ﴾ أى بعد استبعاد من يستبعد [ و - ° ] علو المهمة في مجاوزة جميع / عقبات ٣ النفس و الشيطان : ١٠ / ٨٣٦  
﴿ لا يكونوا أمثالكم ﴾ في التولى عنه بترك شيء مما أمر به أو فعل شيء ١  
مما نهى [ عنه - ° ] . و من قدر على الإيجاد قدر على الإعدام . بل هو أهون في مجارى العادات ، فقد ثبت [ أنه - ° ] سبحانه لو شاء لاتصير من الكفار ، إما باهلاكهم ٤ أو إمّا ٥ بناس غيركم ٦ بضرب رقابهم و أسرهم ، و غير ذلك من أمرهم ، و ثبت بمواصلة ذم الكفار مع قدرته عليهم ١٥

- (١-١) سقط ما بين الرقین من مد (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : التوالى .  
(٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : الترجى (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ  
و مد (٦) زيد في الأصل و ظ : ما قلته من التعبير ، ولم تكن الزيادة في مد  
لحذفها (٧) من مد ، وفي الأصل : غفلات ، وفي ظ : عقاب (٨-٨) في ظ :  
أو (٩) من مد ، وفي الأصل و ظ : غيرهم .

أنه أبطل أعمالهم ، فرجع بذلك أول السورة إلى آخرها . و عاتق  
 موصلها ما ترى من مفصلها ، و علم أن معنى هذا الآخر و ذلك الأول  
 أنه سبحانه لا بد من إذلاله للكافرين و إعزازه للمؤمنين لأنهم إن أقبلوا  
 على ما يرضيه فجاهدوا نصرهم نصرا عزيزا بما ضمنه قوله تعالى " إن تنصروا  
 ٥ الله ينصركم و يثبت أقدامكم " و إن تولوا " أتى بقوم غيركم " يقبلون عليه  
 فيصدقهم وعده ، فصار خذلانهم أمرا متحتماً ، و هو معنى أول سورة  
 الفتح - و الله الموفق لما يريد من الصواب .



(١) زيد في الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد لمخفئها (٢) في ظ  
 و مد : تولوا (٣) في مد : غيرهم (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : حدانه .  
 (٥) من مد ، وفي الأصل و ظ : السورة (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من  
 ظ و مد .

## سورة الفتح

مقصودها مدلول اسمها الذي يعنى فتح مكة وما تقدمه من صلح الحديبية  
 وفتح خيبر ونحوهما ، وما وقع تصديق الخبر به من غلب الروم على  
 أهل فارس وما تفرع من فتح مكة المشرقة من إسلام أهل جزيرة العرب  
 وقاتل أهل الردة وقروح جميع البلاد الذى يجمعه كله إظهار الدين على  
 الدين كله ، وهذا كله فى غاية الظهور بما نطق به ابتداءها و أنشائها  
 فى مواضع منها " لقد صدق الله رسوله الرءىا بالحق " الآية و انتهاؤها  
 " ليظهر على الدين كله " " محمد رسول الله " إلى قوله " ليغيظ بهم الكفار "  
 أى بالفتح الأعظم و ما دونه من " الفتوحات " و وعد الله الذين آمنوا  
 و عملوا الصالحات منهم مغفرة - كما كان فى أولها للرسول صلى الله عليه  
 وسلم - [ و ٣ ] أجرا عظيما " كذلك " بسائر الفتوحات و ما حوت من  
 الغنائم للثواب الجزيل على ذلك فى دار الجزاء ( بسم الله ) الملك  
 الأعظم المحيط بكل شئ ، قدرة و علما ( الرحمن ) الذى عم المكلفين  
 بنعمة الوعد و الوعيد ( الرحيم ) الذى اختص أهل حزبه لإقامة دينه  
 الحق فأظهرهم على سائر العبيد .

١٥

لما كانت تلك سورة الجهاد<sup>١</sup> و كانت هذه سورة الفتح بشارة

(١) الثامنة و الأربعون من سور القرآن الكريم ، مدنية و عدد آياتها ٢٩ - راجع  
 نثر المرجان ١/ ٦١٤ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) من مد ، وفى الأصل  
 وإظ : لذلك (٥-٥) سقط ما بين الرقين من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقين من  
 ظ و مد (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : و لما (٨-٨) من مد ، وفى الأصل  
 و ظ : السورة للجهاد .

للمجاهدين من أهل هذا الدين بالفوز و 'النصر و الظفر' على كل من كفر، وهذا كما سيأتي من إيلاء سورة النصر لسورة الكافرون، فأخبرت القتال عن 'الكافرين' بإبطال الأعمال و التدمير و إهلاكهم بالقتال، و إفساد جميع الأحوال، و عن الذين آمنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه و سلم بالهداية و إصلاح البال، و ختمها بالتحريض على مجاهدتهم بعد أن ضمن لمن نصره منهم النصر و تثبيت الأقدام، و هدد من أعرض باستبدال غيره به، و أن ذلك البديل لا يتولى عن العدو و لا ينكل عنه، فكان ذلك محتملا لسفول الكفر و علو الإيمان، و ذلك 'بعينه هو' الفتح المبين، [فافتح هذه بقوله على طريق النتيجة لذلك بقوله ١٠ مؤكدا إعلاما بأنه لا بد منه و أنه -] مما ينبغي أن يؤكد لابتهاج النفوس / ٨٣٧ / الفاضلة به، و تكذيب من في قلبه مرض<sup>١</sup> و هم أغلب الناس في ذلك الوقت : (إنا) أى بما لنا من العظمة التى لا تثبت لها الجبال (فتحنأ) أى أوقننا الفتح المناسب لعظمتنا لكل متعلق باتقان<sup>٢</sup> الأسباب المنتجة له من غير شك، و لذلك عبر عنه بالماضى .

١٥ و لما كانت منفعة ذلك له صلى الله عليه و سلم لأن إعلاء كلمة الله يكون به فعلية و يمتلىء الأرض من أمنه، فلا يعمل منهم أحد حسنة

(١-١) فى ظ و مد : الظفر و النصر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : يأتى .  
(٣) من مد، و فى الأصل و ظ : على (٤ - ٤) فى مد : هو بعينه (٥) زيد من مد (٦) من مد، و فى الأصل : شك، و الكلمة ساقطة من ظ (٧) من مد، و فى الأصل و ظ : بإيقان .

إلا كان له مثل أجرها و يكونون على قصر زمنهم ثلثي أهل الجنة ، فيكون ذلك شرفا له - إلى غير ذلك من الأسرار ، التي يعي دون أسرها الكفاد ، قال : ( لك ) أى يصلح الحديدية في ذى القعدة سنة ست من الهجرة التي نزلت هذه السورة في شأنه ، يصحبان في الرجوع منه إلى المدينة المشرفة<sup>١</sup> ، قال الأزهري : لم يكن فتح أعظم من صالح الحديدية ، وذلك ه أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فأروا ما لا أعدل منه ولا أحسن ، فاستولى الإسلام على قلوبهم و تمكن منهم [فأسلم منهم -<sup>٢</sup>] في ثلاث سنين خلق كثير ، وكذا كان من الفتح تقوية أمره صلى الله عليه وسلم بالتصديق فيما أنزل<sup>٣</sup> عليه من سورة من غلبهم على أهل فارس في رواية من قال : إنه كان في زمن الحديدية ، ثم زاده تأكيدا ١٠ بقوله : ( فتحا ) وزاد في إعظامه بقوله : ( مينا لا ) أى لا لبس فيه على أحد ، بل يعلم كل ذى عقل به أنك ظاهر على جميع أهل الأرض لأنك كنت وحدك ، وكان عند أهل الكفر أنك في أيديهم ، وأن أمرك لا بعدو فك ، فتبعك ناس ضعفاء فعذبوهم و كانوا معهم في أسوأ الأحوال ، و تقرر ذلك في أذهانهم مددا طوالا<sup>٤</sup> ثلاث عشرة سنة ، ثم ١٥ إنقذ الله أتباعك منهم بالهجرة إلى النجاشي رحمه الله تعالى أولا ، وإلى

(١) في الأصل و ظ : الشريعة (٢) زيد من ظ و مد إلا أن « منهم » ليس في مد (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ : نزل (٤) سقط من ظ (٥) زيد في الأصل و ظ : أسرا ، ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : طويلا .

المدينة الشريفة ثانياً ، وهم مطمئنون بأنك أنت - وانت راسهم - لا ينظم لهم بدونك أمر ، ولا يحصل لكسركم<sup>١</sup> ما لم تكن معهم جبر ، بأنك في قبضتهم لا خلاص لك أبداً منهم ولا انفكاك من بلدتهم ، فاستخرجك الله من عندهم بعد أن حاك على خلاف القياس و أنت بينهم من أن يقتلوك ، مع اجتهدهم في ذلك واستفراغهم قواهم في أذاك<sup>٢</sup> ، ثم بذلوا جهدهم في منعك من الهجرة فاقدرُوا ، ثم [ في -<sup>٣</sup> ] ردك فاطاقوا ولا فازوا ولا ظفروا . بل غلبوا وقهروا ، ثم أيدك بأنصار أبرار أخيار فكنتم على قتلهم<sup>٤</sup> كالليوث الكواسر والبحار الزواجر . ما ملتم على جهة إلا غرتموها ، وفزتم بالنصف<sup>٥</sup> من أربابها<sup>٦</sup> قتلتموها<sup>٧</sup> أو أسرتهموها<sup>٨</sup> ولم تزالوا تزدادون وتقوون ، وهم ينقصون ويضعفون ، حتى أتيتهم<sup>٩</sup> في بلادهم التي هم قاطعون بأنهم ملوكها . يتعذر على غيرهم غلبهم عليها بل سلوكها<sup>١٠</sup> . فادفعوكم عن الدخول عليهم إلا بالراح ، وسألوكم في<sup>١١</sup> وضع الحرب للدعة والإصلاح ، فقد ظهرت أعلام الفتح<sup>١٢</sup> ثم ظهور ، وعلم أرباب القلوب أنه لا يد أن تكون / في امتطائكم<sup>١٣</sup> الذرى و سموكم إلى رتب المعالي

/ ٨٣٨

(١) من مد ، وفي الأصل و ظ : بهم (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : لكثيرهم (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ : ذاك (٤) زيد من مد (٥) من مد ، وفي الأصل و ظ : قتلتم (٦-٧) في ظ : بأربابها (٧-٨) من مد ، وفي الأصل : أسرتهم ، وسقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : أيتهم (٩) من مد ، وفي الأصل و ظ : سلوكها . (١٠) من مد ، وفي الأصل و ظ : سلوكهم فن (١١) من مد ، وفي الأصل و ظ : انتظامكم .

أمور و أئى أمور، و روى الإمام أحمد<sup>١</sup> [ عن - ' ] بجمع بن جارية  
الانصارى رضى الله عنه قال : شهدنا الحديدية مع النبى صلى الله عليه  
و سلم، فلما انصرفنا منها إذا<sup>٢</sup> الناس يهزون الأباغر فقال بعضهم : ما  
بال الناس ؟ قالوا : أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، قاله : فخرجنا  
نوجف<sup>٣</sup>، فوجدنا النبى صلى الله عليه و سلم واقفا على راحلته [عند كراع -<sup>٤</sup> ] ه  
الغميم، فلما اجتمع عليه<sup>٥</sup> الناس قرأ ” انا فتحنا لك فتحا مبينا “ فقال عمر  
رضى الله عنه : أو فتح هو يا رسول الله ؟ قال : نعم، و الذى نفسى بيده.  
و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : ارتباط هذه السورة بالتى قبلها  
واضح من جهات - و قد يغمض بعضها - منها أن سورة القتال لما  
أمروا فيها بقتال عدوهم فى قوله تعالى ” فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب  
الرقاب “ الآية، و أشعروا<sup>٦</sup> باللعنة عند وقوع الصدق فى قوله ” ان  
تنصروا الله ينصركم “ استدعى ذلك تشوف النفوس إلى حال العاقبة  
فعرفوا ذلك فى هذه السورة فقال تعالى ” انا فتحنا لك فتحا مبينا “ - الآيات،  
فعرف تعالى نيه صلى الله عليه و سلم بعظيم صنعه له، و أتبع ذلك بشارة  
المؤمنين العامة فقال ” هو الذى ازل السكينة فى قلوب المؤمنين “ - ١٥  
الآيات<sup>٨</sup>، و التحمت إلى التعريف بحال من نكث من مبايعته صلى الله

(١) راجع تفسير الطبرى ٢٦ / ٤١ (٢) زيد و لا بد منه (٣) من مد و الفير،  
و فى الأصل و ظ : اذ (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : نرجف (٥) زيد  
من مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : إليه (٧) من مد، و فى الأصل و ظ :  
أشعر (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : الآية .

عليه وسلم ، وحكم المخلفين من الاعرا ، والحض على الجهاد ، وبيان  
 حال ذوى الأعذار ، وعظيم نعمته سبحانه على أهل بيته "لقد رضى الله  
 عن المؤمنين" وأثابهم الفتح وأخذ المغانم<sup>١</sup> وبشارتهم بفتح مكة  
 "لندخلن المسجد الحرام" إلى ما ذكر سبحانه من عظيم نعمته عليهم  
 ه وذكرهم في التوراة والإنجيل ما تضمنت هذه السورة الكريمة ، ووجه  
 آخر [ و - ٢ ] هو أنه لما قال الله تعالى في آخر سورة القتال " فلا  
 تهنوا وتدعوا إلى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم "  
 كان هذا إجمالا في عظيم ما منحهم و جليل ما أعطاهم ، فتضمنت سورة  
 الفتح تفسير هذا الإجمال و بسطه ، وهذا يستدعى من بسط الكلام ما  
 ١٠ لم يعتمد<sup>٢</sup> في هذا التعليق ، وهو بعد مفهوم مما سبق من الإشارات في  
 الوجه الأول ، و وجه آخر مما يغمض وهو أن قوله تعالى " وان  
 تولوا يستبدل قوما غيركم " ثم لا يكونوا أمثالكم " إشارة إلى من  
 يدخل في ملة الإسلام من الفرس وغيرهم عند تولي العرب ، وقد أشار  
 أيضا إلى هذا قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه  
 ١٥ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه " - الآيات ، وأشار إلى ذلك عليه الصلاة  
 والسلام : ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم ياجوج  
 و ما جوج مثل هذا - وعقد السبابة بالإيهام ، أشار عليه الصلاة والسلام  
 (١) من مد ، وفي الأصل و ظ : الغنائم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد ،  
 وفي الأصل و ظ : لم يعتمد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : غيرهم .  
 (٥) في ظ : ما .



إلى تولى العرب واستيلاء غيرهم الواقع في الآيتين، وإنما إشار عليه  
 الصلاة والسلام 'بقوله 'اليوم' إلى التقديم والآخر، وفرغ هذا الأمر  
 إلى أيام أبي جعفر المنصور، فغلبت / الفرس والأكراد و أهل الصين  
 ٨٣٩ / وصين الصين - وهو ما يلي ياجوج وماجوج - وكان فتحا وعزا وظهورا  
 لكلمة الإسلام، و' غلب هؤلاء في الخطط والتدبير الإماري و سادوا ه  
 غيرهم، ولهذا جعل صلى الله عليه وسلم مجيئهم فتحا فقال "فتح اليوم"  
 ولو أراد غير هذا لم يعبر بفتح، ألا ترى قول عمر لحذيفة رضى الله  
 عنهما في حديث الفتن حين قال له 'إن يهلك و بينها 'بابا مغلقا' فقال  
 عمر : أيفتح ذلك ' الباب أم يكسر ؟ فقال : بل يكسر . ففرق بين  
 الفتح والكسر، وإنما أشار إلى قتل عمر رضى الله عنه، ولذا قال عليه ١٠  
 الصلاة والسلام "فتح" وقال "من ردم ياجوج وماجوج" وأراد  
 من نحوم و جهنم و أقاليمهم، لأن الفرس و من أتى معهم هم أهل  
 الجبهات التي تلى الردم، فعلى هذا يكون قوله " تعالى " وان تتولوا

- (١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢-٢) من مد، وفي الأصل وظ : باليوم.  
 (٣) من ظ و مد، وفي الأصل : أتى (٤-٤) من ظ و مد، وفي الأصل :  
 النفوس والاكدار (٥) زيد في الأصل : هو، ولم تكن الزيادة في مد  
 لحذفناها (٦) من مد، وفي الأصل وظ : انتدبر (٧) من ظ و مد، وفي  
 الأصل : الاماري (٨) من ظ و مد، وفي الأصل : كان (٩) من ظ و مد،  
 وفي الأصل : قبل (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل : لك (١١) زيد في الأصل :  
 صلى الله عليه وسلم قوله، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها .

يستبدل قوما غيركم<sup>١</sup>“ إشارة إلى غلبة من ذكرنا وانتشارهم في الولايات<sup>٢</sup>  
 و الخطط الدينية و المناصب العلمية . و لما كان هذا قبل أن يوضح أمره  
 يوم نقصا و خطأ ، بين أنه تجديد فتح و إعزاز منه تعالى لكلمة الإسلام ،  
 فقال تعالى ” انا فتحنا لك فتحا مبينا “ الآيات ، ذكر القاضي أبو بكر بن العربي  
 ٥ في تلخيص التلخيص علماء المالكية مشيرا إلى تفاوت درجاتهم ثم قال :  
 و أمضاهم في النظر عزيمة و أقوام فيه شكيمة أهل خراسان : العجم أنسابا  
 و بلدانا ، العرب عقائد و إيمانا ، الذين ينجز فيهم وعد الصادق المصدوق ؛  
 و ملكهم الله مقاليد التحقيق حين أعرضت العرب عن العلوم و تولت  
 عنها ، و أقبلت على الدنيا و استوثقت<sup>٣</sup> منها ، قال أصحاب رسول الله صلى  
 ١٠ الله عليه و سلم : يا رسول الله ! من هؤلاء الذين قال الله ” و ان تتولوا  
 يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم “ فأشار عليه الصلاة و السلام  
 إلى سلمان و قال : لو كان الإيمان في الثريا لئاله رجال من هؤلاء - انتهى .  
 و لما أخبر سبحانه بالفتح عقب سورة ” الذين كفروا “ بشارة  
 بظهور أهل هذا الدين و إدبار الكافرين - كما سيأتى في إيلاء سورة  
 ١٥ النصر بسورة الكافرين ، لذلك علل [ الفتح - ٥ ] بالمغفرة و ما بعدها  
 رمزا إلى وفاة النبي صلى الله عليه و سلم - برحى هو و أبى و أمى - و إيماء  
 إلى أن المراد من إخراجه إلى دار الفنا إنما [ هو - ٥ ] ” إظهار الدين “  
 (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :  
 الويات (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : استوثقت (٤) من ظ و مد ، و فى  
 الأصل : اتلا (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل :  
 اظهارا للدين .

القيم وإزهاق الباطل لعلو درجته وتعظم رفته ، فعند حصول الفتح تم المراد كما كانت سورة [ النصر - ' ] الوالية<sup>١</sup> للكافرين رامية إلى ذلك كما هو مشهور و مذكور و مسطور<sup>٢</sup> ، فالفتح الذى هو أحد العلامات الثلاث المذكورة كما فى سورة النصر على جميع المنافين ، الذى هو السبب الأعظم فى ظهور دينه على الدين كله الذى هو العلامة العظمى

على اقتراب أجله - نفسى فداؤه وإنسان عيى / من كل سوء وقاؤه - ٨٤٠ /

فقال تعالى : ( ليغفر لك الله ) مشيراً بالانتقال من أسلوب العظمة بالنون إلى أسلوب الغيبة المشير إلى غاية الكبرياء بالإسناد إلى الاسم الأعظم إلى أن هذه المغفرة بحسب إحاطة هذا الاسم الجامع لجميع الأسماء الحسنى : ( ما تقدم من ذنبك ) أى الذى تقدم فى القتال أمرك ١٠ بالاستغفار له وهو بما ينتقل به من مقام كامل إلى مقام فوقه أكمل منه ، فراه بالنسبة إلى أكلية المقام الثانى ذنباً ، وكذا قوله : ( وما تاخر ) قال الرازى : المغفرة المعتبرة لها درجات كما أن الذنوب لها درجات وحسنات الأبرار سيئات المقربين ، انتهى . ويجوز أن يكون المراد :

لتشاهد المغفرة بالنقلة إلينا بعد علم اليقين بعين اليقين وحق اليقين ، فالمعنى ١٥ أن الله يتوفاه صلى الله عليه وسلم عقب الفتح ودخول جميع العرب الذين

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : التاية (٣-٣) من مد ، وفى الأصل و ظ : مشهورة ومذكورة ومسطورة (٤-٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : الكبر بإسناد (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : عنه (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : بشاهده .

يفتتحون<sup>١</sup> جميع البلاد و يهدى [ الله - <sup>٢</sup> ] بهم سائر<sup>٣</sup> العباد في دينه ،  
 ويأس<sup>٤</sup> الشيطان من أن يعبد في جزيرتهم إلا بالمحقرات لوجود المقصود  
 من ابتلاء<sup>٥</sup> الأكوان بحسناته صلى الله عليه وسلم ، وعموم ما دل عليه  
 اسمه المذكور في هاتين السورتين من حمده تعالى بكلمه في ذاته وصفاته  
 ٥ يلوغ أتباعه إلى حد لا يحصرون فيه بعد ، ولا يقف لهم مخلوق على حد .  
 ولما كان تمام النعمة يتحقق بشيئين : إظهار الدين والثقله إلى مراقة  
 النبيين ، قال تعالى مخبرا بالشيئين : ﴿ ويتم نعمته عليك ﴾ بنقلك من  
 عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ومن عالم الكون والفساد إلى عالم الثبات  
 والصلاح ، الذى هو أخص<sup>٦</sup> بحضرته وأولى برحمته وإظهار<sup>٧</sup> أصحابك من  
 ١٠ بعدك على جميع أهل الملل ، ويدحضون شبه الشيطان ، ويدمغون كل  
 كفران ، و ينشرون آيات الإيمان في جميع البلدان ، بعد إذلال أهل  
 العدوان ، ومحو كل طغيان .

ولما كانت هدايتهم من هدايته ، أضافها سبحانه إليه إعلاما له أنها  
 هداية تليق بجناحه الشريف سرورا له فقال : ﴿ ويهديك ﴾ أى بهداية  
 ١٥ جميع قومك ﴿ صراطا مستقيما لا ﴾ أى واضحا جليلا جليا موصلا إلى

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : يفتتحون (٢) زيد من مد (٣) من مد ،  
 وفى الأصل وظ : سامن - كذا (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : يياس .  
 (٥) من مد ، وفى الأصل وظ : املاء (٦) من مد ، وفى الأصل وظ :  
 خص (٧) من مد ، وفى الأصل وظ : اولى باظهار (٨) من ظ ومد ،  
 وفى الأصل : يبابه .

المراد من كتب<sup>١</sup> لاعوج فيه بوجه، هداية تقتضى لزومه والثبات عليه.  
 ( وينصرك الله ) ينصرهم على ملوك الأمم وجلاتهم لسائر الغمم،  
 نصرا يليق إسناده إلى اسمه المحيط بسائر العظم ( نصرا عزيزا ) أى  
 يغلب المنصور به كل من ناواه<sup>٢</sup> ولا يغلبه شيء مع دوامه فلا [ذل -<sup>٣</sup>]  
 بعده لأن الأمة التى تصف به لا يظهر عليها أحد، والدين الذى قضاه  
 لأجله لا ينسخه شيء.

ولما كان صلى الله عليه وسلم قد أخبر المؤمنين بروياه أنه يطوف  
 بالكعبة الشريفة، وعزم على العمرة عام الحديبية، وخرج صلى الله عليه  
 وسلم وخرج معه خلاصة أصحابه ألف وخمسمائة، فكانوا موقنين  
 أنهم يعتمرون في وجههم<sup>٤</sup> ذلك، وقر [ ذلك -<sup>٥</sup> ] في صدورهم ١٠  
 / وأشربته قلوبهم، فصار نزعه منها أشق شيء يكون، قصدتم المشركون  
 بعد أن بركت ناقته وصالحهم صلى الله عليه وسلم على أن يرجع عنهم  
 في ذلك العام ويعتمر في مثل ذلك الوقت من القابل، وكان ذلك -  
 بل أدنى منه - مرارلا للاعتقاد مطرقا للشيطان الوسوسة في الدين،  
 وقد كان مثله في الإسراء ولم يكن صلى الله عليه وسلم أخبر بما يوم ١٥  
 في أمره فارتد ناس كثير بسببه، قال تعالى دالا على النصر بتثبيت  
 المؤمنين<sup>٦</sup> في هذا المحل الضئلك إظهارا لتمام قدرته ولطيف حكمته:

(١) من مد، وفي الأصل و ظ : كتب (٢) في ظ : العجم (٣) من مد، وفي  
 الأصل و ظ : لاواه (٤) زيد من مد (٥) من مد، وفي الأصل و ظ :  
 وجوههم (٦) زيد في الأصل : يوم الحديبية وغيره والثبات على الدين،  
 ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها.

( هو ) أى وحده ( الذى أنزل ) فى يوم الحديدية ( السكينة )  
 أى الثبات على الدين ( فى قلوب المؤمنين ) أى الراضين فى الإيمان  
 وهم أهل الحديدية بعد أن دهمهم فيها ما من شأنه أن يزجج النفوس  
 ويزيغ القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة رضى الله تعالى عنهم  
 ٥ دون مقصودهم ، فلم يرجع أحد منهم عن الإيمان بعد أن ماج الناس  
 وزلزلوا حتى عمر رضى الله عنه - مع أنه الفاروق ومع وصفه فى  
 الكتب السالفة بأنه قرن من حديد - فما الظن بغيره فى فلق نفسه  
 وتزلزل قلبه ، وكان للصديق رضى الله عنه من القدم الثابت والأصل  
 الراسخ ما علم به رضى الله عنه أنه لا يسابق ، ثم ثبتهم الله أجمعين ،  
 ١٠ قال الرازى : والسكينة ثقة بوعده الله ، والصبر على حكم الله ، بل السكينة  
 ههنا معين بجمع فوزا وقوة وروحا ، يسكن إليه الخائف ويتسلى به  
 الحزين ، وأثر هذه السكينة الوقار والخشوع وظهور الحزم فى الأمور  
 - انتهى . وكل من رسخ فى الإيمان ، له فى هذه الآية نصيب  
 ٢ جناه دان .

١٥ و لما أخبر بما [ لا - ٣ ] يقدر عليه غيره ، علله بقوله : ( ليزدادوا )

أى بتصديق الرسول حين قال لهم : إنهم لابد أن يدخلوا مكة ويطوفوا  
 بالبيت العتيق ، وحلهم الله به من الشبهة بتذكرهم أنه لم يقل لهم : إنهم

( ١-١ ) من مد ، وفى الأصل وظ : نمر فى فلو - كذا ( ٢-٢ ) من مد ، وفى

الأصل وظ : حباه رار - كذا ( ٣ ) زيد من مد ( ٤ ) سقط من مد .

( ٥-٥ ) من مد ، وفى الأصل وظ : بتذكرهم .

يدخلون العام ﴿ ايماناً ﴾ بهذا التصديق بالغيب من [ أن - ' ] صلحهم  
للكفار ورجوعهم من [ غير - ' ] بلوغ قصدهم هو عين الفتح لترتب الصلح  
عليه و ترتب فشو الإسلام على الصلح كما كشف عنه الوجود بعد  
ذلك ليقبسوا عليه غيره من الأوامر ﴿ مع ايمانهم ' ﴾ الثابت من قبل هذه  
الواقعة ، قال القشيري رحمه الله : بطلوع أقمار اليقين على نجوم علم اليقين ، هـ  
ثم بطلوع شمس [ حق - ' ] اليقين على بدر عين اليقين .

ولما كان ربما ظن شق من أخذ<sup>٢</sup> الأمور بالتدرج شيئاً في القدرة  
قال : ﴿ والله ﴾ أى الذى أنزل السكينة عليهم ليكون نصرهم في هذه  
العمرة بالقوة ثم يكون عن قريب بالفعل والحال أنه له وحده  
﴿ جنود السموات والارض ' ﴾ أى جميعها ، ومنها السكينة ، يدرهم بلطف<sup>٣</sup> ١٠  
صنعه وعجيب تدبيره<sup>٤</sup> ، فلو شاء لصر المؤمنين الآن بالفعل ، و دمر على  
أعدائهم بجنود من جنوده او بغير سبب ، لكنه فعل ذلك ليكون النصر  
بكم ، فعملوا / أمركم ويعظم أجركم ، و يظهر الصادق في نصره من الكاذب ،  
فان الدار دار البلاء ، و بناء المسببات على الأسباب<sup>٥</sup> على وجه الغالب  
فيه الحكمة ، لا القهر وظهور الكلمة ، فاسمه الباطن هو الظاهر في هذه الدار ، ١٥  
فلذلك ترى المسببات مستورات بأسبابها ، فلا يعلم الحقائق إلا البصراء<sup>٦</sup>  
ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت<sup>٧</sup> عليه هذه السورة<sup>٨</sup> فقلها

(١) زيد من مد (٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل أخطر (٣) من ظ ومد ،  
وفي الأصل . بلطف (٤) في ظ : تدبيرهم (٥) في مد : أسباب (٦) من مد ،  
وفي الأصل وظ : الوجه (٧) من مد ، وفي الأصل وظ : البصر (٨-٨) من  
ظ ومد ، وفي الأصل : هذه السورة عليه .

عليهم قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين: اى رسول الله  
 و فتح هو ؟ و قال بعضهم : لقد صدونا عن البيت و صدوا هدينا ، فقال  
 رسول الله صلى الله عليه و سلم : بئس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتح ،  
 اما رضىتم أن تطرقوهم فى بلادهم فيدفعوكم عنها بالراح و يسألوكم التضيير  
 ٥ و يرغبوا إليكم فى الامان\* و قد رأوا منكم ما كرهوا و أظفركم الله عليهم  
 و ردكم سالمين مأجورين ، فهو أعظم الفتح ، أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون  
 و لا تلوون على أحد و أنا أدعوكم فى أخراكم ، أنسيتم يوم الاحزاب  
 إذ جاؤكم من فوقك و من أسفل منكم و إذ زاغت الابصار و بلغت  
 القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنون ، فقال المسلمون : صدق الله و رسوله  
 ١٠ فهو أعظم الفتح . و الله يانى الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ، و لانت  
 أعلم بالله و أمره منا . و أزل الله تأكيد الامر الرؤيا لمن أشكل عليهم  
 حالها " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام " الآية ،  
 فهذه الاشياء كلها كما ترى راجعة إلى الخفاء بالتعجب\* فى أستار الاسباب ،  
 فلا يبصرها إلا أرباب التدقيق\* فى النظر فى حكمة الله سبحانه .

١٥ و لما كان مبنى ما مضى كله على القدرة بأمر خفية يظهر منها

- (١) من مد ، و فى الأصل و ظ : فيدفيكم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ :  
 يسألوكم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يرغبون (٤) من ظ و مد ، و فى  
 الأصل : الآن - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالتعجب .  
 (٦-٦) سقط ما بين الرتين من ظ .



من الضعف غير ما كشف عنه الزمان من القوة ، و كان تمام القدرة متوقفا على شمول العلم ، قال تعالى : ﴿ و كان الله ﴾ أى الملك الاعظم أزلا وأبداً ﴿ علما ﴾ بالذوات والمعاني ﴿ حكيم ﴾ لا فى إتيان ما يصنع ، فرده لهم عن هذه العمرة بعد أن دبر امر الصالح ليأمن الناس فيدخل بعضهم بعضا لما علم من أنه لا يسمع القرآن أحد له عقل مستقيم ٥ ويرى ما عليه أهله من شدة الاستمسك به والبغض لما كانوا فيه ٢ من متابعة الآباء ٣ إلا بادر ٢ إلى المناجاة ودخل فى الدين برغبة ، وأدخل سبحانه خزاعة فى صلح النبي صلى الله عليه وسلم وبني بكر وهم أعداؤهم فى صلح قريش ليغفروا عليهم فتعينهم قريش الصلح بعد أن كثرت جنود الله وعز ناصر الدين ، فيفتح الله بهم مكة المشرفة ، فنشر أعلام الدين ، ١٠ ونحقق ألوية البصر المبين ، ويدخل الناس فى الدين أفواجا ، فيظهر دين الإسلام على جميع الأديان .

ولما دل على الفتح بالنصر وما معه . وعلل الدين بالسكينة ، علل علة الدليل وهى " ليزدادوا إيمانا " وعلل ما دل عليه ملك الجنود من تدبيرهم و تدبير الأكواف بهم بقوله تعالى زيادة فى السكينة : ١٥ ﴿ ليدخل ﴾ أى بما أرفع فى السكينة ﴿ المؤمنين والمؤمنات ﴾ الذين جبلهم جبلة خير بجهاد بعضهم ودخول بعضهم / فى الدين بجهاد

٨٤٣ /

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : لم (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : عليه .

(٣-٢) فى مد : الأدبار - خطأ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : او .

المجاهدين، ولو سلب على الكفار<sup>١</sup> جنوده من اول الامر فاعلمكم<sup>٢</sup>  
أو دمر عليهم بغير اسطة لقات دخول أكثرهم الجنة، وهم من آمن  
منهم بعد صلح الحديبية (( جنت )) أى بساتين لا يصل إلى عقولكم  
من وصفها إلا ما تعرفونه بعقولكم وإن كان الامر أعظم من ذلك  
٥ (( تجرى )) دل وقرب وبعض بقوله : (( من تحتها الانهر )) فأى  
موضع أردت أن تجرى منه نهرا قدرت على ذلك، لأن الماء قريب  
من وجه الارض مبع صلابتها وحسها . ولما كان الماء لا يطيب  
إلا بالقرار قال تعالى : (( لخدين<sup>٣</sup> فيها )) أى لا إلى آخر .

ولما كان السامع لهذا ربما ظن أن فعله ذلك باستحقاق، قال  
١٠ إشارة إلى أنه لا سبب إلا رحمة : (( ويكفر )) أى يستر سترًا يليقًا شاملاً  
(( عنهم سيئاتهم<sup>٤</sup> )) التى ليس من الحكمة دخول الجنة دار القدس قبل  
تكفيرها، بسبب ما كانوا متلبسين<sup>٥</sup> به منها من الكفر وغيره، فكان  
ذلك التكفير سبباً لدخولهم الجنة (( وكان ذلك )) أى الامر العظيم  
من الإدخال والتكفير المهي<sup>٦</sup> له، وقدم الظرف تعظيماً لها فقال تعالى :  
١٥ (( عند الله )) أى الملك الأعظم ذى الجلال والإكرام (( فوزاً عظيماً ))

(١) في مد : الكافرين (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : فاهلكهم (٣) زيد  
في الأصل : نزلوا وابدأ ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٤) سقط من  
ظ و مد (٥) زيد في الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها .  
(٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : متلبسين (٧) من مد ، وفي الأصل  
و ظ : والمهين .

بملا جميع الجهات .

ولما كان من اعظم الفوز إقرار العين بالانتقام من العدو [ وكان العدو - ٢١ المكاتم ٢ أشد من العدو ٣ المجاهر المراعى ٤ قال تعالى : (ويعذب المنافقين ) أى يزيل كل ما لهم من العذوبة ( و المنفقت ) بما غاظهم من ازدياد الإيمان ( و المشركين و المشركت ) بصدى الذى ٥ كان سببا للقام الدخس ٦ الذى كان سببا لإنزال السكينة ٧ الذى كان سببا لقوة أهل الإسلام بما تأثر عنه من كثرة الداخلين فيه ، الذى كان سببا لتدمير أهل الكمران ، ثم بعد ذلك عذاب النيران .

ولما أخبر بعذابهم ، أتبعه وصفهم بما سبب لهم ذلك فقال تعالى : ( الظآنين بالله ) أى المحيط بجميع صفات الكمال ( رظن السوء ٨ ) من ١٠ أنه لا ينى بوعده فى أنه ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم و أتباعه المؤمنين أو أنه ٩ لا يعذبهم . أو أنه ١٠ لا يعذبهم لمخالفة رسوله ١١ صلى الله عليه وسلم ومشافقة أتباعه . ولما أخبر سبحانه و تعالى بعذابهم فسر به بقوله : ( عليهم ) أى فى الدنيا و الآخرة بما يخزيهم الله به من كثرة جنوده و غيظهم منهم و قهرهم بهم ( دآرة السوء ١٢ ) التى دروها ١٣ . قدروها للسليين ١٥ لا خلاص لهم منها ، فهم مخذولون فى كل موطن خذلانا ظاهرا يدركه

(١) زيد من ظ و مد ، وفى الأصل : المكتم (٢) سقط من ظ و مد (٣) وفى الأصل : الزاعم (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : الدخس (٥-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : التى كانت (٧-٨) سقط ما بين الرفين من ظ (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : رسول الله .

كل أحد، و باطنا يدركه من أراد الله تعالى من أرباب البصائر كما  
اتفق في هذه العمرة، و السوء - بالفتح و الضم : ما يسوء كالكره  
إلا أنه غلب في أن يضاف إلى ما يراد ذمه، و المضموم جار مجرى  
الشر الذي هو ضد الخير - قاله الكشف . و لما كان من دار عليه  
السوء ٥ / ٨٤٤ قد لا يكون مغضوبا / عليه . قال : ﴿ و غضب الله ﴾ أى الملك  
الاعظم بما له من صفات الجلال و الجمال فاستعلى غضبه ﴿ عليهم ﴾ ،  
و هو عبارة عن أنه <sup>٢</sup> يعاملهم معاملة الغضبان بما لا طاقة لهم به . و لما كان  
الغضب قد لا يوجب الإهانة و الإبعاد قال : ﴿ و لعنهم ﴾ أى طردهم طردا  
سفلوا به أسفل سافلين ، فبعدوا به عن كل خير

١٠ . و لما قرر ما لهم في الدارين، و كان قد يظن أنه يخص الدنيا  
فلا يوجب عذاب الآخرة، أتبعه بما يخصها فقال : ﴿ و اعد ﴾ أى هيا الآن  
﴿ لهم جهنم ﴾ تلقاهم بالعنوسة و الغيظ و الزفير و التجهم كما كانوا  
يتجهمون عباد الله مع ما فيها من العذاب بالجور و البرد و الإحراق ،  
و غير ذلك من أنواع المشاق . و لما كان التقدير : فسأت معدا، عطف  
١٥ عليه قوله : ﴿ و سأمت مضيرا ٥ ﴾ .

و لما كان هذا معلما بأن الكفار <sup>٤</sup> - مع ما يشاهد منهم من  
الكثرة الظاهرة و القوة المتضافرة المتوافرة - لا اعتبار لهم لأن البلاء

---

(١) من مد . و فى الأصل : جارى (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : ان .  
(٣) من ظ و مد . و فى الأصل : زاده تأكيداً فقال تعالى زيادة على إبعادهم .  
(٤) زبدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

محيط بهم في الدارين، وكان ذلك أمرا يوجب تشعب التفكير في  
المؤثر فيهم ذلك، عطف على ما تقدره إعلاما بأن التدبير على  
هذا الوجه الحكيم ومصلح بكل عنها الوصف، ودفعنا لما قد يتوهمه من  
لم يرسخ إيمانه مما يجب التزيه<sup>١</sup> عنه: فله القوة جميعا بفعل ما يشاء فيمن  
يشاء من غير سبب ترونيه: ﴿ والله ﴾ أي<sup>٢</sup> الملك الأعظم<sup>٣</sup> ه  
﴿ جنود السموات والارض ﴾ فهو يسلط ما يشاء منها على من يشاء .  
و لما كان ما ذكر من عذاب الأعداء و ثواب الأولياء  
متوقفا على تمام العلم و نهاية القدرة التي يكون بها الانتقام و السطوة  
قال تعالى: ﴿ وكان الله ﴾ الملك الذي لا أسر لاحد معه أزلا و أبدا  
﴿ عزيزا ﴾ يغلب و لا يغلب ﴿ حكيماء ﴾ يضع الشيء في أحكم مواضعه، ١٠  
فلا يستطيع نقض شيء مما ينسب إليه سبحانه و تعالى .

و لما تبين أنه ليس لغيره مدخل في إيجاد النصر، و كانت السورة  
من أولها، حضرة مخاطبة و إقبال فلم يدع أمرا<sup>٤</sup> إلى فداء [ ياء -<sup>٥</sup> ]  
ولا غير ما . و كان كآته قبل: ففائدة الرسالة إلى الناس؟ [ أجيب -<sup>٦</sup> ]  
بقوله تقريرا لما ختم به من صفى<sup>٧</sup> العزة و الحكمة . ﴿ آمآ ﴾ بما لنا من ١٥  
العزة و الحكمة ﴿ أرسلتك ﴾ أي<sup>٨</sup> بما لنا من العظمة التي هي معنى العزة

(١) من مد، وفي الأصل و ظ: التعرية (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد  
في الأصل و ظ: له، و لم تكن الزيادة في مد فحذفنا (٤-٥) من مد، وفي  
الأصل و ظ: منها (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: امرا (٦) زيد من مد .  
(٧) من ظ و مد، وفي الأصل: صفى .

والحكمه إلى الخلق كافة ﴿شامدا﴾ على أفعالهم من كفر وإيمان  
وطاعة وعصيان، من كان بحضرتك بنفسك<sup>١</sup> ومن كان بعد موتك  
أو غائبا عنك فبكتاك، مع ما أيدناك به من الحفظه من الملائكة .

ولما كانت البشارة محبوبة إلى النفوس رغبهم فيما عنده من

٥ الخيرات وحبهم فيه بصوغ<sup>٢</sup> اسم الفاعل منها مبالغة فيه فقال تعالى :

﴿ومبشرا﴾ أى لمن أطاع بأنواع البشائر. ولما<sup>٣</sup> كانت لئذارة كريمة

جدا، لا يقدم [على -<sup>٤</sup>] [إبلاغها] [إلا -<sup>٥</sup>] من كل عرفانه بما فيها

من المنافع الموجبة لتجشم مرارة الإقدام على الصدع/ بها، أتى بصيغة / ٨٤٥

المبالغة فقال تعالى : ﴿ونذيرا﴾ .

١٠ ولما ذكر حال الرسالة، ذكر علتها فقال : ﴿لتؤمنوا﴾ أى الذين

حكمتا بإيمانهم بمن أرسلناك إليهم - هذا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو

بالغيب، وعلى قراءة الباقيين بالخطاب المعنى. أيها الرسول ومن قضينا هداية

من أمته. مجددين لذلك فى كل لحظة مستمرين عليه، وكذا الأفعال

بعده، وذلك أعظم لطفًا لما فى الإنس بالخطاب<sup>٦</sup> من رجاء الاقتراب

١٥ ﴿بالله﴾ أى الذى لا يسوغ لاحد [من خلقه -<sup>٧</sup>] - والكل خلقه -

التوجه إلى غيره لاستجماعه لصفات الجلال والإكرام ﴿ورسوله﴾

(١) من ظ و مد، وفى الأصل : فينفاد - كذا مصحفا (٢) من ظ و مد،

وفى الأصل : بصريح (٣) من ظ و مد، وفى الأصل : ما (٤) زيد من ظ

و مد (٥) من مد، وفى الأصل وظ : كل (٦) راجع نثر للرجال ٦/ ٦٢١ .

(٧) من مد، وفى الأصل وظ، من الخطاب (٨) زيد من مد .

الذى أرسله من له كل شيء ملكا وملكاً إلى جميع خلقه .  
ولما كان الإيمان أمراً باطناً، فلا يقبل عند الله إلا بدليل، وكان  
الإيمان بالرسول إيماناً بمن أرسله، والإيمان بالمرسل إيماناً بالرسول<sup>١</sup>، وحدث  
الضمير فقال: ﴿ويعزروه﴾ أى يعينوه ويقوه وينصروه على كل  
من نأوا<sup>٢</sup> و<sup>٣</sup> يمنعوهم عن كل من يكيد، مبالغين في ذلك باليد واللسان  
والسيف، وغير ذلك من الشأن<sup>٤</sup> فتؤثروهم على أنفسهم<sup>٥</sup> وغيرها،  
تعظيماً له وتفخيماً - هذا حقيقة المادة، وما خالفه [فهو -<sup>٦</sup>] إما من  
باب الإزالة كالزور بمعنى الديوث، وإما من باب الأول كاللوم والضرب  
دون الحد، فانه يوجب للوم والمضروب وتجنب ما نقم عليه فيعظم،  
فهو من إطلاق الملزوم على اللازم، وهو من وادى ما قيل: ١٠  
عداى لهم فضل على و منه فلا أذهب الرحمن عنى الاعاديا  
م بحثوا عن زلتى فاجتنبها و هم نافسون فاقنيت المعاليا  
ولما كان المعنى [يحتمل -<sup>٧</sup>] الإزالة كما ذكر، خلص المراد بقوله:  
﴿ويؤثروهم﴾ أى يجتهدوا في حسن إتباعه في تبجيله وإجلاله بأن  
يحملوا عنه<sup>٨</sup> جميع الانتقال، ليلزم السكينة باجتماع همه وكبر عزمه لزوال ١٥  
ما كان يشعب فكره من كل ما يهمه ﴿ويسجوه﴾ أى ينزهوه عن

(١) زيد في الأصل: فلذلك، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها.  
(٢-٣) من ظ و مد، وفي الأصل: ينصروه على (٣-٣) في ظ و مد؛ فتؤثر  
على انفسكم (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي الأصل  
و ظ: عليه.

كل وصمة<sup>١</sup> من إخلاف الوعد بدخول مكة و الطواف بالبيت الحرام ونحو ذلك ، و يعتقدوا فيه الكمال المطلق ، و الأفعال الثلاثة يحتمل أن يراد بها الله تعالى ، لأن من سعى في قع الكفار فقد فعل فعل المعز<sup>٢</sup> الموقر ، فيكون إما عائدا<sup>٣</sup> على المذكور وإما<sup>٤</sup> أن يكون جعل الاسمين [ واحدا - ° ] إشارة إلى اتحاد المسمين<sup>٥</sup> ، في الأمر فلما اتحد أمرها و حد الضمير إشارة إلى ذلك .

ولما كانت محبة الله ورسوله ترضى منها بدون النهاية قال كائنا عن ذلك : ﴿ بكرة و أصيلا ٥ ﴾ أى و عشيا إيصانا لما بين الليل<sup>٦</sup> و الليل [ بذلك - ^ ] .

١٠ [ ولما - ^ ] ذكر الرسول صلى الله عليه و سلم و ما أرسله له ، و ختم الآية بأنه لا يرضى من ذكره و ذكر رسوله إلا بالمداومة بالفعل أو بالقوة مع توحيد الضمير<sup>٧</sup> إشارة إلى وحدة الإرادة و المحبة من الرسول و المرسل ، أوضح المراد بتوحيد الضمير<sup>٨</sup> بقوله مرغبا في اتباعه و مرهبا لاتباعه عن<sup>٩</sup> أدنى فترة أو توان فيما دخلوا فيه من الإيمان

(١) في الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٢) زيدت الواو في الأصل و ظ ، و لم تكن في مد فخذناها (٣) في الأصل : عدا ، و في ظ و مد : عائدا (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : ان (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و في الأصل و ظ : الاسمين (٧ - ٧) من مد ، و في الأصل و ظ : الليل و النهار (٨) زيد من ظ و مد (٩ - ٩) سقط ما بين الرقعين من ظ و مد (١٠) من مد ، و في الأصل و ظ ا في .



الذى هو علة الرسالة، وما ذكره<sup>١</sup> معه فى جواب من يسأل: ما سبب توحيد الضمير والمذكور اثنان<sup>٢</sup>، مؤكداً لاجل ما غلب على الطباع البشرية من التقيد بالوهم والذكوص عما غاب ولا مرشد إليه سوى العقل: ﴿ان الذين﴾ .

ولما كان المضارع قد يراد به مطلق الوقوع لا بقيد<sup>٣</sup> زمن معين كما ه نقلته فى أول سورة البقرة عن أبى حيان وغيره، عبر [به -<sup>٤</sup>] ترغيباً فى تجديد مثل ذلك والاستمرار عليه فقال: ﴿يا ايها الذين﴾ [أى -<sup>٥</sup>] فى يعة الرضوان وقبلها وبعدها على ما جئت به من الرسالة التى مقصودها الاعظم النذارة التى مبناها على المخالفة التى تتقاضى الشدائد التى عمادها الثبات والصبر، وسميت "مبايعة" لأنهم بايعوا أنفسهم فيها من الله ١٠ بالجنة وهذا معنى الإسلام، فكل من أسلم فقد باع نفسه<sup>٦</sup> سبحانه [منه -<sup>٧</sup>] "ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم"، الآية . ﴿انما يبايعون الله﴾ أى الملك الأعظم لأن عملك كله من قول وفعل له "وما ينطق عن الهوى" .

ولما عظم بيعته بما رغب فيها ترغيباً مشعراً بالترهيب، زادها تعظيماً ١٥ بما الترهيب فيه أظهر من الأول، فقال مبيناً للأول: ﴿يد الله﴾ أى

(١) فى مد: ذكر (٢) من مد، وفى الأصل وظ: امان (م) من ظ و مد، وفى الأصل: يقدر (٤) سقط من مد (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفى الأصل وظ: من الجنة (٧) زيد فى الأصل: من الله، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد .

المرتدى بالكبرياء . ولما كان منزها عما قد يتوهم من الجارحة بما فيه  
شائبة نقص ، أو ما إلى نقي ذلك بالفوقية مع ما فيه من الدلالة على  
تعظيم البيعة فقال : ﴿فوق أيديهم<sup>٢</sup>﴾ أى فى المبايعة عالية عليهم بالقدره  
و 'القوة و القهر' والعزة ، والتزه عن كل شائبة نقص ، ولذلك كرر  
ه الاسم الأعظم فى هذه ثلاث مرات إشارة إلى العظمة العائمة للوصف  
والغيب العالى عن 'الإدراك' ، ثم أعاد ذكره بالضمير إيذاناً بالغيب المحض ،  
هذا هو المراد من تعظيم البيعة و إجلال الرسول صلى الله عليه وسلم  
مع 'الم القطعى بتزيه الله سبحانه عن كل شائبة نقص من حلول أو اتحاد  
كما هو واضح فى مجارى عادات العرب ظاهر<sup>٣</sup> جـداً فى دأبهم<sup>٤</sup> فى  
١٠ محاوراتهم ، لا يشك فيه منهم عاقل عالم أو جاهل أصلاً ، فلئمة [الله -<sup>٥</sup>  
على من حمله على الظاهر من أهل العناد بيدعة الاتحاد على من تبعهم  
على ذلك من الرعاع الطغام الذين شاقوا الله ورسوله عليه الصلاة  
والسلام ، وجميع الأئمة الأعلام ، و سائر أهل الإسلام : ورضوا لأنفسهم  
بأن يكونوا أتباع فرعون اللعين ، و ناهيك به فى ضلال مبين .

١٥ ولما كان كلام الله تعالى - و إن جرى مجرى الشرط والتهديد -  
لا بد أن يقع منه شئ . و إن قل ، و كان من سر التعبير بالمضارع فى  
" يبايعونك " الإشارة إلى نكث الجد بن قيس أصل يبعته على الإسلام

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : القهر والغلبة والقوة (٢) من مد ، وفى  
الأصل و ظ : من (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ : ظاهراً (٤) من مد ، وفى  
الأصل و ظ : دارهم (٥) زيد من ظ و مد .

٨٤٧/

فانه<sup>١</sup> اختبا في الحديدية وقت البيعة في وقت من الاوقات، فلم يبايع،  
سبب<sup>٢</sup> عن ذلك وفصل ترغيا / و ترهيا، فقال معبرا بالماضى إذا  
بأنه لا ينكح أحد من أهل هذه البيعة: ﴿فن نكح﴾ أى نقض في  
وقت من الاوقات لجمعها كالكساء الخلق والحبل البالى الذى ينقض  
﴿فانما ينكح﴾ و عبر بالمضارع إشارة إلى أن من فعل النكح فهو ه  
في كل لحظة ناكح نكثا جديدا ﴿على نفسه<sup>٣</sup>﴾ لا على غيرها<sup>٤</sup> فانه  
يمرأى من الله ومسمع [وهو -<sup>٥</sup>] قادر عليه جدير بأن يعاقبه بعد ما  
يجل لنفسه من العار العظيم في الدنيا ويستحل<sup>٦</sup> به على نكثه عذابا  
أليما، ولا يضر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فان الله ناصره  
لا محالة، وكذا كل منكوث به [إذا -<sup>٧</sup>] أراد الله نصرته فان يده ١٠  
سبحانه فوق كل يد.

ولما أتم الترهيب لانه مقامه للحث على الوفاء الذى به قيام الدين  
على أبلغ وجه، أتبعه<sup>٨</sup> على عادته<sup>٩</sup> الترغيب إتماما للحث فقال تعالى:  
﴿ومن أوفى﴾ أى فعل الإتمام والإكثار، والإطالة ﴿بما عهد﴾  
<sup>١٠</sup> و قدم الظرف<sup>١١</sup> اهتماما به فقال: ﴿عليه الله﴾ أى الملك المحيط بكل ١٥

- (١) من مد، وفي الأصل وظ: في (٢) من مد، وفي الأصل وظ: بسبب.  
(٣) من مد، وفي الأصل: غيره، وفي ظ: فعل غيره (٤) زيد من مد.  
(٥) من مد، وفي الأصل: يحل، وفي ظ: سيحل - كذا (٦-٦) -قط ما  
بين الرقين من ظ ومد (٧-٧) من مد، وفي الأصل: عدم الطوف،  
وفي ظ: عدم الظرف.

شيء قدرة و علما من هذه المباينة و غيرها فانما وفاؤه لنفسه (فسيوته)  
 أى بوعده لا يخلف فيه (اجرا عظيما ع) لا يسع عقولكم شرح وصفه،  
 و من قرأ بالنون<sup>١</sup> أظهر ما ستر في الجلالة من التعظيم، و الآية من  
 الاحباك: ذكر أولا أن النكث عليه دليلا على أن الوفاء له ثانيا،  
 و إتياء الاجر ثانيا دليلا على إحلال العقاب أولا و سره أنه بين [أن-<sup>٢</sup>]  
 ما يريده الناكث من الأذى لغيره إنما هو واقع به، لأن ذلك أعظم  
 في الترهيب عن النكث لما جبل الإنسان عليه من النفرة عن ضرر نفسه<sup>٣</sup>  
 و بعده عنه، و ذكر الاجر للوفى لأنه أعظم في الترغيب، و سبب يعة  
 الرضوان هذه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فهم من بروك<sup>٤</sup> ناقته في  
 ١٠ الحديبية الإشارة من الله سبحانه و تعالى إلى أنه لم يأذن في دخولهم  
 البلد الحرام في هذه السفرة، فشئ مع إرادته سبحانه و تعالى لأنه ليس  
 فيها مخالفة لما أمر به سبحانه إلى أن وقع الصلح الذى كان الفتح  
 هو<sup>٥</sup> بعينه، و كان في غضون<sup>٦</sup> ذلك أن أرسل عثمان بن عفان رضى الله  
 تعالى عنه إلى مكة المشرفة ليخبر<sup>٧</sup> قريشا أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 ١٥ [لم يحى لقتال و أنه لا يريد إلا الاعتمار، فارجف مرجفون بأنه قد  
 قتل، فعزم النبي صلى الله عليه وسلم -<sup>٨</sup>] على مناجزتهم فبايع الصحابة  
 (١) راجع نثر المرجان ٦/٦٢٤ (٢) زيد من مد (٣) زيد في الأصل و ظ :  
 و نفع، و لم تكن الزيادة في مد لحذفها (٤) من مد، و في الأصل و ظ :  
 نزول لوجه) وقع في الأصل و ظ : بعد « الصلح الذى » و الترتيب من مد .  
 (٦) من ظ و مد، و في الأصل عصور (٧) من ظ و مد، و في الأصل :  
 يخبر (٨) زيد من ظ و مد .

رضى الله عنهم على ان لا يفرّوا عنه . فبايع كل من [ كان - ١ ] معه  
إلا جد بن قيس ، فانه اختبأ تحت إبط بعيره فلم يبايع ، وقال النبي  
صلى الله عليه وسلم : كلّم مغفور له<sup>٢</sup> إلا صاحب الجمل الأحمر .

ولما ذكر سبحانه وتعالى أهل بيعة الرضوان ، وأضافهم إلى

حضرة الرحمن ، تشوف السامع إلى الخبر عن غاب عن ذلك الجنب ، ه  
وأبطا عن حضرة تلك العمرة ، فاستوقف<sup>٣</sup> الإخبار عما يناقون به  
بقوله تعالى : ( سيقول ) أى بوعد لا خلف فيه ، وأكد أمر نفاقهم  
تنبيها على جلدهم فيه وقاصهم<sup>٤</sup> به ولطف النبي صلى الله عليه وسلم وشدة  
رحمته [ ورقه - ١ ] وشفقته فقال : ( لك ) أى لأنهم يعلمون

/ أنك أطف الخلق عشرة وأعظمهم شفقة على عباد الله ، فهم يطعمون ١٠ / ٨٤٨  
في قبولك من فاسد عذرم ما لا يطعمون فيه من غيرك من خلص  
المؤمنين ، و غاب عنهم - لما عندهم من غلظ<sup>٥</sup> الأكباد أن الكذب  
بحضرتك<sup>٦</sup> في غاية القباحة لأنك أعظم الخلق وأفطنهم ، مع ما يأتيك  
من الأنباء عن علام الغيوب ، و حقر أمرهم بسلب العقل عنهم وجعلهم  
مفعولين لا فاعلين إشارة إلى أنهم طردوا عن هذا المقام ، لأنهم أشرار ١٥  
لثام<sup>٧</sup> ، فقال تعالى ( المخلفون ) أى الذين - خلفهم الله عنك ولم يرضهم

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : لكم (٣) من مد ، وفي  
الأصل و ظ : واستوقف (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : وخفاها .  
(٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : غطا (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : في  
حضرة (٧) من مد ، وفي الأصل و ظ : لأم (٨) زيد في الأصل : ميئنا من  
هم ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

لصحبتك في هذه العمرة ، فجعلهم كالشيء التافه الذى يخلفه الإنسان ، لأنه لا فائدة فيه فلا يؤبه له ولا يعبأ به ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد الاعتماد ندب أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين لذلك ، وندب من الأعراب الذين حول المدينة الشريفة من كان قد أقر بالإسلام ، ه ظم يرد الله حضورهم لأن إسلامهم لم يكن خالصا ، فلو حضروا لفسد بهم الحال ، وإن حفظ الله بحوله وقوته من الفساد ، أعقب ذلك فسادا آخر وهو أن يقال : إنه لم يكف عنهم الأعداء إلا الكثرة ، فتخلفوا لما علم الله في تخلفهم من الحكم .

ولما كان قد تخلف بالجسد من خلص الانصار وغيرهم من كان ١٠ حاضرا معه صلى الله عليه وسلم بالقلب [ أخرجهم بقوله - ٢ ] : (من الأعراب) أى أهل البادية كذبا وبهتاناً جرأة على الله ورسوله (شفلتنا) أى عن إجابتك في هذه العمرة (أموالنا واهلونا) [ أى - ٤ ] لأننا لو تركناها ضاعت ، لأنه لم يكن لنا من يقوم بها وأنت قد نهيت عن إضاعة المال والتفريط في العيال ، ثم سيوا عن هذا القول المراد ١٥ به السوء قولهم : ( فاستغفر ) أى اطلب المغفرة ( لنا ) من الله إن كنا أخطانا أو قصرنا .

و لما كان هذا ربما يفتر به من لا خبرة له ، رده تعالى بقوله منها

(١-١) من مد ، وفي الأصل و ظ : قدم (٢) من مد ، وفي الأصل و م : ان (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد .

على أن من صدق مع الله لم يشغله عنه شاغل ، ومن شغله 'عنه شيء' كان شوما عليه : (يقولون) وعبر بالمضارع إشارة إلى أن هذا يدن لهم لا ينفكون عنه . ولما صح بعد ذلك إيمان ، لم يعبر بالآفواه دأبه ، في المناقطين ، بل قال : (بالستهم) أى فى الشغل و الاستغفار ، وأكد ما أفهمه ذكر اللسان من أنه قول ظاهرى نقيا للكلام الحقيقى الذى ه هو النفسى بكل اعتبار بقوله : (ما ليس فى قلوبهم) لأنهم لم يكن لهم شغل ولا كانت لهم نية فى سوال الاستغفار .

ولما كان فعلهم هذا من تخلفهم واعتلاهم و سؤا لهم الاستغفار<sup>٢</sup> ظنا منهم أنهم يدفعون عن أنفسهم بذلك المكروه و يحصلون لها المحبوب و كان كأنه قيل : قد علم كذبهم ، فما ذا يقال لهم ؟ استأنف سبحانه ١٠ الجواب بقوله : (قل) أى لهؤلاء الأغبياء واعظا لهم مسيا عن مخادعتهم لمن لا يخفى عليه خافية إشارة إلى أن العاقل يقبح عليه أن يقدم على ما هو بحيث تخشى عاقبته : (فمن يملك لكم) أيها المخادعون (من الله) أى الملك الذى لا أمر لاحد معه لأنه لا كفؤ له (شيئا) / يمنعكم منه<sup>٣</sup> (ان اراد بكم) أى خاصة (ضرا) أى نوعا من أنواع الضرر ١٥ عظيما أو حقيرا ، فأهلك الاموال و الاملين و أنتم محتاطون فى حفظها

٨٤٩ /

(١-١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : شيء عنه (٢) زيد فى الأصل : كما هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفنا ما (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ : للاستغفار (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) سقط من ظ و مد .

فلا ينفعها حضوركم أو أهلككم أنتم ﴿ أو اراد بكم نفعاً ﴾ بحفظها به  
 مع غيبتكم فلا يضرها بعدكم عنها ، ويحفظكم في أنفسكم . وقد علم من  
 تصنيفه سبحانه حالهم إلى صنفين مع الإيهام أنه يكون لبعضهم الضر لأن  
 منهم من ارتد في زمن الردة ، ولبعضهم النفع لأنه ثبت على الإسلام .  
 ٥ ولما كان التقدير قطعاً : لا أحد يملك منه سبحانه لهم شيئاً من ذلك ،  
 بل هو قادر على كل ما يريد منه ، وفعلكم لما عندكم من الجلالة والعبادة  
 والكثافة فعل من يظن أنه لا يقدر عليكم ولا يعلم كثيراً مما تعملون ،  
 فيخفى عليه كذبكم ، وليس الأمر كما ظنتم فإنه لا يخفى عليه شيء من  
 أعمالكم ، بنى عليه ما ارشد إلى تقديره فقال تعالى : ﴿ بل كان الله ﴾  
 ١٠ أى المحيط أزلاً وأبداً بكل شيء قدرة وعلماً ﴿ بما تعملون ﴾ أى الجهلة  
 ﴿ خيراء ﴾ أى يعلم بواطن أموركم هذه وغيرها كما يعلم ظواهرها .  
 ولما أضرب عن ظنهم أن كذبهم يخفى عليه بأمر عام ، وقدمه  
 لأنه أعم نفعاً بما فيه من الشمول . أتبعه الإضراب عن مضمون كلامهم  
 فقال : ﴿ بل ﴾ أى ليس بخلفكم لما أخبرتم به من الاشتغال بالآهل  
 ١٥ و الأموال ﴿ ظنتم ﴾ و اتم واقفون مع الظنون الظاهرة ، ليس لكم  
 نفوذ إلى البواطن ، وأشار إلى تأكيد ظنهم على زعمهم فقال :  
 ﴿ ان لن ينقلب ﴾ ولما كان الكلام فيما هو شأن الرسول من الانبعاث  
 (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : فلا ينفعها (٢) من ظ و مد ، وفي  
 الأصل : الحالة (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : بما .  
 (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : بالآهوال .



والمسير ، قال مشيرا إلى [ أن - ' ] من أرسل رسولا إلى شيء وهو لا يقدر على نصره ليلغ ذلك الشيء إلى الغاية التي أرادها منه كان عاجزا عما يريد : ( الرسول ) وعظم التابعين فقال : ( والمؤمنون ) معبرا<sup>٢</sup> بما يحق لهم من الوصف المقهم للرسوخ<sup>٣</sup> وأفهم تأكيد ذلك عندهم بقوله تعالى : ( إلى اهلهم ابداء ) أى لما فى قلوبكم من عظمة المشركين<sup>٥</sup> وحقارة المؤمنين فحملكم ذلك على<sup>٤</sup> أن قلتم : ما هم فى قريش إلا أكاء رأس .

ولما كان الإنسان قد يظن ما لا يجب ، قال مشيرا بالبناء للفعول إلى أن ما حوته قلوبهم مما ينبغي أن ينزه سبحانه ونعالى عن نسبته إليه وإن كان هو الفاعل له فى الحقيقة : ( وزين ذلك ) أى الامر<sup>١٠</sup> القبيح الذى خراب الدنيا ( فى قلوبكم ) حتى احببتموه .

ولما علم أن ذلك سوء ، صرح<sup>١</sup> به على وجه يعم غيره فقال : ( وظننتم ) أى بذلك وغيره مما يترتب عليه من إظهار الكفر وما يفرع عنه ( ظن السوء ) أى الذى لم يدع شيئا مما يكره غاية الكراهة إلا أحاط به . و [ لما - ' ] انكشف جميع أمره كشف أثره فقال : ١٥ ( وكنتم ) أى بالنظر إلى جمعكم من حيث هو جمع فى علمنا قبل ذلك بما جبلناكم عليه وعلى ما كشفه الحال عنه من له بصيرة ( قوما )

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : فعب (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ : للرسول (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : تأكيد (٥) فى ظ : إلى (٦) فى الأصل و ظ بياض ملائناه من مد (٧) زيد من ظ و مد .

أى مع قوتكم على ما تحاولونه ﴿ بوراءه ﴾ أى فى غاية الهلاك والكساد  
والفساد، / وعدم الخير لأنكم جبلتم على ذلك الفساد، فلا انفكاك لهم  
عنه، وهذا كما مضى بالنظر إلى الجميع من حيث هو جمع لا بالنسبة  
إلى كل فرد فانه قد أخلص منهم بعد ذلك كثير، وثبتوا فلم يرتدوا.  
و لما كان التقدير: ذلك لأنكم لم تؤمنوا، فمن آمن منكم ومن  
غيركم<sup>٢</sup> وأخلص، أبجناه جنة وحريرا، عطف عليه قوله معمما:  
﴿ ومن لم يؤمن ﴾ منكم ومن غيركم ﴿ بالله ﴾ [أى -<sup>٣</sup>] الذى لا موجود  
فى الحقيقة سواه ﴿ ورسوله ﴾ أى الذى أرسله لإظهار دينه وهو الحقيق  
بالإضافة إليه، معبرا عنه بالاسم الأعظم، وللزيادة فى تعظيمه [ و تحقير  
شأنه وتوهية كيد -<sup>٤</sup> ] التفت إلى مقام التكلم بمظهر العظمة فقال:  
﴿ فانا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ اعتدنا ﴾ له أولهم<sup>٥</sup> هكذا كان  
الأصل، ولكنه قال معلقا للحكم بالوصف إيذانا بأن من لم يجمع الإيمان  
بهما فهو كافر، وإن [ السعير لمن -<sup>٦</sup> ] كان كفره راسخا فقال تعالى:  
﴿ للكافرين ﴾ أى الذين لا يجمعون الإيمان بالمرسل والرسول فيكونون  
بذلك كفارا، ويستمرون على وصف الكفر لأنهم جبلوا عليه ﴿ سعيرا ﴾  
أى نارا شديدة الإيقاد والتلهب، فهى عظيمة الحر<sup>٧</sup> توجب الجنون<sup>٧</sup>

(١-١) تكرر فى الأصل قبل « و عدم الخير » (٢) من ظ و مد، وفى الأصل:  
غيرهم (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من مد.  
(٦-٦) من ظ و مد، وفى الأصل: لهم أوله بآيات الضمير لا يأتى  
(٧-٧) من مد، وفى الأصل: تجب الجنود وفى ظ: تجب الجنون.

و إيقاد الباطن بالجوع بحيث لا يشبع صاحبه و الانتشار بكل شر<sup>١</sup>،  
فان التكبير<sup>٢</sup> هنا<sup>٣</sup> للتهويل و التعظيم<sup>٤</sup>، و هذه الآية مع ما أرشد السياق  
إلى عطفها عليه من يؤمن دالة - وإن كانت في سياق الشرط - على أن  
أكثرهم يخلص إيمانه بعد ذلك .

و لما انقضى حديث الجنود عامة ثم خاصة من المنتدين<sup>٥</sup> و المخلصين<sup>٥</sup>  
و ختم بذاب الكافرين، و كان المتصرف في الجنود ربما كان بعض  
خواص الملك، فلا يكون تصرفه فيهم تاما، و كان الملك قد لا يقدر  
على عذاب من أراد من جنوده، و كان إذا قدر قد لا يقدر على العذاب  
بكل ما يريده من السعير الموصوف<sup>٦</sup> و غيره لعدم عموم ملكه<sup>٦</sup> قال  
تعالى عاطفا على آية الجنود: ﴿ و لله ﴾ أى الملك الأعظم<sup>٧</sup> وحده<sup>١٠</sup>  
﴿ ملك السموات و الارض ﴾ أى من الجنود و غيرها، يدبر ذلك كله  
كيف يشاء<sup>٨</sup> لا أراد لحكمه و لامعقب<sup>٩</sup> .

ولما<sup>١١</sup> لم يكن في هؤلاء من عذب بما عذب به الأمم الماضية من  
الرجح و غيرها، لم يذكر ما بين الحاققين، و ذكر نتيجة التفرد بالملك  
(١) زيد في الأصل و ظ : فهى، و لم تكن الزيادة في مد لحذفناها (٢) من مد،  
و في الأصل و ظ : الشكر (٣ - ٣) في مد : التعظيم و التهويل (٤) من مد،  
و في الأصل و ظ : المبدين (٥ - ٥) من ظ و مد، و في الأصل : الموت  
و الاحياء بالعذاب و غير ذلك مما اشتملت عليه القدرة الالهية و الملك التام الذى  
لاشبيه له، و قد دل السياق على عدم (٦) من ظ و مد، و في الأصل : ملك  
غيره (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٨) زيد في الأصل : كان،  
و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها .

بما<sup>١</sup> يقتضيه الحال من الترغيب و الترهيب : ﴿ يغفر لمن يشاء ﴾ أى  
لا اعتراض لاحد عليه<sup>٢</sup> بوجه ما<sup>٣</sup> ﴿ و يعذب من يشاء ﴾ أى<sup>٤</sup> لانه  
لا يجب عليه شيء و لا يكفيه شيء ، و ليس هو كالمملك الذين لا يتمكنون  
من مثل ذلك لكثرة الأكفاء المعارضين لهم فى الجملة ، و علم من هذا  
التقسيم المبهم [ أيضا -<sup>٥</sup> ] أن منهم من يرتد فيعذبه ، و منهم من  
يثبت<sup>٥</sup> على الإسلام فيغفر له لانه لا يعذب بغير ذنب و إن كان له أن  
يفعل ذلك ، لانه لا يسئل عما يفعل و ملكه تام ، فتصرفه فيه عدل كيفما  
كان . و لما كان من يفعل الشيء فى وقت / قد لا يستمر على وصف  
القدرة عليه قال تعالى : ﴿ وكان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال أزلا  
١٠ و أبدا ، لم يتجدد<sup>٦</sup> له شيء لم يكن . و لما ابتداء الآية بالمغفرة رغبة فى  
التوبة ، ختم بذلك لأن المقام له ، و زاد الرحمة تشريفا لنبى الرحمة<sup>٧</sup>  
بالتعجب و الدلالة على أن رحمته غلبت غضبه فقال : ﴿ غفورا ﴾ أى  
لذنوب المسيئين ﴿ رحبما ﴾ أى مكرما بعد الستر بما لاتسمعه العقول ،  
و قدرته على الإنعام كقدرته على الانتقام . و لما ذم<sup>٨</sup> المخلفين بما منه  
١٥ -<sup>٩</sup> أى من الذم<sup>٩</sup> - أنهم هالكون بعد أن قدم أنه لعنهم ، و كان قد وعد

/ ٨٥١

(١) فى مد : ما (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٣) سقط من ظ و مد .  
(٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يثبت (٦) من ظ و مد ،  
و فى الأصل : لم يتجدد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : الرحمة (٨) زيد فى  
الأصل : سبحانه و تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها .

سبحانه أهل الحديدية فتح خير جبرا لهم بما منعهم من الاستيلاء على مكة المشرفة لما له 'في ذلك' من الحكم البالغة الدقيقة ، وختم بأنه نافذ الأمر ، و [ كان - ٢ ] ذلك مستلزما لإحاطة العلم ، دل على كلا الأمرين بقوله استئنافا ، جوابا لمن كأنه ٢ قال : هل يغفر للمخلفين حتى يكونوا كأنهم ما تخلفوا ؟ : ( سيقول ) أى بوعد لاخلاف فيه . ٥

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم بحيث لا مطمع لاحد فى أن يظفر منه بشئ من خلاف لأمر الله ، أسقط ما عبر به فى ذكرهم أولا من خطابه و قال : ( المخلفون ) أى لمن يطمعون فيه من الصحابة أن يسعى فى تمكينهم من المسير فى جيشه صلى الله عليه وسلم لحقاه الحكم عليه ونحو ذلك ، ولم يقيدهم بالأعراب ليعم كل من كان يتخلف من ١٠ غيرهم ( اذا انطلقتم ) بتمكين الله لكم ( الى مقام ) .

ولما أفهم اللفظ الأخذ ، والتعبير بصيغة منتهى الجموع كثرتها ، صرح بالاول رفعا للجاز فقال : ( لتأخذوها ) أى من خير ( ذرونا ) أى 'على أى' حالة شتم من الأحوال الدنية ( تتبعكم ) ولما كان يلزم من تمكينهم من ذلك إخلاف وعد الله بأنها تخص أهل الحديدية ، ١٥ وأنه طرد المناققين وخيب قصدهم ، علل تعالى قولهم بقوله : ( يريدون ) أى بذهابهم معكم ( ان يدلوا كلم الله ) أى المحيط 'بكل شئ' قدرة

( ١-١ ) سقط ما بين الرقين من ظ ( ٢ ) زيد من مد ( م ) من مد ، وفى الأصل و ظ : كان ( ٤-٤ ) سقط ما بين الرقين من مد ، وفى ظ : اى ( ٥-٥ ) سقط ما بين الرقين من ظ و مد .

و علما في الإخبار بلغتهم وإمارتهم، و ان فتح خير محتص باهل الحديدية،  
لا يشركهم فيه إلا من وافقهم في النية و الهجرة، ليتوصلوا بذلك إلى  
تشكيك أهل الإسلام فيه<sup>١</sup>، والمراد أن فعلهم فعل من يريد ذلك،  
و لا يبعد أن يكونوا صنفين: منهم من يريد ذلك، و منهم من لم يردده،  
٥ ولكن فعل من يريده .

ولما كان السامع جديرا بأن يسأل عما يقال لهم، قال مخاطبا  
لأصدق الخلق عليه الصلاة و السلام: ﴿ قل ﴾ أى 'يا حيي' لهم إذا  
بلغك كلامهم أنت بنفسك، فان غيرك لا يقوم مقامك في هذا الامر  
المهم، قولا مؤكدا: ﴿ لن تتبعونا ﴾ و إن اجتهدتم في ذلك، و ساق  
١٠ مساق النفي و إن كان المراد به النهي، لأنه مع كونه أكد يكون علما  
من أعلام النبوة، و هو أزجر و أدل على الاستهانة .

ولما أذن هذا التأكيد أنه من عند من [ لا - ٢ ] يخالف أصلا  
في مراده، بينه تعالى بقوله: / ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا القول البديع  
الشان العلى الرتبة ﴿ قال الله ﴾ أى الذى لا يكون إلا ما يريد، وليس  
١٥ هو كالمملوك الذين لا قدرة لهم على الغفران لمن شاءوا<sup>٢</sup> و العقاب لمن شاءوا<sup>٣</sup>  
﴿ من قبل<sup>٤</sup> ﴾ هذا الوقت، و هو الذى لا يمكن الخلف في قوله، فانه  
قضى أن لا يحضر خير، المرادة بهذه الغنائم إلا من حضر الحديدية،

(١) من ظ و مد، و في الأصل: عليه (٢-٢) - سقط ما بين الرقيين من ظ  
و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد في الأصل: هو، و لم تكن الزيادة في ظ  
و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و في الأصل: شاء (٦) من مد، و في  
الأصل و ظ: يشاءوا .

و أمر بذلك فكان ما قال بعد اجتهاد بعض المخلفين في إخلافه فانهم  
غيرهم الطمع بعد سماعهم قول الله هذا، فطلبوا أن يخرجوا معه صلى الله  
عليه وسلم فنحوا فلم يحضر ما غيرهم أحد، وذلك أنه صلى الله عليه  
وسلم رجع من الحديبية في ذى الحجة سنة ست، فأقام إلى أثناء محرم  
سنة سبع، و خرج بأهل الحديبية إلى خير ففتحها الله عليه، و أخذ ه  
جميع أموالها من المنقولات والعقارات، و أتى إليه صلى الله عليه وسلم  
وهو بها بعد فتحها ابن عمه جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه و بعض  
من معه من مهاجرة الحبشة، فأشركهم النبي صلى الله عليه وسلم مع  
أهل الحديبية لأنهم لم يكونوا مخلفين بل كانوا متخلفين لعذر عدم

الإدراك .

١٠

ولما كانوا منافقين لا يعتقدون شيئا من هذه الأقوال، بل يظنون  
أنها حيل على التوصل إلى المراتب الدنيوية، سبب عن قولهم له ذلك  
تنبيهها على جلافتهم وفساد ظنونهم: (فسيقولون): ليس الأمر كما ذكر  
بما ادعى أنه قول الله (بل) إنما ذلكم لآنكم (تحسدونا) فلا تريدون  
أن يصل إلينا من مال الغنائم شيء . ولما كان التقدير: وليس الأمر  
كما زعموا، رتب عليه قوله: (بل كانوا) أى جيلة وطبعا  
(لا يفقهون) أى لا يفهمون فهم الحاذق الماهر (الاقليلا) فى أمر  
دنيام، ومن ذلك إقرارهم بالإيمان لاجلها، و أما أمور الآخرة فلا يفهمون  
منها شيئا .

(١) من مد، وفي الأصل وظ: فنعوا .

ولما كان ذلك يقع في نفس السامع السؤال عن هذا الطرد : هل  
 يستمر؟ أجيب بأنهم سيمتحنون بأمر شاق يحده الله للتمييز بين 'الخلص  
 وغيرهم' ، فقال مكررا لوصفهم بالتخلف لإعلاما بأنهم في الحقيقة ما  
 تخلفوا ، بل منعوا طردا لهم وإبعادا معذبا لهم بما خلفهم عن اتباع  
 ٥ النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العمرة من الخوف من قتال قريش  
 لشدة بأسهم كما أتاب المحبين له صلى الله عليه وسلم بضد ما عزموا عليه  
 من القتال إلى النصر أو الموت من كف أيديهم عنهم<sup>٢</sup> بما جعله الله  
 سببا للفتح الأعظم<sup>٣</sup> والتفرغ<sup>٤</sup> لفتح خيبر وأخذ غنائمها الكثيرة من غير<sup>٥</sup>  
 كبير كلفة ( قل ) يا أعظم الخلق ( للخلفين ) وزاد في ذمهم  
 ١٠ بنسبتهم إلى الجلالة فقال : ( من الأعراب ) أي أهل غلظ الأكباد ،  
 ويجوز أن يكون هذا القيد للاحتراز عن المخلفين من أهل المدينة  
 [ فيكون إشارة إلى أن الأعراب ينقسمون عند هذا الدعاء إلى مطيع  
 وعاص - كما أشار إليه تقسيمه سبحانه لهم - وأن المخلفين من أهل  
 المدينة - \* ] لمثل ما اعتل به الأعراب لا مطيع في صلاحهم :  
 ١٥ ( سندعون ) بوعده لاخلف فيه بأخبار<sup>٦</sup> محيط العلم والقدرة دعوة  
 محيطه و<sup>٧</sup>نفيرا عاما<sup>٨</sup> لما أفهمه الإسناد إلى جميعهم من داع صحت إمامته<sup>٩</sup>

(١-١) من مد ، وفي الأصل : المخاض وغيره ، وفي ظ : الخلف وغيرهم  
 (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : عنكم (٣-٣) من ظ و مد ، وفي الأصل :  
 المتفرغ (٤) زيد في الأصل : تكبير ولا ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد  
 لحذفها (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ :  
 من اخبار (٧-٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : معرا عالا (٨) من ظ  
 و مد ، وفي الأصل : امامه .



فوجبت طاعته ، و دل على بعدهم من أرضهم بقوله تعالى : ( الى قوم ) .

٨٥٣ /

ولما أفهم / التعبير بذلك أن لهم قوة و شدة على ما يحاولونه ، أوضح

المعنى بقوله : ( اولى بأس<sup>١</sup> ) أى شدة فى الحرب و شجاعة مع مكر و دهاء

( شديد<sup>٢</sup> ) . ولما كان المعنى كأنه قيل<sup>٣</sup> : لما ذا؟ قال تعالى : ( تقاتلونهم )

أى بأمر إمامكم ( او يسلمون ج ) أى يدعوكم إليهم ليكون أحد الامرين ه

المظهرين لان كلمة الله هى العليا : المقاتلة منكم أو الإسلام منهم ، فان

لم يسلموا كان القتال لا غير ، و إن أسلموا لم يكن قتال ، لان الإمام

لا غرض له إلا إعلاء كلمة الله ، و لا يكون شئ غير عذبن الامرين

من إبقاء بجزية أو مصالحة أو متاركة إلى مدة ، و نحو ذلك ، و هذا الداعي

هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، و القوم<sup>٤</sup> بنو حنيفة و غيرهم من أهل ١٠

الردة الذين كان الدعاء لهم أول خلافة الصديق رضى الله عنه<sup>٥</sup> ، و أما قول

من قال : إنهم ثقيف ، فضعيف ، لان الدعاء لم يكن إليهم ، إنما كان المقصود

بالذات فتح مكة ، و كان أمر هوازن و ثقيف و غيرهما تبعا له فى غزوته<sup>٦</sup> ،

لم يكن بينهم شئ ، و أيضا فان ثقيف لما عسر أمرهم تركهم النبي صلى الله

عليه و سلم حتى أسلموا بعد ذلك ، و ترك أيضا فلان هوازن فلم يتبعهم ١٥

و لم يؤمر باتباعهم ، فظاهر الآية أنه إذا انتشب القتال لم يترك إلا أن

حصل الإسلام ، و القول بأنهم فارس و الروم ضعيف أيضا ، فان كلا منهم<sup>٧</sup>

(١) وقع فى الأصل : قبل « تقاتلونهم » و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ

و مد ، و فى الأصل : قلل (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من ظ و مد

و فى الأصل : غزته (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم .

تقبل منه الجزية ، و تأويله بأنه إسلام لغوى لا داع له مع إمكان الحقيقة ،  
 وقد كان ما أشار إليه التقسيم فانهم لما دعوا [ إليهم انقسموا - ١ ] إلى  
 مجيب و هم الأكثر ، و قد آتاهم الله الاجر الحسن في الدنيا بالغنمة  
 و الذكر الجليل و هو المرجو في الآخرة ، ٢ و مرتد و هم قليل ٣ و قد  
 ٥ اذاقهم الله العذاب الاليم في الدنيا بالقتل على أقبح حال ، و هو يذيقهم في  
 الآخرة أعظم النكال ، و أما قتال غير العرب فأطاع فيه الكل و لم يحصل  
 فيه ما أشير إليه من التقسيم ، فتحقق بهذا أنهم أهل الردة - و الله  
 الموفق ، و لذلك سبب عن دعوة الحق قوله مرددا القول في حالهم مبها  
 له إشارة إلى أنهم عند الدعاء ينقسمون إلى مقبل و متول : ( فان تطيعوا )  
 ١٠ أى توقعوا الطاعة للداعى إلى ذلك ، و هو أبو بكر رضى الله عنه  
 ( يؤتكم الله ) أى الذى له الإحاطة ٤ و القدرة على الإعطاء و المنع ،  
 لا راد لأمره ٥ ( اجرا حسنا ) دنيا و أخرى ، جعل الله طاعة أبى بكر  
 رضى الله عنه في هذا الأمر بالخصوص كطاعة رسول الله صلى الله  
 عليه و سلم الذى طاعته طاعة الله ، جزاء له على خصوصه في مزيد تسليبه  
 ١٥ لما فعله النبي صلى الله عليه و سلم من الصلح و ثباته بما أجاب به عمر  
 رضى الله عنهما بمثل جواب النبي صلى الله عليه و سلم من غير أن يكون  
 حاضرا له كما هو معلوم من السيرة .

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا الى ه في الآخرة ، سائطة من ظ .

(٣) من مد ، و في الأصل : قليلا (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : هذا .

(هـ-هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد .

ولما كانت مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن يقوم مقامه  
لا تكون إلا عن منازعة في الفطرة الأولى ومعالجة لها، عبر بالفعل<sup>١</sup> فقال:  
(و ان تتولوا) عن قبول دعوته عصيانا (كما توليتم) أى عاجلتم  
أنفسكم وكلفتموها التولى بالتخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم  
(من قبل) / أى بعض الأزمان التى تقدمت على هذا الدعاء، 'وذلك فى' ٥ / ٨٥٤  
الحديثية (يعذبكم) أى يخالطكم بعقوبة تزيل العذوبة فى الدنيا أو فى  
الآخرة أو فيهما (عذابا اليما) ٢ لآجل تكرر ذلك منكم.

ولما توعد المتخلفين بتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
م توعدهم فى التقاعد عن هذا الإمام القائم بعده بالحق، 'وكان' أهل  
الاعتذار لا يتيسر لهم ما أريد بهذا الدعاء. وكان الدين مبنيًا على الحنيفية ١٠  
السمحة، استأنف قوله تعالى مسكنًا لما استأثره<sup>٣</sup> الوعيد من روعهم:  
(ليس على الاعمى) أى فى تخلفه عن الدعاء إلى الخروج مع النبي  
صلى الله عليه وسلم أو مع غيره من أئمة الدعاء (خرج) أى ميل  
بثقل الإثم لآجل أن عماء موهن لسعيه وجميع بطشه، ولآجل تأكيد  
المعنى تسكينًا لما ثار من روع المؤمن كرر النافي والخرج فى كل جملة ١٥  
مستقلة تأكيدًا لهذا الأمر فقال: (ولا على الاعرج) وإن كان

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: بالفعل (٢-٢) من ظ ومد، وفى  
الأصل: فلكم كان فى امر (٣) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ  
ومد لحذفها (٤-٤) من ظ ومد، وفى الأصل: فكان (٥) من مد،  
وفى الأصل و ظ: استأثره.

نقصه ادنى من نقص العمى ( حرج ) و جعل كل جملة مستقلة تأكيداً لهذا الحكم .

ولما ذكر هذين الاثرين الخاصين المزيد سررهما في العاقبة عن كمال الجهاد ، عم بقوله : ( ولا على المريض ) أى بأى مرض ( حرج ) فلم يخرج أهل هذه الأعذار الذين لم يمنعمهم إلا إغذارهم عن أهل الحديبية ، و أطلق الحرج المنفى ليقبل التقدير بالتخلف و لا حاجة لأن حضورهم لا يخلو عن نفع في الجهاد ، و ذكر هكذا دون أسلوب الاستثناء إيداناً بأنهم لم يدخلوا في الوعيد أصلاً حتى يخرجوا منه .

ولما بشر المطيعين لتلك الدعوة و توعدهم القاعدين عنها و عذر المعذورين . وكانت إجابة المعذورين جائزة ، بل أرفع من قعودهم ، و لذلك لم ينف إيجابتهم إنما نفى الحرج ، قال معما عاطفاً على ما تقديره : فن تخلف منهم فتخلفه مباح له : ( ومن يطع الله ) أى المحيط بجميع صفات الكمال المفيض من آثار صفاته على من يشاء ولو كان ضعيفاً ، المانع منها من يشاء و إن كان قوياً ( ورسوله ) من المعذورين و غيرهم فيما ندبوا إليه ١٥ من أى طاعة كانت إجابته ( يدخله ) أى الله الملك الأعظم [ جزاء له - ٢ ] ( جنت تجري ) و نبه على قر - منال الماء بثبات الجار في قوله : ( من تحتها الأنهرج ) أى فى أى موضع أردت أجريت نهراً ( ومن يتول ) أى كائناً من كان من المخاطبين الآن و غيرهم ، عن

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذا (٢) فى مد : توعده (٣) زيد من ظ و مذ .

(٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : ما .

طاعة من الطاعات التي أمرا بها من أى طاعة كانت ( يعذبه ) أى  
على توليه فى الدارين أو إحداهما ( عذابا اليما ) وقراءة أهل المدينة  
و الشام " ندخله و نعذبه " بالنون أظهر فى إرادة العظمة لأجل تعظيم  
النعمة و النعمة .

و لما وعد المطيع وأوعد العاصى ، و كانت النفوس إلى الوعد اشد ه  
اتفانا ، دل عليه بثواب عظيم منه أمر محسوس يعظم جذبه للنفوس  
القاصرة عن النفوذ فى عالم الغيب . فقال مؤكدا لأن أعظم المراد به  
المذبذبون ، مفتحا بقدر لأن السياق موجب للتوقع لما جرى من السنة  
الإلهية أنها إذا شوقت إلى شئ . دلت عليه بمشهود يقرب الغائب الموعود :

( لقد رضى الله ) أى الذى له الجلال و الجلال ( عن المؤمنين ) أى ١٠

الراحمين / فى الإيمان ، أى فعل معهم فعل الراضى بما جعل لهم من الفتح ٨٥٥ /  
و ما قدر له من الثواب ، و أفهم ذلك أنه لم يرض عن الكافرين فغفلهم  
فى الدنيا مع ما أعد لهم فى الآخرة ، فالآيات تقرير لما ذكر من جزاء  
الفريقين بأمور مشاهدة .

و لما ذكر الرضى ، ذكر رفته للدلالة على سببه فقال : ( اذ ) ١٥

أى حين ، و صور حالهم إعلاما بأنها سارة معجبة شديدة الرسوخ فى  
الرضا فقال : ( يا يابونك ) فى عمرة الحديبية لما صد المشركون عن  
الوصول إلى البيت ، فبعث عثمان رضى الله عنه إليهم لينبئهم بأنك لم تجئ

( ١ ) من ظ و مد ، وفى الأصل : امر ( ٢ ) من ظ و مد ، وفى الأصل :

اعظم ( ٣ ) من ظ و مد ، وفى الأصل : القعود .

لقتال و إنما جئت للعمرة. فملكك أنهم قتلوه فهدبت إلى البيعة لما جرتهم  
فيايئك كل من كان معك على أن لا يفرؤا لتناجز بهم القوم؛ و زاد  
الامر يانا و قيده تفضيلا لأهل البيعة بقوله: ﴿تحت الشجرة﴾ و اللام  
للعهد الذهبي، و كانت شجرة في الموضع الذي كان النبي صلى الله عليه  
و سلم نازلا به في الحديبية، و لأجل هذا الرضى سميت بعة الرضوان.  
و روى البغوى<sup>١</sup> من طريق الثعلبي عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله  
عليه و سلم قال: لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة.

و لما دل على إخلاصهم بما وصفهم، سبب عنه قوله: ﴿فعلم﴾  
أى لما له من الإحاطة ﴿ما في قلوبهم﴾ أى من مطابقته لما قالوا  
١٠. بألسنتهم فى البيعة، و أن ما حصل لبعضهم من الاضطراب فى قبول الصلح  
و الكآبة منه إنما هو لمحبة الله و رسوله صلى الله عليه و سلم و إثارة ما  
يريد من إعلاء دينه و إظهاره لا عن شك فى الدين، و سبب عن هذا  
العلم رغباً [ فى - ٢ ] مثل هذا المحدث عنهم قوله: ﴿فأنزل السكينة﴾  
أى بثبات القلوب و طمانينتها فى كل حالة رضى الله و رسوله، و دل  
١٥ على عظمها بحيث أنها تغلب الخوف و إن عظم بقوله: ﴿عليهم﴾  
فأثر ذلك أنهم لم يخافوا عاقبة القتال لما نذبوا إليه و إن كانوا فى كثرة  
الكفار كالشجرة البيضاء فى جنب الثور الأسود، لا أثر الصلح بما يترامى  
فيه من الضعف و غيره<sup>٢</sup> من مخايل النقص فى قلوبهم فى ذلك المقام الدحض  
(١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١٦٤/٦ (٢) زيد من ظ و مد (م) ريدت  
الواو فى الأصل و لم تكن و ظ و مد محذوفاه.

و الوطن الضنك إلا ريثما<sup>١</sup> رأوا صدق عزيمة الرسول صلى الله عليه وسلم  
ومضى أمره في ذلك بما يفعل ويقول .

ولما ذكر منه سبحانه وتعالى عليهم بما هو الأصل الذي لا ينفى<sup>٢</sup>  
إلا عليه، أتبعه آثاره فقال : ( واثابهم ) أى أعطاهم جزاء لهم على ما  
وهبهم من الطاعة والسكينة فيها جزاء، مقبلاً عليهم، يملأ مواضع ه  
احتياجهم، هو أهل<sup>٣</sup> لأن يقصده لإنسان و يتردد في طلبه لما له من  
الإقبال و المكنة و الشمول ( فتحا ) بما أوقع سبحانه من الصلح  
المرتب- على تعجيز قريش عن القتال ( قريباً ) بترك القتال الموجب  
بعد راحتهم وقوتهم وجومهم<sup>٤</sup> لاختلاط بعض الناس ببعض فيدخل  
في الدين من كان مابعداً له لما يرى من محاسنه، فيسكون الفتح الأعظم ١٠  
فتح مكة المشرفة الذى هو سبب لفتح جميع البلاد .

ولما ذكر الفتح ذكر بعض ثمرته فقال : ( ومغانم ) فبه بصيغة  
منتهى المجموع إلى أنها عظيمة، ثم صرح بذلك في قوله : ( كثيرة )  
ولما كان / الشئ ربما أطلق على ما هو بالقوة دون الفعل، أزال ذلك  
٨٥٦ /

بقوله تعالى ( ياخذونها )<sup>٥</sup> وهى خير . ولما كان ذلك مستبعداً لكثرة ١٥  
الكفار وقلة المؤمنين، بين سببه فقال عاطفاً على ما تقديره : بعزة الله  
وحكمته : ( وكان الله ) أى الذى لا كفوه له ( عزباً ) أى يغلب  
ولا يقبل ( حكماً ) يتقن ما يريد فلا ينقض .

(١) من ظ ومد، وفي الأصل : ابتا (٢) من مد، وفي الأصل وظ : ينفى .  
(٣) من مد، وفي الأصل وظ : اصل (٤) من مد، وفي الأصل وظ :  
جومهم .

ولما قرب ذلك و تأكد و تحرر و تقرر ، اقبل سبحانه و تعالى عليهم بالخطاب تأكيداً لمسامعهم فقال مزبلاً لكل احتمال يتردد في خواطر المخلفين : ﴿ وعدكم الله ﴾ أى الملك الاعظم ﴿ مغاثم ﴾ و حقق معناها بقوله : ﴿ كثيرة تاخذونها ﴾ أى فيما يأتى من بلدان شتى لا تدخل تحت حصر ، ثم سبب عن هذا الوعد قوله : ﴿ فمجل لكم ﴾ أى منها ﴿ هذه ﴾ أى القضية التى أوقعها بينكم و بين قريش من وضع الحرب عشر سنين ، و من أنكم تأتون في العام المقبل في مثل هذا الشهر معتبرين فانها سبب ذلك كله ، عزاه أبو حيان لابن عباس رضى الله عنهما و هو في غاية الظهور ، و يمكن أن يكون المعنى : التى فتحها عليكم من خير من سبيها و أموالها المقولات و غيرها ﴿ وكف ايدى الناس ﴾ أى من أهل خير و حلفائهم أسد و غطفان أن يعينوا أهل خير أو يغيروا على عيالاتكم بعد ما هموا بذلك بعد ما كف ايدى قريش و من دخل في عهدهم بالصاح ﴿ عنكم ﴾ على ما أتم فيه من القلة و الضعف .

ولما كان التقدير : رحمة لكم على طاعتكم لله و رسوله و جزاء لتفوى ١٥ أيديكم ، و تروا أسباب الفتح القرية بما يدخل من الناس في دينكم عند المحاطبة بسبب الإيمان ، عطف عليه قوله : ﴿ ولتكون ﴾ أى هذه

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : المكلفين (٢) زيد في الأصل : و انتم ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٣) راجع البحر المحيط ٩٧/٨ .  
(٤) من ظ و مد ، و في الأصل : لان ابن (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : عيالك .



الاسباب من الفتح والإسلام ( آية ) أى علامة هى فى غاية الوضوح  
 ( للؤمنين ) أى منكم على دخول المسجد الحرام<sup>١</sup> آمنين فى العمرة<sup>٢</sup> ثم  
 فى الفتح ومنكم ومن غيركم من الراغبين فى الإيمان إلى يوم القيامة على  
 جميع ما يخبر الله به على ما وقع التدريب عليه فى هذا التدبير الذى  
 دبره لكم من أنه لطيف يوصل إلى الاشياء العظيمة بأضداد أسبابها فيها هـ  
 يرى الناس فلا يرتاع مؤمن لكثرة المخالفين وقوة المنابذين أبداً، فان  
 سبب كون الله مع العبد هو الاتباع بالإحسان الذى عماده الرسوخ فى  
 الإيمان الذى علق الحكم به، فحيث ما وجد عليه وجد المعلق وهو  
 النصر بأسباب جليلة أو خفية ( ويهديكم ) فى نحو هذا الامر الذى  
 دهمكم فأزججكم بالثبات عند سماع الموعد والوعيد والثقة بمضمونه لانه ١٠  
 قادر حكيم، فهو لا يختار الميعاد بأن يهديكم ( صراطا مستقيما ) أى  
 طريقا واسعا واضحا موصلا إلى الكرامة من غير شك، وهذا من  
 أعلام النبوة فانه لم يرغ أحد<sup>٣</sup> من المخاطبين بهذه الآية وهم أهل  
 الحديث [ وكأنه - ]<sup>٤</sup> والله أعلم لذلك لم يقل : ويهديهم<sup>٥</sup> - بالغيب على  
 ما اقتضاه السياق ثلاثين غيرهم ممن يظهر صدقه فى الإيمان ثم يزيع، ١٥  
 ولذا أكثر تفاصيل هذه السورة من أعلام النبوة، فانه وقع الإخبار  
 به قبل وقوعه . ولما سرهم سبحانه بما بشرهم به من كون القضية فتحا

---

(١) زيد فى ظ : إن شاء الله (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : العجزة .  
 (٣-٣) من ظ و مد، وفى الأصل : يرع احدكم (٤) زيد من ظ و مد .  
 (٥) من مد، وفى الأصل و ظ : يهديكم .

و من غنائم خير، أتبع ذلك البشارة دالا على انها لامطعم لهم في حوزة و لاعلاجه / لولا ' معرفته فقال : ﴿ و اخرى ﴾ أى و وعدم مغائم كثيرة غير هذه و هى - و الله أعلم - مغائم هوازن التى لم يحصل قبلها ما يقاربها . و لما كان فى علمه سبحانه و تعالى أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم مقرون فيها إلا من لا يمكنه فى العادة أن يهزمهم ليحرى الغنائم، فكان ما فى علمه تعالى لتحقيقه كالذى وقع و انقضى، قال تعالى : ﴿ لم تقدروا ﴾ أى بما علمتم من قراركم ﴿ عليها ﴾ و لما توقع [السامع -] بعد علمه بعجزهم عنها الإخبار عن السبب الموصل إلى أخذها بما تقرر عند من صدق الوعد بها، قال مفتحا بحرف التوقع : ﴿ قد احاط الله ﴾ ١٠ أى المحيط بكل شيء علما و قدرة ﴿ بها ﴾ فكانت بمنزلة ما أدير عليه سور مانع من أن يغلب منها شيء عن حوزتكم أو يقدر غيركم أن يأخذ منها شيئا، ' و لذلك ' [ و - ] للتعظيم ختم الآية بقوله : ﴿ و كان الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال أزلا و أبدا ﴿ على كل شيء ﴾ منها و من غيرها ﴿ قديرا ﴾ بالعلم القدرة لأنه بكل شيء عليم .

١٥ و لما قدم سبحانه أنه كف أيدي الناس عنكم أجمعين، ذكر حكمهم لو وقع قتال، فقال مقررا لقدرة عاطفا على نحو : ولو أراد لمكنكم من الاعتبار، مؤكدا لاجل استبعاد من يستبعد ذلك من الأعراب و غيرهم :

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : لو (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : عليها (٤-٤) سقط ما بين الرقين من مد (هـ) من ظ و مد، و فى الأصل : اوصاف (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : سكنكم - كذا .

(ولو قاتلكم) أى فى هذا الوجه (الذين كفروا) أى أوقعوا هذا الوصف من الناس عموما الراسخ فيه ومن دونه، وهم أهل مكة ومن لافهم، وكانوا قد اجتمعوا وجمعوا الاحايش<sup>١</sup> ومن أطاعهم وقدموا<sup>٢</sup> خالد بن الوليد طليعة لهم إلى كراع الغميم، ولم يكن أسلم بعد (لولوا) أى بغاية جهدهم (الادبار) منهزمين .

ولما كان عدم نصرهم بعد التولية مستبعدا أيضا لما لهم من كثرة الامداد وقوة الحمية، قال معبرا بأداة البعد : (ثم) أى بعد طول الزمان وكثرة الاعوان (لا يجدون) فى وقت من الاوقات (وليا) أى يفعل معهم فعل القريب من الحياطة والشفقة والحراسة من عظيم ما يحصل من رعب تلك التولية (ولا نصيراه) .

ولما كانت هذه عادة جارية قديمة مع أولياء الله تعالى حيثما كانوا من الرسل وأتباعهم، وأن جندنا لهم الغالبون، قال تعالى : (سنة الله) أى سن المحيط بهذا الخلق فى هذا الزمان وما بعده كما كان محيطا بالخلق فى قديم الدهر، ولذلك<sup>٣</sup> قال : (التي قد خلت) أى سنة مؤكدة لاتغير، وأكد الجار لأجل [أن -] القتال ما وقع فى الزمان الماضى ١٥ إلا بعد نزول التوراة فقال : (من قبل ملء) وأما قبل ذلك فانما كان يحصل الهلاك بأمر من عند الله بغير<sup>٤</sup> أيدي المؤمنين (ولن نجد) أيها

(١) من مد، وفى الأصل وظ : الاجانيس (٢) من مد، وفى الأصل : قد . وفى ظ : قدم (٣) فى ظ : ذلك (٤) زيد من مد (٥) من مد، وفى الأصل : من ، وفى ظ : من غير (٦) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الريادة فى ظ و مد لحذفتاها .

السامع ﴿لسنة الله﴾ الذى لا يخلف قولاً لانه محيوط بجميع صفات الكمال ﴿تبديلاً﴾ أى تغيراً من مغير ما، يغيرها بما يكون بدلهاً.

ولما تقرر أن الكفار مغلوبون وإن قالوا، وكان ذلك من خوارق العادات مع كثرتهم دائماً وقلة المؤمنين حتى يأتي أمر الله ه موقفاً للعلم القطعى بأنه ما دبره إلا الواحد القهار القادر المختار، عطف عليه عجا آخر وهو عدم تغير / أهل مكة فى هذه العمرة للقتال بعد تعاضدهم وتعاقدهم عليه مع ما لهم من قوة العزائم وشدة الشكايم، فقال عاطفاً على ما تقديره: هو الذى سن هذه السنة العامة: ﴿وهو الذى كف﴾ أى وحده من غير معين له على ذلك، ﴿أيديهم﴾ أى الذين كفروا ١٠ من أهل مكة وغيرهم، فإن الكل شرع واحد ﴿عكم وأيديكم﴾ أيها المؤمنون ﴿عنهم﴾.

ولما كان الكفار لو بسطوا أيديهم مع ما حتمه الله وسنه من تولية الكفار دخلوا مكة قال: ﴿بيطن مكة﴾ أى كائناً كل منكم ومنهم فى داخل مكة هم حالا وأنتم مآلاً، وعن القفال أنه قال: يجوز أن يراد به الحديدية لأنها من الحرم - انتهى - و عبر باليم دون الباء كما فى آل عمران إشارة إلى أنه فعل هنا ما اقتضاه مدلول هذا الاسم من الجمع والنقض والتقية، فسبب لهم أسباب الاجتماع والتقية من الذنوب -

(١) من مد، وفى الأصل و ظ: قوله (٢) من مد، وفى الأصل و ظ: تقديرها (٣) فى مد: عطفاً (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٥) من مد وفى الأصل و ظ: ختم.

بما أشارت<sup>١</sup> إليه آية المرة<sup>٢</sup> حالا و آيات الفتح مآلا ، و وفى بما<sup>٣</sup> يدل عليه اسمها من الأمل<sup>٤</sup> على خلاف القياس .

و لما كان هذا ليس مستغرقا لجميع الزمان الآتى ، بل لابد أن يبسط أيدى المؤمنين بها يوم الفتح ، أدخل الجار فقال تعالى : ( من بعد ان اظفركم ) أى أوجد فوزكم بكل ما طلبتم منهم و جعل لكم الطول و العز ( عليهم<sup>٥</sup> ) ه و ذلك فيما رواه أصحاب السير<sup>٦</sup> قالوا : و دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم خراش بن أمية الخزاعى رضى الله عنه فبعثه إلى قريش بمكة و حمله على بعير له فقال له انتغلب : ليلغ أشرافهم عنه ما جاء له<sup>٧</sup> فمفقروا<sup>٨</sup> جل رسول الله صلى الله عليه و سلم و أرادوا قتله ، فنهه الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسوله الله صلى الله عليه و سلم ، و بعثت قريش أربعين ١٠ رجلا منهم أو خمسين و أمروهم أن يطوفوا<sup>٩</sup> بعسكر رسول الله صلى الله عليه و سلم ليصيروا لهم من أصحابه أحدا<sup>١٠</sup> فأخذوا أخذاء فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فعفا عنهم و خلى سبيلهم ، و قد كانوا رموا فى عسكره بالحجارة و النبل ، ثم ذكروا إرساله صلى الله عليه و سلم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : أشار (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : البقرة (٣) فى مد : ٤ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الهلاك (ه) فى ظ : السن . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : به (٧) زيد فى الأصل : به ، و فى مد : آية ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) من مد ، و فى الأصل : يطبقوا ، و فى ظ : يطبقوا (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : واحدا .

لعثمان رضى الله عنه إلى مكة ثم إرسال قريش لسهيل بن عمرو في الصلح ،  
 وروى مسلم في صحيحه<sup>١</sup> عن سلة بن الأكوع رضى الله عنه قال : لما  
 اصطالحنا و اختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فاضطجعت في أصلها  
 فأتاني<sup>٢</sup> أربعة من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقولون في النبي صلى  
 الله عليه وسلم فأبغضتهم ، فتحولت إلى شجرة أخرى ، وعلقوا سلاحهم  
 و اضطجعوا ، فبيناهم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادى : يا آل  
 المهاجرين<sup>٣</sup> : قتل ابن زعيم ، فاخرطت سيفي ثم شددت<sup>٤</sup> على أولئك  
 الأربعة<sup>٥</sup> وهم رقاد<sup>٦</sup> فأخذت سلاحهم ، فجعلته ضغثا في يدي ، ثم قلت :  
 والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا يرفع أحد منكم رأسه إلا  
 ١٠ [ ضربت - <sup>٨</sup> ] الذى فيه<sup>٩</sup> عينا<sup>٩</sup> ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم و جاء عمى عامر رضى الله عنه برجل من العبلات  
 يقال له مكرز / يقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس  
 مجفف في سبعين من المشركين . فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فقال : دعوهم يكن<sup>١١</sup> لهم بدؤ الفجور و ثناء ، فعفا عنهم فأزل الله تعالى

/ ٨٥٩

(١) راجع ٢ / ١١٣ (٢) من ظ و مد و صحيح مسلم ، وفي الأصل : فأتى .  
 (٣) من ظ و مد و صحيح مسلم ، وفي الأصل : يقولون (٤) في صحيح :  
 يا المهاجرين (٥) و زيد قبله في الأصل و ظ : قد ، و لم تكن الزيادة في مد  
 و صحيح مسلم لحذفها (٦) زيد في الأصل : عليهم أى ، و لم تكن الزيادة في ظ  
 و مد و صحيح مسلم لحذفها (٧-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ (٨) زيد من مد  
 و صحيح مسلم (٩) من مد و صحيح مسلم ، وفي الأصل و ظ : فيها (١٠) من مد  
 و صحيح مسلم ، وفي الأصل و ظ : يكون .

"و هو الذى كف ايديهم عنكم و ايديكم عنهم" الآية - انتهى . و روى مسلم<sup>١</sup> و النسائي عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم من قبل التعميم متسلحين ، يريدون غرة النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله عنهم ، و فى رواية النسائي : قالوا : نأخذ محمدا - صلى الله عليه و سلم - و أصحابه ، فأخذهم<sup>٥</sup> النبي صلى الله عليه و سلم سلما<sup>٦</sup> فاستحيام فأزل الله عزوجل " و هو الذى كف ايديهم عنكم " الآية .

و لما كان هذا و نحوه من عنف أهل مكة و غلظتهم و صلابتهم و شدتهم و رفق النبي صلى الله عليه و سلم و لينه لهم مما أحزن أغلب الصحابة رضى الله تعالى عنهم قال تعالى يسليهم : ( و كان الله ) أى ١٠ المحيط بالجلال و الإكرام ( بما يعملون ) أى الكفار - على قراءة أبى عمرو بالغيب<sup>٢</sup> ، و أتم - على قراءة الباقيين<sup>٣</sup> بالخطاب فى ذلك الوقت و فيما بعده كما كان قبله ( بصيرا<sup>٤</sup> ) أى محيط العلم يواطر ذاك كما هو محيط بظواهره<sup>٥</sup> فهو يحمره فى هذه الدار التى<sup>٦</sup> ربط فيها المسييات بأسبابها على أوثق الأسباب فى نصركم و غلبكم لهم و قهركم ، و ستعلمون ١٥ ما دبره من دخولكم مكة المشرفة آمنين لا تخافون فى عمرة القضاء صلحا ثم فى الفتح بمحفل جرار قد نيطت<sup>٧</sup> أظفار المنايا بأسنة رماحه . و عادت<sup>٨</sup>

(١) راجع أبواب الجهاد (٢) سقط من ظ (م) راجع ثمر المرجان ٦/٦٤٢ (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد لخدناها (ه) من ظ و مد ، و فى الأصل : بظواهرهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : سطت (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : غارت .

كَؤُوسَ الْهَامِ طَوْعًا لَبِضَ صَاحِهِ ، فَيُؤْمِنُ أَكْثَرُ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ  
مَنْ هُوَ الْآنَ جَاهِدَ عَلَيْكُمْ ، وَبَصِيرُونَ أَحَبَّ النَّاسِ فِيكُمْ يَقْدَهُونَ أَنْفُسَهُمْ  
فِي جِهَادِ الْكُفَّارِ دُونَكُمْ ، فَيَفْتَحُ اللَّهُ بِكُمْ الْبِلَادَ ، وَيُظْهِرُكُمْ<sup>١</sup> - وَهُوَ أَعْظَمُ  
الْمُحَامِلِينَ عَنْكُمْ - عَلَى سَائِرِ الْعِبَادِ .

٥ ولما كان ما مضى من وصمهم على وجه يشمل غيرهم من جميع  
الكفار، عينهم مينا لسبب كفهم عنهم مع استحقاقهم في ذلك الوقت  
للإبوار والتكال والدمار فقال: ﴿ هُمْ ﴾ أى أهل مكة و [ من -<sup>٢</sup> ]  
لأفهم ﴿ الذين كفروا ﴾ أى أوغلوا في هذا الوصف بجميع بواطنهم  
و تمام ظواهرهم ﴿ و صدوكم ﴾ زيادة على كفرهم في عمرة الحديبية هذه  
١٠ ﴿ عن المسجد الحرام ﴾ أى مكة ، و نفس المسجد الحرام ، و الكعبة ،  
للاخلال بما أتم فيه من شعار الإحرام [ بالعمرة -<sup>٣</sup> ] ﴿ و الهدى ﴾  
أى و صدوا ما أهديتموه إلى مكة المشرقة لتذبجوه بها و تفرقوه على  
الفقراء، و منه أربعون ، و في رواية: سبعون بدنة، كان أهداها النبي صلى الله  
عليه و سلم ﴿ معكروفا ﴾ أى حال كونه مجموعا محبوسا مع رعيكم له  
١٥ و إصلاحه<sup>٤</sup> لما أهدى<sup>٥</sup> لأجله ﴿ ان يبلغ محله<sup>٦</sup> ﴾ أى الموضع الذى هو  
أولى المواضع لتحره ، و هو الذى إذا أطلق انصرف الذهن إليه ، و هو  
في العمرة المروءة ، و يحوز الذبح في الحج و العمرة في أى موضع كان  
من الحرم ، فالموضع الذى محر فيه النبي صلى الله عليه و سلم في هذه  
(١) في مد : يظهرهم (٢) زيد من مد (٣-٣) من ظ و مد ، و في الأصل ،  
ما أهديتهم .



المرّة عند الإحصار ليس محله المطلق .

و لما كان التقدير : فلو لا ما أشار إليه من ربط المصيات بأسبابها  
 لسلطكم عليهم فقلبتهم / على المسجد و أتممت عمرتكم على ما أردتم ، ثم  
 ٨٦٠ / عطف [ عليه - ١ ] أمرا أخص منه فقال : ﴿ و لو لا رجال ﴾ أى مقيمون  
 بين أظهر الكفار بمكة ﴿ مؤمنون ﴾ أى [ عريقون فى الإيمان فكانوا ه  
 لذلك أهلا للوصف بالرجولية ﴿ و نساء مؤمنات ﴾ أى - ٢ ] كذلك ،  
 - حبس الكل عن الهجرة العذر لأن الكفار لكثرتهم استضعفهم فحرم  
 الهجرة ، على أن ذلك شامل لمن جيله الله على الخير و علم منه الإيمان  
 و إن كان فى ذلك الوقت مشركا ﴿ لم تعلموهم ﴾ أى لم يحيط علمكم بهم  
 من جميع الوجوه لتمييزهم بأعيانهم عن المشركين لأنهم ليس لهم قوة ١٠  
 التمييز منهم بأنفسهم و أنتم لا تعرفون أما كنهم لتعلموهم بما هم له أهل  
 و لاسيما فى حال الحرب و الطعن و الضرب ، ثم أبدل من " الرجال  
 و النساء " قوله : ﴿ ان تضوم ﴾ أى تؤذوهم بالقتل ٣ أو ما يقاربه من  
 الجراح و الضرب و النهب و نحوه من الوطء الذى هو الإيقاع بالحرب  
 منه قوله صلى الله عليه و سلم " آخر وطأة وطنها الله بوج " يكون ١٥  
 ذلك الأذى منكم لهم على [ ظن - ١ ] أنهم مشركون أذى الدائس لمُدوس

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : خص (م) زيد مرظ و مد .

(٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : لذلك (ه) ليس فى مد (٦ - ٦) من ظ

و مد . وفى الأصل : لأن (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : اى .

و تضغطوهم<sup>١</sup> و تأخذوهم أخذاً شديداً بقهر و غلبة تصيرون به لا تردون<sup>٢</sup>  
يد لامس ولا تقدرن على مدافعة (قصيكم) أى فيسبب عن هذا  
الوطى أن يصيكم (منهم) أى من جهتهم و بسيدهم (مرة) أى  
مكرهه و أذى هو كالجرب فى انتشاره و أذاه، و لائم و خيانة بقتال  
ه دون إذن خاص، و بعدم الإيمان فى البحث، و غرم و كفارة و دية  
و تأسف و تعيير عن لاعلم له، ثم علق بالوطى المسبب عنه إصابة  
المرة إتماماً للمعنى قوله: (بغير علم ه) أى بأنهم<sup>٣</sup> من المؤمنين .

و لما دل السياق على أن جواب "لولا" محذوف تقديره: لسلطكم  
عليهم و ما كفى أيديكم عنهم، ولكنه علم ذلك، و علم أنه سيؤمن  
١٠ ناس من المشركين فمن عليكم بأن رفع حرج إصابتهم بغير علم عنكم،  
و سبب لكم أسباب الفتح الذى كان يتوقع بسبب تسلطكم<sup>٤</sup> عليهم بأمر  
سهل، و كفى أيديكم و لم يسلطكم عليهم (ليدخل الله) أى الذى له  
جميع صفات الكمال (فى رحمته) أى إكرامه و إنعامه (من يشاء ج)  
من المشركين بأن يعطفهم إلى الإسلام، و من المؤمنين بأن يستنقذهم منهم  
١٥ على أرفق وجه . و لما كان ذلك، أتبع قوله تعالى: (لوتزيلوا) أى  
تفرقوا فزال أحد الفريقين عن الآخر زوالاً<sup>٥</sup> نظيماً بحيث لا يختلط صنف

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تضغطوهم (٢) من مد، و فى الأصل  
و ظ: لا ترد (٣) من مد، و فى الأصل: بإيمانهم (٤) من مد، و فى الأصل  
و ظ: او (ه) من مد، و فى الأصل و ظ: تسلطكم (٦) زيد فى الأصل:  
كذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) فى مد: زولا .

بغيره فيؤمن و طي\* المؤمنين له بغير علم ﴿ لهذبنا ﴾ أى بأيديكم بتسليطنا  
أو بمجرد أيدنا من غير واسطة ﴿ الذين كفروا ﴾ أى أوقعوا  
ستر الإيمان .

و لما كان هذا عاما لجميع من اتصف بالكفر من أهل الارض ،  
صرح بما دل عليه السياق فقال : ﴿ منهم ﴾ أى الفريقين وهم الصادون ه  
﴿ عذابا الياء ﴾ أى شديد الإجماع بأيديكم أو من عندنا لتوصلكم إلى  
قصدكم من الاعتار و الظهور على الكفار ، ففيه اعتذار و تدريب على  
تأدب بعضهم مع بعض ، و فى الإشارة إلى بيان سر من أسرار منع الله  
تعالى لهم من التسليط<sup>٢</sup> / عليهم حث للبعد<sup>٣</sup> على أن لا يتهم<sup>٤</sup> الله فى قضائه  
فربما عسر عليه أمرا يظهر له أن السعادة كانت فيه و فى باطنه سم ١٠  
قاتل ، فيكون منع الله له منه رحمة فى الباطن و إن كان تقمة فى الظاهر ،  
فالزم التسليم مع الاجتهاد فى الخير و الحرص عليه و الندم على\* فواته  
و إياك\* و الاعتراض<sup>٥</sup> ، و فى الآية أيضا [أن -<sup>٦</sup>] الله تعالى قد يدفع عن  
الكافر لأجل المؤمن .

و لما بين شرط استحقاقهم للذاب ، بين وقته ، و فيه بيان لعلته ، ١٥  
فقال : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ جعل الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما ترى من  
الحق فى رأى عقولهم ﴿ فى قلوبهم ﴾ أى قلوب أنفسهم ﴿ الحمية ﴾ أى  
(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعتداد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ ؛  
انسائط (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاتبعد (٤) من مد ، و فى الأصل  
و ظ : لا يأتهم (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٦ - ٦) من ظ و مد ،  
و فى الأصل : فى الاعراض (٧) زيد من مد .

المنع الشديد والأبقة والإبائه الذى هو فى شدة حره ونفوذه فى أشد  
الاجسام كالهم والنار . ولما كان مثل هذه الحمية قد تكون موجبة  
للرحمة بأن تكون لله ، قال مبينا معظما لجرمها : ( حمية الجاهلية ) التى  
مدارها مطلق المنع أى سواء كان بحق أو باطل ، فتمنع من الإذعان  
للحق ، و مبناها التثني<sup>٢</sup> على مقتضى الغضب لغير الله فتوجب<sup>٣</sup> تخطى حدود  
الشرع ، ولذلك<sup>٤</sup> أنفوا من دخول المسلمين مكة المشرقة لزيارة البيت  
[ العتيق - ° ] الذى الناس فيه سواء ، ومن الإقرار بالبسمة ، فأتجت  
لهم هذه الحمية أن تكبروا عن كلمة التقوى وطاشوا وخفوا إلى الشرك  
الذى هو أبطل الباطل .

١٠ ولما كانت هذه الحمية مع الكثرة موجبة ولا بد ذل من تصوب  
إليه ولا سيما إن كان قليلا ، بين دلالة على أن الأمر تابع لمشيئته لا لجارى  
العادة أنه تأثر عنها ضد ما تقتضيه عادة ، فقال مسييا عن هذه الحمية :  
( فازل الله ) أى الذى لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء بسبب<sup>٥</sup> حميةهم  
( سكيته ) أى الشيء اللائق إضافته إليه سبحانه من الفهم عن الله  
١٥ و<sup>٦</sup> الروح الموجب لسكون القلب المؤثر للأقدام على العدو والنصر عليه ،  
إنزالا كأننا ( على رسوله ) صلى الله عليه وسلم<sup>٧</sup> الذى عظمت من عظمته ،

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : الجم (٢) من مد ، وفى الأصل وظ :  
الشتى (٣) زيد فى الأصل : ذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها .  
(٤-٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : فلذلك (٥) زيد من مد (٦) من مد ، وفى  
الأصل وظ : بسبب (٧) من مد ، وفى الأصل وظ : او (٨) زيد فى الأصل  
و هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها .

فهم عن الله مراده في هذه القضية فجري على أم ما يرضيه (وعلى المؤمنين) رضى الله تعالى عنهم<sup>١</sup> العريقين في الإيمان لأنهم أتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وأنصار دينه فالزمهم قبول أمره الذى [ فهمه عن الله و-<sup>٢</sup> ] خفى عن أكثرهم حتى [ فهمتموه -<sup>٣</sup> ] صلى الله عليه وسلم عند نزول سورة الفتح وحامهم عن همزات الشياطين، ولم يدخلهم ما دخل هـ الكفار من الحمية ليقاتلوا غضبا لأنفسهم فيتعدوا حدود الشرع (و الزمهم) أى المؤمنين إلزام إكرام أو تشريف، لا إلزام إهانة وتعنيف (كلمة التقوى) وهى كل قول أو فعل ناشئ عن التقوى وإعلاء كلمة الإخلاص المتقدم فى سورة القتال وهى لا إله إلا الله التى هى أحق الحق، يقتضى التحقق بمدلولها من أنه لا فاعل إلا الله الثبات على كل ما أخبر به رسول الله ١٠ صلى الله عليه وسلم / من التوحيد والبسلة والرسالة مع تغيير الكتابة بكل منهما لأجل الكفار فى ذلك المقام الدحض الذى لا يكاد يثبت فيه قدم، وأضافها إلى التقوى التى هى اتخاذ سائر بقى حر النار فجعلها وصفا لازما لهم غير منفك عنهم لأنها سببها الحامل عليها، ويجمع الحامل على التقوى اعتقاد الوحدانية وهى لا إله إلا الله<sup>٤</sup> فانها كلمة - ١٥ كما قال الرازى - أولها نفي الشرك وآخرها تعلق بالإلهية، وهذا من أعلام النبوة، فان أهل الحديديّة الذين ألزموا هذه الكلمة ماتوا كلهم

---

(١) زيد فى الأصل : وهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : وحده لا شريك له، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

على الإسلام ﴿ وكانوا ﴾ أى جيلة وطبعا . ولما كان من الكفار من يستحقها فى علم الله فيصير مؤمنا ، عبر بأفعل التفضيل فقال تعالى : ﴿ احق بها ﴾ أى كلمة التقوى من الكفار والاعراب وغيرهم من جميع الخلق ، و لمثل هذا التعميم ' أطلق الامر بمحذوف المفضل عليه ' .  
 هـ ولما كان الأحق بالشئ قد لا يكون أهله من أول الامر قال تعالى :

﴿ واهلها ﴾ أى ولاتها والملازمون لها ملازمة العشير بعشيرته والدائنون لها والآلفون لها . ولما كان الحكم بذلك لا يكون إلا لعالم قال عاطفا على ما تقديره : لما علم الله من صلاح قلوبهم وصفاتها :

﴿ وكان الله ﴾ أى المحيط بالكائنات كلها علما وقدره ﴿ بكل شئ ﴾  
 ١٠ من ذلك وغيره ' ﴿ عليما ﴾ أى محيط العلم ' الدقيق والجلي ' ، والآية

من الاحتباك : ذكر حمية الجاهلية أولا دليلا على ضدها ثانيا ، وكلمة التقوى ثانيا دليلا على ضدها أولا ، وسره أنه ذكر بجمع الشر أولا ترهيبا منه و بجمع الخير ثانيا ترغيبا فيه . ولما أقرر سبحانه وتعالى عليه بالعواقب

لإحاطة عليه و وجه أسباب كفه أيدي الفريقين و بين ما فيه من المصالح

١٥ وما فى التسليط من المفاصد من قتل<sup>٦</sup> من حكم بإيمانه من المشركين وإصابة

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : التميم (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : علته .

(٣ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل :

غير (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : التام (٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل :

تقرر عليه سبحانه وتعالى (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : قبل .

من لا يعلم<sup>١</sup> من المؤمنين - وغير ذلك إلى أن ختم بأحاطة علمه المستلزم لشمول قدرته، أتبج ذلك قوله لمن توقع الإخبار عن الرؤيا التي أفلقهم أمرها وكاد بعضهم أن يزلزله ذكرها على سبيل التأكيد: (لقد).

ولما كان للنظر إلى الرؤيا اعتباران: أحدهما من جهة الواقع وهو غيب<sup>٢</sup> عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين، والآخر من جهة الإخبار<sup>٣</sup> وهو مع الرؤيا شهادة بالنسبة إليه سبحانه وتعالى، عبر بالصدق والحق فقال تعالى: ﴿صدق الله﴾ أى الملك الذى لا كفؤ له المحيط بجميع صفات الكمال ﴿رسوله﴾ صلى الله عليه وسلم الذى هو أعز الخلائق عنده وهو غنى عن الإخبار عما لا يكون أنه يكون، فكيف إذا كان المخبر رسوله ﴿الرؤيا﴾ التى هى من الوحي لأنه سبحانه يرى الواقع ويعلم مطابقتها<sup>٤</sup> فى أنكم تدخلون المسجد الحرام آمنين يحلق بعض ويقصر<sup>٥</sup> آخرون، متلبسا خبره ورؤيا رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿بالحق ج﴾ لأن مضمون الخبر إذا وقع فطبق بين الواقع وبينه، كان الواقع يطابقه لا يخرم<sup>٦</sup> شىء منه<sup>٧</sup> عن شىء منه<sup>٨</sup>، والحاصل أنك إذا نسبتها للواقع طابقته فكان صدقا، وإذا نسبت الواقع إليها طابقها فكانت<sup>٩</sup> حقا.

٨٦٣ /

١٥

(١) من مد، وفى الأصل وظ: علم له (٢) من مد، وفى الأصل وظ: غيبا (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: تقصير (٤ - ٥) من مد، وفى الأصل وظ: منه شىء (٥) زيد فى الأصل: انتهى، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٦) زيد فى الأصل: فى الحقيقة، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها.

و لما أقسم لأجل التأكيد لمن 'كاد يزلزل'، أجابه بقوله مؤكدا  
 ١٤ يفهم القسم أيضا إشارة إلى عظم الزلزال : ( لتدخلن ) أى بعد  
 هذا دخولا [ قد <sup>٢</sup> ] تختم أمره ( المسجد ) أى الذى يطاف فيه  
 بالكعبة<sup>٣</sup> ولا يكون دخوله إلا بدخول الحرم ( الحرام ) أى الذى  
 ٥ أجاره الله من امتهان الجبارة ومنعه من كل ظالم .

و لما كان لايجب عليه سبحانه وتعالى شيء وإن وعد به، أشار  
 إلى ذلك بقوله تأديا لهم أن يقول أحد منهم بعد ذلك : ألم يقل  
 أنا ندخل البيت ونحو ذلك، ولغيرهم<sup>٤</sup> أن يقول : نحن ندخل :  
 ( ان شاء الله ) أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال، حال كونكم ( امنين<sup>٥</sup> )  
 ١٠ لاتخشون [ إلا - <sup>٦</sup> ] الله منقسمين بحسب التحليق والتقصير إلى قسمين  
 ( محلقين ره وسكم ) و لعله أشار بصيغة التفعيل الى أن فاعل الخلق<sup>٧</sup>  
 كثير، وكذا ( ومقصرين<sup>٨</sup> ) غير أن التقديم يفهم أن الاول أكثر .  
 و لما كان الدخول حال الأمن لا يستلزم الأمن بعده قال تعالى :  
 ( لاتخافون<sup>٩</sup> ) أى لا يتجدد لكم خوف بعد ذلك إلى أن تدخلوا  
 ١٥ عليهم عام الفتح قاهرين<sup>١٠</sup> لهم بالنصر<sup>١١</sup> . و لما كان من المعلوم أن سبب  
 هذا الإخبار إحاطة العلم، فكان التقدير : هذا أمر حق يوثق به غاية

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل : كان مزلزلا (٢) زيد من مد (٣-٣) من  
 مد، وفى الأصل و ظ : به بالكعبة (٤) سقط من ظ (٥) من مد، وفى  
 الأصل و ظ : لغيره (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى الأصل و ظ بياض ملأه  
 من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ .



الوثوق لانه إخبار عالم الغيب و الشهادة، صدق سبحانه فيه، وما ردكم  
 عنه هذه الكرة على هذا الوجه إلا لأمور دبرها و شئون أحكمها و قدرها،  
 قال عاطفا على " صدق " مسيا عنه أو معللا : ﴿ فلم ﴾ أى بسبب،  
 أو لانه علم من أسباب الفتح و موانعه و بنائه<sup>٢</sup> على الحكمة ﴿ ما لم تعلموا ﴾  
 أى أيها الأولياء ﴿ فجعل ﴾ أى بسبب إحاطة عليه ﴿ من دون ﴾ ٥  
 أى أدنى رتبة [ من - ' ] ﴿ ذلك ﴾ أى الدخول العظيم فى هذا العام  
 ﴿ فتحا قريبا ﴾ يقويكم به من فتح خير و وضع الحرب بين العرب  
 بهذا الصلح، و اختلاط بعض الناس بسبب<sup>٣</sup> ذلك ببعض، الموجب لإسلام<sup>٤</sup>  
 بشر كثير تقوون بهم، فتكون تلك السكثرة و القوة سبب هية الكفار  
 المانعة لهم من القتال، فتقل القتل رفقا بأهل حرم الله تعالى إكراما لهذا ١٠  
 النبى الكريم صلى الله عليه وسلم عن إغارة قومه و إصابة من عنده<sup>٥</sup> من  
 المسلمين المستضعفين من غير علم .

ولما أخبر بهذه الأمور الجليلة الدقيقة المبينة على إحاطة العلم،  
 عللها سبحانه و بين الصدق فيها بقوله تعالى : ﴿ هو ﴾ أى وحده  
 ﴿ الذى أرسل رسوله<sup>٦</sup> ﴾ أى الذى لا رسول أحق منه بإضافته إليه ١٥

- (١) زيد فى الأصل : الوعد، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٢) من  
 مد، و فى الأصل و ظ : بيانه (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من مد .  
 (٥) زيد فى الأصل : عن، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٦) من ظ  
 و مد، و فى الأصل : بإسلام (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : عندهم .  
 (٨) وقع فى الأصل بعد : « بإضافته إليه » و الترتيب من ظ و مد (٩) من ظ  
 و مد، و فى الأصل : رسولا .

٨٦٤ / هـ أهل مكة [ و - ] العرب عباد الأصنام، الذى يقتضى / إظهاره عليه  
 - صلى الله عليه وسلم ( بالهدى ) الكامل الذى يقتضى أن يستقيم  
 به أكثر الناس، ولو أنه أخبر بشئ يكون فيه أدنى مقال لم يكن  
 الإرسال بالهدى ( و دين الحق ) أى الأمر الثابت الكامل فى الثبات  
 الذى يطابقه الواقع ( ليظهره ) أى دينه ( على الدين كله ) دين  
 أهل مكة [ و - ] العرب عباد الأصنام، الذى يقتضى / إظهاره عليه

دخوله إليها آمناً، وإظهاره على من سوام من أهل الأديان الباطلة بأيدى  
 صحابه الأبرار و التابعين<sup>٢</sup> لهم بإحسان إظهاراً يتكامل بزول عيسى عليه  
 الصلاة و السلام مع الرفق بالخلق و الرحمة لهم، فلا يقتل إلا من  
 لا صلاح له أصلاً، و على قدر الجبروت يحصل القهر، فلاجل ذلك هو  
 ١٠ يدبر أمره بمثل هذه الأمور التى توجب نصره و تعالى قدره مع الرفق  
 بقومه و جميل الصنع لاتباعه، فلا بد أن تروا من فتوح أكثر البلاد  
 و قهر الملوك الشداد ما تعرفون به قدرة الله سبحانه و تعالى .

ولما كان فى سياق إحاطة العلم، و كان التقدير: شهد ربه سبحانه  
 بتصديقه<sup>٩</sup> فى كل ما قاله باظهار المعجزات على يده، بنى عليه قوله تعالى

(١) ليس فى الأصل (٢) من مد، وفى الأصل و ظ: انه (٣) زيدت الواو  
 فى الأصل، ولم تكن فى ظ و مد لحذفناها (٤) زيد فى الأصل: الا، ولم تكن  
 الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفى  
 الأصل: عليهم (٧) زيد فى الأصل و ظ: و اتابى، ولم تكن الزيادة فى مد  
 لحذفناها (٨) من مد، وفى الأصل و ظ: تعالى (٩) من ظ و مد، وفى  
 الأصل: بتصديق .

( و كفى بالله ) أى الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ( شهيدا )  
 أى ذاروقية وخبرة بطلية كل شئ ودخلته لما له<sup>٢</sup> الغنا فى أمره ،  
 ولا شهيد فى الحقيقة إلا هو سبحانه لأنه<sup>٢</sup> لا إحاطة وخبرة ورقبة<sup>٢</sup>  
 إلا له سبحانه ، وهو يشهد بكل ما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم  
 فى هذه الصورة خصوصا وفى غيرها عموما .

و لما ختم سبحانه بإحاطة العلم بالحقايا والظواهر فى الإخبار بالرسالة ،  
 عينها فى قوله جوابا لمن يقول : من الرسول المنوة باسمه : ( محمد رسول الله )  
 أى الملك الذى لا كفوء له ، فهو<sup>٢</sup> الرسول الذى لا رسول يساويه لأنه  
 رسول إلى جميع الخلق عن أدرك زمانه بالفعل فى الدنيا ومن تقدمه  
 بالقوة فيها وبالفعل فى الآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه ، وقد أخذ<sup>١٠</sup>  
 على الأنبياء كلهم الميثاق بأن يؤمنوا به إن أدركوه ، وأخذ ذلك الأنبياء  
 على أنفسهم ، لا يكتب الرحمة التى وسعت كل شئ إلا لمن وقع العلم  
 بالمحيط بأنه يؤمن به : فما عمل عامل عملا صالحا إلا كان له مثل أجره ،  
 تقدم ذلك العامل أو تأخر ، كان من أهل السماء أو من أهل الأرض ،  
 (١) زيد فى الأصل : الجمال والجلال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها .  
 (٢) من مد ، وفى الأصل وظ ؛ فيه ( ٣ - ٣ ) من ظ و مد ، وفى الأصل :  
 الإحاطة وحيره وروته - كذا (٤) زيد فى الأصل : أخبر ، ولم تكن  
 الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٥) زيد فى الأصل : قال تعالى ، ولم تكن  
 الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٦) زيد فى الأصل : ورسوله هو ، ولم تكن  
 الزيادة فى ظ و مد لحذفها .

و هذا أمر لا يحصى إلا الله سبحانه و تعالى ؛ و أشار بذلك إلى هذا الاسم  
 بخصوصه في سورة الفتح إلى أنه صلى الله عليه وسلم هو الختام - بما  
 أشارت إليه الميم التي مخرجها ختام المخرج ، و هي بحيطه بما أشارت  
 إليه صورته ، و كررت في الاسم بعده غاية التأكيد ، و هو ثلاث -  
 ٥ كما أشار إليه اسمه : أحمد - إلى أنه مع كونه خاتماً فهو فاتح بما أشار  
 إليه قوله صلى الله عليه وسلم "كنت أولهم خلقاً و آخرهم بقاً"  
 و اختصت به سورة الصف ليعادل ذلك بتصریح المبشر به عليه الصلاة  
 و السلام بالبعدي في قوله "رسول يأتي من بعدى اسمه أحمد" و أشارت  
 الميم أوله أيضاً إلى بعثه عند الأربعين ، و ما بقي من حروفه و هي حيد  
 ١٠ يفيد له كمال الحمد بالفعل في السنة الثانية و الخمسين من عمره و هي الثانية  
 عشرة من نبوته<sup>١</sup> ببيعة الأنصار رضى الله عنهم ، و قد أشارت هذه السورة  
 إلى كلمة الإخلاص تلويحاً بما ذكرت من كلمة الرسالة تصريحاً و بطناً<sup>٢</sup>  
 سطوة الإلهية<sup>٣</sup> و ظهرت الرحمة المحمدية - كما أشارت القتال إلى الرسالة  
 تلويحاً [ و صرحت بسطوة الإلهية -<sup>٤</sup> ] بكلمة الإخلاص و الناشئة<sup>٥</sup> عن  
 (١ - ١) من مد ، و في الأصل و ظ : جدد دعائه (٢) من ظ و مد ، و في  
 الأصل : عليهم (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : بالتمدية (٤) من مد ، و في  
 الأصل و ظ : يبدأ (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : كما (٦ - ٦) من مد ،  
 و في الأصل و ظ : عشر نبوته - كذا (٧) من ظ و مد ، و في الأصل :  
 تطيب (٨ - ٨) من ظ و مد ، و في الأصل : فظهرت (٩) زيد من ظ و مد .  
 (١٠) في ظ و مد : الناسبة .

القتال تصريحا ، وقد تقدم في القتال نذرة من اسرار الكلمتين ١٠ . ولما  
ذكر الرسول ذكر المرسل إليهم فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أى بمعنى  
الصحبة من أصحابه وحسن التبعية من التابعين لهم باحسان . ولما كان  
شرف القوم شرفا لرئيسهم ، مدحهم بما يشمله فقال تعالى :  
﴿أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ فهم لا تأخذ بهم راحة بل هم معهم كالأسد  
على فريسته ، لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم ﴿رَحِمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ كالوالد مع  
الولد : لأن الله تعالى أمرهم باللين للؤمنين ، وللا مؤمن فى زمانهم إلا من  
كان من اهل دينهم ، فهو يحبهم ويحبونه بشهادة آية المائدة .  
ولما كان هذا بخلاف ما وصفت به الأمم الماضية من أنهم ما  
اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، فكان عجا ، بين الحامل عليه ١٠  
بقوله : ﴿زُيِّنَ﴾ أى أيها النذر لهم ﴿رُكْعًا مَجْدًا﴾ أى دائمى الخضوع  
فأكثر أوقاتهم صلاة قد غلبت صفة الملائكة على صفاتهم الحيوانية ،  
فكانت الصلاة امرة لهم بالخير مصفية عن كل نقص وضير .  
ولما كانت الصلاة مما يدخله الرياء ، بين إخلاصهم بقوله : ﴿يَتَنَفَّسُونَ﴾  
أى يطلبون بذلك وغيره من جميع أحوالهم بغاية جهدهم تغليا لعقولهم ١٥  
على شهواتهم وحظوظهم ﴿فَضْلًا﴾ أى زيادة من الخير ﴿مِنْ اللَّهِ﴾  
أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال والجمال الذى اعطاهم ملكه الغلظة  
على الكفار بما وهبهم من جلاله والرقعة على أولياته بما اعطاهم من  
(١) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى لفظ و مد فخذناها (٢) من  
مد ، وفى الأصل و ظ : يمتعه (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : سبين .

رحمته التي هي آم بها للاحسان إلى عياله فتزعموا الهوى من صدورهم فصاروا  
يرونه وحده سيدهم المحسن إليهم لا يرون سيده غيره، ولا يحسن سواه .  
ولما ذكر عبادتهم و طلبهم الزيادة منها و من غيرها من فضل الله الذي  
لا يوصل إلى عبادته إلا بمعونته، أتبعه المطلوب الأعلى فقال: ﴿ ورضوانا ﴾  
هـ أي رضا منه عظيما .

ولما ذكر كثرة عبادتهم و أتبعها إخلاصهم فيها اهتماما به لأنه  
لا يقبل عملا بدونه، دل على كثرتها بقوله: ﴿ سيام ﴾ أي علامتهم  
التي لا تفارقهم ﴿ في وجوههم ﴾ ثم بين العلامة بقوله: ﴿ من أثر السجود ﴾  
فهو نور يوم القيامة - زواه الطبراني<sup>١</sup> عن أبي بن كعب رضي الله عنه  
١٠ عن النبي صلى الله عليه وسلم - هذا مع ما لهم من مثل ذلك في الدنيا  
من أثر الخشوع و الهية بحيث أنه إذا رأى أحدهم أورث لرائته<sup>٢</sup> ذكر الله،  
و إذا قرأ أورث قراءته حزنا و خشوعا و إقبانا و خضوعا، وإن  
كان رث الحال ردى الهية، و لا يظن أن من السيما ما يصنعه بعض  
المرائين من هية أثر يهود في جبهته، فإذا ذلك من سيما الخوارج،  
١٥ و في نهاية ابن الأثير [في تفسير -<sup>٤</sup>] الثفن<sup>٥</sup>: و منه حديث أبي الدرداء  
رضي الله عنه: رأى رجلا بين عينيه [مثل -<sup>٦</sup>] فتنة العنز، فقال: لو لم يكن  
هذا لكان خيرا - يعني كان على جبهته أثر السجود، / و إنما كرهها  
خوفا من الرياء بها، و قد روى صاحب الفردوس عن أنس رضي الله عنه

/ ٨٦٦

(١) سقط من ظ (٢) راجع مجمع الزوائد ١٠٧/٧ (٣) من مد، و في الأصل  
وظ: لمرايه (٤) زيد من ظ و مد (٥) راجع ١٠٥/١ (٦) زيد من مد و النهاية.

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: 'إني لأبغض الرجل وأكرهه إذا رأيت بين عينيه أثر السجود'.

ولما أتم وصفهم بهذا الأمر الذي لا يقدر عليه أحد إلا من صفاء الله من جميع حظوظه وشهواته، أشار إلى علوه فقال: (ذلك) أى هذا الوصف العالى جدا البديع المثال البعيد المثال (مثلهم فى التوراة <sup>٥</sup> ) فانه قال فيها: اتانا ربنا من سينا وشرق لنا من جبل ساعير، وظهر لنا من جبل فاران، معه ربوات\* الاطهار على يمينه، أعظام وحيهم إلى الشعوب وبارك على جميع اطهاره وهم يتبعون آثارك. فظهوره من فاران صريح فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يأت منها - وهى جبال مكة باتفاقهم - بعد نزول التوراة بالنبوة غيره صلى الله عليه وسلم، ١٠ و ربوات الاطهار إشارة إلى كثرة أمته، وأنهم فى الطهارة كالملائكة، وأيد ذلك جعلهم من أهل اليمين، و وصفهم بالتحبيب إلى الشعوب، فكل ذلك دال على ما وصفوا به منا من شهادة الوجود - هذا [مع -<sup>١</sup>] ما وجدته فى التوراة بعد تبديلهم لما بدلوا منها وإخفائهم كما قال [الله -<sup>٢</sup>] تعالى لكثير، و روى أصحاب فتوح البلاد فى فتح بيت المقدس ١٥ عن كعب الاحبار أن سبب إسلامه أن أباه [كان -<sup>٣</sup>] أخبره أنه ذخر

(١) فى ظ و ان (٢) سقط من ظ (٣) الحديث فى تلخيص مسند الفردوس تحت رقم ٣٧٤١ (٤) من مد، وفى الأصل و ظ : فانها (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: روات (٦) زيد من ظ (٧) زيد من مد (٨) فى مد: الكثير (٩-١٠) من مد، وفى الأصل: فتوح أصحاب، وفى ظ: فتوح أصحاب (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من ظ و مد، وفى الأصل: ادخر.

عنه ورقتين جعلهما في كوة و طين عليهما ، و أمره أن يعمل بهما بعد  
 موته ، قال : فلما مات فتحت عنهما فاذا فيها : محمد رسول الله خاتم النبيين  
 لا نبي بعده مولده بمكة و مهاجرة بطيبة ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب  
 في الأسواق ، ولا يجزى السيئة بالسيئة ، ولكن يجزى بالسيئة الحسنة و يغفر  
 ٥ و يغفر و يصفح ، و إن أمته المحادون الذين يحمدون الله على كل شيء  
 و على كل حال ، و يذلل أستهم بالتكبير ، و ينصر الله نبيهم على كل  
 من ناواه ، يغسلون فروجهم بالماء ، و يؤثرون على أواسطهم ، و أناجيلهم  
 في صدورهم ، يأكلون قربانهم في بطونهم و يؤجرون عليها ، تراحمهم بينهم  
 تراحم بين الأم و الأب ، و هم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من  
 ١٠ الأمم ، هم السابقون المقربون و الشافعون و المشفع لهم . و أصله في الصحيح  
 عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما و في الدارمي عن كعب هذا ،  
 و لأصحاب الفتح عن سمرة بن حوشب عن كعب قال : قلت لعمر  
 رضى الله عنه و هو بالشام عند انصرافه : يا أمير المؤمنين ! إنه مكتوب  
 في كتاب الله . إن هذه البلاد التي كان فيها بنو إسرائيل و كانوا أهلها  
 ١٥ مفتوحة على رجل من الصالحين . رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين ،  
 سره مثل علانيته ، و علانيته مثل سره ، و قوله لا يخالف فعله ، و القريب  
 و البعيد عنده في الحق سواء ، أتباعه رهبان بالليل أسد بالنهار ، متراحون  
 متبازلون ، فقال عمر : ثكلتك / أمك أحق ما تقول ؟ قلت : أى و الذى

/ ٨٦٧

(١) من مد ، و فى الاصل و ظ : مهاجرة (٢) سقط من ظ و مد (٣) من  
 ظ و مد ، و فى الاصل : قرانهم .



أنزل التوراة على موسى و الذى يسمع ما نقول ! إنه لحق ، فقال عمر :  
 فالحد لله الذى أعزنا و شرفنا و أكرمنا و رحمتنا بمحمد صلى الله عليه و سلم  
 و رحمته ' التى وسعت كل شئ . - هذا على أن المراد بالمثل الوصف ،  
 و يمكن أن يكون على حقيقته ، و يكون الذى فى التوراة ما ترجمته "هم على  
 أعدائهم كقرن الحديد و فيما بينهم فى النفع و التواصل كاللآء و الصعيد ، ه  
 و لهم كخامة الزرع مع الريح و الصديق النصيح ' ، و فى الإقبال على  
 الآخرة كالسافر الشاحب و الباكي الناحب " فمرعته فى كتابنا بما ذكر .  
 و لما ذكر مثلهم فى الكتاب الاول ، أتبعه الكتاب الثانى الذى  
 هو ناسخ ليعلم أنه قد أخذ على كل ناسخ لشريعته أن به فهم لآمته  
 ليتبعوه إذا دعوه فقال : ( و مثلهم فى الانجيل <sup>١١</sup> ) أى الذى نسخ الله ١٠  
 به بعض أحكام التوراة ( كررع ) أى مثل زرع ( اخرج شطأه )  
 أى فراخه و ورقه و ما خرج حول أصوله ، فكان ذلك كله مثله .  
 و لما ذكر هذا الإخراج سبب عنه قوله ( فازره ) أى فأحاط  
 به الشطأ ، فقواه و طهره من غير نبتة نبتت عنه فتضعفه و ساراه و حاذاه  
 و عاونه ، و يظهر أن قراءة الهمزة بالمد على المفاعلة أبلغ من قراءة ابن ١٥  
 عامر بالقصر ، لأن الفعل إذا كان بين اثنين يتجاذبان به كان الاجتهاد<sup>٢</sup>

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : رحمة ( ر ) من مد ، و فى الأصل و ظ :  
 التصحيح ( م ) - سقط من ظ و مد ( ع ) من مد ، و فى الأصل و ظ :  
 بشريعته ( هـ ) من مد ، و فى الأصل : - واه و حده ، و فى ظ : - واه و حاذاه .  
 (٦) راجع ثمر المرجان ٦ / ٦٥٥ (٧) فى مد : الجهاد .

فيه أكثر، ثم سبب عن المؤازرة قوله: ﴿ فاستغظ ﴾ أى فطلب المذكور من الزرع والشطأ<sup>١</sup> الغلظ وأوجده<sup>٢</sup> فتسبب عن ذلك اعتداله<sup>٣</sup> ﴿ فاستوى ﴾ أى وجد فيه القيام العدل وجودا عظيما [ كأنه - ٤ ] كان بغاية الاجتهاد والمعالجة ﴿ على سوقه ﴾ أى قصبه، جمع ساق، هـ وهو ما قام عليه الشيء، حال كون هذا المذكور من الزرع والشطأ ﴿ يعجب الزراع ﴾ ويجوز كونه استنفا للتعجب منه والمبالغة في مدحه وإظهار السرور في أمره، وإذا أعجبهم<sup>٥</sup> وهم في غاية العناية بأمره والتفقد لحاله والملازمة له ومعرفة معانيه كان<sup>٦</sup> لغيرهم أشد إعجابا، ومثل لأنهم يكونون قليلين ثم يكثران مع البهجة في عين الناظر لما لهم ١٠ من الروق<sup>٧</sup> الذى منشأه نور الإيمان وثبات الطمأنينة والإيقان وشدة الموافقة<sup>٨</sup> من بعضهم لبعض، ونفى المخالف لهم وإبعاده، وقد تقدم في هذا الكتاب في آخر المائدة أمثال ضربت في الإنجيل بالزرع أقربها إلى هذا مثل حبة<sup>٩</sup> الخردل فراجع.

ولما أنهى سبحانه [ مثلهم - ٩ ]، ذكر الثمرة في جعلهم كذلك

١٥ فقال: ﴿ ليغظ ﴾ معلقا له بما يؤخذ من معنى الكلام وهو جعلهم

(١) زيدت الواو في الأصل وظ ولم تكن في مد لحذفها (٢) من مد، وفي الأصل وظ: حده (٣) زيد في الأصل: فقال تعالى، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها (٤) زيد من مد (٥) زيد في الأصل: في أمره، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: كما (٧-٧) سقط ما بين الرقمن من ظ (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: حبة (٩) زيد من ظ ومد.

كذلك لأجل أن يغيظ **(بهم)** أى غيظا شديدا بالغ القوة والإحكام  
**(الكفار<sup>١</sup>)** وذلك أنهم لما كانوا أول الأمر قليلا، كان الكفار  
 طامعين<sup>٢</sup> في أن لا يتم لهم أمر، فكلما ازدادوا كثرة مع تمدد الزمان  
 زاد غيظ الكفار منهم، فكيف إذا رأوا مع الزيادة والقوة منهم حسنا  
 ونضارة وروقا وبهجة، فهو<sup>٣</sup> في الغيظ بما [لو - °] كانوا في أول  
 الأمر كثيرا لأنه كان يكون دفعه ويقصر زمنه، / فن أبغض صحايا  
 خيف عليه الكفر لأنهم أول مراد بالآية، وغيرهم بالقصد الثاني واتباع<sup>٤</sup>،  
 ومن أبغضهم كلهم كان كافرا، وإذا حملناه على غيرهم كان دليلا على  
 أن كل<sup>٥</sup> من خالف الإجماع كفر - قاله القشيري .

ولما تم مثلهم وعلّة جلهم كذلك، بشرهم فقال في موضع وعدم<sup>١٠</sup>  
 لتعليق الوعد بالوصف على عادة القرآن ترغيا في التمسك به وترهيا  
 من مجانبته : **(وعد الله)** أى الملك الأعظم **(الذين آمنوا)** ولما  
 كان الكلام في الذين معه صلى الله عليه وسلم، وكانت المعية ظاهرة في  
 الاتحاد في الدين لم تكن شاملة للناقضين، فلم يكن الاهتمام بالتقييد بمنهم هنا<sup>١</sup>  
 (١) في مد : عظيما (٢) من مد، وفي الأصل : ذاعين، وفي ظ : طامعين .  
 (٣) زيد في الأصل : مع، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٤) من مد،  
 وفي الأصل و ظ : وهو (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي الأصل و ظ :  
 بالتبعية (٧) ليس في مد (٨) من مد، وفي الأصل و ظ : وعدم (٩-١٠) من مد،  
 وفي الأصل : بانقصد هنا منهم، وفي ظ : بالقصد هنا .

كالاتهام به في سورة النور، فأخره وقدم العمل لأن العناية [به - ١]  
 هنا أكثر، لأنه من سيئات المذكورة<sup>٢</sup> فقال: ﴿وعملوا﴾ أى تصديقا  
 لدعواهم الكون معه في الدين ﴿الصالحات﴾ ولما كان قوله «معه» يعم  
 كما مضى من بعد الصحابة رضى الله تعالى عنهم، وكان الخلل فيمن بعدهم  
 كثيرا، قيد بقوله: ﴿منهم﴾ أى من الذين معه صلى الله عليه وسلم  
 سواء كانوا من أصل الزرع أو فراخه التى أخرجها وهم التابعون<sup>٣</sup>  
 لهم بأحسن.

ولما كان الإنسان وإن اجتهد مقصرا عن بلوغ ما يحق له من  
 العبادة، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿مغفرة﴾ أى لما يقع منهم من المغفوات  
 ١٠ أو الذنوب والسيئات ﴿واجرا عظيما﴾ بعد ذلك الستر، وقد جمعت  
 هذه الآية الخاتمة لهذه السورة جميع حروف المعجم بشارة تلويحية مع  
 ما فيها من البشائر<sup>٤</sup> التصريحية باجتماع أمرهم وعلو نصرهم، وذلك أنه  
 لما كانت هذه العمرة قد حصل لهم فيها كسر لرجوعهم قبل وصولهم  
 إلى قصدهم من الدخول إلى مكة المشرفة والطواف بالبيت العتيق،  
 ٥ ولم يكن ذلك بسبب خلل آتى من قبلهم كما كان في غزوة أحد على  
 ما مضى من<sup>٥</sup> يأنه في آل عمران التى هى سورة التوحيد الذى كلمته

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل و ظ : المذكور (٣) زيد فى  
 الأصل : يدل و، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد،  
 وفى الأصل و ظ : التابعين (٥) من مد، وفى الأصل و ظ : البشارة .  
 (٦) سقط من ظ .

كلمة التقوى عند الآية الثانية لهذه، بشرم سبحانه بما في هذه السورة من البشار الظاهرة تصريحاً وبما في هذه الآية الخاتمة من جمعها لجميع حروف المعجم تلويحاً إلى أن أمرهم لا بد من تمامه، واشتداد سلكه وانبرامه، واتساق شأنه وانتظامه، وخفوق ألوته وأعلامه، وافتحها بيمين "محمد" وهي مضمومة، وختمها بيمين "عظيماً" المنصوبة إشارة ٥ بما لليمين من الختام بمخرجها إلى أن تمام الأمر قد دنا جداً، إبانته، وحضر زمانه، وبما في أولها من الضم إلى رفعة دائمة في [حمد - ٢] كثير، وبما في آخرها من النصب إلى تمام الفتح وانتشاره، وقربه واشتهاره، على وجه عظيم، وشرف في علو جسيم، وأوماً تدويرها إلى أنه أمر لا انتهاء له، بل كلياً ختم ابتداءً، وقد ظهر من هذا وما في صريح ١٠ الآية من القوة المعزة للمؤمنين المذلة للكافرين رد مقطعيها على مطلعها بالفتح للنبي صلى الله عليه وسلم والتسكين العظيم [لأصحابه - ٢] رضى الله عنهم، والرحمة والمغفرة والفوز العظيم لجميع أتباعه وأنصاره وأشياعه رضى الله تعالى عنهم أجمعين، وجعلنا بمنه وكرمه منهم، وهذا آخر القسم الأول من القرآن، وهو المطول، وقد ختم - كما رى - بسورتين ١٥ هما في الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم، وحاصلهما الفتح له بالسيف.

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: حمدا (٢) زيد من مد، وفي ظ: محمد.  
(٣) زيد من مد (٤) زيد في الأصل: الله تعالى، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لاختلافها (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: من اتباعهم.

و النصر على من قاتله ظاهرا كما حتم الثاى المفصل بسورتين هما نصره  
له صلى الله عليه وسلم بالحال على من قصده بالضر باطنا - 'و الله الهادى  
للصواب و إليه المرجع و المآب و صلى الله على سيدنا محمد  
و آله و صحبه' . ٢



( ١ - ١ ) سقط ما بين الرقين من ظ و مد ( ٢ ) زيد في الأصل بعده : و قد تم  
الجزء الرابع من المناسبات لاشيخ العالم العلامة انبغى عفا الله تعالى عنه  
و نفعنا به و بعلمه في الدين و الدنيا و الآخرة و رضى الله عن العلماء العاملين  
و التابعين لهم أجمعين آمين .

و وافق الفراغ من كتابته في يوم الأحد سابع عشر محرم الحرام افتتاح  
سنة سبع و تسعين و ألف - يتلوه سورة الحجرات إن شاء الله تعالى .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الحجرات

مقصودها الإرشاد إلى مكارم الاخلاق بتوفير النبي صلى الله عليه وسلم بالأدب معه في نفسه وفي أمته، وحفظ ذلك من إجلاله بالظاهر [ليكون -<sup>٢</sup>] دليلا على الباطن فيسمى إيمانا، كما أن الإيمان [بالله -<sup>٣</sup>] يشترط فيه فعل<sup>٤</sup> الأعمال الظاهرة والإذعان لفعلها بشرائطها وأركانها وحدودها لتكون<sup>٥</sup> بينة على "باطن" وحنة شاهدة له "الم احسب الناس ان يتركوا ه ان يقولوا 'امنا [و -<sup>٢</sup>] هم لا يفشون" فاصل مقصودها مراقبة النبي صلى الله عليه وسلم في الأدب معه لأنها أول الفصل الذي هو ملخص

(١) زيد في الأصل بعده: اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه وأهل بيته الطيبين الطاهرين (٢) التسم والأربعون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آياتها ١٨ بلا خلاف، ومن هنا تراقفتا نسخة مد فقط، وأما نسخة م فانقطعت عنا - كما نبهنا عليه - إلى سورة المجادلة، وأما نسخة ن فبهي الأخرى انقطعت من هنا إلى سورة الرحمن (٣) زيد من مد (٤) في مد نقل (ه) من مد، وفي الأصل: لكون (٦) زيد في الأصل: مقصوداته، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها.

القرآن كما كان مقصود الفاتحة التي هي أول القرآن مراقبة الله، وابتدئ  
ثاني<sup>١</sup> المفصل بحرف من الحروف المقطعة كما ابتدئ ثاني<sup>٢</sup> ما عداه بالحروف  
المقطعة، واسمها الحجرات واضح الدلالة على ذلك بما<sup>٣</sup> دلت عليه  
[آيته -<sup>٤</sup>] (بسم الله) الملك الجبار المتكبر الذي من أجل تعظيم  
٥ رسوله صلى الله عليه وسلم لم يرض عنه عملا (الرحمن) الذي من عموم  
رحمته إقامة الآداب للتوصل إلى حسن المآب (الرحيم) الذي خص  
أولى الألباب بالإقبال على ما يوجب [لهم -<sup>٥</sup>] جميل الثواب.

لما فوه سبحانه في القتال بذكر النبي صلى الله عليه وسلم وصرح  
في ابتدائها باسمه الشريف وسمى السورة به، وملا<sup>٦</sup> سورة الفتح بتعظيمه،  
١٠ وختمها<sup>٧</sup> باسمه، ومدح أتباعه لأجله، افتتح هذه بأشراط الأدب معه  
في القول والفعل للعد<sup>٨</sup> من حزبه والفوز بقربه، ومدار ذلك معالي  
الآخلاق، وهي إما مع الله سبحانه وتعالى أو مع رسوله صلى الله  
عليه وسلم أو مع غيرهما وإن كان كل قسم لا يخلو عن لحظ الآخر،  
وغيرهما إما أن يكون داخلا مع المؤمنين في رتبة الطاعة أو خارجا  
١٥ عنها، وهو الفاسق، والداخل في طاعة المؤمنين السالك لطريقتهم إما  
أن يكون حاضرا عندهم أو غائبا عنهم، فهذه خمسة أقسام، فصل النداء بسبيلها  
خمس مرات، كل مرة لقسم منها، وافتتح بالله لأن الأدب معه هو

(١) من مد، وفي الأصل: إي (٢) من مد، وفي الأصل: ثاني (٣) من مد،  
وفي الأصل: ما (٤) زيد من مد (٥) من مد، وفي الأصل: النوال -  
كذا (٦) من مد، وفي الأصل: ختم (٧) من مد، وفي الأصل: المعتد.



الأصل الجامع لكل و الأس' الذى لا يبنى إلا عليه ، فقال مناديا للتسمين  
 بأول أسنان القلوب تنبها' على أن سبب نزولها من أفعالهم [ لا - ٢ ] من  
 أفعال أهل الكمال ، فهو هفوة تقال ، وما [ كان - ٢ ] يبنى أن يقال ،  
 و يشمل الخطاب الممهود للأذن - و لو مع النفاق - من فوه من باب  
 الأولى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } اى أفروا بالإيمان { لَا تَقْدُمُوا } / و حذف ٥ / ٢  
 المفعول ليعم' كل ما يصح تقديمه فيذهب [ الوهم - ٢ ] كل مذهب ،  
 و يجوز أن يكون حذفه من قصد إليه أصلا ، بل يكون النهى موجها إلى  
 'نفس التقدمة' أى لا تلبسوا بهذا الفعل ، و يجوز أن يكون من قدم - بالتشديد  
 بمعنى أقدم و تقدم أى شجع نفسه على التقدم ، و منه مقدمة الجيش ،  
 و هم مقدموه' ، و أشار إلى تهجين' ما نهوا عنه و تصوير شناعته ، و إلى أنهم ١٠  
 فى القبضنة' ترهيا لهم" فقال : { يَبْدَى اللَّهُ } أى الملك الذى  
 لا يطاق انتقامه .

و لما كان السياق للنهى عن التقديم و التقدم ، و كان مقتضى  
 الرسالة إنفاذ الأوامر و النواهى عن الملك من غير أن يكون من المرسل  
 (١) من مد ، و فى الأصل : الامن - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل :  
 بينهما (٣) زيد من مد (٤) فى مد : تقال (٥) من مد ، و فى الأصل :  
 يعم (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : التقديم (٧) من مد ، و فى الأصل :  
 لا تسلبوا (٨) من مد ، و فى الأصل : مقدموه (٩) من مد ، و فى الأصل :  
 التهجين (١٠) من مد ، و فى الأصل : العتنة - كذا (١١) من مد ، و فى  
 الأصل : له .

إليهم اعتراض<sup>١</sup> أصلا ، وبذلك استحق أن لا يتكلم بحضرة في مهم  
ولا يفعل مهم إلا باذنه . لأن العيد<sup>٢</sup> لما لهم من النقص لا استقلال لهم  
بشيء أصلا ، عبر بالرسول دون النبي بعد أن ذكر اسمه تعالى الأعظم  
زيادة في تصوير التعظيم فقال : ﴿ ورسوله ﴾ أى الذى عظمت ظاهرة  
ه جدا ، ولذلك قرن اسمه باسمه وذكره بذكره ، فهو تمهيد لما يأتى من  
تعظيمه ، فالتعبير بذلك إشارة إلى أن النفس إذا خليت و فطرتها الأولى ،  
امتلات بمجرد رؤيته هية منه وإجلاله ، فلا يفعل أحد غير ذلك  
إلا بتشجيع منه لنفسه و تكليفها ضد<sup>٣</sup> ما تدعو إليه الفطرة الأولى القويمة ،  
فالمعنى : لا تكونوا<sup>٤</sup> متقدمين فى شيء من الأشياء والله يقول الحق ويهدى  
١٠ السيل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ عنه لا ينطق عن الهوى ، فعلى  
الغير<sup>٥</sup> الاقتداء و الاتباع ، لا الابتداء و الابتداع ، سواء كان النبي صلى  
الله عليه وسلم غائبا أو حاضرا بموت أو غيره . فان آثاره كمينه<sup>٦</sup> ، فمن  
بذل الجهد فيها هدى للأصلح<sup>٧</sup> ، ” و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا “ .  
و لما استعار للدلالة على قدره التعبير باليدى و صور البيئة ترهيا  
١٥ من انتقام القادر إذا خولف ، صرح بذلك بقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ﴾  
أى اجعلوا بينكم و بين [ غضب - <sup>٨</sup> ] الملك الأعظم وقاية ، فان التقوى

- (١) من مد ، وفى الأصل : اعراض (٢) من مد ، وفى الأصل : الصيد .  
(٣) من مد ، وفى الأصل : منه (٤) من مد ، وفى الأصل : لا يكونون .  
(٥) من مد ، وفى الأصل : المنبر - كذا (٦ - ٦) من مد ، وفى الأصل :  
إشارة كهية (٧) من مد ، وفى الأصل : للإصلاح (٨) زيد من مد .

مانعة من أن تضيعوا حقه وتخالفوا أمره و تقدموا على شيء لم تعملوا رضاه فيه .

ولما كان سبحانه مع كل بعلة ، و أقرب إليه من نفسه ، فكان مع ذلك غيا محضا لكونه محتجا برداء الكبر و إزار العظمة و القهر ، وكان الإنسان لما غاب عنه نساء ، ذكره مرهبا بقوله مستأنفا أو معللا مؤكدا ه  
تنبيها على ما في ذلك من الغرابة و العظمة التي يتحق للإنسان مجاهدة نفسه لأجلها في الإيمان به و المواظبة على الاستمرار على استحضاره ، لأن أفعال العاصي أفعال من ينكره : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال . ولما [ كان - ' ] ما يتقدم فيه إما قولاً أو فعلاً قال : ﴿ سميع ﴾ أى لأقوالكم قبل أن تقولوها ﴿ عليم ﴾ أى بأعمالكم قبل ١٠ أن تعملوها .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما وصف سبحانه عباده المصطفين صحابة نبيه و المخصوصين "بفضيلة مشاهدته" و كريم عشرته فقال / " محمد رسول الله و الذين معه اشداء على الكفار رحما بينهم " " إلى آخره " ، فأتى سبحانه عليهم و ذكر وصفه تعالى بذلك في التوراة و الإنجيل ، و هذه ١٥

(١) من مد ، و في الأصل : بسا - كذا (٢) من مد ، و في الأصل : ترهبا .  
(٣) زيد في الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة في مد فخذناها (٤) من مد ، و في الأصل : بها (٥) من مد ، و في الأصل : « و » (٦) زيد من مد .  
(٧) من مد ، و في الأصل : تقدم (٨) في مد : تقولها (٩) من مد ، و في الأصل : لأعمالكم (١٠-١١) من مد ، و في الأصل : بمشاهدته (١١-١٢) ليس ما بين الرقين في مد .

خصيصة 'افردوا بمزية تكريمها' و جرت على واضح قوله تعالى  
 "كتم خیرامة اخرجت للناس" تسمرون بالمعروف "إلى آخره"،  
 وشهدت لهم بعظيم المنزلة لديه، تناسب هذا طلبهم بتوفية الشعب الإيمانية،  
 قولاً وعملاً ظاهراً وباطناً على أوضح عمل وأخلص نية، وتنزيههم  
 عما وقع من قبلهم في مخاطبات أنبيائهم كقول نبي إسرائيل "نموسى  
 ادع لنا ربك" [إلى - أ] ما شهد من هذا الضرب بسوء حالهم فقال  
 تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله" الآية [و - أ]  
 "يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له  
 بالقول - إلى قوله: والله غفور رحيم" فطلبوا بأداب تناسب على  
 إيمانهم وإن اغتفر بعضه لغيرهم ممن ليس في درجاتهم وقد قيل "حسنات  
 الأبرار سيئات المقربين" فكأن قد [قيل - أ] لهم: لا تنفلوا ما منح  
 لكم في التوراة والإنجيل، فإنها درجة لم ينالها غيركم من الأمم فقابلوها  
 بتنزيه أعمالكم عن أن يتوهم في ظواهرها أنها صدرت عن عدم اكتراث  
 في الخطاب، أو سوء قصد في الجواب، و طابقوا بين "ظواهركم وبواطنكم"  
 (١ - ١) من مد، وفي الأصل: اتقوا بتكريمها (٢ - ٢) ليس ما بين الرقيين  
 من مد (٣) من مد، وفي الأصل: بتعظيم (٤) زيد في مد: وأخرى (٥) من  
 مد، وفي الأصل: نزههم - كذا (٦) من مد، وفي الأصل: ممن (٧) من  
 مد، وفي الأصل: من (٨) زيد من مد (٩) من مد، وفي الأصل: آدابهم.  
 (١٠) من مد، وفي الأصل: صح (١١) من مد، وفي الأصل: قانهم.  
 (١٢) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في مد فحذفناها (١٣) من مد، وفي  
 الأصل: اكتساب - كذا (١٤) من مد، وفي الأصل: و (١٥ - ١٥) في  
 مد: بواطنكم وظواهركم.

و'ليكن عنكم' منبأ بسليم سرائركم " ان الذين يفضون  
اصواتهم عند رسول الله اوئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى " ثم  
عرفوا بسوء حال من عدل به عن هذه الصفة فقال تعالى " ان الذين  
ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون " ثم أمروا بالنسب عند  
زغبة الشيطان ، أو تقول ذى هتان " يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق ه  
بذأ " ، الآية ، ثم أمرهم بصلاح ذات بينهم و التعاون فى ذلك بقتال الباغين  
العتاة<sup>٢</sup> و تحسين العشرة و التزام<sup>٣</sup> ما يشر الحب و التودد الإيماني  
و التواضع ، و أن الخير كله فى التقوى " ان اكرمكم عند الله اتقاكم " و كل  
ذلك محذر لمل صفاتهم التى وصفوا بها فى خاتمة سورة الفتح .

و لما ثبت إعظام<sup>٤</sup> الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لايفتات عليه ١٠  
" بأن تأهب " ما هو وظيفته من التقدم فى الامور و قطع المهمات ،  
فلا يكلم إلا جوابا أو سؤالا فى أمر ضرورى لا يمكن تأخير ، و كان  
من يكلمه لذلك ربما رفع صوته رفعا الأولى به غيره مما هو دونه ،  
و كان من جملة أحواله أن يوحى إليه بالأمر العظيمة ، و كان رفع  
الصوت إذ ذاك من المشوشات فى حسن التلقى للوحى مع ما فيه من ١٥  
قلة الاحترام و الإخلال بالإجلال و الإعظام ، قال ذاكرنا لثانى الاقسام ،  
و هو ما كان النظر فيه إلى مقامه صلى الله عليه وسلم بالقصد الأول ،

(١-١) من مد ، و فى الأصل : اكم عليكم (٢) من مد ، و فى الأصل : العصاة .

(٣) من مد ، و فى الأصل : الزام (٤) زبد فى الأصل : سورة الفتح باعظام ،

و لم تكن الزيادة فى مد لحذفنا (هـ) من مد ، و فى الأصل : ابتهاجوا .

مستنجا مما مضى من وصفه بالرسالة<sup>١</sup> الدالة على النبوة ، أمرا بحفظ حرمة  
ومراعاة الآداب في خدمته ، وصحته بتبجيله<sup>٢</sup> / وتفخيمه ، وإعزازه وتعظيمه ،  
مكررا لندائهم بما ألزموا أنفسهم به من طاعته بتصديقه<sup>٣</sup> واستدعاء  
لتجديده<sup>٤</sup> الاستنصار و تطرية النذب إلى الإنصات وإشارة إلى أن المنادى  
له أمر يستحق أن يفرد بالنداء ويستقل<sup>٥</sup> بالتوصية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾  
مكررا للتعبير بالأدنى من أسنان<sup>٦</sup> القلوب للتنبيه على أن فاعل مثل هذه  
المنهيات و المحتاج فيها إلى التنبيه<sup>٧</sup> بالنهاى قد فعل من هذا حاله  
﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ أى فى شىء من الأشياء ﴿ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾  
أى الذى يتلقى عن الله ، و تلقيه<sup>٨</sup> عنه متوقع فى كل وقت ، وهذا يدل  
١٠ على أن أذى<sup>٩</sup> العلماء الذين هيأهم الله لتلقى فهم دينه عنه شديد جدا ،  
فان تكدير أوقاتهم بمنعهم عن كثير من ذلك .

ولما بين ما فى ذلك لاجل النبوة ، بين ما ينبغى فى نفسه من المزية فقال :  
﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ أى إذا كلمته سواء كان ذلك بمثل<sup>١٠</sup> صوته  
أو اخفض من صوته ، فان ذلك غير مناسب لما يهاب به العظاماء ، و يوقر<sup>١١</sup>

- (١) من مد ، وفى الأصل : بالرسالة (٢) من مد ، وفى الأصل : و تبجيله .  
(٣-٢) من مد ، وفى الأصل : استدعاهم بتجديده (٤) من مد ، وفى الأصل :  
يستقبل (٥) زيد فى الأصل : فقال تعالى ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .  
(٦) من مد وفى الأصل : اسباب (٧) من مد ، وفى الأصل : بقلبه (٨) من مد ،  
وفى الأصل : هذا اذا (٩) من مد ، وفى الأصل : شديدا (١٠-١١) من مد ،  
وفى الأصل : مثل ذلك (١١) من مد ، وفى الأصل : يوقره .

الكبراء . و لما شمل هذا كل جهر مخصوص ، و هو ما يكون مسقطا للزينة ، قال : ﴿ كجهر بعضكم لبعض ﴾ أى فانكم إن لم تفعلوا ذلك لم يظهر فرق<sup>١</sup> بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين غيره . و لما نهى عن ذلك ، بين ضرره<sup>٢</sup> فقال مبينا أن من الأعمال ما يحبط و لا يبرى أنه محبط ، ليكون العامل كالماشي فى طريق خطر لا [ زال -<sup>٣</sup> ] يتوق خطره . و يديم حذره : ﴿ ان ﴾ أى انتهى لاجل [ خشية -<sup>٤</sup> ] أن ﴿ تحبط ﴾ أى تفسد تسقط ﴿ أعمالكم ﴾ أى التى [ هى -<sup>٥</sup> ] الأعمال بالحقيقة و هى الحسنات كلها ﴿ و انتم لا تشعرونه ﴾ أى بأنها حبطت ، فان ذلك إذا اجترأ الإنسان عليه استخف به و إذ استخف به واطب عليه ، و إذا واطب عليه أوشك أن يستخف بالمخاطب فيكفر و هو لا يشعر . ١٠

و لما تقدم سبحانه فى الإخلال بشيء من حرمة صلى الله عليه وسلم و نهى عن رفع الصوت و الجهر الموصوف ، أنتج المخافة عنده على سبيل الإجلال ، فبين ما لمن حافظ على ذلك الأدب العظيم ، فقال مؤكدا لأن [ فى -<sup>٦</sup> ] المنافقين و غيرهم من يكذب بذلك . و تنديها على أنه لمحبة الله له و رضاه به أهل لأن يؤكد أمره و يواظب على فعله : ﴿ ان الذين يغضون ﴾ ١٥ أى يخفضون و يلبنون لما وقع عليهم من السكينة من هبة حضرته ، قال الطبرى<sup>٧</sup> : و أصل الغض الكف فى<sup>٨</sup> لين ﴿ أصواتهم ﴾ تخشعا و تخضعا

(١) زيد فى الأصل : بينكم ، و لم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٢) من مد ، و فى الأصل : صوره (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : من (٥) راجع تفسيره ٢٦ / ٦٩ (٦) من مد و التفسير ، و فى الأصل : من .

و رعاية للأدب و توقيرا .

و لما كان المبلغ ربما أنساه اللفظ<sup>١</sup> و رفع الأصوات ما [كان -<sup>٢</sup>]  
يريد أن يبالغ<sup>٣</sup> ، إنه بينت لي<sup>٤</sup> ليلة القدر فخرجت لأخبركم بها فتلاحي  
رجلان فأنسيتهما و عسى أن يكون خيرا لكم ، قال : (عند رسول الله)  
هـ أى الذى من شأنه أن يعلو كلامه على كل كلام ، لأنه 'مبلغ من'  
الملك الأعظم و عبر بعد التى للظاهر إشارة إلى أن أمل حضرة الخصوصية  
لا يقع منهم إلا أكل الأدب .

٥ / و لما ابتداء ذكرهم مؤكدا / تنبيها على عظيم ما ندبوا إليه ، زاده  
إعظاما بالإشارة إليهم بأداة البعد فقال : (اولئك) أى العالمو الرب<sup>٥</sup>  
١٠ : لما لهم من علو الهمم بالخضوع لمن أرسله مولاهم<sup>٦</sup> الذى لا إحسان عندهم<sup>٧</sup>  
إلا منه (الذين امتحن الله) أى فعل المحيط بجميع صفات الكمال فعل  
المختبر بالمخالطة البليغة بالشدائد<sup>٨</sup> على وجه يؤدى إلى المنحة<sup>٩</sup> باللين و الخلوص  
من كل درن ، و الانشراح و الاتساع (قلوبهم) فأخلصها (للتقوى)  
أى الخوف المؤدى إلى استعداد صاحبه باقامة ما يقيه من كل مكروه ،  
١٥ و الامتحان : اختبار بليغ يؤدى إلى خبر ، فالمعنى أنه طهر قلوبهم و تقاها

(١) من مد ، و فى الأصل : اللفظ (٢) زيد من مد (٣-٣) من مد ، و فى  
الأصل : ان يثبت إلى (٤-٤) من مد ، و فى الأصل : شأنه - كذا (٥) من مد ،  
و فى الأصل : الرتبة (٦) من مد ، و فى الأصل : مولاه (٧) من مد ، و فى  
الأصل : عندكم (٨) من مد ، و فى الأصل : بالشداد (٩) من مد ، و فى  
الأصل : المسجة .



كما ' يمتحن الصائغ الذهب و الفضة بالإذابة للتقية و التخليص من كل غش ' لأجل إظهار<sup>٢</sup> ما بطن<sup>٣</sup> فيها من التقوى<sup>٤</sup> ليصير معلوما للنخلق في عالم الشهادة كما كان معلوما [ له سبحانه -<sup>٥</sup> ] في عالم الغيب ، و هو خروجهم عن العادات البشرية و مفارقتهم لما توجهه الطبيعة ، و هو حقيقة التوحيد ، فان التقوى لا تظهر إلا عند المحن و الشدائد بالتكاليف و غيرها ، و لا تثبت إلا بملزمة الطاعة في المشيط و المكروه و الخروج عن مثل ذلك .

و لما كان الإنسان و إن اجتهد في الإحسان محلا للتقصان ، استأنف الإخبار عن جزائهم بقوله ، معريا له من فاء السبب ، إشارة [ إلى -<sup>٦</sup> ] أن ذلك بمحض إحسانه : ( لهم مغفرة ) أى لفواتهم و زلاتهم ( و اجر عظيم ) أى جزاء لا يمكن وصفه على محاسن ما فعلوه . ١٠  
و لما نهى سبحانه عن الإخلال بالآداب ، و أمر بالمحافظة على التعظيم ، و ذكر وصف المطيع ، أتبع ذلك على سبيل النتيجة وصف من أخل به ، فقال مؤكدا لأجل أن حالهم كان حال من يدعى عقلا تاما : ( ان الذين ينادونك ) أى يحدرون نداءك من غير توبة و الحال أن نداءهم إياك<sup>٧</sup> كان ( من وراء ) إثبات هذا الجار يدل على أنه ١٥  
صلى الله عليه و سلم كان<sup>٨</sup> داخلها ، و لو سقط لم يفد ذلك ، بل كان

(١) من مد ، و في الأصل : لما ( ٢ - ٢ ) من مد ، و في الأصل : لاظهار .

(٢ - ٣) من مد ، و في الأصل : منها للتقوى ( ٤ ) زيد من مد ( ه - ه ) من مد ،

و في الأصل : نداءك إياهم ( ٦ ) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في

مد لحذفها .

يفيد أن نسبة الأماكن التي وراءها الحجرات كلها بالنسبة إليه وإليهم على حد سواء، وذلك بأن يكون الكل خارجها، والوراء: الجهة التي تواريك<sup>١</sup> وتواربها من خلف أو قدام .

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم من العظمة في نفسه وفي  
٥ تبليغ رسالات الله في "هيئتها بمكان" من العظمة بحيث لا ينبغي على أحد.  
فليس لأحد أن يفتات فيها<sup>٢</sup> عليه ولا أن يعجله عن<sup>٣</sup> شيء، وكان نداؤه  
لذلك<sup>٤</sup> من وراء حجرة واحدة كندائه من وراء كل حجرة جمع فقال:  
(الحجرات) ولم يضيفها إليه لإجلال له، ولشمل كونه في غيرها  
أيضا، والمعنى: مبتدئين النداء من جهة تكون الحجرات فيها بينك  
١٠ وبينهم فتكون موازية لك منهم ولهم منك، وهي جمع حجرة، وهي  
ما حوط من قطع الأرض بحائط يمنع من يكون خارجه من أذى  
[من -<sup>٥</sup>] يكون داخله بقول أو فعل، فانه يكون فيما يختص به من  
الاجتماع بنسائه أو إصلاح شيء من حاله، لايتهيا له بحضور الناس فيما  
يتقاضاه المروءة. وأسند الفعل إلى الجمع<sup>٦</sup> وإن كان / المتأدى بعضهم  
١٥ للرضى به أو السكوت عن النهي .

ولما كان الساكت [ قد لا يكون راضيا قال : ( أكثرهم ) أي

(١) من مد، وفي الأصل: خارجا (٢) من مد، وفي الأصل: أو (٣-٢) من  
مد، وفي الأصل: جهة المكان (٤) سقط من مد (٥) من مد، وفي الأصل:  
على (٦) من مد، وفي الأصل: كذلك (٧) زيد من مد (٨) من مد، وفي  
الأصل: الجميع .

المنادى والراضى - ' [ دون [ الساكت - ' ] لغز ' ( لا يعقلون هـ ) لأنهم لم يصبروا ، بل فعلوا معه صلى الله عليه وسلم كما يفعل بعضهم مع من يماثله ، والعقل يمنع من مثل ذلك لمن اتصف بالرئاسة فكيف إذا كانت رئاسة النبوة والرسالة عن الملك الجبار الواحد القهار .

ولما ذمهم بسوء عملهم ، أرشدهم إلى ما يمدحون به من حسنة هـ  
 قال : ( ولوانهم ) أى المنادى والراضى ( صبروا ) أى حبسوا أنفسهم ومنعوها عن مناداتهم ، والصبر : حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها وهو حبس فيه شدة ، وصبر عن كذا - محذوف الفعل لكثرة دوره ، أى نفسه ( حتى تخرج ) من تلقاء نفسك عند فراغ ما أنت فيه مما يهلك من واردات الحق ومصالح الخلق ١٠ . ولما كان الخروج قد يكون إلى غيرم من المصالح ، فلا يسوغ فى الأدب أن يقطع ذاك عليه قال : ( اليهم ) أى ليس لهم أن يكلموك حتى تفرغ لهم فتقصدهم فانك لاتفعل [ شيئاً - ' ] فى غير حبه بمقتضى أمر الرسالة ( لكان ) أى الصبر .

ولما كان العرب أهل معال فهم بحيث لا يرضون إلا الأحسن ١٥  
 قال : ( خيراً لهم ' ) أى من استعجالهم فى إيقاظك وقت الهاجرة وما لوقرعو الباب بالأظافر كما كان يفعل غيرم من الصحابة رضى الله عنهم ،  
 (١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : عذر قال (٣) من مد ، وفى الأصل : الحق (٤) من مد ، وفى الأصل : مقال .

وهذا على تقدير أن يكون ما ظنوا من أن فيه خيرا 'فكانوا  
يعقلون'، ففي التعبير بذلك مع الإنصاف بل الإغضاء والإحسان هز لهم  
[إلى - ١] المعالي وإرشاد إلى ما يتفخرون به من المحاسن؛ قال الرازي:  
قال أبو عثمان: الأدب عند الأكابر يبلغ بصاحبه<sup>٢</sup> إلى الدرجات العلى  
ه والخير في الأولى والعقبى - انتهى . وأخيرة صبر في الدين معروفة،  
وأما في الدنيا فانهم لو تأدبوا لرهم زادم النبي صلى الله عليه وسلم في  
الفضل فأعتق جميع سيهم وزادم، والآية من الاحتباك: حذف التعليل  
بعدم الصبر أولا 'لما دل' عليه ثانيا، والعقل ثانيا 'لما دل' عليه  
[من - ٢] ذكره أولا .

١٠ ولما كان التقدير تأديبا لنا وتدريباً على الصبح عن الجاهل وعذره  
وتعليمه: ولكنهم لم يصبروا وأساؤا الأدب فكان ذلك شرا لهم  
والله عليم بما فعلوا حلیم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة لإساءتهم الأدب على  
رسوله صلى الله عليه وسلم، عطف عليه استعطافاً لهم مع إلفهام الترهيب:  
﴿ والله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى ستور لذنب من  
١٥ تاب من جهله ﴿ رحيم ﴾ يعامله معاملة الراحم فيسبغ عليه نعمة .  
ولما تابوا، أعتبهم الله في غلظتهم<sup>٣</sup> على خير خلقه أن جعلهم أغاظ  
الناس على شر<sup>٤</sup> الناس: الدجال، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنهم

(١ - ١) من مد، وفي الأصل: كانوا (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفي  
الأصل: صاحبه (٤ - ٤) من مد، وفي الأصل: دايلا (٥) من مد، وفي  
الأصل: معاملة (٦) من مد، وفي الأصل: خلطهم (٧) من مد، وفي  
الأصل: اشر .

أشد الناس عليه .

ولما أنهى سبحانه ما أراد من النهى عن أذى الرسول صلى الله عليه وسلم في نفسه ، و كان من ذلك أذاه في<sup>١</sup> أمته ، فانه عزيز عليه ما عنتوا و كان من آذاه فيهم فاسقا . و كان<sup>٢</sup> أظلم الأذى فيهم ما أورث كربا فأنار حربا ، و كان ربما اتخذ أهل الأغراض هذه الآداب ه ذريعة إلى [ أذى -<sup>٣</sup> ] بعض المسلمين قذفهم بالإخلال بشئ منها فوقعوا هم فيها فيما قذفوا به غيرهم من الإخلال بحقه و التقيد / بولائه و رثته ، و كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخلاق الطاهرة و المعالي الظاهرة ما يؤمن معه ان بوقع شيئا في غير محله ، أو يأمر بأمر من غير حله<sup>٤</sup> - هذا مع ما له من العصمة ، قال منها على ما في القسم الثالث ١٠ من مكارم الأخلاق من ترك العجز بالاعتماد على أخبار الفسقة . تخاطبا لكل من أقر بالإيمان على طريق الاستنتاج مما مضى ، ناديا إلى الاسترشاد بالعقل الذي نقاه عن أهل الآيئة السالفة ، و العفو عن المذنب و الرحمة لعباد الله . متاديا بأداة البعد إشارة إلى أن من احتاج إلى التصريح بمثل هذا التفيه غير مكثف بما أفاده من قواعد "الشرع وضع ١٥ نفسه في محل بعيد ، و تتيها على أن ما في حيزها" كلام له خطر عظيم و وقع<sup>٥</sup> جسيم : ( يابها الذين آمنوا ) و عبر بالفعل الماضي الذي هو

(١) من مد ، و في الأصل : من (٢) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في مد فخذناها (٣) زيد من مد (٤) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في مد فخذناها (٥) من مد ، و في الأصل : خيرها (٦) من مد ، و في الأصل : رفع .

لأدنى أسنان القلوب، وعبر بأداة الشك إيدانا بقلة الفاسق فيهم وقلة  
 مجيئه إليهم بخبر له وقع، فقال: ﴿ان جاءكم﴾ أى فى وقت من  
 الاوقات ﴿فاسق﴾ أى خارج من ربة الديانة<sup>١</sup> أى فاسق كان  
 ﴿بنا﴾<sup>٢</sup> أى خبر يعظم خطبه فيؤثر شرا<sup>٣</sup>، أى خير كان مما يكون كذلك؟  
 ٥ ﴿فتينوا﴾ أى عاجلوا اليان وهو فصل الخطأ من الصواب، استعمالا  
 لغريزة العقل المنق عن المنادين<sup>٤</sup> واتصافا بالغفران والرحمة ليرحمكم الله  
 ويفرلکم، وهذه القراءة غاية لقراءة حمزة والكسائي<sup>٥</sup> بالثلثة ثم المشاة  
 الفوقية، والسياق مرشد إلى أن [خبر -<sup>٦</sup>] الفاسق- كالنمام والساعى  
 بالفساد كما أنه لا يقبل فلذلك لا يرد حتى يمتحن، وإلى أن خبر العدل  
 ١٠ لا وقفة فيه، وإلا لاستوى مع الفاسق، فالتثبت معلل بالفسق، فاذا  
 اتقى ولم توجد علة أخرى توجب التثبت وجب القبول، والمعلق على  
 شىء بكلمة "إن" عدم [عند -<sup>٧</sup>] عدمه، والتين بأحد شيئين: بمراجعة  
 النبي صلى الله عليه وسلم إن كان حاضرا، وبمراجعة آثاره من كتاب الله  
 وسنته إلى أن تبين الأمر منها [إن كان غائبا، فانه لا تكون أبدا  
 ١٥ كاتبة إلا وفى الكتاب والسنة المخرج منها -<sup>٨</sup>].

ولما أمر بالتين، ذكر علته فقال: ﴿ان﴾ [أى -<sup>٩</sup>] لأجل  
 كراهة أن ﴿تصيوا﴾ أى بأذى ﴿قوما﴾ أى هم مع قوتهم النافذة

(١) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى مد لغذفتاها (٢) زيد فى  
 الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى مد لغذفتاها (م) من مد، وفى الأصل:  
 سره - كذا (٤) من مد، وفى الأصل: المارين (٥) راجع نثر المرجان ٦/٦٦٢.  
 (٦) زيد ما بين الحاجزين من مد.

لاهل الإسلام براه عما نسب إليهم ( بجهالة ) أى مع الجهل بحال استحقاقهم ذلك .

و لما كان الإنسان إذا وضع شيئاً في غير موضعه جديراً<sup>١</sup> بالندم، سبب عن ذلك قوله: ( فتصبخوا ) أى قصيروا، ولكنه عبر بذلك لأن أشنع الندم ما استقبل الإنسان صباحاً وقت انتباهه وفراغه وإقباله<sup>٥</sup> على لذاته ( على ما فعلتم ) [ أى - ٢ ] من إصابتهم ( تدمين<sup>٥</sup> ) أى عريقين في الأسف على ما فات بما<sup>٢</sup> يوقع الله في قلوبكم من أمور ترجف القلوب وتخور الطباع، وتلك سنته في كل باطل، فانه لكونه مرزولاً في نفسه لا ينشأ<sup>١</sup> عنه إلا الزوال والندم على ما وقع من تمنى أنه لم يقع، وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام<sup>١٠</sup> بما تدور مادته عليه بما يرشد [ إليه - ٢ ] مدن و دمن، وهو ينشأ من تضييع أفعال الأسباب التي أمر الإنسان بالسعى فيها كما أشار إليه حديث " احرص على ما ينفعك ولا تنجز فإن غلبك أمر قتل<sup>١</sup> : قدر الله وما شاء فعل، ولا تمل : [ لو أنى - ٢ ] فملت كذا، فإن " لو " تفتح / عمل الشيطان " .

٨ /

والفاسق المذكور في الآية المراد به الجنس، والذي نزل ذلك بسببه هو<sup>١٥</sup> الوليد بن عقبة، ولم ينزل كذلك حتى أن عثمان رضى الله عنه وولاه الكوفة فولى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً ثم قال: [ هل أزيدكم

(١) من مد، وفي الأصل: جدير (٢) زيد ما بين الحائزين من مد (٣) من مد، وفي الأصل: بما (٤) من مد، وفي الأصل: لا يثبت (٥) من مد، وفي الأصل: دواما (٦) من مد، وفي الأصل: قال - كذا .

فنزله عثمان رضى الله عنه .

و لما كان إقدامهم على كثير من الامور من غير -<sup>١</sup> [ مشاوره لمن  
أرسله الله رحمة لعباده ليعلمهم ما يأتون و ما يذرون عمل من لا يعلم  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منه ، و كان الإعراض عنه  
ه حيا و عن بذل الجهد فى استخراج الامور من شريعته بعد موته أمرا  
مفسدا للبين إن لم يعتبر و يتنبه [ له -<sup>١</sup> ] غاية التنبه ، أخبرهم به منزلا لهم  
منزلة من [ لا -<sup>١</sup> ] يعلم أنه موجود معه مشيرا بكلمة التنبه إلى [ أن -<sup>١</sup> ]  
من أخل<sup>٢</sup> بمراعاة ذلك فى عداد الغافلين [ فقال -<sup>١</sup> ] : ( و اعلوا )  
أى أيها الامة ، و قدم الخبر إيدافا بأن بعضهم<sup>٣</sup> باعتراضه أو بإقدامه<sup>٤</sup>  
١٠ على ما لا علم له به يعمل عمل من لا يعلم مقدار ما خصه الله به من إنعامه  
عليه به صلى الله عليه وسلم ، فهو يفيد توبيخ<sup>٥</sup> من فعل ذلك : ( ان فيكم )  
[ أى -<sup>١</sup> ] على وجه الاختصاص لكم و ياله من شرف ( رسول الله<sup>٦</sup> )  
أى الملك الاعظم المتصف بالجلال و الإكرام على حال هى أنكم تريدونه  
[ أن -<sup>١</sup> ] يتبع أذاكم ، و ذلك أمر شنيع جدا ، فانه لا يليق أن يتحرك  
١٥ إلا بأمر من أرسله ، فيجب عليكم الرجوع عن تلك الحالة ، فانكم تجهلون  
أكثر مما تعلمون ، و لإرادتهم أن لا يطيعهم فى جميع الامور عبر بالمضارع  
فقال : ( لو بطيعكم ) و هو [ لا -<sup>١</sup> ] يحب عتكم و لاشيئا يشق عليكم  
(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : انتحل - كذا (م) زيد فى  
الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفنا (ه) فى مد : إقدامه (ه) زيد  
فى الأصل : ذلك أى توبيخ ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفنا .



( في كثير من الامر ) أى الذى زيده على فعله من أنه يعمل  
 فى الحوادث على مقتضى ما يمن لكم و تستصوبونه ليكون فعله معكم  
 فعل المطواع<sup>١</sup> لغيره التابع له ، فيقلب حيثئذ الحال ، ويصير المتبوع  
 تابعا و المطاع طائعا ( لعنتم ) أى لآئمتهم و هلكتم<sup>٢</sup> ، و من أراد دائما  
 أن يكون أمر الرسول صلى الله عليه وسلم تابعا<sup>٣</sup> لأمره فقد زين له الشيطان ه  
 الكفران ، فأولئك هم الغاؤون ، و سياق ” لو “ معلم قطعا أن التقدير :  
 ولكنه صلى الله عليه وسلم لا يطيعكم لكرهته<sup>٤</sup> لما يشق عليكم لما هو متخلق به  
 من طاعة الله و الوقوف عند حدوده و التقيد فى جميع الحركات و السككات  
 بأمره ، مع ما له من البصر فى التمييز بين الملبسات و الخبرة التامة بالامور  
 المشتبهات ، التى هى سبب هلاك الأغلب لكونها لا يعلمها كثير من الناس ، ١٠  
 و التقيد<sup>٥</sup> بالكثير معلم بأنهم يهيئون وجه الرشاد فى كثير من الامور .  
 و لما كان التقدير حتما بما هدى إليه السياق : و لو خالفتموه فى  
 الامور التى [ لا -<sup>٦</sup> ] يطيعكم فيها لعنتم ، استدرك عنه قوله : ( ولكن الله )  
 أى الملك الاعظم الذى يفعل ما يريد ( حبب اليكم الايمان ) فلزمت  
 طاعته و عشقتم متابعتة . و لما كان الإنسان قد يحب شيئا و هو يعلم ١٥  
 فيه عيبا ، فيكون جديرا بأن يترزل<sup>٧</sup> فيه ، نرى ذلك بقوله :

---

( ١ ) من مد ، و فى الأصل : المطواع ( ٢ - ٢ ) من مد ، و فى الأصل : لآئمتهم  
 و هلكتم - كذا ( ٣ ) من مد ، و فى الأصل : شائعا ( ٤ ) فى مد : مع كراهته .  
 ( ٥ ) من مد ، و فى الأصل : التقيد ( ٦ ) زيد من مد ( ٧ ) من مد ، و فى  
 الأصل : يترزل .

( وزيته في قلوبكم ) أى فلا شئ عندكم أحسن منه و [ لا - ١ ]  
 يعادله ولا يقاربه بوجه ( وكره اليكم الكفر ) وهو تغطية ما أدت  
 إليه الفطرة الأولى والعقول المجردة عن الهوى من الحق بالوجود  
 ( والفسوق ) وهو المروق من رتبة الدين، ولو من غير تغطية بل  
 ٥ بغير تأمل ( والعصيان ) وهو الامتناع من الاقياد عامة فلم تخالفوه،  
 ورأيتم خلافه هلاكا، فصرتم والمنة لله أطوع شئ للرسول صلى  
 الله عليه وسلم، فلم [ من هذا - ١ ] أن الله تعالى هو الفاعل وحده  
 لجميع الافعال من الطاعات والمعاصى والعادات والعبادات، لانه خالق  
 لكل، و مدحوا لفعل الله بهم لأنهم الفاعلون في الظاهر فهو واقع  
 ١٠ موقع: أطعتم الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تخالفوه<sup>٢</sup>، [ وإنما وضع - ١ ]  
 فعل الله وهولا يمدحون عليه موضع فعلهم الذى يمدحون عليه للحث  
 على الشكر والانسلاخ من العجب .

ولما أرشد السياق إلى متابعتهم على هذا الوجه، أخرج قوله مادحا لهم .  
 ثانيا الكلام عن خطابهم إلى خطابه صلى الله عليه وسلم ليدل على عظم  
 ١٥ هذه الاوصاف و بينه بأداة البعد على علو مقام المتصف: ( اولئك )  
 [ أى - ١ ] الذين أعلى الله القادر على كل شئ<sup>٣</sup> مقاديرهم ( هم ) أى  
 خاصة ( الراشدون ) أى الكاملون في الرشد وهو الهدى على أحسن  
 سمت وتقدير، وفي تفسير الاصبهاني: الرشد الاستقامة على طريق الحق

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفي الأصل: عادة (٣) من مد، وفي  
 الأصل: لم تخالفوا (٤-٤) سقط ما بين الرقين من مد .

مع تصلب فيه - انتهى . و الذى أتجج الرشاد متابعة الحق ، فان الله تكفل لمن تعمد الخير و جاهد نفسه على البر بإصابة الصواب و لإحكام المساعى المنافى للندم ، ” و الذين جاهدوا فإنا لنهدينهم سبلنا و ان الله لمع المحسنين “ و قد دل السياق على أنهم كانوا فى خبر الوليد صنفين : صنف صدقه و أراد 'غزوة بنى' المصطلق و أشار به ، و صنف توقف ، و أن ه الصنفين سلموا آخر الأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم فهدوا<sup>٢</sup> ، فالآية من الاحتباك و هى شبيهة به : دلت الشرطية فى ” لو يطيعكم “ على الاستدراكية ، و الاستدراكية فى ” ولكن الله “ على تقدير الشرطية دلالة ظاهرة .

ولما ذكر التحبيب و التزيين و التكريه و ما أتجه من الرشاد ، ١٠ ذكر علته إعلاما بأنه تعالى لا يجب عليه شئ حثا على الشكر فقال : ﴿ فضلا ﴾ أى زيادة و تطولا و امتنانا عظيما جسيما و درجة عالية ﴿ من الله ﴾ الملك الأعظم الذى يده كل شئ ﴿ و نعمة<sup>٣</sup> ﴾ [ أى - ] و عيشا حسنا ناعما و خفضا<sup>٤</sup> و دعة و كرامة .

ولما كان التقدير : فانه منعم بفضل ، يده كل ضر و نفع ، عطف ١٥ عليه قوله : ﴿ والله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ علیم ﴾ أى محيط العالم ، فهو يعلم أحوال المؤمنين و ما بينهم من التفاضل ﴿ حكيمه ﴾ بالغ الحكمة ، فهو يضع الأشياء فى أوفق محالها و أتقنها ، فلذلك وضع نعمته من الرسالة

(١-١) من مد ، و فى الأصل و ظ : غفرة - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : مرشد (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : خصيا .

و الإيمان على حسب علمه و حكمته .

و لما كانت النعمة و نقل الاخبار الباطلة الذميمة ربما جرت فتنا  
و أوصلت إلى القتال ، و كان <sup>٢</sup>العليم الحكيم <sup>١</sup> لا ينصب سميا إلا ذكر مسيه  
و أشار إلى دبراته <sup>٣</sup> ، و كان لا ينهى عن الشيء إلا من كان متبها له لما في  
هـ جبلته من الداعي إليه ، فكان قد يواقعه و لو في وقت ، قال تعالى مجلها  
٤ لنا طريق الحكمة في دفع ما جرت إليه <sup>٥</sup> الاخبار الباطلة من القتال ،  
معبرا بأداة الشك إشارة إلى أن [ ما - ٦ ] في حيزها لا ينبغي أن يقع  
بينهم ، و لا أن يذكره إلا على سبيل الفرض : ( و ان طائفتين ) أي  
جماعتان بالفعل أو القوة جدير كل جماعة منهما بأن يجتمع [ على - ٦ ]  
١٠ ما دهمها <sup>٧</sup> من الأمير بحيث تصير من شدة مراعاته كالطائفة حوله  
و المتعلقة به ، بحيث لا يدري من شدة اجتماعها على ذلك أولها من  
آخرها ( من المؤمنين ) أي ممن هو معدود في عداد العريقين في الإيمان  
سواء كان هو عريقا أو فاعلا ما يطلق <sup>٨</sup> عليه به الاسم فقط .

و لما كانت الشناعة و الفساد في قتال الجماعة أكثر ، عبر بضمير  
١٥ الجمع دون <sup>٩</sup> التثنية تصورا <sup>١٠</sup> لذلك بأقبح صورة فقال : ( اقتلوا ) [ أي - ٣ ]  
فاختلطوا بسبب القتال حتى كانوا كالفرقة الواحدة ( فاصلحوا ) أي

( ١ ) من مد ، و في الأصل : حكمة ( ٢ - ٢ ) في مد : الحكيم العليم ( ٣ ) من مد ،  
و في الأصل : رواية ( ٤ ) من مد ، و في الأصل : الحق ( ٥ ) من مد ، و في  
الأصل : به ( ٦ ) زيد من مد ( ٧ ) من مد ، و في الأصل : دهمها ( ٨ ) من مد ،  
و في الأصل : ينطلق ( ٩ - ٩ ) من مد ، و في الأصل : التبنية .

فأوتقوا الإصلاح ليحصل الصلح . و لما كانت العبرة في الصلح إذا وقع بين الطائفتين ما يسكن به الشر وإن تخلف شذان من الجائزين لا يعبأ بهم ، عبر بالثنية دون الجمع فقال : ( بينهما ع ) أى بالوعظ والإرشاد الدينى والآخرى ، ولا تظنوا أن الباغي غير مؤمن فتجاوزوا فيه أمر الله .

- ولما كان البنى من أشنع الأمور فكان ينبغي أن لا يلم به أحد ، عبر بأداة الشك إرشادا إلى ذلك فقال : ( فإن بفت ) أى أوقعت الإرادة السيئة الكائنة من النفوس التى لا تأمر بخير ( احذنها ) أى الطائفتين ( على الآخرى ) فلم ترجع إلى حكم الله الذى خرجت عنه ولم تقبل الحق . ولما كان الإضمحار هنا رماؤهم لبسا فتمسك به متعت ١٠ فى أمر فساد ، أزال بالإظهار كل لبس فقال : ( قاتلوا ) أى أوجدوا و اطلبوا مقاتلة ( التى ) . ولما كان القتال لا يجوز إلا بالاستمرار على البنى ، عبر بالمضارع إيهاما لأنه متى زال البنى ولو بالتوبة من غير شوكه حرم القتال فقال : ( تبنى ) أى توقع الإرادة و نصر عليها ، و أديموا القتال لها ( حتى تفتى ) أى ترجع عما صارت إليه من ١٥ جر القطيعة الذى كأنه حر الشمس حين نسخ الظل إلى ما كانت فيه من البر والخير الذى هو كالظل الذى ينسخ الشمس ، وهو معنى قوله
- (١) فى مد : كان (٢) من مد ، وفى الأصل : التى (٣) من مد ، وفى الأصل : بالنوسبة (٤) من مد ، وفى الأصل : إليه .

تعالى : ﴿ الى امر الله ج ﴾ أى [ التزام - ١ ] ما أمر<sup>٢</sup> به الملك الذى لا يهمل الظالم ، بل لابد أن يقاصه و أمره ما<sup>٣</sup> كانت عليه<sup>٤</sup> من العدل قبل البنى . و لما كانت مقاتلة الباغى جديرة بترجيحه ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ فان قات ﴾ أى رجعت إلى ما كانت عليه من التمسك بأمر الله .  
 ٥ الذى هو العدل ﴿ فاصلحوا ﴾ أى أوقعوا الإصلاح ﴿ بينهما ﴾ .

و لما كان الخصام يجر فى الغالب من القول و الفعل ما يورث للمصلحين أحنة على بعض المتخاصمين ، فيحمل ذلك على الميل مع بعض على بعض ، قال : ﴿ بالعدل ﴾ و لا يحملكم القتال على الحقد على المتقاتلين فتحيفوا . و لما كان العدل فى مثل ذلك شديدا على النفوس لما تحملت من الضغان قال ١٠ تعالى : ﴿ واقسطوا<sup>١</sup> ﴾ أى و أزيلو القسط - بالفتح و هو الجور - بأن تفعلوا القسط بالكسر و هو العدل العظيم الذى لا جور فيه ، فى ذلك و فى جميع أموركم ، ثم علله ترغيا فيه بقوله مؤكدا تنديها على أنه من أعظم ما يتبادح به<sup>٢</sup> ، وردا على من لعله يقول : إنه لا يلزم نفسه الوقوف عنده إلا ضعيف : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى يده النصر و الخذلان

١٥ ﴿ يحب المقسطين<sup>٣</sup> ﴾ أى يفعل مع أهل العدل من الإكرام فعل المحب . و لما أمر بما قد يفضى إلى القتال ، و كان الباغى ربما كان أقرب

إلى الصلح من جهة النسب من المبنى عليه فروعى ، و كان / القتال أمرا شاقا ربما حمل على الإحجام عن الإصلاح<sup>٤</sup> ، علل ذلك سبحانه بما قدم

/ ١١

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : اراد (٣-٢) من مد ، وفى الأصل : كان فيه (٤) من مد ، وفى الأصل : فيه (٥) من مد ، وفى الأصل : الصلح .

فيه قرابة الدين على قرابة النسب، وكشف كشفاً [ تاماً - ١ ] عن أنه لا يسوغ له<sup>١</sup> تركه لما يؤدى إليه من<sup>٢</sup> تفريق الشمل المؤدى إلى وهن الإسلام وأهله المؤدى إلى ظهور الباطل المؤدى إلى الفساد الأعظم الذى لا تدارك له قال تعالى: ﴿انما المؤمنون﴾ أى كلهم وإن تباعدت أنسابهم وأغراضهم وبلادهم ﴿اخوة﴾ لانتسابهم إلى أصل واحد وهو هـ الإيمان، لا بعد بينهم، ولا يفضل أحد منهم على أحد بجهة غير جهة الإيمان.

ولما كانت الاخوة داعية ولا بد إلى الإصلاح<sup>٣</sup>، سبب عنها قوله: ﴿فاصلحوا﴾.

ولما كانت الطائفة قد تطلق على ما هو أصل لأن يطاف حوله ١٠ كما يطلق على ما فيه أهلية التحلق والطواف، وكان أقل ما يكون ذلك فى الاثنين، وأن محاصمتها يجر إلى محاصمة طائفتين بأن يغضب لكل ناس من قبيلته وأصحابه، قال واضع الظاهر موضع المضمر مبالغة فى تقرير الأمر وتأكيده، وإعلاماً بأن المراد بالطائفة القوة لا الفعل بحيث يكون ذلك شاملاً للاثنين فافوقهما: ﴿بين أخويكم﴾ أى المختلفين ١٥ بقتال أو غيره كما تصلحون بين أخويكم من النسب، لإتفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير، بل الأمر كما نقل عن أبى عثمان الحيرى أن أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، وقرأ يعقوب<sup>٤</sup> "أخوتكم"

(١) زيد من مد (٢) سقط من مد (٣-٤) من مد، وفى الأصل: إلى - كذا.

(٤) من مد، وفى الأصل: الاصطلاح (٥) من مد، وفى الأصل: المتخفين.

(٦) راجع ثر المرجان ٦/ ٦٦٨.

بالجمع ، و قراءة الجماعة أبلغ لدلائها على الاثنين فما فوقهما بالمطابقة  
 ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى الملك الأعظم الذين هم عباده فى الإصلاح بينهما  
 بالقتال و غيره ، لا تفعلوا ما صورته إصلاح و باطنه إفساد ، و أشار إلى  
 سهولة الأمور عنده و تقوذا أمره و أن النفوس إنما تشوفها إلى الإكرام  
 ٥ لا إلى كونه من معين ، فبنى للفعول قوله تعالى : ﴿ لعلكم ترحمون ﴾  
 أى لتكونوا إذا فلتتم ذلك على رجاء عند أنفسكم و من ينظركم من  
 أن يكرمكم الذى لا قادر فى الحقيقة على الإكرام غيره بأنواع الكرامات  
 كما رحمت إخوتكم باكرامهم عن إفساد ذات البين التى هى الخالقة ، و قد  
 دلت الآية أن الفسق بغير الكفر لا يخرج عن الإيمان ، و على أن الإصلاح  
 ١٠ من أعظم الطاعات ، و على وجوب نصر المظلوم لأن القتال لا يباح  
 بدون الوجوب ، قال القشيري : و ذلك يدل على عظم وزر الواشى  
 و التهام و المضرب فى إفساد ذات البين ، و قال : من شرط الاخوة أن  
 لا تتحوج أخاك إلى الاستعانة بك و التماس النصرة منك<sup>٢</sup> ، و لا تقصر  
 فى تفقد أحواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته<sup>٣</sup> فيحتاج إلى مسألك .  
 ١٥ و لما نهى عن الإسراع بالإيقاع بمجرد سماع ما يوجب النزاع ،  
 و لحتم بما ترجى به الرحمة ، و كان ربما كان الخبر الذى أمر سبحانه  
 بتيهه<sup>٤</sup> صريحا ، نهى عن موجبات الشر التى يخبر بها فتكون سببا للضغائن  
 التى يتسبب عنها الشر الذى هو سبب للنقمة رحمة لعباد الله و توقعا للرحمة منه ،

(١) من مد ، و فى الأصل : يكرمكم - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل :  
 بك (٣) من مد ، و فى الأصل : حاجتك (٤) من مد ، و فى الأصل : تتيه .



فقال علي سبيل النتيجة من ذلك ذاكرنا ما في القسم الرابع من الآداب  
والمنافع من وجوب ترك أذى المؤمنين في حضورهم والإزراء بحالهم  
المذهب لسرورهم الجالب لسرورهم: (بأيها الذين آمنوا) أي أوقعوا  
الإقرار بالتصديق (لايسخر) / أي يهزا ويستذل.

١٢/

ولما كانت البخيرة تكون بحضرة ناس، قال معبرا بما يفهم أن هـ  
من شارك أو رضى أو سكت وهو قادر فهو<sup>٢</sup> سايخر مشارك للقاتل:  
(قوم) أي ناس فيهم قوة المحاربة، وفي التعبير بذلك مر إلى قيام  
الإنسان على نفسه وكفها [عما تريده - °] من النقائص شكرا لما  
أعطاه الله من القوة: (من قوم) فان ذلك يوجب الشر لأن أضعف  
الباس إذا حرك للاتقاص قوى بما يثور عنده من حظ النفس . ١٠  
ولما كان الذي يقتضيه الرأي الأصيل أنه لا يستذل الإنسان إلا  
من أمن أن يصير في وقت من الأوقات أقوى منه في الدنيا أو [في - °]  
الآخرة، علل بقوله: (عسي) أي لأنه جدير وخلق لهم (أن يكونوا)  
أي المستهزا بهم (خيرا منهم) فينقلب الأمر عليهم<sup>١</sup> ويكون لهم  
سوء العاقبة، قال [ابن - °] مسعود رضى الله عنه<sup>٢</sup>: البلاء موكل بالقول ١٥  
و [لو - °] سخرت من كلب خشيت [أن - °] أحول كلباء وقال

(١) من مد، وفي الأصل: من (٢) من مد، وفي الأصل: يذل (٣) من مد،  
وفي الأصل: وهو (٤) زيد في الأصل: قال، ولم تكن الزيادة في مد  
لحذفها (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي الأصل: عليه (٧) راجع كتاب  
الزهد لابن المبارك ص ٢٥٧ .

القشيري: ما استضعف<sup>١</sup> أحد أحدا إلا سبط<sup>٢</sup> عليه، ولا ينبغي أن  
تعتبر بظاهر أحوال الناس، فان [في - ٣] الزوايا خبايا، والحق سبحانه  
يستر أوليائه في حجاب الظنة، كذا في الخبر، وكم من أشعث أغبر ذي  
طمرين<sup>٣</sup> لا يوبه له لو أقسم على الله لأبره، .

و لما كان إطلاق القوم لمن كان فيه أهلية المداومة وهم الرجال،  
قال معبرا بما هو من النسوة بفتح النون أى ترك العمل: (ولانسآء من نساء)  
ثم علل التهمى بقوله: (عسى<sup>٤</sup>) أى<sup>٥</sup> ينبغي<sup>٦</sup> أن يخفن<sup>٧</sup> من (ان يكن)  
المسخور بهن (خيرا منهن<sup>٨</sup>) أى الساخرات .

و لما كانت السخرية تتضمن العيب، ولا يصرح فيها، وكان اللز  
العيب نفسه، رقى الأمر إليه فقال: (ولا تلزوا) أى تعيوا على  
وجه الخفية (انفسكم) بأن يعيب بعضكم بعضا بإشارة أو نحوها،  
فكيف إذا كان على وجه الظهور، فانكم فى التواصل والتراحم كنفس  
واحدة، أو يعمل الإنسان ما يعاب<sup>٩</sup> به، فيكون قد لاز نفسه أو يلز  
غيره فيكون لمزه له سببا لأن<sup>١٠</sup> يبحث عن عيوبه فيلزه فيكون هو  
الذى لمز نفسه (ولا تنازوا) أى يتز بعضكم بعضا، أى يدعو على  
وجه التغير والتسفل (باللقاب<sup>١١</sup>) بأن يدعو المرء صاحبه بلقب يسوءه سواء

(١) من مد، وفى الأصل: استغفر (٢) زيد فى الأصل: الله، ولم تكن .  
الزيادة فى مد لخذفناها (٣) زيد من مد (٤) من مد، وفى الأصل: طريق .  
(٥) سقط من مد (٦) من مد، وفى الأصل: ان (٧-٧) سقط ما بين الرقين  
من مد (٨) من مد، وفى الأصل: يعاقب (٩) من مد، وفى الأصل: عن أن .

كان هو المخترع له أولا ، وأما القاب المدح فعم هي كالصديق  
والفاروق .

ولما كان الإيمان قيدا لأوابد العصيان ، وكان التبرز و السخرية قطعاً  
لذلك القيد ، علل بما يؤذن بأنه فسق ، معبراً بالكلمة الجامعة لجميع المذام  
تفكيراً<sup>١</sup> من ذلك فقال : ( بنس الاسم الفسوق ) أى الخروج من ربة ه  
الدين ( بعد الايمان ج ) ترك الجار إيذاً بأن من وقع فى ذلك أوشك  
أن يلزمه فيستغرق زمانه فيه فان النفس عشاقه للتفاهى ، ولا سيما ما فيه  
استعلاء ، فن فعل ذلك فقد رضى لنفسه أن يوسم بالفسق بعد أن كان  
موصوفاً بالإيمان .

ولما كان التقدير : فن تاب فأولئك هم الراشدون ، وكان المقام ١٠  
بالتحذير أليق ، عطف عليه قوله : ( ومن لم يتب ) أى يرجع عما نهى  
الله عنه ، تخفف عن نفسه ما كان شدد عليها ( فأولئك ) أى البعداء  
من الله ( هم ) أى خاصة ( الظالمون ه ) أى العريقون فى وضع الأشياء  
فى غير مواضعها<sup>٢</sup> .

ولما كان الإنسان ربما دعا صاحبه بقلب له شئ غير قاصد به / عيبه ، ١٥ / ١٣  
أو فعل فعلاً يتزل على الهزء غير قاصد به الهزء ، نهى تعالى عن المبادرة  
إلى الظن من غير ثبت لأن ذلك من وضع الأشياء فى غير مواضعها ،  
الذى هو معنى الظلم<sup>٣</sup> فقال غاتماً بالقسم الخامس منها على ما فيه من

(١) من مد ، وفى الأصل : تنكيراً - كذا (٢) من مد ، وفى الأصل : لما  
كان (٣) من مد ، وفى الأصل : مواضع (٤) من مد ، وفى الأصل : الظالم .

المعالي و النفاس : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى اعترفوا بالإيمان و إن كانوا فى أول مراتبه ﴿ اجتنبوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم أن يتركوا و يبعدوا و يجعلوا فى جانب بعيد عنكم ﴿ كثيرا من الظن ﴾ أى فى الناس و غيرهم فاحتاطوا فى كل ظن و لا تبادوا معه حتى تهزموا<sup>١</sup> به فتقدموا بسببه على  
 ٥ ما يقتضيه من الشر إلا بعد التبين لحقه من باطله بأن يظهر عليه أماره صحيحة و سبب ظاهر، و البحث عن ذلك الذى أوجب الظن ليس بمنتهى عنه كما قتش النى صلى الله عليه وسلم فى قصة الإفك و تثبت حتى جاءه<sup>٢</sup> الخبر اليقين من الله، و أفهم هذا أن كثيرا منه مجتنب<sup>٣</sup> كما فى الاجتهاد حيث لا قاطع، و كما فى ظن الخير بالله تعالى، بل [ قد -<sup>٤</sup> ] يجب كما  
 ١٠ [ قال -<sup>٥</sup> ] تعالى ” و لو لا اذ سمعتموه ظن المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيرا “ و قد أفاد التنكير شياع النهى فى كل ظن، فكان بمعنى ” بعض “ مع الكفالة بأن كثيرا منه<sup>٦</sup> منتهى عن الإقدام عليه إلا بعد تبين أمره، و لو عرف لأفهم أنه لا يجتنب إلا إذا اتصف بالكثرة، قال القشيري : و النفس لا تصدق، و القلب لا يكذب، و التمييز بين النفس  
 ١٥ و القلب مشكل، و من بقيت عليه من حظوظه بقية و إن قلت فليس له أن يدعى بيان القلب، بل هو بنفسه [ ما -<sup>٧</sup> ] دام عليه شيء من بقيته، و يجب عليه أن يتهم نفسه فى كل ما يقع له من نقصان غيره،  
 (١) من مد، و فى الأصل : يخربوا (٢) من مد، و فى الأصل : جاء (٣) من مد، و فى الأصل : متنجب (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل : منهم .

ثم علل ذلك مشيراً إلى أن العاقل من يكف نفسه عن أدنى احتمال من الضرر احتمالاً مؤكداً لأن أفعال الناس عند الظنون أفعال من هو جازم بأنه 'برىء من الإثم: ( أن بعض الظن إثم ) أى ذنب يوصل صاحبه لاستحقاق العقوبة كالظن فى أصول الدين، وحيث يخالفه قاطع، قال الزمخشري<sup>٢</sup> رحمه الله تعالى: الهمة فى الإثم عن الواو وكأنه يتم الأعمال ٥ أى يكسرها بإحباطه .

ولما نهى عن اتباع الظن ، أتبعه ما يتفرع عنه فقال: ( ولا تجسسوا ) أى تمنعوا فى البحث عن العورات ولا يكون ذلك إلا فى المستورين .

ولما كانت الغيبة أعم من التجسس ، قال: ( ولا يقتب ) أى ١٠ يعتمد أن يذكر ( بعضكم بعضاً ) فى غيبته بما يكره ، قال القشيري: وليس تحصل الغيبة من الخلق إلا بالغيبة<sup>٣</sup> عن الحق ، وقال أبو حيان<sup>٤</sup>: قال ابن عباس رضى الله عنهما: الغيبة إدام كلاب<sup>٥</sup> الناس .

ولما كان تمزيق عرض الناس كتمزيق أديهم ولا يكون ذلك سار عظمت<sup>٦</sup> الذى به قوامه<sup>٧</sup> كما أن عرضه<sup>٨</sup> سار عليه ، و'كونه لا يرد ١٥ عن نفسه بسبب غيبته كموته<sup>٩</sup> وأعمال القم والجوف فى ذلك كله ،

(١) من مد ، وفى الأصل : به (٢) راجع البحر المحيط ١١٤/٨ (٣) فى مد : من الغيبة (٤) من مد والبحر ، وفى الأصل : كلام (٥) من مد ، وفى الأصل : جمعهم لأن (٦) من مد ، وفى الأصل : عظمهم (٧) من مد ، وفى الأصل : قوامهم (٨) من مد ، وفى الأصل : عرضهم (٩ - ٩) من مد ، وفى الأصل : كونهم لا يردون عن أنفسهم بسبب غيبتهم كونهم .

و كأن هذا لو تأمله العاقل كان منه على غاية النفرة، ولكنه لحقائه  
لا يخطر بباله، جلالة له في قوله تقريراً وتعبيراً بالحب عما هو في غاية  
الكراهة لما للفتاب من الشهوة [ في الغيبة - ٢ ] ليكون التصور بذلك  
راداً له عنها / ومكرها فيها: ﴿ ايجب ﴾ وعم بقوله: ﴿ احكم ﴾ وعبر / ١٤  
هـ بأن والفعل تصورياً للفعل فقال: ﴿ ان ياكل ﴾ وزاد في التفسير يجعله  
في إنسان هو أخ فقال: ﴿ لحم اخيه ﴾ وأنهى الأمر بقوله: ﴿ ميتاً ﴾ .  
ولما كان الجواب قطعاً: لا يجب أحد ذلك، أشار إليه بما سبب  
من قوله: ﴿ فكرهتموه ﴾ أى بسبب ما ذكر طبعاً فأولى أن تكرهوا  
الغيبة المحرمة عقلاً، لأن داعي العقل بصير عالم، وداعي الطبع  
١٠ أعمى جاهل، وقد رتب سبحانه هذه الحكم أبداع ترتيب، فأمر سبحانه  
بالثبوت . و كان ربما أحدث ضغينة، نهى عن العمل بموجه من السخرية  
و اللز و والنيز و التهادى مع ما ينشره ذلك من الظنون، فان أبت  
النفس إلا تمادياً مع الظن فلا يصل إلى التجسس والبحث عن  
المعانيب، فان حصل الاطلاع عليها كيف عن ذكرها، وسعى في  
١٥ سترها، وفعل ذلك كله لخوف الله، لا شيء غيره، فان وقع في  
شيء من ذلك بادر المتاب رجاء الثواب .

(١) من مد، وفي الأصل: تعمده (٢) من مد، وفي الأصل: بما (٣) زيد  
من مد (٤) من مد، وفي الأصل: هذا (٥) من مد، وفي الأصل: النفوس .  
(٦) من مد، وفي الأصل: الذنب .

و لما كان التقدير: قاتركوه بسبب كراحتكم لما صورته، عطف عليه ما دل على العلة العظمى وهي 'خوف الله تعالى فقال: ﴿ واتقوا الله ﴾ أى اجعلوا بينكم وبين الملك الاعظم وقاية بترك ذلك وإصلاح ذات البين . و لما كان التقدير: فان الله يتوب عليكم إن تركتموه، عطف بما دل على أن ذلك صفة له متكررة التعلق فقال: ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الاعظم ﴿ تواب ﴾ أى مكرر للتوبة، وهي الرجوع عن المصيبة إلى [ ما - ٢ ] كان قبلها من معاملة النائب وإن كرر الذنب، فلا يأس أحد وإن كثرت ذنوبه وعظمت<sup>٢</sup> ﴿ رحيم ﴾ يزيده على ذلك أن يكرمه غاية الإكرام .

و لما ذكر سبحانه الاخوة الدينيه تذكيرا بالعاطف الموجب للاكرام، ١٠ المانع من الانتقام<sup>٣</sup>، ونهى عن أمور يجر إليها الإعجاب بالنفس من جهة التعظم بالآباء والعراقة في النسب العالى، أسقط [ ذاك - ٢ ] مينا أن لانسب إلا ما يثمره الإيمان الذى بدأ به من التقوى، و عبر بما يدل على الذنب والاضطراب إشارة إلى سفول رتبة من افتخر بالنسب، وإلى [ أن - ٢ ] من [ لم - ٢ ] يتعظ بما مضى فيعلو عن رتبة الذين ١٥ آمنوا فقد سفل سفولا عظيما: ﴿ يأيها الناس ﴾ أى كافة المؤمن وغيره ﴿ انا ﴾ على عظمتنا<sup>١</sup> وقدرتنا<sup>١</sup> ﴿ خلقنكم ﴾ أى أوجدناكم عن العدم (١) من مد، وفى الأصل: هو (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل: وجد الله، ولم تكن الزيادة فى مد لغذناها (٤) من مد، وفى الأصل: « و » . (٥) فى مد: الانقاص (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من مد .

على ما أتم عليه من المقادير في صوركم و ما أتم عليه من الشعب الذي  
يفوت الحصر ، وأخرجنا كل واحد منكم<sup>٢</sup> ( من ذكر ) هو المقصود  
بالعزم والقوة ( واثى ) هى موضع<sup>٣</sup> الضعف والراحة ، لامرية لأحد  
منكم في ذلك على آخر ، ولا نغر في نسب .

٥ ولما كان تفضيلهم إلى فرق لكل منها تعرف [ به - ١ ] أمرا  
بأهرا ، عبر فيه<sup>٤</sup> بنون العظمة فقال : ( وجعلنكم ) أى بعظمتنا ( شعوبا )  
تتشعب<sup>٥</sup> من أصل واحد ، جمع شعب بالفتح و [ هو - ٢ ] الطبقة  
الأولى من الطبقات الست من طبقات النسب التى عليها العرب  
( وقبائل ) تحت الشعوب ، وعمائر تحت القبائل ، وبطوننا تحت العمائر ،  
١٠ [ و - ٣ ] أنفاذا تحت البطون<sup>٦</sup> ، وفصائل تحت الأنفاذ ، والعشائر تحت

/ ١٥

الفصائل ، خزعة شعب ، وكنانة / قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصى بطن ،  
وعبد مناف نخذ ، وهاشم فضيلة ، والعاماس عشيرة ، قال البغوى<sup>٧</sup> : وليس  
بعد العشيرة حى يوصف به - انتهى . واقتصر على الأولين لأنها أقصى  
ما يسهل على الآدمى معرفته فما دونه أولى ، ثم ذكر علة التشعب ليوقف  
١٥ عندها فقال : ( لتعارفوا<sup>٨</sup> ) أى ليعرف الإنسان من يقاربه في النسب  
ليصل من رحمه ما يحق له ، لالتواصفوا وتفاخروا .

ولما كانت فائدة التفاخر بالتواصف<sup>٩</sup> عندهم الإكرام لمن كان

( ١ ) من مد ، وفى الأصل . اتى ( ٢ ) من مد ، وفى الأصل : منهم ( ٣ ) فى  
مد : موطن ( ٤ ) زيد من مد ( ٥ ) من مد ، وفى الأصل : به ( ٦ ) من مد ،  
وفى الأصل : تشعبوا ( ٧ ) فى الأصل وم : العمائر ( ٨ ) فى معالم التنزيل بهامش  
لباب التأويل ٦ / ١٩١ ( ٩ ) من من مد ، وفى الأصل : بالوصف .



أنفر، فكانت الآية السالفة التي ترتبت عليها هذه أمره بالتقوى كان التقدير: فتقوا الله في أنفسكم و ذوى أرحامكم، فقال مبطلا للتفاخر بالانساب مجللا لما أرشد إلى تقديره السياق مؤكدا لاجل ما عندهم من ان الكرم إنما هو بالنسب: ﴿ ان اكرمكم ﴾ ايها المتفخرون ﴿ عند الله ﴾ أى الملك الذى لا أمر لأحد معه ولا كريم إلا من أكرمكم بكرمه ولا هـ كال لأحد سواه ﴿ اتقكم ﴾ فذلك هو الذكر الذى يصح أصله باقتدائه بأبيه آدم عليه السلام فلم يمل إلى الآثورة وإن كان أدناكم نسباً ولذلك<sup>٢</sup> أكدته، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا، أى علوا<sup>١</sup> » بأن<sup>٣</sup> كانت لهم ملكة الفقه فعملوا بما علوا كما قال الحسن رحمه الله: إنما الفقيه العامل بعلمه. وقد ١٠ تقدم أن هذا [ هو -<sup>١</sup> ] المراد بقوله تعالى "هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون" لما دل عليه سياقها وسابقتها، والاتقى لا يفتخر على غيره لأنه لا يعتقد أنه أتقى، قال الرازى فى اللوامع: أكرم الكرم التقوى، وهو يجمع الفضائل الإنسانية، و ألام اللؤم الفجور، وذلك أن الكرم اسم للأفعال المحمودة، وهذه الأفعال إنما تكون محمودة إذا كانت عن علم، وقصد بها الله، ١٥ وهذا هو التقوى، فليس التقوى إلا العلم ونحو الأفعال المحمودة - انتهى. وذلك لأن<sup>٤</sup> التقوى تثبت الكمالات وتنفي النقائص فيصير

(١) من مد، وفى الأصل: رتب (٢) فى مد: أخبركم (٣) من مد، وفى الأصل: كذلك (٤) فى مد: فعلوا (٥) من مد، وفى الأصل: فإن (٦) زيد من مد (٧) من مد، وفى الأصل: إن.

صاحبها بشريا ملكيا .

ولما كان هذا مركوزا في طبائعهم مفروزا في جبلاتهم متوارثا<sup>١</sup>  
عندهم أن الفخر إنما هو بالانساب، وأن الكرم إنما هو من طاب أصله،  
وكان قلع ذلك من نفوسهم فيما أجرى به سبحانه العادة في دار الأسباب  
٥ يتوقف على تأكيد، أكد سبحانه معللا قوله لإخباره بالأكرم: ﴿إن الله﴾  
أي المحيط علما وقدره ﴿عليم﴾ أي بالغ العلم بالظواهر ﴿خير﴾  
محيط العلم بالبواطن والسرائر أيضا، روى البغوي<sup>٢</sup> بسند من طريق عبد الله  
ابن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف  
يوم الفتح على راحلته ليستلم الأركان بمحجته، فلما خرج لم يجد مناخا  
١٠ قزل على أيدي الرجال، ثم قام فخطبهم ثم حمد الله وأثنى عليه وقال:  
الحمد لله الذي أذهب عنكم عية الجاهلية وتكبرها بآبائها، [إنما] الناس  
رجلان: يرتقى كرم على الله، وفاجر شقي حين على الله - ثم تلا "يا أيها الناس"  
الآية، ثم قال: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وأخرجه أبو داود<sup>٣</sup>  
والترمذي<sup>٤</sup> [وحسنه - °] والبيهقي - قال المنذرى<sup>٥</sup>، باسناد [حسن، و - °]  
١٥ اللفظ له - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
قال: إن الله عز وجل أذهب عنكم عية الجاهلية ولحقها بالآباء، الناس:  
بنو آدم و آدم من تراب، مؤمن تقى وفاجر شقى، لينتهين أقوام يفتخرون  
(١) من مد، وفي الأصل: متوازيا (٢) راجع العالم بهامش الباب ٦ / ١٩٢ .  
(٣) راجع السنن ٢ / ٣٥٠ (٤) راجع الجامع أبواب التفسير ٢ / ١٥٩ (٥) زيد  
من مد (٦) في الترغيب والترهيب .

برجال إتمام لحم من لحم جهنم أو<sup>١</sup> ليكون أهون على الله من الجعلان  
التي تدفع التن بأقها .

ولما أمر سبحانه بإجلال رسوله صلى الله عليه وسلم وإعظامه ،  
ونهى عن أذاه في نفسه أو في أمته ، ونهى عن التفاخر الذي هو سبب  
التقاطع والتداجر ، وختم بصفة الخبر ، دل عليها بقوله [ مشيراً -<sup>٢</sup> ] إلى هـ  
أنه لا يعتد بشيء مما أمر به أو نهى عنه إلا مع الإخلاص فقال :  
( قالت الاعراب ) أى أهل البادية من بني أسد وغيرهم الذين هم معدن  
الغلظة [ والجفاء -<sup>٣</sup> ] الذين تقدم تأديبهم<sup>٤</sup> في سورة الفتح ، والحق -  
الناء في فعلهم إشارة إلى ضعفهم في المزائم ، قال ابن برجان : هم قوم  
شهدوا شهادة الحق<sup>٥</sup> وهم لا يملون ما شهدوا به غير أن أنفسهم ١٠  
[ ليست -<sup>٦</sup> ] تنازعهم إلى التكذيب : ( أمنا ) [ أى -<sup>٧</sup> ] بجميع  
ما جئت به فامتثلنا ما أمرنا به في هذه السورة ولنا النسب الخالص ، فحن  
أشرف من غيرنا من أهل المدر .

ولما كان الإيمان التصديق بالقلب فلا اطلاع عليه لأدنى إلا باطلاعه  
سبحانه فكانوا كاذبين في دعواه ، قال : ( قل ) أى تكذبوا لهم مع ١٥  
مراعاة الأدب في عدم التصريح بالتكذيب : ( لم تؤمنوا ) أى  
لم تصدق قلوبكم لأنكم لو آمنتم لم تمنوا<sup>٨</sup> بإيمانكم لأن الإيمان التصديق بجميع

( ١ ) من مد ، وفي الأصل : « و » ( ٢ ) زيد من مد ( م ) من مد ، وفي  
الأصل : تذبذبهم ( ٤ - ٤ ) من مد ، وفي الأصل : هم ( ه ) من مد ، وفي  
الأصل : لم تؤمنوا .

ما لله من الكمال الذى منه أنه لو لا منه بالهداية لم يحصل الإيمان، فله  
 و لرسوله - الذى كان ذلك على يديه - المن و الفضل .  
 و لما كان التقدير ما كان 'الأصل في' أن يكون الرد به وهو :  
 فلا تقولوا : آمنا ، فانه كذب ، و عدل عنه للاحتراز عن النهي عن القول  
 ٥ بالإيمان ، عطف عليه قوله : ﴿ ولكن قولوا ﴾ لأنكم أسلمتم للدنيا  
 لا للدين ، و عدل عنه لثلاث تكون شهادة لهم بالإسلام 'في الجملة' : ﴿ أسلمنا ﴾  
 أى أظهرنا الانقياد في الظاهر للأحكام الظاهرة فأما من أن نكون  
 حزبا للمؤمنين و عوبا للشركين ، يقال : أسلم الرجل - إذا دخل في السلم ،  
 كما يقال : أشقى - إذا دخل في الشتاء ، و لم يقل : ولكن أسلمتم ، لما فيه  
 ١٠ من الشهادة لهم بالإسلام الملازم للإيمان المنفي عنه ، فكان يكون تناقضا ،  
 و الآية من الاحتباك : نفى الإيمان الشرعى أولا يدل على إثبات الإسلام  
 للفرى ثانيا ، [ و الأمر بالقول بالإسلام - ٢ ] ثانيا يدل على النهي عن  
 القول بالإيمان [ أولا - ٣ ] .

و لما كانت "لم" غير مستغرقة ، عطف عليها ما يستغرق 'ما مضى'  
 ١٥ من 'الزمان كله' ليكون الحكم بعدم إيمانهم مكتنفا بأمرهم بالاعتقاد على  
 الإخبار باسلامهم ، فقال معلما بأن ما يجتهدون في إخفائه 'منكشف لديه'  
 "الا يعلم من خلق" : ﴿ ولما يدخل ﴾ [ أى - ٢ ] إلى هذا الوقت

(١ - ١) من مد ، و في الأصل : (٢ - ١) سقط ما بين الرقعين من مد .  
 (٣) زيد من مد (٤ - ٤) في مد : ماضى (٥ - ٥) في الأصل : منكشف يديه ،  
 و في مد : منكشف لديه (٦) زيد في الأصل : الإيمان ، و لم تكن الزيادة في  
 مد لحذفها .

( الإيمان ) [ أى - ١ ] المعرفة التامة ( ' فى قلوبكم ' ) فلا يعد إقرار  
اللسان إيمانا إلا بمواطاة القلب، فعصم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم  
وأحبطت أعمالكم، والتعير به لما يفهم أنهم آمنوا بعد ذلك، ويجوز أن  
يكون المراد بهذا النفي نفي التمكن فى القلب، لأننى مطلق الدخول بدليل  
" إنما المؤمنون " [ دون " إنما - ١ ] الذين آمنوا " .

ولما كان التقدير: فإن تؤمنوا<sup>٢</sup> يعلم الله ذلك من قلوبكم غنيا عن  
قولكم، عطف عليه قوله زغيا لهم فى التوبة: ( وان تضيعوا الله )  
أى الملك الذى من خالفه لم يأمن عقوبته ( ورسوله ) الذى طاعته  
من طاعته على ما أتم عليه من الأمر الظاهرى فتؤمن قلوبكم ( لا يلتكم )  
أى ينقصكم ويخسكم<sup>٣</sup> من لاته يلية، وهى لغة أهل الحجاز، وقرأ<sup>١٠</sup>  
البصريان: ١٠ يأتكم من الإلت وهو النقص أيضا، وهى لغة أسد وغطفان،  
وهم المخاطبون بهذه الآية المعاتبون بها، قال أبو حيان<sup>٤</sup>: قال مجاهد: نزلت  
فى [ بنى ] أسد بن خزيمه - انتهى . فذلك اختار أبو عمرو القراءة بها،  
وعدل عن لغة الحجاز ( من أعمالكم شيئا<sup>٥</sup> ) فلا حاجة إلى إخباركم عن  
إيمانكم بغير ما يدل عليه من الأقوال والأفعال، قال ابن رجان: فعموم<sup>١٥</sup>  
الناس وأكثر أهل الغفلة مسلمون غير مؤمنين، فإن يملوا علم ما شهدوا  
وعقدوا عليه عقدا<sup>٦</sup> علما ويقينا فهم المؤمنون . وفى الآية احتباك من

(١) زيد من مد ( ٢ - ٢ ) ليس ما بين الرقن فى الأصل ( ٣ ) من مد، وفى  
الأصل: لم تؤمنوا ( ٤ ) من مد، وفى الأصل: يحبسكم ( ٥ ) راجع نثر الرجان  
٦٧٦/٦ ( ٦ - ٦ ) من مد، وفى الأصل: يلتكم من الإلت وهى ( ٧ ) فى البحر  
المحيط ١١٧/٨ ( ٨ ) سقط من مد .

وجه آخر : ذكر عدم الإيمان أولا دليلا على إثباته ثانيا ، وذكر توفير الأعمال ثانيا دليلا على نجسها ' أو إحباطها أولا ، وسره أنه نفي أساس الخير أولا ورغب في الطاعة بحفظ ما تعبوا [ عليه - ٢ ] من الأعمال ثانيا ٢ .

٥ و لما كان الإنسان مبنيا على النقصان ، فلو وكل إلى عمله هلك ، ولذهب عمله فيما يعتريه من النقص ، قال مستعظما [ لهم - ٢ ] إلى التوبة ، مؤكدا تنبيهها على أنه مما يحق تأكيده [ لأن الخلائق - ٢ ] لا يفعلون مثله : ( ان الله ) أى الذى له صفات الكمال ( غفور ) أى ستور للبهوات والزلات لمن تاب وصحت نيته ، ولغيره إذا أراد ، فلا عتاب ١٠ ولا عقاب ( رحيم ) أى يزيد على السر عظيم الإكرام .

و لما نفي عنهم الإيمان ، وكان ربما غلط شخص فى نفسه : [ فظن - ٢ ] أنه مؤمن ، وليس كذلك ، أخبر بالمؤمن على سبيل الحصر ذاكرا أمارته الظاهرة الباطنة ، وهى أمهات الفضائل : العلم والعفة والشجاعة ، فقال : جوابا لمن قال : فمن الذى آمن ؟ عادلا عن جوابه إلى وصف الراسخ ١٥ ترغيا فى الاتصاف بوصفه وإيدانا بأن الخير عن نفسه بآية إيمانه لا يريد إلا أنه راسخ : ( انما المؤمنون ) أى العريقون فى الإيمان الذى هو حياة القلوب ، قال القشيري : والقلوب لا تحيى إلا بعد ذبح النفوس ، ( ١ - ١ ) من مد ، وفى الأصل : بغيرها ( ٢ ) زيد من مد ( ٣ ) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها ( ٤ ) فى مد : توكيده ( ٥ ) من مد ، وفى الأصل : قال ( ٦ ) فى مد : انه .

والنفوس لا تموت و لكنها تعيش ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى صدقوا معترفين  
 ﴿ بالله ﴾ معتقدين جميع ما له من صفات الكمال ﴿ ورسوله ﴾ شاهدين برسائه ،  
 وهذا هو المعرفة التى هى العلم ، و غايتها الحكمة ، وهذا الإثبات هنا  
 يدل على [ أن - ' ] المنفى فيما قيل الكمال لا المطلق ، وإلا لقال  
 " إنما الذين آمنوا " .

و لما كان هذا عظيما و الثبات عليه أعظم ، وهو عين الحكمة ،  
 أشار إلى عظيم مزية الثبات بقوله : ﴿ م ﴾ أى بعد امتطاء هذه الرتبة  
 العظيمة [ لم يرتابوا ﴾ أى يئزعو - ' ] الفطرة الأولى فى تعمد التسبب  
 إلى الشك و لم يوقعوا الشك فى وقت من الأوقات الكائنة بعد الإيمان ،  
 فلا يزال على تطاول الأزمنة و حصول الفتن وصفهم<sup>٢</sup> بعدم الريب<sup>٢</sup> ١٠  
 غضا جديدا ، ولعله عبر بصيغة الاقتعال إشارة إلى العفو عن حديث  
 النفس الذى لا يستطيع الإنسان دفع أصله و يكرهه غاية الكراهة<sup>٣</sup>  
 و يجتهد فى دفعه ، فاذا ان<sup>٤</sup> المذموم المشى معه و المطاولة منه  
 حتى يستحكم .

و لما ذكر الأمانة الباطنة على وجه جامع لجميع العبادات المالية ١٥

و البدنية قال<sup>٤</sup> : ﴿ وجاهدوا ﴾ / أى أوقعوا الجهاد بكل ما ينبغى أن  
 تجهد النفس فيه تصديقا لما ادعوه بالسنتهم من الإيمان ﴿ باموالهم ﴾  
 و ذلك هو العفة ﴿ وانفسهم ﴾ أعم من النية وغيرها ، و ذلك هو

(١) زيد من مد (٢ - ٢) من مد ، وفى الأصل : بعد الرقب (٣) من مد ،  
 وفى الأصل : الاكراه (٤) فى الأصل و مد : فقال .

الشجاعة، و قدّم الأموال لقلتها في ذلك الزمان عند العرب  
 ﴿ في سبيل الله ﴾ أى طريق الملك الأعظم بقتال الكفار و غيره من  
 سائر العبادات المحتاجة إلى المال و النفس<sup>١</sup> لا الذين يتخلفون و يقولون :  
 شغلنا أموالنا و أهلونا، قال القشيري : جعل [ الله -<sup>٢</sup> ] الإيمان مشروطاً<sup>٣</sup>  
 ٥ بحصول ذكرها، و ذكر لفظ " انما " و هى لتحقيق، تقتضى الطرد  
 و العكس، فن أفرّد الإيمان عن شرائطه التى جعلها له فردود [ عليه -<sup>٢</sup> ]  
 قوله، و الإيمان للعبد [ الأمان -<sup>٢</sup> ]، فإيمان<sup>٤</sup> لا يوجب الأمان لصاحبه  
 بخلافه أولى به<sup>٥</sup>.

ولما عرف بهم بذكر أمارتهم على سبيل الحصر، أنتج ذلك حصراً  
 ١٠ آخر قطعاً لأطماع المدعين على وجه أثنى عليهم فيه بما تعظم المدحة به  
 عندهم ترغيباً في مثل<sup>٦</sup> حالهم فقال : ﴿ أو آتاك ﴾ أى العالو الرتبة الذين  
 حصل لهم استواء الأخلاق و العدل فى الدين بجميع امهات الأخلاق  
 ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الصدقون ﴾ قالوا و حالا و فعلا، و أما غيرهم  
 فكاذب .

١٥ ولما كانوا كأنهم يقولون : نحن كذلك، أمره صلى الله عليه و سلم  
 بالإنكار عليهم و التوبيخ [ لهم -<sup>٢</sup> ] دلالة على ما أشار إليه ختام الآية  
 من إحاطة عليه الذى تميز به الصادق من غيره من جميع الخلق فقال :

(١-١) من مد، و فى الأصل : النفس و المال (٢) زيد من مد (٣) من مد،  
 و فى الأصل : غلوطا (٤) من مد، و فى الأصل : كإيمان (٥) من مد، و فى  
 الأصل : صاحبه (٦-٦) من مد، و فى الأصل : لئلا .



﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الاعراب مجعلا [ لهم - ' ] مبكتا : ﴿ اتعلون ﴾ [ أى - ' ] أنخبرون إخبارا [ عظيما - ' ] بليغا ، كأنهم لما آمنوا كان [ ذلك - ' ] إعلاما منهم ، فلما قالوا آمنا كان ذلك تكريرا ، فكان فى صورة التعليم ، فبكتهم بذلك ﴿ الله ﴾ أى الملك الاعظم المحيط قدرة وعلما ﴿ بدينكم <sup>١</sup> ﴾ فلذلك تقولون : آمنا ، فى ذلك نوع بشرى لهم لأنه هـ أوجد لهم ديناً وأضافه إليهم - قاله ابن برجان . ولما أنكر عليهم وبكتهم وصل به ما يشهد له <sup>٢</sup> فقال : ﴿ والله ﴾ أى والحال ان الملك المحيط بكل شيء ﴿ يعلم ما فى السموات ﴾ كلها على عظمتها وكثرة ما فيها ومن فيها . ولما كان فى سياق الرد [ عليهم - ' ] والتبكييت لهم كان موضع التأكيد فقال : ﴿ وما فى الارض <sup>٣</sup> ﴾ كذلك . ١٠

ولما كان المقام للتعميم ، أظهر ولم يضر ثلثا يومهم الاختصاص بما ذكر من الخلق فقال : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ بكل شيء ﴾ أى بما ذكر وبما لم يذكر ﴿ عليهم هـ ﴾ .

ولما كان قولهم هذا صورته صورة المنه ، قال مترجما له مبكتا لهم عليه معبرا بالمضارع تصورا لحاله فى شناعته : ﴿ يمتنون عليك ﴾ أى ١٥ يذكرون ذكر من اصطنع [ عندك - ' ] صنعة وأسدى إليك نعمة ، إنما فعلها لحاجتك إليها لا لقصد الثواب عليها ، لأن المن هو القطع - قال فى الكشف : لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته [ فلا غير - ' ] ، من

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : ذلك (٣) من مد ، وفى الأصل :

لهم (٤) من مد ، وفى الأصل : ذلك (٥) فى مد : يؤهم . ١٠

غير أن يعمد لطلب مثوبة ، ثم يقال : من عليه ضيعة - إذا اعتده عليه  
منه وإنعاما . ولما كان الإسلام ظاهرا في الدين الذي هو الانقياد  
بالظاهر مع إذعان [ الباطن - ١ ] لم يعبر به ، و قال : ﴿ ان اسلموا ﴾ أى  
أوقعوا الانقياد للأحكام في الظاهر .

٥ ولما كان المن هو القطع من العطاء الذى لا يراد عليه جزاء ،  
قال : ﴿ قل ﴾ أى فى جواب قولهم هذا : ﴿ لا تمنوا ﴾ معبرا بما من  
المن إشارة إلى أن الإسلام لا يطلب جزاؤه إلا من الله ، فلا ينبغي  
عده ضيعة على أحد ، فان ذلك يفسده ﴿ على اسلامكم ﴾ لو فرض  
أنكم ٢ كنتم مسلمين ٢ أى متدينين بدين الإسلام الذى هو انقياد الظاهر  
١٩ / ١٠ / مع إذعان الباطن ، [ أى - ١ ] لا تذكره على وجه الامتنان أصلا ،  
فالفعل وهو " تمنوا " مضمن " تذكروا " نفسه لأمعناه كما تقدم  
[ فى - ١ ] " ولتكبروا الله على ما هداكم " ﴿ بل الله ﴾ أى الملك  
الاعظم الذى له المنه على كل موجود ولا منة عليه بوجه ﴿ بمن عليكم ﴾  
أى يذكر أنه أسدى إليكم نعمة ظاهرة و باطنة منها ما هو ٢ ﴿ ان ﴾  
١٥ أى بأن ﴿ هدىكم للإيمان ﴾ أى بينه لكم أو وفقكم للاهتمام وهو تصديق  
الباطن مع الانقياد بالظاهر ، والتعبير عن هذا بالمن أحق مواضعه ، فانه  
سبحانه غير محتاج إلى عمل فانه لافتح يلحقه ولا ضرر ، وإنما طلب  
الأعمال لنفع ٣ العاملين أنفسهم ، و من عليهم بأن أرسل رسوله صلى الله  
على

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : مسلمون (٣-٣) سقط ما  
بين الرقين من مد (٤) زيد فى الأصل : المسلمين او ، ولم تكن الزيادة فى  
مد فخذناها .

عليه وسلم فبين لهم فكذبوه بأجمعهم ، فلم يزل يقويه حتى أظهر فيه  
 [ آية - ١ ] مجده وأظهر دينه على الدين كله ، ودخل فيه الناس طوعا  
 وكرها على وجوه من المجد يعرفها من <sup>٢</sup> استحضر السيرة <sup>٣</sup> ولا سيما من  
 عرف أمر بني أسد و غطفان الذين زلت فيهم هذه الآيات ، وكيف  
 كان حالهم في غزوة خيبر <sup>٤</sup> وغيره <sup>٥</sup> .

ولما كان [ المراد - ٥ ] بهذا تجهيلهم وتعليمهم حقائق الأمور ،  
 لا الشهادة لهم بالهداية ، قال منها على ذلك : ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونا  
 أنتم عريقون فيه ﴿ صدقيين ﴾ فى ادعائكم ذلك ، فانه على تقدير الصدق  
 إنما هو بتوفيق الله وهو الذى خلق لكم قدرة الطاعة ، فهو الفاعل فى  
 الحقيقة فله المنة عليكم ، قال الأستاذ أبو القاسم القشيري : من لاحظ شيئا <sup>١٠</sup>  
 من اعماله و أحواله فان رآها دون نفسه كان شركا ، وإن رآها لنفسه  
 كان مكررا ، فكيف بمن العبد بما هو شرك أو مكر ، و الذى يجب عليه  
 قبول المنة كيف يرى لنفسه على غيره منة ، هذا لعمري فضيحة ،  
 و المنة تكدر الصنعة ، إذا كانت من المخلوقين ، و بالمنة تطيب النعمة إذا  
 كانت من قبل الله .

١٥

ولما نقي عنهم ما هو باطن ، و ختم جدالهم سبحانه بهذه الشرطية ،  
 فكان ربما توهم قاصر النظر جامد الفكر عدم العلم بما هو عليه ، أزال

(١) زيد من مد (٢) سقط من مد (٣-٣) من مد ، و فى الأصل : استحفره .  
 (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) فى الأصل بياض ملأناه من مد .

ذلك على وجه عام ، و أكدّه لذلك فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بكل  
 شىء قدرة و علما ﴿ يعلم ﴾ أى بطريق ثبوت الصفة و تجريد التعلق  
 و استمراره كلما تجدد محدث أو كان بحيث ' يتجدد ﴿ غيب السموات ﴾  
 أى كلها ﴿ والارض ﴾ كذلك .

٥ و لما أريد التعميم من غير تقييد بالخافقين أظهر و لم يضر قوله :

﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة بذلك و بغيره مما لا تعلمون ﴿ بصير ﴾ أى  
 عالم أتم العلم ظاهرا و باطنا ﴿ بما تعملون ﴾ من ظاهر لإسلامكم و باطن  
 لإيمانكم فى الماضى و الحاضر و الآتى سواء كان ظاهرا أو باطنا سواء كان  
 قد حدث فصار بحيث تعلمونه أتم أو كان مغروزا فى جبلاتكم و هو  
 ١٠ خفى عنكم - هذا على قراءة الخطاب<sup>٢</sup> التفات<sup>١</sup> إليهم لاستنفاد من توهم

منهم هذا التوهم ، و هى أبلغ ، و على قراءة ابن كثير بالغيب يكون على  
 الأسلوب الاول بما أمر النبي صلى الله عليه و سلم بإبلاغه لهم ، فهو سبحانه  
 / عالم بمن انطوى ضميره على الإيمان ، و من هو متكيف بالكفران ، و من

/ ٢٠

يموت على ما هو عليه ، و من يتحول حاله بإبعاد عنه أو جذب إليه ،

١٥ قال القشيري رحمه الله تعالى : و من وقف ههنا تكدر عليه العيش إذ

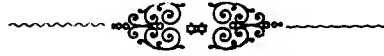
ليس يدرى ما غيبه فيه ، و فى المعنى قال<sup>٤</sup> :

(١) من مد ، و فى الأصل : يحب<sup>(٢)</sup> راجع نثر المرجان ٦/ ٦٨٠ (٣) من مد ،

و فى الأصل : التفانا (٤) سقط من مد .

أبكي وهل تدري ما يبكي أبكي حذارا أن تفارقيني  
و تقطعي حبل<sup>١</sup> و تهجريني

اتتهى . وفي ذلك أعظم زجر<sup>٢</sup> و ترهيب لمن قدم بين [ يدي - ]<sup>٣</sup>  
الله ورسوله ولو أن تقدمه في سره . فانه لا تهديد أبلغ من إحاطة العلم ،  
فكانه قيل : لا تقدموا بين يديه فان الله محيط العلم فهو يعلم سركم و جهركم ،  
فقد رجع هذا<sup>٤</sup> الآخر إلى الأول<sup>٥</sup> ، و التف به التفاف الأصل بالموصل .



(١) من مد ، وفي الأصل : جيلي (٢) من مد ، وفي الأصل : زاجر (٣) زيد  
من مد (٤) من مد ، وفي الأصل : التفت (٥ - ٥) من مد ، وفي الأصل :  
الأول إلى الآخر .

## سورة ق وتسمى الباسقات

مقصودها تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في الرسالة التي معظمها الإنذار وأعظمه 'الإعلام' يوم الخروج بالدلالة على ذلك بعد الآيات المسبوقة الغنية بإعجازها عن تأييد بالآيات المرتبة الدالة قطعاً على الإحاطة بجميع صفات الكمال، وأحسن من هذا أن يقال: مقصودها الدلالة على إحاطة القدرة التي هي نتيجة ما ختمت به الحجرات من إحاطة العلم<sup>١</sup> لبيان أنه لا بد من البعث ليوم الوعيد، فتكتف هذه الإحاطة بما يحصل من الفضل بين العباد بالعدل لأن ذلك هو سر الملك الذي هو سر الوجود وذلك هو نتيجة مقصود البقرة، والذي تكفل بالدلالة على هذا كله ما شوهد من إحاطة [ مجد - ° ] القرآن بإعجازه في بلوغه في كل من جميع المعاني وعلو التراكيب وجلالة المفردات وتلازم الحروف وتناسب النظم ورشاقة الجمع وحلاوة التفصيل إلى حد لا تطيقه القوى، ومن إحاطة أوصاف الرسول الذي اختاره سبحانه لإبلاغ هذا الكتاب في الخلق، وما شوهد من إحاطة القدرة بما هدى إليه القرآن من آيات<sup>٢</sup> الإيجاد والإعدام، وعلى كل من الاحتمالين دل اسمها "ق" لما في آياته<sup>٣</sup> من إثبات المجد بهذا الكتاب، والمجد هو الشرف والكرم<sup>٤</sup>

(١) المنسوبة من سور القرآن الكريم مكية وعدد آياتها ٤٥ بالاتفاق (٢) من مد، وفي الأصل: معظمه (٣) في مد: الإنذار (٤) سقط من مد (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي الأصل: الآيات (٧) في مد: آيته (٨) من مد، وفي الأصل: الأكرام.

و الرفعة و العلو، و ذلك لا يكون إلا و الآتى به كذلك، و هو ملازم  
 لصدقه فى جميع ما أتى به، و للقف و حدها أتم دلالة على ذلك،  
 أولا بمخرجها فانه من أصل 'اللسان بما يلى الحلق و يحاذيه من الحنك  
 الأعلى، فان ذلك إشارة إلى أن مقصود السورة الأصل و العلو، و كل  
 منها دال على الصدق دلالة قوية، فان الأصل فى وضع الخبر الصدق، ه  
 و دلالته على الكذب و ضعية لاعقلية، و هى أيضا محبطة باسمها  
 أو مسماها بالمخارج الثلاث، و الإحاطة بالحق لا تكون إلا مع العلو، و هو  
 لا يكون إلا مع الصدق، و لإحاطتها سى بها الجبل المحيط بالأرض، هذا  
 بمخرجها، و أما صفتها فانه عظمة فى ذلك فان لها الجهر و الشدة  
 و الافتتاح و الاستعلاء و القلقة، و كل منها ظاهر الدلالة على ذلك جدا، ١٠  
 / و أدل ما فيها من المخلوقات على هذا المقصد النخل، لما انفردت به  
 عما شاركها من النبات بالإحاطة بالطول و كثرة النافع، فانها جامعة  
 للتفكه بالقلب ثم الطلع ثم البسر ثم الرطب و بالاقنيات بالتمر و بالحشب  
 و الحطب و القطا و الخوص النافع للافتراش و الليف النافع للرجال،  
 و دون ذلك و أعلاه من الحلال، هذا مع كثرة ملابس العرب الذين ١٥  
 هم أول مدعو بهذا الكتاب الذكر لها و معرفتهم بخواصها. و أدل ما فيها  
 الطول مع أنه ليس لعروقتها من الامتداد فى الأرض و التمكن ما لغيرها،  
 و مثل ذلك غير كاف فى العادة فى الإمساك عن السقوط و كثرة الحمل  
 و عظم الاتقاء و تناضد الثمر، و لذلك سميت سورة الباسقات لا النخل

(١) و من هنا إلى ما سنبه عليه ليست نسخة مد واضحة .

﴿ بسم الله ﴾ الذى من إحاطة حمده بيانه ما لنيه صلى الله عليه وسلم  
من إحاطة الحمد، ولقدرته سبحانه من الإحاطة التى ليس لها حد  
﴿ الرحمن ﴾ الذى عم خلقه برحمته حين أرسل إليهم محمدا صلى الله عليه  
وسلم بشرائه، فهو أصدق العباد، وأظهر بعظيم معجزاته أن قدرته  
ه ما لها من نقاد ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى خص بالفوز فى دار القرار  
أهل الرغاد .

لما ختم سبحانه الحجرات بأحاطة العلم قال أول هذه : ﴿ ق ق ﴾  
إشارة إلى أنه هو سبحانه وحده المحيط علما وقدره بما له من العلو  
والشدة والقوة والقيومية والقهر وناقد القضاء والفتح لما أراد من  
المخلوقات، بما اشارت إليه القاف بصفاتها وأظهرته بمخرجها المحيط بما جمعه  
مسماها من المخارج الثلاث: الخلق واللسان والشفاه .

وقد قال الأستاذ أبو الحسن الحارثى فى سر افتتاح المفصل بهذا  
أحرف فقال فى آخر كتابه فى هذا الحرف : اعلم أن القرآن منزل مثنى، ضمن  
ما عدا المفصل منه الذى هو من قاف إلى آخر الكتاب العزيز وناقحة  
١٥ ما يختص بأولى العلم والفقه من مبسوطات الحكم ومحكمات الأحكام  
ومطولات الأفاضل، ومتشابه الآيات، والسور المفتحة بالحروف  
الكلية للإحاطة لغيبية المتهجى المسندة إلى آحاد الأعداد، فلعلو رتبة  
إيراده وطوله فى الحق سبحانه الخطاب وانتظمه فى سور كثيرة العدد  
يسيرة عدد الآى قصيرة مقدارها، ذكر فيها من أطراف القصص والمواعظ  
٢٠ والأحكام والثناء وأمر الجزاء ما يليق بسماح العامة ليسهل عليهم



سماعه و لياخذوا بحظ مما أخذه الخاصة و ليكرر على أسماعهم في قراءة الآئمة  
له في الصلوات المفروضة التي لامندوحة لهم عنها ما يكون لهم خلفا  
ما يعرفهم من مضمون سائر السور المطولات ، فكان أحق ما افتتح به  
مفصلهم حرف ق الذي هو وتر الآحاد ، و الظاهر منها مضمون ما يحتوى  
عليه مما افتتح بألف لام ميم ، و كذلك كان صلى الله عليه و سلم يكثر  
أن يقرأ في خطبة يوم الجمعة إليهم لأنها صلاة جامعة الظاهر بفاتحة  
المفصل الخاص بهم ، و في مضمونها من معنى القدرة و القهر المحتاج إليه  
في إقامة أمر العامة ما فيه كفاية ، و شفعت بسورة المطهرة لمخصوا بما  
فيه القهر و الإنابة ، و اختصرت سورة نون من مقتضى العلم بما هو محيط  
بأمر / العامة المنتهى إلى غاية الذكر الشامل للعالمين .

١٠ / ٢٢

ولما كان جميع السور المفتحة بالحروف المتضمنة للراتب التسع ،  
و العاشر الجامع قواما و إحاطة في جميع القرآن ، لذلك كانت سورة  
قاف و سورة ن قواما خاصا و إحاطة خاصة بما يخص العامة من القرآن  
الذين يجمعهم الأرض بما أحاط بظواهرها من صورة جبل قاف ، و ما أحاط  
بباطنها من صورة حيوان " نون " الذي تمام أمرهم بما بين مددتي إقامتهما  
و لهذه السورة المفتحة بالحروف ظهر اختصاص القرآن و تميزه عن  
سائر الكتب لتضمنها الإحاطة التي لا تكون إلا بما للخاتم الجامع ،  
و اقترن بها من التفضيل في سورها ما يليق بإحاطتها ، و لإحاطة معانيها

(١) في الأصل : كان (٢) تكرر في الأصل (٣) و من هنا عادت نسخة  
مد و واضحة .

وإتمامها كان كل ما فسرت به من معنى يرجع إلى مقتضاها، فهو صحيح في إحاطتها ومنزلها من أسماء الله وترتيبها في جميع العوالم، فلا يخطئ فيها مفسر لذلك لأنه كلما قصد وجهاً من التفسير لم يخرج عن إحاطة ما تقتضيه، ومهما فسرت به من [أنها من - ٢] أسماء الله تعالى ٥ أو<sup>٢</sup> من أسماء الملائكة أو من أسماء الأنبياء أو من مثل الأشياء، وصور الموجودات أو<sup>٢</sup> من أنها أقسام، أقدم بها، أو فواتح عرفت بها السور، أو<sup>٢</sup> أعداد تدل على حوادث وحظوظ من ظاهر الأمر أو باطنه على اختلاف رتب وأحوال بما أعطيه محمد صلى الله عليه وسلم من مقدار أمد الخلافة والملك والسلطنة وما ينتهي إليه أمره من ظهور الهداية ١٠ ونحو ذلك مما يحيط بأمد يومه إلى غير ذلك، وكل داخل في إحاطتها، ولذلك<sup>١</sup> أيضاً لا يختص بمحل مخصوص تلزمه علامة إعراب مخصوصة فهما قدر في مواقعها من هذه السورة جراً<sup>٢</sup> أو نصباً<sup>٢</sup> أو رفعاً، فتداخل في إحاطة رتبتهما ولم يلزمها معنى خاص ولا إعراب خاص لما لم يكن لها انتظام، لأنها مستقلات محيطات، وإنما ينتظم ما يتم معنى - كل ١٥ واحد من المنتظمين بحصول الانتظام، وذلك يختص من الكلم بما يقصر عن إحاطة مضمون الحروف حتى أنه متى وقع استقلال وإحاطة في

(١) من مد، وفي الأصل: وجهها (٢) زيد من مد (م) من مد، وفي الأصل: و (٤) من مد، وفي الأصل: اختتام (ه) من مد، وفي الأصل: احد (٦) في مد: كذلك (٧-٧) من مد، وفي الأصل: وبصلة (٨) من مد، وفي الأصل: وضع.

كلمة لم يقع فيها انتظام .

و لما أشار<sup>١</sup> سبحانه إلى هذه الإحاطة بالقاف، أقسم على ذلك قسماً هو في نفسه دال عليه فقال: ﴿و القرآن﴾ أى الكتاب الجامع الفارق<sup>٢</sup> ﴿المجيد﴾ الذى له العلو والشرف والكرم والعظمة على كل كلام، والجواب أنهم ليعلمون ما أشارت إليه القاف من قوى وعظمتى وإحاطة ه على وقدرتى، وما اشتمل عليه القرآن من المجد باعجازه واشتماله على جميع العظمة، ولم ينكروا شيئاً من ذلك بقلوبهم، ومجيد القرآن كما تقدم فى أثناء الفاتحة ما جربت أحكامه من بين عاجل ما شهد وأجل ما علم بعلم ما شهد، وكان معلوماً بالتجربة المتيقنة بما تواتر من القصص الماضى، وما شهد من الأثر الحاضر وما يتجدد مع الأوقات من ١٠ أمثاله وأشباهه، وإذا تأملت السورة وجدت آيها منزلة على جميع ذلك، فانه سبحانه ذكرهم [ فيها - ١ ] ما يعلمون من خلق السماوات والأرض [ وما فيهما - ١ ] ومن مصارع الأولين وكذا السورة الماضية ولا سيما آخرها المشير إلى أنه أدخل على الناس الإيمان برجل واحد غلبهم بمجده وإعجازه لمجد منزله<sup>٣</sup> بقدرته وإحاطة عليه - والله الهادى، ١٥ ومن أحاط علماً بمعانيه وعمل ما فيه مجد عند الله وعند الناس .

- (١) زيد فى الأصل : إليها، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفناها (٢) من مد ، وفى الأصل : الفاروق (٣) ليس فى مد (٤) من مد ، وفى الأصل : جرت . (٥) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفناها (٦) زيد من مد . (٧) من مد ، وفى الأصل : منزله .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما كانت سورة الحجرات قد انطوت على جملة من الالطاف التي خص الله<sup>١</sup> بها عباده المؤمنين كذكره تعالى أخوتهم وأمرهم بالثبوت عند غائلة معتد فاسق<sup>٢</sup> "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ" الآية، وأمرهم بغض الاصوات عند فيهم ٥ وأن لا يقدموا بين يديه ولا يعاملوه في الجهر بالقول كعامله بعضهم بعضاً، وأمرهم باجتنب كثير من الظن ونهيمهم عن التجسس والفتنة، وأمرهم بالتواضع في قوله "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ" وأخبرهم تعالى [أن - ٢] استجابتهم وامتثالهم<sup>٣</sup> هذه الأوامر ليست<sup>٤</sup> بحولهم، ولكن بفضلهم وإنعامه، فقال: "ولكن الله حبيب اليكم الإيمان ١٠ وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان" الآيتين. ثم اعقب ذلك بقوله "يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا" الآية، لين أن ذلك كله يده ومن عنده، أراهم سبحانه حال من قضى عليه الكفر ولم يجب إليه الإيمان ولا زينه في قلبه، بل جملة في طرف من حال من أمر<sup>٥</sup> ونهى في سورة الحجرات مع المساواة في الخلق وتماثل الأدوات ١٥ فقال تعالى "والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم" الآيات، ثم ذكر سبحانه وتعالى وضوح الأدلة "أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم" الآيات، ثم ذكر حال غيرهم ممن كان على رأيهم "كذبت قبلهم قوم [نوح - ٢]" ليستذكر بمجموع هذا من قدم ذكره بحاله [و - ٢]

(١) ليس في مد (٢) زيد من مد (٣) في مد: امثال (٤) من مد، وفي الأصل: ليس (٥) من مد، وفي الأصل: أو .

أمره ونهيه في سورة الحجرات ، و يتأدب المؤمن بآداب الله و يعلم  
أن ما أصابه من الخير قائما هو من فضل ربه و إحسانه ، ثم التحمت  
الآي إلى قوله خاتمة السورة " نحن أعلم بما يقولون و ما انت عليهم "  
الآيات - انتهى .

و لما كان هذا ظاهرا على ما هدى إليه السياق ، بنى عليه قوله دلالة ه  
أخرى على شمول عليه : ( بل ) [ أى - ١ ] أن تكذيبهم ليس لإنكار  
شيء من مجده و لا لإنكار<sup>٢</sup> صدقك الذى هو<sup>٣</sup> من مجده بل لأنهم  
( عجوا ) أى الكفار ، و أضمرم قبل الذكر إشارة إلى أنه إذا ذكر  
شيئا خارجا عن سنن الاستقامة انصرف إليهم ، و العجب من تغير  
النفس لأمر خارج [ عن العادة - ٢ ] .

١٠

و لما كان المقام لتخويف من قدم بين يدي رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أو من عليه بالإسلام أو غيره ، أو لتخويف من أنكر البعث ،  
اقتصر على النذارة فقال : ( ان جاءهم منذر )<sup>٤</sup> أنذرهم حق الإنذار  
من عذاب الله عند البعث الذى هو محط الحكمة ، و عجب منهم هذا  
العجب بقوله : ( منهم ) لأن العادة عندهم و عند جميع<sup>٥</sup> الناس [ أنه - ٢ ]  
إذا كان النذير منهم لم يداخلهم فى إنذاره شك بوجه من الوجوه ،  
و هؤلاء خالفوا عادة<sup>٦</sup> الناس فى تعجبهم من كون النذير - و هو أحدهم -

١٥

(١) من مد ، و فى الأصل : فى (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل :  
إنكار (٤) سقط من مد (٥) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى مد  
لخذناها (٦) زيد فى مد : العرب (٧) من مد ، و فى الأصل : عنا داخلا قالعاده .

خص بالرسالة دونهم ، ولم يدركوا وجه الخصوصية لكونه مثلهم ، فكذلك أنكروا رساله وفصل كتابه بألسنتهم نقاسة وحسدا لأنهم كانوا معترفين بمخصّصه التي رفعه الله تعالى عليهم بها<sup>١</sup> قبل الرسالة لمخطهم عجيبهم ذلك إلى الحضيض من دركات السفه وخفة الأحلام ، لأنهم عجبوا أن كان الرسول بشرا وأوجبوا [ أن يكون -<sup>٢</sup> ] الإله حجرا ، وعجبوا من<sup>٣</sup> أن يعادوا من تراب ، وثبت له الحياة ، ولم يعجبوا أن يقدّوا من تراب ولم يكن له أصل في الحياة ، ولذلك سبب عنه قوله : ( قال ) أى بسبب إنذاره بالبعث وعقبه / ( الكفرون ) فأظهر في موضع الإنذار إيذانا بأنهم لم يخف عليهم شيء من أمره ، ولكنهم<sup>٤</sup> ستروا تعديا بمرأى ١٠ عقولهم الدالة على جميع أمره دلالة ظاهرة ، وعبر بما دل على النذارة لأنها المقصود الأعظم من هذه السورة ، وجميع سياق الحجرات ظاهر فيها : ( هذا ) أى كون النذير منا خصص بالرسالة من دوننا ، وكون ما أنذر به هو البعث بعد الموت ( شيء عجيب ) أى يبلغ في الخروج عن عادة أشكاله ، وقد كذبوا في ذلك ، أما من جهة النذير ١٥ فإن أكثر الرسل من الطوائف الذين أرسلوا إليهم ، وقليل منهم من كان غريبا ممن أرسل إليه ، وأما من جهة البعث فإن أكثر ما في الكون مثل ذلك من إعادة كل من الملوين بعد ذهابه وإحياء الأرض [ من -<sup>٥</sup> ] بعد موتها وابتداء الإحياء لجميع موات الحيوان وإخراج النبات والأشجار

---

( ١ - ) من مد ، وفي الأصل : عنهم بها ( ٢ ) زيد من مد ( ٣ ) سقط من مد . ( ٤ ) من مد ، وفي الأصل : لكنه .

و الثمار وغير ذلك بما [ هو - ' ] ظاهر جدا .

ولما كان المتعجب منه بجملا ، أوضحه بقوله حكاية عنهم مبالغين  
في الإنكار ، بافتتاح إنكارهم باستفهام إنكارى : ﴿ اذا متا ﴾ فصارقت  
أرواحنا أشباحنا ﴿ وكنا ترابا ﴾ لافرق بينه وبين تراب الارض .  
ولما كان العامل في الظرف ما تقديره : زجع ؟ دل عليه بقوله والإشارة ه  
بأداة البعد ٢ إلى عظيم ٣ استبعادهم : ﴿ ذلك ﴾ أى الامر الذى هو فى  
تميز ترابنا من بقية التراب ٢ فى غاية البعد ، وهو مضمون الخبر برجوعنا  
﴿ رجع ﴾ أى رد إلى ما كنا عليه ٤ ﴿ ببيده ﴾ [ جدا - ' ] لانه لا يمكن تميز  
ترابنا من بقية التراب . ولما كان السياق لإحاطة العلم بما نعا وما لانعلم ،  
توقع السامع الجواب عن هذا الجهل ، فقال مزىلا لسيه ، مفتحا ١٠  
بحرف التوقع : ﴿ قد ﴾ أى بل نحن على ذلك فى غاية القدرة لانا قد  
﴿ علنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ ما تنقص الارض منهم ﴾ أى من أجزائهم  
المتخللة من أبدانهم بعد الموت و قبله ، فانه [ لو - ' ] زاد الإنسان  
بكل طعام يأكله ولم ينقص صار كالجلبل بل نحن دائما فى إيجاد وإعدام  
تلك الاجزاء ، [ و - ' ] ذلك فرع العلم بها كل جزء فى وقته الذى ١٥  
كان قصه فيه قل ذلك الجزء ٥ أو جل ٦ ، ولم يكن شئ من ذلك إلا بأعيننا

(١) زيد من مد (٢ - ٢) من مد ، وفى الأصل : و هو (٣ - ٣) ليس ما بين  
الرقين فى مد (٤) زيد فى الأصل : هذا هو ، هذا أمر ، ولم تكن الزيادة  
فى مد لغزناها (٥) من مد ، وفى الأصل : عدم (٦) زيدت الواو فى الأصل  
ولم تكن فى مد لغزناها (٧) زيد فى الأصل : فى ذلك ، ولم تكن الزيادة  
فى مد لغزناها .

بما لنا من القيومية والخبرة النافذة في البواطن فضلا عن الظواهر والحفظ،  
الذى لا يصب إلى جنبه عى ولا غلة ولا غير، 'ولكنه' عبر بمن  
لان الأرض لا تأكل عجب الذب، فانه كالنذر لأجسام بنى آدم .  
ولما كانت المادة جارية عند جميع الناس بأن ما كتب حفظ،  
٥ أجرى الأمر على ما جرت به عوائدهم فقال مشيرا بنون العظمة إلى  
غناه عن الكتاب: { وعندنا } أى على ما لنا من الجلال الفى عن  
كل شىء { كتب } أى جامع لكل شىء { حفيظه } أى بالغ فى  
الحفظ لا يشذ عنه شىء من الأشياء دق أو جل، فكيف يستبعدون على  
عظمتنا أن لا نقدر على تمييز تراهم من تراب الأرض [ ولم يختلط  
١٠ فى علنا شىء من جزء منه بشىء من جزء آخر فضلا عن أن يختلط شىء  
منه بشىء آخر من تراب الأرض - ٢ ] أو غيرها .

ولما كان التقدير: وهم / لا ينكرون ذلك من عظمتنا لأنهم معترفون  
بأننا خلقنا السماوات والأرض وخلقناهم من تراب وإنا نحن نزل الماء  
فينبت النبات، أضرب عنه بقوله: { بل الذين كذبوا بالحق } أى  
١٥ الأمر الثابت الذى لا أثبت منه { لما } أى حين { جاءهم } لما نار  
عندهم من أجل تعجبهم من إرسال رسولهم من حظوظ<sup>١</sup> النفوس وغلبهم  
من الهوى، حسدا منهم من غير تأمل لما قالوه ولا تدبر، ولا نظر فيه

(١-١) من مد، وفى الأصل: ثم (٢) زيد فى الأصل: أى (٣) زيد من مد .  
(٤) من مد، وفى الأصل: فولتا (٥) من مد، وفى الأصل: ليست .  
(٦) من مد، وفى الأصل: حظوظى .



و لا تفكر . فذلك قالوا ما لا يعقل من ان من قدر على إيجاد شيء من العدم  
و إيدائه لا يقدر على إعادته بعد إعدامه و إفنائه .

و لما تسبب عن اتسايهم في هذا القول الواهي<sup>١</sup> و ارتهائهم في عهدته  
اضطرابهم<sup>٢</sup> في الرأي : هل يرجعون فينسبوا إلى الجهل و الطيش و السفه  
و الرعونة أم يدومون عليه فيؤدى ذلك مع كفرهم بالذى خلقهم إلى  
أعظم من ذلك من القتال و القتل ، و النسبة إلى الطيش و الجهل ، قال معبرا  
عن هذا المعنى : ( فهم ) أى لاجل مبادرتهم إلى هذا القول السفساف  
( فى أمر مرجح ) أى مضطرب جدا محتط ، من المرجح و هو اختلاط  
الثبت بالانواع المختلفة ، فهم [ تارة - ٣ ] يقولون : سحر و تارة كهانة ،  
و تارة شعر ، و تارة كذب ، و تارة غير ذلك ، و الاضطراب موجب ١٠  
للاختلاف ، و ذلك أدل دليل على الإبطال كما أن الثبات و الخلوص  
موجب للاتفاق ، و ذلك أدل دليل على الحقيقة ، قال الحسن : ما ترك قوم  
الحق<sup>٤</sup> إلا مرج أمرهم - و لذا قال قتادة ، و زاد : و التبس عليهم دينهم .  
و لما أخبرهم أنهم قالوا عن غير تأمل أنكروا عليهم ذلك موبخا لهم دالا

على صحة ما أنكروه ، فساد إنكارهم بقوله ، مسيا عن مجلتهم إلى الباطل ، ١٥  
( أفلم ينظروا ) أى بين البصر و البصيرة ( إلى السماء ) أى المحيطة  
بهم و بالأرض التى هم عليها . و لما كان هذا اللفظ يطلق على كل ما  
علا من سقف و محاب و غيره و إن كان ظاهرا فى السقف المكوك

(١) من مد ، و فى الأصل : الهاوى (٢) من مد ، و فى الأصل : اضرارا بهم .

(٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : الحقيقة (٥) من مد ، و فى .

الأصل : نوح (٦) راجع العالم بهامش الباب ٦ / ١٩٤ .

حققه بقوله: ﴿ فوقهم ﴾ فان غيرها إنما هو فوق ناس منهم لا فوق الكل . ولما كان أمرها عجبا، فهو أهل لأن يسأل عن كيفيته دل عليه بأداة الاستفهام فقال: ﴿ كيف بنيتها ﴾ أى أوجدناها على ما لنا من المجد و العزة مبنية كالخيمة إلا أنها من غير عمد ﴿ وزينها ﴾ ه أى بما فيها من الكواكب الصغار والكبار السيارة والثابتة ﴿ وما ﴾ أى والحال انه ما ﴿ لها ﴾ وأكد التنى بقوله: ﴿ من ذروج ه ﴾ أى فتوق وطاقات وشقوق، بل هى ملساء متلاصقة الأجزاء، فان كانت هذه الزينة من تحتها فالذى أوقع ذلك على هذا الإحكام الذى يشاهدونه بما فيه من<sup>١</sup> المناسع والستر الذى لا يختل على مر الجديدين، ١٠ فهو من القدرة بحيث لا يعجزه شئ، وإن كانت الزينة من فوقها فكذلك، وإن كان بعضها من فوق وبعضها من تحت فالأمر عظيم، وهذا يدل على أن السماء كرة بحoque الوسط مقيمة كالليضة، فان نفى الفروج فيها / على هذا لوجه المؤكد يدل على ذلك دلالة ظاهرة، وأفرد السماء ولم يجمع لأن بناءها على ما ذكر<sup>٢</sup> وإن كانت واحدة يدل على كمال ١٥ القدرة، فان البناء المجوف لا يمكن بانيه إلا كمال<sup>٣</sup> بنائه من غير أن يكون له فروج، وإن اختل ذلك كان موضع الوصل ظاهرا للرائين ما فيه من فتور وشقوق وقصور وما يشبه ذاك<sup>٤</sup>، ولم يمكنه مع<sup>٥</sup> ذلك الخروج منه،

(١) من مد، وفى الأصل: هو (٢) فى الأصل: العالى و، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٣) زيد فى الأصل: كان كذلك، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٤) من مد، وفى الأصل: الكمال (هـ) من مد، وفى الأصل: لم يمكن فيه بعد .

إن كان داخله لم يقدر على حفظ خارجه ، وإن كان خارجه لم يتمكن من حفظ داخله ، و هذا الكون محفوظ من ظاهره وباطنه ، فلم أن صانعه منزّه عن الاتصاف بما تحيط به العقول بكونه داخل العلم أو خارجه أو متصلا به أو منفصلا [ عنه ] ، أو محتاجا في الصنعة إلى إله أو في الحفظ إلى ظهير أو معين ، و جمع الفرج للدلالة على إرادة الجنس بالسماه ٥ بعد ما أفاده أفراد لفظها ، فبدل الجمع مع ' إرادة الجنس على ' التوزيع ، مع الإفهام إلى أن الباقى لو احتاج في هذا الخلق الواسع الأطراف المتباعد الأكثاف إلى فرج واحد لاحتاج ' إلى فروج كثيرة . فان هذا الجرم الكبير لا يمكن فيه فرج واحد لمن يحتاج إلى الحركة ، فنزل كلام العليم ' الخبير على مثل هذه المعانى ، ولا يظن أنه غيرت فيه صنعة من ١٠ الصنع لأجل الفاصلة فقط ، فان ذلك لا يكون إلا من محتاج ، والله ' متعال عن ذلك ، ويمجوز - وهو أحسن - أن يراد بالفروج قابلية الإنبات لتكون - مثل الأرض - يتخللها المياه فيمتد فيها عروق الأشجار والنبات و تظهر منها ، و أن يراد بها الخلل كقوله تعالى " ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور " أى خلل و اختلاف ١٥ و فساد ، وهو لا يفتى الأبواب و المصاعد - والله أعلم .

(١) من مد ، وفي الأصل : خارجه (٢) من مد ، وفي الأصل : بعد (٣) زيد في الأصل : الجنس ، ولم تكن الزيادة في مد لحذفناها (٤) من مد ، وفي الأصل : احتاج (٥) زيد في الأصل : الكبير ، ولم تكن الزيادة في مد . لحذفناها (٦) زيد في الأصل : المتعال ، ولم تكن الزيادة في مد لحذفناها .

ولما دل سبحانه على تمام قدرته و كمال علمه و غير ذلك من صفات الكمال بآية السماء<sup>١</sup>، أتبع ذلك الدلالة على أنه لا يقال فيه داخل العالم ولا خارجه لأنه متصل [به] ولا منفصل عنه، فبه على ذلك بالدلالة على آية الأرض، وأخرها لأن السما أدل على المجد الذي هذا ميثاقه، لأنها أعجب صنعة وأعلى علواً وأجل مقداراً وأعظم أثراً، وأن الأرض لكثرة الملابس لها والاجتناء من ثمارها يغفل الإنسان عن دلالتها، بما له في ذلك من الصنائع والمنافع، قال: ﴿و الأرض﴾ أى المحيطة بهم ﴿مددتها﴾ أى جعلناها بما لنا من العظمة مبسطة لاسمنة. ولما كان الممدود يتكفأ، قال: ﴿والقينا﴾ بعظمتنا ﴿فيها يرواسي﴾ أى جبالاً ١٠ ثوابت كانت سبباً لثباتها، وخالفت عادة المراسي فى أنها من فوق، والمراسي تعالجونها أتم من تحت.

ولما كان سكانها لا غنى لهم عن الرزق، قال بممتنا عليهم: ﴿وابتنا﴾ بما لنا من العظمة ﴿فيها﴾ وعظم قدرتها بالتبويض فقال: ﴿من كل زوج﴾ أى صنف من النبات تزواجه أشكاله بأرزاقكم كلها ﴿بهيج﴾ أى هو ١٥ فى غاية الروق والإعجاب، فكان - مع كونه رزقاً - متزهاً.

ولما ذكر هذه الصنائع الباهرة، عللها بقوله: ﴿تبصرة﴾ أى جعلنا هذه الأشياء / كلها، أى لاجل أن تنظروها بأبصاركم، ثم تفكروا ببصائركم، فتعبروا منها إلى صاندها، فعملوا ما له من العظمة ﴿وذكرى﴾ أى ولتذكروا بها تذكراً عظيماً<sup>٢</sup>، بما لكم من القوى والقدر فعملوا

(١) العبارة من هنا إلى ما سنبه عليه مطبوعة فى مد (٢) فى الأصل: عظمة.

بمعجزكم عن كل شيء من ذلك أن صانعها لا يعجزه شيء، وأنه محيط بجميع صفات الكمال، [لو ألم<sup>١</sup>] بجناحه شائبة من شوائب النقص لما فاض عنه هذا الصنع الغريب البديع .

و لما كان من لا يتفنع بالشيء كأنه عادم لذلك الشيء، قصر الأمر على المتفنع فقال: ﴿ لكل عبد ﴾ يتذكر بما له من النقص و بما دل<sup>٥</sup> عليه هذا الصنع من الكمال أنه عبد مروب لصانعه . و لما كان الإنسان لما له من النقصان لا يزال كلما أعلاه عقله أسفله طبعه، فكان ربما ظن أنه لا يقبل إذا رجع، رغبه في الرجوع بقوله: ﴿ منيبه ﴾ أي رجاع عما حطه عنه طبعه إلى ما يعليه إليه عقله، فيرجع من شهود هذه الأفعال إلى شهود هذه الصفات إلى علم الذات .

١٠

و لما كان إزال الماء أبهر الآيات و أدلها على أنه أجل من أن يقال: إنه داخل العالم أو خارجه، أو متصل به أو منفصل عنه، مع أن به تكون النبات و حصول الأقوات و به حياة كل شيء، أفردته تنبيها على ذلك فقال: ﴿ ونزلنا ﴾ أي شيئا فشيئا في أوقات على سبيل التقاطر و بما يناسب<sup>٢</sup> عظمتنا التي لاتضامى بغيب، بما له من النقل و [التبوع<sup>٣</sup>] ١٥ و النفوذ فزول دفعة واحدة فأهلك ما نزل عليه فزالت المفقرة و عادت المنفعة مضرة ﴿ من السماء ﴾ أي المحل العالي الذي لا يمسك فيه الماء عن دوام التقاطر إلا بقاهر ﴿ ماء مبركا ﴾ أي نافعا جدا ثابتا لا خيالا محيطا

(١) في الأصل بياض ملائكة من مد لأن جانبها منها يظهر لبعض الحد .

(٢) ليس واحدا في مد (٣) زيد من مد من الجانب الواضح .

بجميع منافعكم .

ولما كان الماء سببا في تكون الاشياء، وكان ذلك سببا في انعقاده  
حتى يصير خشبا و حبا و عبا، وغير ذلك عجبا، قال: ﴿ فانبثا ﴾ معبرا  
بنون العظمة ﴿ به جئت ﴾ من الثمر و الشجر و الزرع و غيره مما  
٥ تجمع البساتين فتجن - أى تستر - الداخل فيها . ولما كان القصب الذى  
يحصد فيكون حبه قوتا للحيوان و ساقه للبهائم، خصه بقوله:  
﴿ وحب الحصيد ﴾ أى النجم الذى من شأنه أن يحصد من الر  
و الشعير و نحوهما، وأوما بالتقييد إلى أن هذه الحبوب أشرف من حب  
اللالى الذى ينبت الله من المطر لأنها لقيام النبتة؟ و تلك للزينة، ولما  
١٠ كان النخل من أعجبه ما يتكون منه مع ماله من المنافع التى لا يساويه  
فيها شجر، و الطباق للزرع بالطول و القصر و الاتساق بالاقنيات للآدميين  
و البهائم، قال: ﴿ و النخل بسقت ﴾ أى عاليات طويلات على  
جميع الاشجار المثمرة ذوات اثمار طيبة ﴿ لها ﴾ مع ييس ساقها  
﴿ طلع نضيد ﴾ أى مصفوف متراكم بعضه فوق بعض، و هو حشو طلعه،  
١٥ و الطلع ذلك الخارج من أعلى النخلة كأنه فعلان مطبقان، و الحمل  
النضيد بينهما، و الطرف محدد، أو الطلع ما يبدو من ثمر النخل أول  
ظهورها، و ذلك القشر يسمى الكفرى لتغطيته إياه على أحكم ما يكون  
و أوثق، و الطلع / يشبه ما للناقة المسبق من اللبا المتكون في ضرعها

/ ٢٨

(١) فى الأصل: عن عظمة (٢-٢) فى الأصل: لا يساويها، و التصحيح من مد  
(الجانب الواضح) (٣) من مد، و فى الأصل: و (٤) زيد فى الأصل: ما،  
و لم تكن الزيادة فى مد لحذفناها .

قبل<sup>١</sup> التاج، ثم يصير بعد اتحاده في البياض وهو طلع إلى الافتراق حال النوع إلى أحمر وأصفر وأخضر وغير ذلك من الألوان الغريبة، والأوصاف العجيبة، وهي محيطه المنافع بالتفكه على عدة أنواع والاعتيات وغير ذلك، وطلعتها مخالف<sup>٢</sup> لعادة أكثر<sup>٣</sup> الأشجار فإن ثمارها مفردة، كل حبة مفردة عن أختها.

ولما ذكر سبحانه بعض ما له في الماء من العظمة، ذكر له علة هي غاية في المنة على الخلق فقال: ﴿ رزقا للعباد لا ﴾ أى أنبتنا به ذلك لأجل أنه بعض ما جعلناه رزقهم.

ولما كان في ذلك أعظم مذكر للبصراء بالبعث وجميع صفات الكمال، أتبعه ما له من التذكير بالبعث بخصوصه فقال: ﴿ وحينئذ ﴾ ١٠ أى الماء بعظمتنا ﴿ بلدة ﴾ وسمها بالناء إشارة إلى أنها في غاية الضعف والحاجة إلى الثبات والخلو عنه، وذكر قوله: ﴿ ميتا ﴾ للزيادة في تقرير تمكن الحاجة فيها. ولما كان هذا خاصة من أوضح أدلة البعث، قال على سبيل النتيجة: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الإخراج العظيم ﴿ الخروج ﴾ الذى هو لعظمته كأنه محتص بهذا المعنى، وهو بعث<sup>١٥</sup>

الموتى من قبورهم على ما كانوا عليه في الدنيا، لا فرق بين خروج النبات بعد ما تهشم في الأرض وصار ترابا كما كان من بين أصفره [وأبيضه -<sup>٤</sup>] وأحمره<sup>٥</sup> وأخضره<sup>٥</sup> وأزرقه إلى غير ذلك، وبين إخراج

(١) ومن هنا تستأنف نسخة مد (٢ - ٢) في مد ١ لا أكثر (٣) من مد، وفي الأصل: بعض (٤) زيد من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من مد.

ما تفتت من الموتى كما كانوا في الدنيا، قال أبو حيان: ذكر تعالى في السماء ثلاثة: البناء والتزين ونقى الفروج، وفي الأرض ثلاثة: المد وإلقاء الرواسي والإنبات، قابل المد بالبناء لأن المد وضع والبناء رفع، وإلقاء الرواسي بالتزين بالكواكب لارتكاز كل واحد منها - أى على سطح ما هو فيه، والإنبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج، فلا شق فيها، ونبه فيما تعلق به الإنبات على ما يقطف كل سنة ويبقى أصله، وما يزرع كل سنة أو سنتين ويقطف كل سنة، وعلى ما اختلط من جنسين، فبعض الثمار فاكهة لا قوت، وأكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت.

١٠ ولما وصل الأمر إلى حد لاخفاء معه، فصح أنهم يعلمون ذلك ولم يحملهم على التصريح بالكذب به إلا المبادرة إلى ذلك بغلبة الهوى من غير تأمل لعاقبته، فصار من باب لزوم الغلط، وكان السياق لإنكار البعث الذي جاء به منذر من القوم المنذرين. كان دأبه قبل: إن إنكار هؤلاء أعجب، فهل وقع هذا لأحد قط، فقال تعالى مسلياً لهذا النبي الكريم لأن المصيبة إذا عمت هانت، مينا لمجد القرآن و لمجد آياته تحقيقاً للانذار وتحذيراً به لا للنصيحة: ﴿ كذبت ﴾ رسم الفعل بالتاء إشارة إلى هوانهم في جنب هذا المجد ولما كان هؤلاء الأحزاب المذكورون لقوتهم وكثرتهم كأنهم أهل المجد قاطبة قد استغرقوا زمانها ومكانها. أسقط الجار فقال: ﴿ قبلهم ﴾.

٢٠ ولما لم تكن لهم شهرة يعرفون بها قال: ﴿ قوم نوح ﴾ وأشار

(١) راجع البحر المحيط ١٢٢/٨.



- إلى عظيم التسليّة بأنهم / جاءهم منذر منهم ، وكانوا في القوة في القيام فيما يحاولونه والكثرة بحيث لا يسع الأفهام جميع أوصافهم ، فأذوا رسولهم وطال أذاهم قريبا من عشرة قرون ولما كان آخر أمرهم أنه التقى عليهم الماءان : ماء السماء ، وطلع إليهم ماء الأرض فأغرقهم ، أتبعهم من طائفتهم قصتهم بأن نزل بهم الماء فأوبقهم لما بين حالهم من الطباق<sup>٥</sup> دلالة على عظيم القدرة والفعل بالاختيار فقال : ﴿ واصحب الرس ﴾ أي البئر التي تقوضت بهم تخسفت مع ما حولها فذهبت بهم وبكل ما لهم كما ذكرت قصتهم في الفرقان . ولما كانت آية [ قوم - ٢ ] صالح من أعظم الدلالات على القدرة على البعث ، وكان إهلاكهم مناسبا لإهلاك من قبلهم ، أما لأصحاب الرس فكان بالرجفة التي هي [ على - ٢ ] مبدأ ١٠ الخسف ، وأما لقوم نوح فلأن الرجفة تأثرت عن الصيحة التي حملتها الريح التي من شأنها حمل السحاب الحامل للماء ، أتبعهم بهم ، وكانوا أصحاب بئر لم يخسف بهم فقال : ﴿ نمود ﴾ ولما اتفق قوم هود عليه السلام والقطب بالإهلاك بالريح التي أثرت بها صيحة نمود ، أولئك مع الحجارة الرمل وهؤلاء بالماء الذي فرقه الله بالريح عند ضرب ١٥ العصي ، وكان لكل منهما من ضخامة الملك وعز السلطان ما هو مشهور قدم أشدهما أبدأنا وأوسعها ملكا لأن إهلاكهم كان أدل دليل على القدرة وأقرب شبهة بهلاك نمود فقال : ﴿ وعاد ﴾ وعطف عليه
- 
- (١) من مد ، وفي الأصل : عليه . (٢) من مد ، وفي الأصل : الطبقات .  
 (٣) زيد من مد (٤) من مد ، وفي الأصل : كان (٥) سقط من مد  
 (٦-٦) من مد ، وفي الأصل : تشبيها بملك .

أقرب الطائفتين شبيهاً بالهلاك بقوم نوح وأصحاب الرس فقال :  
 ( وفرعون ) نص عليه لأنه ليس في مادة هذا الغرق كافر غيره ،  
 والنص عليه يفهم غيره ، وما تقدم في غير هذه السورة غير مرة من  
 وصفه بأنه ملك قاهر وأنه استخفهم فأطاعوه فيعلم كفرهم طاعة له ،  
 ٥ وأنه ليوافق ما قبله وما بعده . ولما كان السياق للعزة والشقاق ،  
 فلم يدع داع إلى إثبات ذى الأوتاد . ولما كان هلاك المؤتفكات جامعا  
 في الشبه يهلك جميع من تقدم بالحسف وغمرة الماء بعد القلب في  
 الهواء ، أتبعهم بهم معبرا عنهم بأخضر من تسميه قبائلهم أو مدنهم لأنها  
 عدة مدن ، وعبر بالإخوة دون القوم لأن السياق لتكذيب من هو منهم  
 ١٠ لأنه أدخل في التسلية فقال : ( وإخوان لوط لا ) أى أصحابه الذين  
 جبروا بينهم وبينه مع المصاهرة بالمناصرة للموكلهم ورعاياهم على من  
 ناورهم بنفسه وعمه إبراهيم عليهما السلام كما مضى بيانه في البقرة ما  
 صار كالأخوة ، ومع ذلك عاملوه بما اشتق من لفظ هذا الجمع من  
 الجناية له ولأنفسهم وغيرهم .

١٥ ولما كان الشجر مظنة الهواء البارد والريح ، وكان أصحابه قد عذبوا

بضد ذلك قال : ( وأصحاب الأيكة ) لمشاركتهم لهم في العذاب بالنار ،

٣٠ / وأولئك بحجارة الكبريت النازلة من العلو وهؤلاء [ بالنار - ٤ ] النازلة

من ظلة السحاب ، وعبر عنهم بالواحدة والمراد الغيضة إشارة إلى أنها

( ١ - ١ ) سقط ما بين الرقين من مد ( ٢ ) من مد ، وفي الأصل : قوله .

( ٣ ) سقط من مد ( ٤ ) أزيد من مد .

من شدة التفافها كالشجرة الواحدة . ولما كان " تبع " مع كونه من قومه ملكا قاهرا ، وغالفوه مع ذلك ، و كان لقومه ' فار [ فى بلادهم - ' ] يتحاكون إليها فأتكل الظالم ، ختم بهم فقال : ( وقوم تبع ' ) مع كونه مالكا ، وهو يدعوم إلى الله ، فلا يظن أن التكذيب مخصوص بمن كان قويا لمن كان مستضعفا ، بل هو واقع بمن شئت من قوى ه و ضعيف ، لا يخرج شيء عن مرادنا .

ولما لم يكن هنا ما يقتضى التأكيد بما مريانه فى ص قال معريا منه : ( كل ) أى من هذه الفرق ( كذب الرسل ) أى كلهم بتكذيب رسولهم ، فإن الكل متساوون فيما يوجب الإيمان من إظهار العجز والدعاء إلى الله ( فحق ) [ أى - ' ] فتسبب عن تكذيبهم لهم أنه ثبت عليهم ووجب ١٠ ( وعيده ) [ أى - ' ] الذى كانوا يكذبون به عند إنذارهم لهم إياه ، فعجلنا لهم منه فى الدنيا ما حكمنا به عليهم فى الآزل فأهلكناهم إهلكا عاما كاهلاك نفس واحدة على أنحاء مختلفة كما هو مشهور عند من له بأمثاله عناية<sup>٢</sup> و أتبعناه ما هو فى البرزخ وأخرنا ما هو فى القيامة إلى البعث ، باهلكنا لهم على تثنى ديارهم و تباعد أعصارهم و كثرة أعدادهم ١٥ أن لنا الإحاطة البالغة قتل باخوانك المرسلين و تأس بهم ، ونحذر قومك ما حل بمن كذبهم إن أصروا .

ولما ذكر سبحانه القسيلة بتكذيب هذه الأحزاب بعد ذكر

( ١ ) من مد ، وفى الأصل : فى قومه ( ٢ ) زيد من مد ( ٣ ) من مد ، وفى الأصل : عياده .

تكذيب قريش وإقامة الأدلة القاطعة على ما كذبوا به وبطلان  
 تكذيبهم، وختم بحقوق الوعيد الذي شوهدت أوائله بأهلا كهم،  
 ثبت صدق الرسل و ثبت القدرة على كل ما يريد سبحانه بهذا الخلق  
 من الإيجاد والإعدام أنكر عليهم التكذيب ووجههم عليه تقريراً لحقوق  
 الوعيد، فقال مسيياً عن تكذيبهم بعد ما ذكر أنه خلق جميع الوجود:  
 ﴿ أفمينا بالخلق ﴾ أى حصل لنا على ما لنا من العظمة الإعياء، وهو  
 العجز بسبب الخلق فى شئ من إيجاد وإعدامه ﴿ الاول ﴾ أى من  
 السماوات والأرض وما بينهما حين ابتدأه اختراعاً من العدم، ومن  
 خلق الإنسان وسائر الحيوان مجدداً، ثم فى كل أوان من الأطوار  
 ١٠ المشاهدة على هذه التدريجات المعتادة بعد أن خلقنا أصله على ذلك الوجه  
 بما ليس له أصل فى الحياة، وفى إعدامه بعد خلقه جملة كهذه الأهم  
 أو تدريجاً كغيرهم ليظنوا بسبب العجز بالخلق الأول الذى هو أصعب  
 فى مجارى العادات من الإعادة أنا نعجز عن الإعادة ثانياً، يقال: عي  
 بالامر - إذا لم يهتد لآمره أو لوجه مراده أو عجز عنه، ولم يلق  
 ١٥ لإحكامه.

ولما كان التقدير قطعاً بما دلت عليه همزة الإنكار: لم نعى بذلك  
 بل أوجدناه على غاية الإحكام للظرف والمظروف وهم يعلمون ذلك  
 ولا يشكرونها / و يقررون بتبام القدرة عليه، [ وفى طيه - ٢ ] الاعتراف

/ ٣١

( ١ - ١ ) سقط ما بين الرقبن من مد ( ٢ ) من مد، وفى الأصل: لم يطاق.  
 ( ٣ ) زيد من مد.

بالبعث وهم لا يشعرون، أضرب عنه لقولهم الذى يخجل باعتقادهم إياه فقال:

(بل هم فى لبس) أى خلط شديد وشبهة [ موجبة - ١ ] لتكلم بكلام  
 مختلط لا يعقل له معنى، بل السكوت عنه أجل، قال على رضى الله عنه:

يا جبار، أنه لللبس عليك، اعرف بالحق تعرف أهله. ولبس الشيطان  
 عليهم تسويله لهم أن البعث خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ه

والحكم بطريق الأولى (من) أجل (خلق جديد) أى الإعادة ٢. ولما  
 ذكر خلق الخاقين، أتبعه خلق ما هو جامع لجميع ما هو فيها فقال:

(ولقد) أى [ و - ١ ] الحال أنا قد (خلقنا) بما لنا من العظمة  
 (الإنسان) وهو أعجب خلقا وأجمع من جميع ما مضى ذكره بما  
 فيه من الأنس والطغیان، والذكر والنسيان، والجهل والعرفان، ١٠  
 والطاعة والعصيان، وغير ذلك من عجيب الشأن، وكلنا به من جنودنا  
 من يحفظه فيضبط حركاته وسكناته وجميع أحواله (ونعلم) أى والحال  
 أنا نعلم بما لنا من الإحاطة (ما توسوس) أى تكلم على وجه الخفاء،  
 (به) الآن وفيما بعد ذلك بما لم يتقدح بعد من خزان الغيب إلى

[ سر - ١ ] النفس كما علمنا ما تكلم (نفسه على) زهى الخواطر التى تعترض ١٥  
 له حتى أنه هو ربما عجز عن ضبطها، فنحن نعلم أن قلوبهم عامة  
 بقدرتنا على أكل ما زبد وبصحة القرآن وإعجازه وصدق الرسول  
 به صلى الله عليه وسلم وامتيازهم، وإنما حملهم الحسد والنفاة والكبر

(١) زيد من مد (م) من مد، وفى الأصل: العادة (م) من مد، وفى  
 الأصل: بقدرتها.

و الرئاسة على الإنكار باللسان حتى صار ذلك لهم خلقا و تبادوا فيه حتى غطى على عقولهم ، فصاروا في لبس محيط [ بهم - ١ ] من جميع الجوانب .

و لما كان العالم بالشيء كلما كان قريبا منه كان عليه به <sup>٢</sup> أثبت و أمكن <sup>٣</sup> ، قال مثلا لعلمه و مصورا له بما نعلم أنه موجه : ( ونحن ) بما لنا من العظمة ( اقرب اليه ) قرب علم و شهود من غير مسافة ( من جبل الوريد ) لأن أبعاضه و أجزاءه تحجب بعضها بعضا ، و لا يحجب علم الله شيء <sup>٤</sup> ، و المراد به الجنس ، <sup>٥</sup> و الوريدان عرقان كالحبلين <sup>٦</sup> مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلات من الرأس إلى الوتين و هو عرق القلب ، و هذا مثل في فرط القرب ، و إضافته مثل مسجد الجامع ، و قد مضى في تفسير سورة المائدة <sup>٧</sup> عند قوله " و الله يعصمك من الناس " ما ينفع هنا ، قال القشيري : و في هذه الآية هبة و فزع و خوف لقوم ، و روح و أنس و سكون قلب لقوم <sup>٨</sup> .

و لما كان سبحانه قد وكل باحفظه تحفظ أعمالنا و تضبط أفعالنا <sup>٩</sup> و أحوالنا ، فكان المعروف لنا أن سبب الاستحفاظ خوف الغفلة و النسيان ، قدم سبحانه الإخبار بكال علمه فأمن ذلك المحذور ، علق بأقرب أو نعلم

(١) زيد من مد (٢-٢) في مد : أمكن و أثبت (٣) من مد ، و في الأصل : شيئا (٤-٤) من مد ، و في الأصل : الوريدين عرقين (٥-٥) من مد ، و في الأصل : مكتنفين لصفحة (٦-٦) في مد ١ سورة المائدة - و وقع بعده من الناس (٧) من مد ، و في الأصل : لقوم .

قوله تأكيداً لما علم من إحاطة علمه من عدم حاجته، وتخوفاً بما هو أقرب إلى مألوفاتنا ( إذ ) أى حين ( يلقى ) أى بغاية الاجتماع والمراقبة والمراعاة من كل إنسان خلقناه وأبرزناه إلى هذا الوجود ( المتلقين ) وما أدراك ما هما؟ [ هما - ' ] ملكان عظيمان حال كونهما

/ ( عن اليمين ) لكل إنسان [ قعيد منهما - ' ] ( وعن الشمال ) ٥ / ٣٢  
كذلك ( قعيده ) أى رصد وحبس مقاعد لذلك الإنسان بأبلغ المقاعدة ونحن أقرب منهما وأعلم علماً، وإنما استحفظناهما لإقامة الحجة بهما على مجارى عاداتكم وغير ذلك من الحكم.

ولما كانت الأفعال اللسانية والقلبية والبدنية ناشئة عن كلام النفس،

فكان الكلام جامعاً، قال مينا لإحاطة علمه بإحاطة من أقامه لحفظ ١٠  
هذا الخلق الجامع في جواب من كأه قال: ما يفعل المتلقيان: ( ما يلفظ )  
أى يرمى ويخرج المكلف من فيه، وعم في النفي بقوله: ( من قول )  
أى مما تقدم التمس عنه في الحجرات من الغيبة وما قبلها وغير ذلك  
"قل أو جل" ( إلا لديه ) أى الإنسان أو القول على هيئة من القدرة

والعظيمة هى من أغرب المستغرب ( رقيب ) من حفظتنا شديد ١٥  
المراعاة له في كل من أحواله ( عتيده ) أى حاضر مراقب غير غافل  
بوجه، روى البغوى<sup>١</sup> بسنده من طريق الثعلبي عن أبى أمامة رضى الله  
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كاتب الحسنات على يمين

(١) زيد من مد (٢) في مد: يبلغ (٣-٢) في مد: جل أو قل (٤) راجع معالم

التنزيل بهامش الباب ١١٥/٦.

الرجل ، و كاتب السيئات على يسار الرجل ، و كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات ، فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : دعه سبع ساعات لعله يسبح<sup>١</sup> أو يستغفر<sup>٢</sup> .

٥ ولما كان مثل إرسال الخافقين ثم الموت ثم النفخ بإرسال الملك في الدنيا إلى الناس لعرضهم فيصير الإنسان منهم ساعيا في التزين للملك بما يعجبه في<sup>٣</sup> مقصود ذلك العرض في الأجل الذي ضربه لهم ، فاذا جاء ذلك الوقت الذي هو كالموت أخذته الرسل فبا أواني؟ كما يفعل حال الموت بالميت ، ومن أحضره منهم حبسوه على باب الملك لتكامل ١٠ المعروضين ، فاذا كمل جمعهم و أمر بقيامهم للعرض<sup>٤</sup> زعق لهم<sup>٥</sup> النادى بالبوق الذي يسمى النفير و هو كالصور ، فلهذا قال تعالى ميثا لإحاطة قدرته بجميع خلقه عاطفا على ما تقديره : فاضطرب ذلك الإنسان الموكل به في الوقت المأمور بالتردد فيه بما يرضى الله بالقول و الفعل على حسب إرادته سبحانه سواء كان موافقا للأمر أو مخالفا إلى أن آن أو ان الرحيل معبرا بالماضى تنيها على أن الموت مع أنه لا بد منه قريب جدا : ١٥ ( و جاءت ) أى أنت و حضرت ( سكرة الموت ) أى حاله عند النزاع و شدته و غمرته ، يصير الميت بها كالسكران ، لا يبى و تخرج [ بها - <sup>٦</sup> ] أحواله و أنعماله و أقواله عن قانون الاعتدال ، بحيث ملتبسا<sup>٧</sup>

(١-١) من مد و العالم ، وفي الأصل : يستغفر الله أو يسبح (٢) من مد ، وفي الأصل : من (٣-٣) من مد ، وفي الأصل : دق (٤) زيد من مد ، (٥) في مد : ملتبسا .



( بالحق<sup>١</sup> ) أى الأمر الثابت الذى بطابقه الواقع فلا حيلة فى الاحتراس منه من بطلان الحواس و كشف الغطاء عن أحوال البرزخ من فنة السؤال و ضيق المجال<sup>٢</sup> 'أرسعة الحال'، و قيل لبيت بلسان الحال إن لم يكن بلسان القول : ( ذلك ) أى هذا الأمر العظيم العالى الرتبة الذى يحق لكل أحد الاعتداد له بغاية الجد ( ما ) أى الأمر الذى ( كنت ) هـ  
 جلة و طبعاً . و لما كانت قفرته منه و هربه من وقوعه بحفظ الصحة و دواء الأدواء فى الغاية ، كان كأنه لا ينفر إلا منه ، فأشار الى / ذلك - ٣٣/  
 بتقديم الجار فقال : ( منه تحيده ) أى تميل و تنفر و تروع<sup>٣</sup> و تهرب .  
 و لما كان التقدير : فأخذ ذلك الإنسان بالقهر من بين الأهل و الإخوان ، و العشار و الجيران ، و ضم إلى عسكر الموتى و هم بالبرزخ ١٠  
 نزول<sup>٤</sup> ، و لا تظار بقيتهم حلول ، و لم يزالوا كذلك حتى تكامل القادمون عليهم و الواصلون إليهم ، عطف عليه قوله مبني لإحاطة من عالم الملكوت و العز و الجبروت : ( و نفخ ) أى بأذن إشارة و أيسر أمر ( فى الصور<sup>٥</sup> ) و هو القرن الذى ينفع فيه إسرائيل عليه السلام للوت [ العام -<sup>٦</sup> ] و البعث العام عند التكامل ، و انقطاع أوان التعامل ، ١٥  
 و هو بحيث لا يعلم قدر عظمه و اتساعه إلا الله تعالى ، و هو عليه الصلاة و السلام التقم الصور من حين بعث النبي صلى الله عليه و سلم و حتى جبهته و أصغى سمعه ينتظر متى يؤمر ، فيا لها من عظمة ما أغفلنا عنها ،  
 (١-١) - فقط ما بين الرقين من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : تربع (٣) من مد ، و فى الأصل : فرد - كذا (٤) زيد من مد .

وأنسانا لها، و آمنّا منها، والمراد بهذه 'فخة البعث' .  
 ولما كان ذلك الأثر عن النفخ هو سر الوجود، وأشار إلى عظمته  
 بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الوقت الكبير العظيم الأحوال والزلازل<sup>١</sup>  
 والأوجال ﴿ يوم الوعيد ﴾ أى الذى يقع فيه ما وقع الإياد به .  
 ٥ ولما كان التقدير: فكان من تلك الفخة صحيحة هائلة ورجة  
 شاملة<sup>٢</sup>، ققام الناس عامة من قبورهم، وحصل ما فى صدورهم، عطف  
 عليه قوله يانا لإحاطة العرض: ﴿ وجاءت كل نفس ﴾ [أى -<sup>٣</sup>  
 مكلفة [كائنا -<sup>٤</sup>] ﴿ معها ﴾ سائق ﴾ يسوقها إلى ما هى كارهة للغاية  
 لعلها بما قدمت من النقائص ﴿ وشهيد ﴾ يشهد عليها بما عملت،  
 ١٠ والظاهر من هذا أن السائق لا تعلق [له -<sup>٥</sup>] بالشهادة أصلا، لثلا تقول  
 تلك النفس: إنه خصم، والخصم لا تقبل شهادته، ويقال حيثئذ للفرط  
 فى الأعمال فى أسلوب التأكيد جريا على ما كان يستحقه إنكاره فى الدنيا،  
 وتنبها على أنه لعظمه بما يحق تأكيده: ﴿ لقد كنت ﴾ أى كونا كأنه  
 جلة لك ﴿ فى غفلة ﴾ أى عظيمة محيطة بك ناشئة لك ﴿ من هذا ﴾  
 ١٥ أى من تصور هذا اليوم على ما هو عليه من اقطاع الأسباب، والجزاء  
 بالثواب أو<sup>٦</sup> العقاب لأنه على شدة جلالة خنى على من اتبع الشهوات  
 ﴿ فكشفنا ﴾ بنظمنا بالموت ثم بالبعث<sup>٧</sup> ﴿ عنك غطاءك ﴾ الذى كان

(١) من مد، وفى الأصل: هذه (٢) من مد، وفى الأصل: الزلزال .

(٣) من مد، وفى الأصل: شامل (٤) زيد من مد (٥) ليس فى الأصل .

(٦) فى مد « و » (٧) فى مد: البعث .

يحببك عن رؤيته من الغفلة بالآمال ' في الجاه ' و الأموال و سائر الخلوذ  
و الشهوات ، تحقيقا لما له سبحانه من الإحاطة بالتقدير و التعجيز ، و عن  
الواسطى : من كشف عنه غطاء الغفلة أبصر الأشياء كلها في أسر القدرة  
و انكشف له حقائق الأشياء بأسرها ، و هذا عبارة عن العلم بأحوال  
القيامة .

٥

و لما تسبب عن هذا الكشف الانكشاف التام ، عبر عنه بقوله :

( فبصرك اليوم ) أى / بعد البعث ( حديد هـ ) أى فى غاية الحدة  
و النفوذ ، فلذا تقر بما كنت تنكر .

و لما أخبر تعالى بما تقوله له الملائكة أو من أراد الله من جنوده ،

و كان قد أخبر أن معبوداتهم من الأصنام و الشياطين و غيرها تكون عليهم ١٠  
يوم القيامة ضدا ، أخبر بما يقول القرين من السائق و الشهيد و الشيطان  
الذى تقدم حديثه فى الزخرف ، فقال [ عاطفا - ٢ ] على القول المقدر  
قبل " لقد " معبرا بصيغة المضى تأكيدا لمضمونه و تحقيقا : ( و قال قرينه )  
أى الشيطان الذى سلب على إغوائه ٣ و استدراجه ٢ إلى ما يريد

- نقله الكرماني عن ابن عباس رضى الله عنهما ' ( هذا ) أى الإنسان ١٥  
الذى قرئى به . و لما كان الأمر فى كل من الطائع و العاصى فى غاية  
المعجب ، لأن الطائع يباذله و هو فىكون ملكيا مجردا من حظوظه و نوازع  
قومه و ما بنيت عليه من النقائص و الشهوات ، [ و العاصى - ٢ ] طوع

( ١-١ ) من مد ، و فى الأصل : بإجاء ( ٢ ) زيد من مد ( ٣ - ٢ ) من مد ، و فى

الأصل : باستدراجه ( ٤ ) و المشهور عنه أنه الملك - راجع الباب ١٩٦/٦ .

يدى الشيطان، يصرفه في اغراضه كيف يشاء، فيطيعه بغاية الشهوة مع  
 عليه بعبادته، وأن طاعته لا تكون إلا بمخالفة أمر الله الولي الودود،  
 وكان العاصي أكثر كثرة يكون الطائع فيها بالنسبة إليه كالشجرة  
 البيضاء في جلد الثور الأسود، وكان ذلك منابذا للعقل، أشار إلى هذه  
 ٥ المتابذة بأداة من لا يعقل وإلى جميع ما في أمره من العجب بلدى فقال:  
 (مالدى) أى [الأمر - ١] الذى عندى من الأمر المستغرب جدا  
 لكون المطيع عصاني، وهو مطبوع على النقائص والخطوط التى يرى  
 [أنها - ١] حياته ولذته وراحته، والعاصي أطاعنى وهو يعلم  
 بعقله أنى شر محض، وترك الخير المحض وهو عالم بأن فى ذلك هلاكه  
 ١٠ (عبيده) أى حاضر مهياً لما يراد منه .

ولما كانت العادة جارية بأن من أحضر إليه شئ تبادر إلى أمره  
 بقول أو فعل، وصل بذلك ما هو نتيجة، وبدأ بالعاصي لأن المقام له،  
 فقال ما يدل على أنه لا وزن له، فلا وقفة في عذابه بحسابه ولا غيره،  
 مؤكدا خطابا للتأكد بالإلقاء أو خطابا للسائق والشهيد، أو السائق وحده  
 ١٥ مثنيا لضميره تنبيه للامر كأنه قال: ألق - تأكيدا له وتهويلا:  
 (القبأ) أى اطرحا دفعا من غير شفقة، وقيل: بل هو تنبيه وأصل  
 ذلك أن الرقة أدنى ما يكون ثلاثه، فجرى كلام الواحد على صاحبه،  
 ألا ترى أن الشعراء أكثر شئ قبيلا: يا صاحبي يا خليلي، والسرفه إذا  
 كان المخاطب واحدا لفهامه أنه يراد منه الفعل بمجد عظيم تكون قوته  
 (١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل: الذى (٣) سقط من مد .  
 (٤) من مد، وفى الأصل: الخطاب .

فيه معادلة لقوة اثنين ( في جهنم ) أى النار التى تلقى الملقى فيها بما كان يعامل به عباد الله من الكبر والعنوسة والتكبر والتعصب. ولما كان المقصود تعليل إلقائه بوصف يعم غيره ليكون لطفاً لمن أراد الله عصمته عن<sup>٢</sup> سمع هذا المقال وحجة على من أراد الله<sup>٣</sup> إهائته : ( كل كفار عنده<sup>٤</sup> )

أى مبالغ / فى ستر الحق<sup>٥</sup> والمعاداة لأهله<sup>٦</sup> من غير<sup>٧</sup> حجة حية وأهنة<sup>٨</sup> نظرا إلى استحسان ما عنده والثبات عليه تبحرا وتكبيرا على ما عند غيره ازدياء له كائنا من<sup>٩</sup> كان (مناع<sup>١٠</sup>) أى كثير المنع (للخير) من المال وغيره من كل معروف يتعلق بالمال والقال والفعال (معتد<sup>١١</sup>) متجاوز للحدود (مريب لا) أى داخل فى الريب وهو الشك وإنهية فى أمر الدين، وموقع غيره فيه، ثم أبدل من " كل " قوله يانا لمبالغته فى ١٠ الكفر الذى أوجب له كل شر (الذى جعل) كفرا مضاعفا وعنادا ومنعا للخير الذى يجب عليه فى قلبه ولسانه وبدنه، وتجاوزا للحدود دخولا فى الشك وإدخلا لغيره فيه (مع الله) أى الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال، فليس أمره خفيا عن كل ذى عقل (الها) .

ولما كان ربما تغنت متغنت فتزل الآية على من يدعو الله بغير هذا ١٥

الاسم الأعظم، صرح بالمراد بقوله : (الآخر) وزاد الكلام أنه مأخوذ

- (١) من مد، وفى الأصل الملقى (٢) من مد، وفى الأصل : لمن (٣) سقط من مد (٤) وقع فى الأصل بعد « كائنا من كان » والترتيب من مد (٥) من مد، وفى الأصل : العقل (٦-٧) فى مد : بغير (٧) من مد، وفى الأصل : ماء. (٨) وقع فى الأصل بعد « المنع » والترتيب من مد (٩) من مد، وفى الأصل : كانه.

من التأخر الناظر إلى الردامة و السقوط عن [ عين - ' ] الاعتبار بالكلية .  
 ولما كان هذا قد جحد الحق الواجب لله لذاته مع قطع النظر  
 عن كل شيء . ثم ما يجب له من [ جهة - ' ] ربوبيته وإنعامه على  
 كل موجود ، ثم من جهة إدامة إحسانه مع المحصية بالحلم ، وعائده في  
 ذلك وفي إثباته للغير ما لا يصح له بوجه من الوجوه ، سبب عن وصفه  
 قوله : ( فآلقينه في المذابح ) [ أى - ' ] الذى يزيل [ كل - ' ]  
 عذوبة ( الشديد ) .

ولما كان القرين قد قال ما تقدم مریدا به - جهلا منه - الخلاص  
 من العذاب باظهار أنه ليس بأوصاف هذه النفس ، بل من كبار المؤمنين ،  
 ١٠ فأجيب مقالته بالقائه تلك النفس معللا للامر بالقائها بما شمل هذا القرين ،  
 فتشوف السامع إلى ما يكون من حاله ، وكانت العادة جارية أن من  
 تكلم فى شخص بما فيه مثله ولا سيما إن كان هو السبب فيه أو كان  
 قد تكلم ذلك الشخص فيه ، فكان قياس ذلك يقتضى ولا بد أن تقول  
 تلك النفس القول فيها ، وهذا عند الامر بالقائها : ربنا هو أطفانى ، أجب  
 ١٥ تعالى عن هذا التشوف بقوله : ( قال قرينه ) مناديا باسقاط الاداة  
 دأب أهل القرب إيهاما أنه منهم : ( ربنا ) أيها المحسن [ إلينا - ' ] أيتها  
 الخلائق كلهم ( ما أطفيت ) أى ما أوقعت فيما كان فيه من الطغيان ، فانه  
 لا سلطان لى عليه وأنت أعلم بذلك ( ولكن كان ) بحبسته وطبعه

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد ، وفى الأصل : بما (٣) من مد ، وفى الأصل :

لا يصلح (٤) فى مد : اينها .

( في ضلل بعده ) محيط به من جميع جوانبه لا يمكن رجوعه معه ، فلذلك كان يادر إلى كل ما يفضب الله ، وإن حركته إليه ان<sup>١</sup> فانه لا يحتاج إلى أدنى تحريك فيثور له ثورة من هو مجبول مركز في طباعه .

ولما كان كأنه قيل : بم يحاب عن هذا ؟ وهل يقبل منه ؟ قيل :

لا ( قال ) أى الملك المحيط علما و قدرة الذى حكم عليهم فى الازل : هـ

( لا تختصوا ) أى لا توقعوا الخصومة بهذا الجد والاجتهاد ( لدى )

أى فى دار الجزاء بهذه الحضرة التى هى / فوق ما كنتم تدركونه من  
الآخبار عنها بكثير ، وأعجب بما يدرك حق الإدراك ، فقد أتم انكشاف  
ما كان يستغربه الخاصة بل خاصة الخاصة ، فقات بانكشافها تقع

إيمان جديد ( وقد ) أى والحال أنه قد ( قدمت ) أى تقدمت ، ١٠

أى أمرت وأوصيت قبل هذا الوقت موصلا ومنها ( اليكم ) أى

كل ما ينبغي تقديمه حتى لم يبق لبس ولا ترك لأحد حجة بوجه ، وجعلت

ذلك رقفا بكم ملتبسا ( بالوعيد ) أى التهديد ، هو التخويف العظيم على

جميع ما ارتكبتموه من الكفران والعدوان فى الوقت الذى كانت فيه

[ هذه - ٢ ] الحضرة التى هى غيب الغيب ومستورة بستار الكبرياء ١٥

والعظمة ، بل كان ما دونها من الغيب مستورا ، فكان الإيمان به نافعا .

ولما كانت الاوقات كلها عنده سبحانه حاضرة ، عبر سبحانه فى تعليل

ذلك بـ " ما ، التى هى للحاضر دون " لا " التى للمستقبل فقال : ( ما يبدل )

أى يغير من مغير [ ما كان من - ٢ ] كان بوجه من الوجوه بحيث يجعل

( ١ ) ليس واضحا فى الأصل و مد ( ٢ ) من مد ، وفى الأصل : مكتسبا ( ٣ ) زيد

من مد .

له بدل فيكون فيه خلف ﴿ القول لدى ﴾ أى الواصل إليكم من حضرتي  
التي لا يحاط بأمر غرابتها بأن من أشرك بي لا أغفر له و أغفر ما دون  
ذلك لمن أشاء ، و العفو عن بعض المذنبين ليس تبديلا لأن دلائل  
العفو تدل على تخصيص الوعيد ، و أنه مشروط بشرائط ﴿ و ما أنا ﴾  
هـ و أكد النبي فقال : ﴿ بظلام ﴾ أى بنى ظلم ﴿ للعبيد ﴾ لا القرين ولا  
من أطغاه ولا غيرهم ، فأعذب من لا يستحق أو أغفر عن قلت : إلى  
لا أغفر له و أمرت جندي فعادوه في . ولو عفوت عنه كنت مع تبديل  
القول قد شئتهم باكرام من عادوه في ليس إلا .

و لما كان هذا التقاؤل عما يهول امره و يقطع القلوب ذكره ، صور وقته  
١٠ بصورة تزيد في ذلك الهول ، و ينقطع دون وصفها القول ، و لا يطمع  
في الخلاص منها بقوة و لا حول ، فقال مامعناه : [ يكون - ٢ ] هذا كله  
﴿ يوم ﴾ و لما كان المقصود الإعلام بأن النار كبيرة مع ضيقها ، فهي  
تسع من الخلائق ما لا يقع تحت حصر ، و أنها مع كراهتها ان يصلها  
و تجهها لهم تحب تهاقهم فيها و جلبهم \* إليها عبر عنه على طريق الكناية  
١٥ بقوله : ﴿ قول ﴾ أى على ما لنا من العظمة التي [ لا - ٢ ] يسوغ لشيء  
أن يخفى عنها ﴿ للجهنم ﴾ دار العذاب مع الكرامة و العبوسة و التجهم  
إظهارا للهول بتصور الأمر المهدد به ، و تقرير الكفار ، و تنبيه من يسمع  
(١) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في مد فخذناها (٢) من مد ، و في  
الأصل : « و » (٣) زيد من مد (٤) في مد : يدخل (٥) من مد ، و في الأصل :  
جلبهم (٦) من مد ، و في الأصل : منها .



هذا الخبر عن هذا السؤال من الغفلة : ﴿ هل امتلأت ﴾ فصدق قولنا  
 " لا ملان جهنم من الجنة والناس اجمعين " وذلك بعد أن يلقي فيها من  
 الخلائق ما لا يحيط به الوصف ، فنقول : لا ، ﴿ و تقول ﴾ طاعة لله و محبة  
 في عذاب أعدائه و إخبارا بأنها لم تمتلئ لأن النار من شأنها أنها كلما زيدت  
 حطبا زادت لها : ﴿ هل من مزيد ﴾ أى زيادة أو شيء من العصاة / ازادة ، هـ ٣٧/  
 سواء كان كثيرا أو قليلا ، فأنى أسع ما يؤتى به إلى و لا تزال كذلك كما  
 ورد في الحديث لا تزال جهنم يلقى فيها و تقول هل من مزيد حتى يضع  
 الجبار فيها قدمه ، أى يضربها من جبروته بسوط إهانة فينزوى بعضها إلى  
 بعض و تقول : قط قط و عزتك ، ثم يستمرون بين دولتى الح و الزمهرير ،  
 و قد جعل الله سبحانه لذلك آية في هذه الدار باختلاف الزمان في الحر ١٠  
 و البرد ، فاذا أفرط الحر جاءت رحمته [ تعالى بالبرد و بالماء من السماء فامتزجا  
 معا فكان التوسط ، و إذا أفرط البرد جاءت رحمته - ٢ ] بالحر بواسطة  
 الشمس ، فامتزج الموجودان ، فكان له توسط ، و كل ذلك [ له - ٣ ] دوائر  
 موزونة بأقسام مقسطة معلومة بتقدير العزيز العليم - ذكر ذلك ابن برجان .  
 و لما ذكر النار و قدمها لأن المقام للانذار ، أتبعها دار الآرار ، ١٥  
 فقال سارا لهم باسقاط مؤنة السير و طوى شفة البعد : ﴿ و ازلقت ﴾ أى  
 قربت بأيسر أمر مع الدرجات و الحياض الممتلئة ﴿ الجنة للثقلين ﴾ أى  
 العريقين في هذا الوصف ، فاذا رأوها تسابقوا إليها و ركوا ما كانوا فيه من  
 (١-١) من مد ، و في الأصل : قليلا أم كثيرا (٢) زيد من مد (٣) من مد ،  
 و في الأصل : بالاسقاط .

الموقف من منابر النور و كثبان المسك و نحو هذا ، و أما غيرهم من اهل  
الإيمان فقد يكون لهم على غير هذا الوصف ، فيساق إليها الذين اتقوا  
كما مضى في الزمر . و لما كان التقرب أمرا نسيأ أكده بقوله : ( غير بعيد )  
أى إزلافا لا يصح وصفه ببعيد .

٥ و لما كان التقريب قد لا يدرك الناظر ما سيه ، قال سارا لهم : ( هذا ) أى  
الإزلاف و الذى تروونه من كل ما يسركم ( ما ) أى الامر الذى ( توعدون )  
أى وقع الوعد لكم به فى الدنيا ، و عبر بالمضارع حكاية الحال الماضية ،  
و عبر عن الإزلاف بالماضى تحقيقا لآمره و تصويرا لحضوره الآن ليكون  
المضارع من الوعد فى أحكم مواضعه ، و أبهم الامر لأنه أكثر تشويقا ،  
١٠ و التعين بعد الإبهام الذى ، فلذلك قال بيانا للمؤمنين ، معيدا للجار لما وقع  
بينه و بين المبدل منه من الجملة الاعتراضية جوابا لمن كأنه قال : لمن هذا  
الوعد ؟ فقال تعالى : ( لكل اواب ) أى رجاع إلى الاستقامة بتقوى  
القلب إن حصل فى ظاهره عوج ، فبه بذلك على أنه من فضله لم يشترط  
فى صحة وصفه بالتقوى دوام الاستقامة ( حفيظ ) أى مبالغ فى حفظ  
١٥ الحدود و سائر العهود بدوام الاستقامة و الرجوع بعد الزلة ، ثم أبدل  
من " كل " [ تميما - ٢ ] لبيان المتقين قوله : ( من خشى ) و لم يعد  
الجار لأنه لا اعتراض قبله كالاول ، و نبه على كثرة [ خشيته - ٢ ] بقوله :  
( الرحمن ) لأنه إذا خاف مع استخصار الرحمة العامة للطائع و العاصى  
كان خوفه مع استحضار غيرها اولى ، و قال القشيري : التعبير بذلك

(١) من مد ، و فى الاصل : مجازا (٢) زيد من مد .

للاشارة إلى أنها خشية تكون مقرونة بالأنس يعنى الرجاء كما هو المشروع،  
قال : ولذلك لم يقل " الجبار " أو " القهار " قال : ويقال : الخشية  
اللطيف من الخوف، فكأنها قرية من الهية ( بالغيب ) / أى مصاحبا له ٣٨/  
من غير أن يطلب آية أو أمرا يصير به إلى حد المكاشفة، بل استغنى  
بالبراهين القاطعة<sup>٢</sup> التى منها زأنه<sup>٢</sup> مربوب، فلا بد له من رب، وهو ه  
أيضا يان للبلغ خشيته .

ولما كان النافع من الطاعة الدائم إلى الموت، قال : ( و جاء )  
أى بعد الموت ( بقلب منيب دلا ) أى راجع إلى الله تعالى بوازع العلم،  
ولم يقل : بنفس، لطفًا بالعصاة لأنهم وإن قصرت نفوسهم لم يكن  
لها صدق القدم فلهم الأسف بقلوبهم و صدق الندم . ١٠  
ولما كان الإخبار بكونها لهم وإن كان أمرا سارا لا يقتضى  
دخولها فى ذلك الوقت، زاد سرورهم بالإذن بقوله معبرا بضمير الجمع  
يأنا لأن المراد من « من » جميع المتقين : ( ادخلوها ) أى يقال لهم : ادخلوا  
الجنة . ولما كان المراد استقبالهم بالإلذاد بالبشارة قال : ( بسلم )  
أى مصاحبين للسلامة من كل ما يمكن أن يخاف، فأتبع ذلك قوله إنها ١٥  
للسرور إلى غاية لا توصف : ( ذلك ) أى اليوم العظيم جدا ( يوم )  
ابتداء أو تقرير ( الخلوده ) أى الإقامة التى لا آخر لها ولا تقاذ لشيء  
من لذاتها أصلا، ولذلك وصل به قوله جوابا لمن كأنه قال : على أى  
وجه خلودهم ؟ : ( لهم ) بظواهرهم وبواطنهم ( ما يشآون ) أى يتجدد  
( ١ ) من مد ، وفى الأصل : كذلك ( ٢ ) فى مد : النطعية ( ٣ ) زيد من مد .

مشيئتهم أو تمكن مشيئتهم [ له - ' ] ﴿ فيها ﴾ أى الجنة ﴿ ولدينا ﴾  
 أى عندنا من الأمور التى فى غاية الغرابة وعدم وإن كان كل ما عدم  
 مستغنيا ﴿ مزيدة ﴾ أى مما لا يدخل تحت أوامهم يشاؤه<sup>١</sup>، فإن سياق  
 الامتنان يدل على أن تنوينه للتعظيم، والتعبير بلدى يؤكد ذلك تأكيداً  
 ٥ يناسبها بأن يكونوا كل لحظة فى زيادة لم يحط بها علم أخص الخواص،  
 فهم فى كل لحظة فى زيادة<sup>٢</sup> على أمانهم عكس ما كانوا فى الدنيا،  
 وبذلك تزداد علومهم، فقدرات الله لا تنحصر، لأن معلوماته لا تنتهى .  
 ولما ذكر سبحانه أول السورة تكذيبهم بالقدرة على اعترافهم بما  
 يكذبهم فى ذلك التكذيب، ثم سلى وهدد بتكذيب الأمم السابقة،  
 ١٠ وذكر قدرته عليهم، وأتبعه الدلالة على كمال قدرته إلى أن ختم  
 بالإشارة إلى أن قدرته لا نهاية لها، ولا تحصر بحد ولا تحصى بعد، رداً  
 على أهل العناد وبدعة الاتحاد فى قولهم : ليس فى الإمكان أبدع مما  
 كان، عطاف على [ ما - ' ] قدرته بعد "لحق وعيد" من إهلاك  
 تلك الأمم ما هو أعم منه بشموله جميع الزمان الماضى وأدل على  
 ١٥ شمول القدرة، فقال : ﴿ وكم اهلكنا ﴾ أى بما لنا من العظمة . ولما  
 كان المراد تعميم الإهلاك فى جميع الأزمان لجميع الأمم، نزع الجارى يانا  
 لإحاطة القدرة فقال : ﴿ قبلهم ﴾ وزاد فى دلالة التعميم فأثبتته فى قوله :  
 ﴿ من قرن ﴾ أى جيل هم فى غاية القوة، وزاد فى بيان القوة فقال :  
 (١) زيد من مد (٢) ليس واضعاً فى مد (٣) من مد، وفى الأصل : زيادهم .

- ٣٩/ (م) اى اولئك القرون بظواهرهم و بواطنهم (اشد منهم) اى من قريش (بطشا) اى قوة و أخذوا لما يريدونه بالعنف<sup>١</sup> و السطوة و الشدة، و حذف الجار هنا يدل على أن كل من كان قبل قريش كانوا أقوى منهم، و إثباته فى ص يدل على أن المذكورين بالإهلاك هناك<sup>٢</sup> مع الاتصاف بالنداء المذكور بعض المهلكين لا كلهم . و لما أخبر سبحانه بأشدتهم سبب ه عنه قوله: (فقبوا) اى أوقموا النقب (فى البلاد<sup>٣</sup>) بأن فتحوا فيها الأبواب الحسية و المغنوية و خرقوا فى أرجائها ما لم يقدر غيرهم عليه و بالغوا فى السير فى النقاب، و هى طرق الجبال و الطرق الضيقة فضلا عن الواسعة و ما فى السهول، بقولهم الواسعة و آرائهم النافذة و طبائهم القوية، و بحثوا مع ذلك عن الأخبار، و أخبروا غيرهم بما لم يصل إليهم، و كان ١٠ كل منهم نقابا فى ذلك أى علامة فيه فصارت له به مناقب أو مفاخر . و لما كان التقدير: و لم يسلموا مع كثرة تقييهم و شدته من إهلاكنا بغوائل الزمان و نوازل الحداث، توجه سؤال كل سامع على ما فى ذلك من العجائب و الشدة و الهول و المخارف سؤال تنبيه للذاهل الغافل، و تقريب و تبكيت للعائد الجاهل، بقوله: (هل من محبص ه) أى معدل و محيد ١٥ و مهرب و إن دق، من قضائنا ليكون لهؤلاء وجه ما فى رد أمرنا . و لما ذكر هنا من المواعظ ما أرقص<sup>٤</sup> الجماد، فكيف بمن يدعى أنه من رؤس النقاد، أتمج قوله مؤكدا لأجل إنكار الجاحد و عناد المعاند:
- 
- (١) من مد، و فى الأصل: بالقوة - كذا (٢) من مد، و فى الأصل: هنا .  
(٣) من مد، و فى الأصل: افرض .

(ان في ذلك) أى [ الأمر - ' ] البديع - من العظمت التى صرفناها هنا على ماترون من الاساليب العجيبة والطرق الغريبة فى الإهلاك وغيره (لذكرى) أى تذكيرا عظيما جدا . ولما كان المتذكر بمصارع المهلكين [ تارة - ' ] بأن يكون حاضرا فى مصارعهم حال الإيقاع بهم أو يرى آثارهم بعد ذلك ، وتارة يخبر عنها ، قال بادئا بالرائى ' لأنه أجدر بالتذكير: (لمن كان) أى كونا عظيما (له قلب) هو فى غاية العظمة والتورانية إن رأى شيئا من ذلك فهو يبحث يفهم ما يراه ويعتبر به ، و [ من - ' ] لم يكن كذلك فلا قلب له لأن قلبه لما كان غير نافع كان عدما .

ولما كان قد بدأ بالناظر لأنه أولى بالاعتبار وأقرب إلى الازدكار ، ١٠ ثم بمن نقلت إليه الأخبار فقال : (أو التى) أى إلقاء عظيما بغاية إصفائه حتى كأنه يرى بشىء ثقيل من علو إلى سفلى (السمع) أى الكامل الذى قد جرده عن الشواغل من الحظوظ وغيرها إذ سمع ما غاب عنه (وهو) أى [ و - ' ] الحال أنه فى حال إلقائه (شهيد) أى حاضر بكلية ، فهو فى غاية ما يكون من تصويب الفكر وجمع الخاطر ، ١٥ فلا ييب عنه شىء مما تلى عليه / وألقى إليه ، فيتذكر بما ذكرناه به عن قدرتنا من الجزئيات ما أتجه من القدرة على كل شىء ، ورأى مجد القرآن فلم أنه كلام الله فسمعه منه فصدق الرسول ، وقبل كل ما يخبر به ، ومن سمع شيئا ولم يحضر له ذهنه فهو غائب ، فالأول لعالم بالقوة ، وهو المجبول

/ ٤٠

(١) زيد من مد (٢) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها .  
(٣-٢) سقط ما بين الرقنين من مد (٤) من مد ، وفى الأصل : بالقدرة .

على الاستعداد الكامل فهو بحيث لا يحتاج إلى غير التدبر<sup>١</sup> لما عنده من الكمال المهيى بفهم ما يذكر به القرآن، والثاني القاصر بما عنده من كثافة الطبع فهو بحيث يحتاج إلى التعليم فيتذكر بشرط أن يقبل<sup>٢</sup> بكليته، ويزيل الموانع كلها، فلذلك حسن جدا موقع "أو" المقسمة وعلم منه عظيم شرف القرآن في أنه مبشر للكمال والناقص، ليس منه مانع<sup>٣</sup> غير الإعراض .

ولما دل على تمام علمه وشمول قدرته بخلق الإنسان إثر ما ذكره من جميع الأكوان، ثم باعدامه لأصناف<sup>٤</sup> الإنسان في كل زمان، ذكر بخلق ما أكبر منه في المقدار والإنسان بعضه على وجه آخر، فقال عاطفا على "ولقد خلقنا الإنسان" وأكدته تنبيها لمنكرى البعث وتبكيها،<sup>٥</sup> وافتحه بحرف التوقع لأن من ذكر بخلق شيء [توقع الإخبار -<sup>٦</sup>] عما هو أكبر منه : ﴿ولقد خلقنا﴾ أى بما لنا من العظمة التى لا يقدر قدرها ولا يطاق حصرها ﴿السموات والأرض﴾ على ما هما عليه من الكبر وكثرة المنافع ﴿وما بينهما﴾ من الأمور التى لا ينتظم الأمر على قاعدة الأسباب والمسببات بدونها ﴿في ستة أيام﴾ الأرض في يومين، ومنافعها<sup>٧</sup> في يومين، والسموات في يومين، ولو شاء لكان ذلك في أقل من لمح البصر، ولكنه سن لنا<sup>٨</sup> التأني بذلك ﴿وما مسنا﴾ لأجل ما لنا من

(١) من مد، وفي الأصل : التدبير (٢) من مد، وفي الأصل : لا يقبل .

(٣) من مد، وفي الأصل : لا تصاف (٤) زيد من مد (٥) من مد، وفي

الأصل : قدرتها (٦) من مد، وفي الأصل : له .

المظمة (من لغوب هـ) أى إعياء فانه لو كان لاقتضى ضعفا فاقضى فسادا، فكان من ذلك شيء على غير ما أردناه، فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا فى الباقي، وأتم تشاهدون الامر فى الكل على حد سواء من نفوذ الامر وتام التصرف، من اللغب<sup>١</sup> وهو الإعياء، والريش اللقاب وهو الفاسد. ولما دل سبحانه على شمول العلم وإحاطة القدرة، وكشف فيها الامر أتم كشف، . كان علم الحبيب القادر بما يفعل العدو أعظم نذارة للعدو وبشارة للولى، سبب عن ذلك قوله : (فاصبر على ما) أى جميع الذى (يقولون) أى الكفرة وغيرهم . [ولما -<sup>٢</sup>] كانت أقوالهم لا تلحق بالجناب الاقدس، أمر سبحانه بما يفيد أن ذلك بارادته ١٠ وأنه موجب لتزبيبه . كآله، لانه قهر قائله على قوله، ولو كان الامر بارادة ذلك القائل استقلالا لكان ذلك فى غاية البعد عنه، لانه موجب للهلاك، فقال : (وسبح) أى أوقع التزبيد عن كل شائبة نقص متلبسا<sup>٣</sup> (بمجد ربك) أى باثبات الإحاطة بجميع صفات الكمال للسيد المدبر المحسن / إليك بجميع هذه البراهين التى خصك بها تفضيلا لك على ١٥ جميع الخلق فى جميع ما (قبل طلوع الشمس) بصلاة الصبح، وما يليق به من التسبيح غيرها (وقبل الغروب<sup>٤</sup>) بصلاة العصر والظهر كذلك، فالعصر أصل لذلك الوقت والظهر تبع لها .

ولما ذكر ما هو أدل على الحب فى المعبود لانه وقت الانتشار

(١) من مد، وفى الأصل : التعب (٢) زيد من مد (٣) فى مد : متلبسا .

(٤) فى مد : فى ذلك .



إلى<sup>١</sup> الأمور الضرورية التي بها القوام والرجوع لقصد الراحة الجسدية  
بالأكل والشرب واللعب والاجتماع بعد الانتشار والانضمام مع ما في  
الوقت من الدلالة الظاهرة على طي الخلق ثم نشرهم، أتبعه ما يكون  
وقت السكون المراد به الراحة بلذيق الاضطجاع والنام فقال:  
(ومن أيل) أى في بعض أوقاته (فسبحه) بصلاتي المغرب والعشاء،  
وقيام الليل لأن الليل وقت الخلوات وهي ألد المناجاة - ولما ذكر  
الفرائض التي لامندوحة عنها على وجه يشمل التوافل من الصلاة وغيرها،  
أتبعها التوافل المقيدة بها فقال: (وإدبار السجود) أى الذي هو أكل  
في بابه وهو صلاة الفرض بما يصلى بعدها من الرواتب والتسبيح  
بالقول أيضا، قال الرازي: واعلم أن ثواب الكلمات بقدر صدورها ١٠  
عن جنان المعرفة والحكمة وأن تكون عين قلبه تدور<sup>٢</sup> دوران لسانه<sup>٢</sup>  
ويلاحظ حقائقها ومعانيها، فالتسبيح تنزيه من كل ما يتصور في الوم  
أو يرسم في الخيال أو ينطبع في الحواس أو يدور في الهواجس،  
والحمد يكشف عن المنّة وصنع الصنائع وأنه المتفرد بالنعم - انتهى .  
ومعناه أن هذا الحمد هو الحقيقة . فإذا انطبقت في الجنان قامت بالالسان، ١٥  
وتصورت بالآركان، وحمل على الصلاة لأنها أفضل العبادات، وهي  
جامعة بما فيها من الأقوال والأفعال لوجهي الذكر: التنزيه والتحميد،  
وهاتان الصلاتان المصدر بهما أفضل الصلوات فهما أعظم ما وقع

---

(١) من مد، وفي الأصل: في (٢-٢) من مد، وفي الأصل: بدورات  
الإنسان (م) من مد، وفي الأصل: أى .

التسبيح بالحمد ، و المعنى - والله اعلم - أن الاشتغال استمطار من المحمود  
 المسبح للنصر على المكذبين ، وأن الصلاة أعظم ترياق للنصر وإزالة الهم ،  
 ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .  
 ولما سلاه سبحانه عما يسمع منهم من التكذيب [ و - ' ] غيره  
 ه من الأذى بالإقبال على عليّ حضرته والانتظار لنصرته ، أتبعه تعزية  
 الإشارة فيها أظهر بما صورته يوم مصيبتهم وقربه حتى أنه يسمع في وقت  
 نزول هذه الآية ما فيه لهم من المثلث وقوارع المصيبات ، تحذيرا لهم  
 وبشرى لأوليائهم بتأييده عليهم ونصره لهم في الدنيا والآخرة فقال :  
 ﴿ واستمع ﴾ أى اسمع بتعمدك للسمع بقاية جهتك باصفاء سمعك وإقبال  
 ١٠ قلبك بعد تسبيحك بالحمد ما يقال لهم ﴿ يوم ' ينادى المنادى ﴾ لهم في الدنيا  
 يوم بدر أول الأيام التى أظهر الله فيها لأوليائه مجده بالانتقام من أعدائه ،  
 / وفى الآخرة يوم القيامة فى صورة<sup>٢</sup> النفخة الثانية وما بعده . ٤٢ /

ولما كان المراد إظهار العظمة بتصوير تمام القدرة ، وكان ذلك  
 ١٥ يتحقق باسماع البعيد من محل المنادى كما يسمع القريب سواء ، وكان القرب  
 ملزوما للسمع ، قال مصورا لذلك : ﴿ من مكان ﴾ هو صحرة بيت المقدس  
 ﴿ قريب لا ﴾ أى يسمع الصوت من بعد كما يسمعه من قرب ، يكونون  
 فى البقاع سواء لاختلاف بينهم أصلا .

ولما عظم هذا المقام بما كساه من ثوب الإجمال أبدل منه إيضاحا

(١) وقع فى الأصل بعد ؛ واستمع والترتيب من مد (٢) من مد ، وفى  
 الأصل : الصورة .

وزيادة في التعظيم قوله : ﴿ يوم يسمعون ﴾ أى الذين ينادون ﴿ الصيحة ﴾ أى صيحة أصمتهم المستنفر لهم إلى بدر في الدنيا ، فكانت صيحة قاضية بصمتهم عن جميع تصرفاتهم ، وصيحة النفخة الثانية في الصور في الآخرة فهما قهقرا حشر إلى القضاء بين الحق والمبطل ﴿ بالحق ﴾ أى الأمر الثابت الذى كانوا يسمونه سمرا ، وبدونه خيالا ، فيعلمون حينئذ أن الواقع هـ قد يطابقه ، فكان حقا فانه قد طابقه الواقع ، فكان الإخبار به صدقا . ولما عظمت سبحانه بأجمال بعد إجمال ، إشارة إلى أن ما فيه من شديد الأحوال ، يطول شرحه بالمقال ، زاده تعظيما بما أتجه الكلام فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى اليوم العظيم الذى يظهر به المجد و يعلو بضعفاء المؤمنين المجد ﴿ يوم الخروج هـ ﴾ أى الذى لاخروج أعظم منه وهو خروجهم من بيوتهم ١٠ فى الدنيا إلى مصارعهم ييدر ، ومن قبورهم من الأرض التى [ خلقوا -<sup>١</sup> ] منها إلى مقامهم فى النار .

ولما بنيت دعائم القدرة ودقت بشار النصره وختم بما يصدق على البعث الذى هو الإحياء الأعظم دالا عليه بما هو مشاهد من أفعاله ، وأكدته لإنكارهم البعث ، فقال : ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ نحن ﴾ ١٥ خاصة ﴿ نحى ونميت ﴾ تجدد ذلك شيئا بعد شيء ستة مستقره وعادة مستمرة كما تشاهدونه ، فقد كان منا بالإحياء الأول البدأ ﴿ والينا ﴾ خاصا بالإماتة ثم الإحياء ﴿ المصيره ﴾ أى الصيرورة ومكانها وزمانها بأن نحى جميع من أمتاه يوم البعث ونحشرهم إلى محل الفصل ، فتحكم

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : نجد .

بينهم وليس المعاد باصعب من المبدأ ، فن اقر به وأنكر البعث كان معاندا أو مجنوناً قطعاً .

ولما تحقق بذلك أمر البعث غاية التحقيق ، صور خروجهم فيه فقال معلقاً بما ختم به الابتداء مما قبله زيادة في تفخيمه و تعظيمه و تبجيله :  
 ٥ ﴿ يوم تشقق الارض ﴾ و عبر بفعل المطاوعة لاقتضاء الحال له ، وحذف تاء المطاوعة إشارة إلى سهولة الفعل وسرعته ﴿ عنهم ﴾ أى مجاوزة لهم بعد أن كانوا فى / بطنها فيخرجون منها أحياء كما كانوا على ظهرها أحياء ، حال كونهم ﴿ سراعاً ﴾ إلى إجابة منادياها ، وأشار إلى عظمه بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الإخراج العظيم جداً ﴿ حشر ﴾ أى جمع بكره ، وزاد فى بيان عظمة هذا الأمر بدلالته على اختصاصه بتقديم الجار فقال : ﴿ علينا ﴾ أى خاصة ﴿ يسيره ﴾ فكيف يتوقف عاقل فيه فضلاً عن أن ينكره ، واما غيرنا فلا يمكنه ذلك بوجه - انتهى .

ولما أقام سبحانه الأدلة على تمام قدرته و شمول علمه و ختم بسهولة عليه و اختصاصه به ، وصل تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم بتهديدهم ١٥ على تكذيبهم بالعلم الذى هو أعظم التهديد فقال : ﴿ نحن ﴾ أى لا غيرنا و لآلئهم أنفسهم ﴿ اعلم ﴾ أى من كل من يتوهم فيه العلم ﴿ بما يقولون ﴾ أى فى الحال و الإقبال من التكذيب بالبعث و غيره مع إقرارهم بقدرتنا .

ولما كان التقدير : فحقن قادرون على ردمه عنه بما لنا من العلم المحيط ٢٠ و أنت لهم منذر تنذرهم و بال ذلك ، عطف عليه قوله : ﴿ وما أنت عليهم ﴾

ولما أفاد حرف الاستعلاء القهر والغلبة صرح به مؤكداً في النقي فقال :  
 ( بجبار قه ) أى متكبر قهارات تردم قهرا عما تكبره منهم من الأقوال  
 والأفعال ، إنما أنت منذر . ولما نقي عنه الجبروت ، أثبت لهم ما أفهمه  
 واو العطف من النذارة كما قدرته قبله ، فقال مسيباً عنه معبراً بالتذكير  
 الذى يكون عن نسيان لأن كل ما فى القرآن من وعظ إذا تأمله الإنسان ه  
 وجده شاهداً فى نفسه أو فيما يعرفه من الآفاق ( فذكر ) أى بطريق  
 البشارة والنذارة ( بالقرآن ) أى الجامع بمجده لكل خير المحيط بكل  
 صلاح ( من يخاف وعيد ) أى يمكن خوفه ، وهو كل عاقل ، ولكنه  
 ساقه هكذا إعلاما بأن الذى يخاف بالفعل فيكشف الحال عن إسلامه  
 هو المقصود بالذات ، وغيره إنما يقصد لإقامة الحججة عليه لالده ، ١٠  
 ولا يوسف عليه ولا يتأثر بتكذيبه بل يعتقد أنه عدم لا تضر عداوته  
 ولا تنفع ولايته ، وما أدى إلا نفسه وكل من والاه فى الدنيا والآخرة ،  
 وهذا هو المجد للقرآن ولمن أنزله ولمن أتى به عنه بتمام قدرة من هو  
 صفته وشمول علمه ، فقد انعطف هذا الآخر على [ ذلك - ١ ] الأول  
 أشد انعطاف ، والتفت فروعه بأصله أتم<sup>٢</sup> التفاف ، فاعترفت به [ أولو - ١ ] ١٥  
 براعة وأهل الإنصاف [ والاتصاف - ١ ] بالتقدم فى كل صناعة  
 بالسبق الذى لا يمكن لحاقه أى اعتراف<sup>٢</sup> - والله الهادى للصواب .

(١) زيد من مد (٢) فى مد : أى (٣) فى الأصل ومد : اعترافه .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الذاریات

٤٤ / مقصودها الدلالة على صدق ما أنذرت به سورة ق تصريحاً وبشرت به  
تلويحاً، ولا سيما آخرها من مصاب الدنيا وعذاب الآخرة، واسمها  
الذاريات ظاهر في ذلك بملاحظة جواب القسم فانه مع القسم لشدة  
الارتباط كآية الواحدة وإن كان خساً، والتعبير عن الرياح بالذاريات  
أتم إشارة إلى ذلك، فان تكذيبهم بالوعد لكونهم لا يشعرون بشيء  
من أسبابه وإن كانت موجودة معهم كما أن ما يأتي من السحاب من  
الرحمة والنقمة أسبابه موجودة، وهي الرياح وإن كانوا لا يرونها،  
والريح من شأنها الذر وهو التفريق، فاذا أراد الله جمعت فكان  
١٠ ما أراد، فانها تفرق الابخرة، فاذا أراد الله سبحانه جمعها لحملها ما أوجد  
فيها فأوقرها به فأجراها لإجراء سهلاً، فقسم منها ما أراد تارة برقاً وأخرى  
رعداً، يصل صليل الحديد على الحديد، أو الحجر على مثله مع لطافة  
السحاب، كل ما يشاهد فيه من الأسباب، وآوة مطراً شديداً الانصباب،  
ومرة برداً ومرة ثلجاً رجي ويهاب، وحيناً صواعق ونيراناً لها  
١٥ أى التهاب، ووقتاً جواهر ومرجاناً بديعة الإعجاب، فتكون مرة

(١) الحادية والخمسون من سورة القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ستون  
بالاتفاق (٢) من مد، وفي الأصل: آخره (٣) من مد، وفي الأصل: واحدة.  
(٤) من مد، وفي الأصل: يشا (هـ-هـ) في مد: ثلجا وبردا.

- سرورا و رضوانا، و أخرى غموما و احزاننا، و غبنا و خسرانا، على أنهم  
 أخيل الناس في بعض ذلك، يعرفون السحاب الذى يخيل المطر و الذى  
 لا يحيله و الذى مطره دان، و الذى لم يأن له أن يمطر - إلى غير ذلك من أشياء  
 ذكرها أهل الأدب و حملها أهل اللغة عنهم، و كل ذلك بتصرف الملائكة  
 عن أمر الله، و لذلك - والله أعلم - سن أن يقال عند سماع 'الرعد': هـ  
 "سبحان الله" مباح قدوس، ياتنا لأن المصرف الحق هو الله تعالى  
 "رب الملائكة" أى الذين أقيموا لهذا "و الروح" الذى يحمله هذا  
 الجسم من مطر أو نار أو غيرهما و الله الموفق (بسم الله) المحيط بصفات  
 الكمال فهو لا يتخلف الميعاد (الرحمن) الذى عم الخلائق بعمدة الإيجاد  
 (الرحيم) الذى خص من اختاره بالتوفيق لما يرضاه من المراد . ١٠  
 لما ختم سبحانه قى بالتذكير بالوعيد، افتتح هذه بالقسم البالغ على  
 صدقه، فقال مناسبا بين القسم و المقسم عليه: (و الدريث) أى  
 الرياح التى من شأنها الإطارة و الرمى و التفريق و الإذهاب، و أكد ذلك  
 بقوله: (ذررا!) أى بما تصرفها فيه الملائكة، قال الأصهبانى: الرياح  
 تحت أجنحة الكروبيين حمله العرش، فتهيج عن ثم فتقع بعجلة الشمس ١٥  
 ثم تهيج<sup>١</sup> عن عجلة الشمس فتقع برؤس الجبال، ثم من رؤس الجبال  
 (١) سقط من مد (٢) زيد فى الأصل: يقال، و لم تكن الزيادة فى مد .  
 فخذناها (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من مد (٤) من مد، و فى الأصل:  
 و لا (٥-١) من مد، و فى الأصل: للقسم (٦) زيد فى مد: تقع .

تقع في البر، فأما الشمال<sup>١</sup> فأنها تمر<sup>٢</sup> تحت عدن فتأخذ من عرف طيها فتمر  
على أرواح الصديقين، ثم تأخذ حدها من كرسى بنات نش إلى مغرب  
الشمس، و تأتي الديور حدها من مغرب الشمس إلى مطلع / سهيل، /٤٥  
و تأتي الجنوب حدها من مطلع سهيل إلى مطلع الشمس، و تأتي الصبا  
حدها من مطلع الشمس إلى كرسى بنات نش، فلا تدخل هذه في  
حد هذه [ولا هذه في حد هذه - ٣] .

ولما كانت غاية الذرر التهيئة للحمل، قال مسيبا ومعقبا:  
(فالحملت<sup>٣</sup>) أي من السحب<sup>٤</sup> التي فرقت الريح أصلها وهو الأنخرة،  
وأطارة في الجو أي جهة العلو ثم جمعت، فأنقذ سبحانه فبطه مع الالتئام  
١٠ لحمله الله ما أوجد فيه من مراده من الماء والصواعق وغيرها (وقرأوا)  
أي حملا قهلا، وقد كان قبل ذلك لا يرى شيء منه ولا من محمله،  
فتحققوا قدرة الله على كل ما يريد وإن لم تروا أسبابه، ولا يفرنكم  
بالله الغرور .

ولما كان الحمل إنما هو<sup>٥</sup> الوضع في<sup>٦</sup> الأماكن التي يراد ضررها  
١٥ أو قلعها، و كان سير الغمام بعد الحمل في ساحة الجو وباحة الأفق من غير  
مسك يرى أدل على القدرة، ولا سيما إذا كان مع الجرى الذي يضرب  
[به - ٣] لسرعة المثل، وكذا جرى السفن في باحة البحر بعد قلعها

(١-١) من مد، وفي الأصل: فان (٢) زيد من مد (٣) وقع في الأصل بالهامش.  
(٤) من مد، وفي الأصل: السحاب (٥-٥) من مد، وفي الأصل: منه .  
شيء (٦-٦) من مد، وفي الأصل: المواضع .



بالوسق قال : ( فالجريت سرا ) أى جريا ذا سهولة .

و لما كان فى غاية الدلالة على تمام القدرة بفريق محمولها فى الاراضى  
المجتاحة و لا سيما إن تباعدت أماكن صبه و مواطن سكه ، و كان ذلك  
التفريق [ هو - ' ] غاية الجرى المترتب على الحمل المترتب على النزول ،  
قال مسيبا معقبا مشيرا بالتفصيل إلى غرابة فصلها لقطراتها و بداعة تفريقها  
لرحمتها من عذابها ، و غير ذلك من أحوال الجاريات و تصرف  
الساريات : ( فالقسمت ) أى من السحب بما تصرفها فيه الملائكة عليهم  
السلام ، و كذا السفن بما يصرفها الله به من الرياح اللينة أو العاصفة  
من سلامة و عطب و سرعة و إبطاء ، و كذا غيرهما من كل أمر تصرفه  
الملائكة بين العباد و تقسمه .

١٠

و لما كان المحمول مختلفا كما تقدم ، قال جامعا لذلك : ( امرأ )  
أى من الرحمة أو العذاب ، قال الرازى فى اللوامع : و هذه أقسام يقسم الله  
بها و لا يقسم بها [ الخلق لأن قسم - ' ] الخلق استشهداد على صحة قولهم  
بمن يعلم السر كالعلائية و هو الله تعالى ، و قسم الخلائق إرادة تأكيد  
الخبر " فى قلوبهم فيقسم " ببعض بدائع خلقه على وجه يوجب الاعتبار ١٥  
و يدل على توحيده ، فالرياح بهير بها و سكونها لتأليف السحاب و تذرية  
الطعام و اختلاف الهواء و عصفها مرة و لينها أخرى و السحاب  
ينحو و قوفها مثقلات بالماء من غير عماد و صرفها فى وقت الغنى عنها

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : عداها (٣) من مد ، و فى الأصل :  
الصحاب (٤) من مد ، و فى الأصل «و» (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من مد .

بما لو دامت لاهلكت ، ولو انقطعت لم يقدر احد على فطرة منها ،  
و بتفريق المطر و إلا هلك الحرث و النسل ، و السفن بتسخير البحر لجرياتها  
و تقدير الريح لها بما لو زاد لفرق ، و لو ركد لاهلك ، و الملائكة تقسم  
الامور بأمر ربها ، كل ذلك دليل على وجود الصانع الحكيم ، و الفاطر  
ه العليم ، القادر الماجد الكريم .

ولما كانوا يكذبون بالوعد ، أكد الجواب بعد التأكيد بنفس  
القسم فقال : ( انما ) [ أى الذى - ' ] ( توعدون ) أى من الوعد  
/ للطائع و الوعيد للعاصي ، و إن لم تروا أسبابه . و لما كان ما توعدوا  
به لتحقيق وقوعه و قربه كأنه موجود يخاطبهم عن نفسه ، عبر عن المصدر  
۱۰ باسم الفاعل فقال : ( لصادق لا ) أى مطابق الإخبار [ به - ' ] للواقع ،  
و سترون مطابقتها له إذا وقع ، و تعلمون أن ذلك الواقع حق ثابت لا خيال  
لمطابقته للخبر ، قال ابن برجان : و اعلم أن الله عز و جل ما أقسم بقسم إلا  
مطابقا معناه لمعان فى المقسم من أجله سراج منير يهدى به الله تعالى بمن  
يشاء ، و إنما يعنى عن رؤية ذلك ظواهر أشخاص للحسوسات ، و جسم  
۱۵ عن اسماع فدائها ضوضاء المشاهدات ، و لو لا ذلك لتودوا بها من مكان  
قريب ، و قال البيضاوى : كأنه استدل باقتداره على هذه الأشياء العجيبة  
المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث .

ولما كان أجل و عيدهم ما يتعلق بالجزاء يوم القيامة و كانوا  
ينكرونها ، قال : ( و ان الدين ) أى المجازاة لكل أحد بما كسب يوم

(۱) زيد من مد .

البعث ، و الشرع الذى أرسلت به هذا النبى الكريم (لواقع<sup>١</sup>) لا بد منه و إن أنكرتم ذلك ، فيظهر دينه على الدين كله كما وعد بذلك ، ثم نقيم الناس كلهم للحساب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه : لما ذكر سبحانه المواعيد الاخراوية<sup>٢</sup> فى سورة قى و عظيم تلك الاحوال من لدن قوله ” و جاءت ه سكرة الموت بالحق “ إلى آخر السورة ، أتبع<sup>٣</sup> سبحانه ذلك بالقسم على وقوعه و صدقه فقال : ” و الذاريات ذروا “ [ إلى - <sup>١</sup> ] قوله ” انما توعدون لصادق و ان الدين لواقع “ و الدين الجزاء . أى أنهم سيجازون على ما<sup>٤</sup> كان منهم و يوفون قسط أعمالهم ” فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون “ ” انما نملى لهم ليزدادوا اثما “ . و لما أقسم الله على صدق ١٠ وعده و وقوع الجزاء ، عقب ذلك بتكذيبهم بالجزاء و ازدراءهم فقال ” يسألون ايان يوم الدين “ ثم ذكر تعالى حال الفريقين و انتهاء الطريقين إلى قوله ” و فى الارض ايت للوقنين “ فربح تعالى من لم يعمل فكره و لا بسط نظره فيما أودع سبحانه فى العالم من العجائب ، و اعقب بذكر إشارات إلى أحوال الأمم و ما أعقبهم تكذيبهم ، و كل هذا ١٥ تنبيه لبسط النظر إلى قوله ” و من كل شئ خلقنا “ بقوله ” كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحرا و مجنون “ أى إن هذا دأبهم و عادتهم حتى كأنهم تعامدوا عليه و ألقاه بعضهم إلى بعض فقال

(١) من مد ، و فى الأصل : الاخوية (٢) من مد ، و فى الأصل : اتبعه .  
(٣-٢) من مد ، و فى الأصل : لا .

تعالى "تواصوا به ام هم قوم طاغون" أى عجبا لهم فى جريمهم على  
التكذيب [و - ' ] الفساد فى مضمار واحد، ثم قال تعالى "بل هم  
قوم طاغون" أى أن علة تكذيبهم [هى - ' ] التى اتحدت فاتحد  
معلولها، و العلة طغيانهم و إظلام قلوبهم بما سبق "و لو شئنا لأتينا كل  
ه نفس هداها" ثم زاد نبيه عليه السلام أشياء مما ورد على طريقة اختياره  
عليه السلام فى أمرهم من قوله تعالى "قول عنهم فما انت بملوم"  
ثم أشار تعالى بقوله "وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين" إلى أن  
إحراز أجره / عليه السلام إنما هو فى التذكار و الدعاء إلى الله تعالى،  
ثم ينفع الله بذلك من سبقت له السعادة "انما يستجيب الذين يسمعون"  
١٠ ثم أخبر نبيه عليه الصلاة و السلام بأن تكذيبه "سينالهم قسط" و نصيب  
مما نال غيرهم، من ارتكب مرتكبهم، و سلك مسلكهم، فقال تعالى  
"و ان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم" إلى آخر السورة - انتهى .  
ولما أخبر سبحانه عن ثبات خبره، أتبعه الإخبار عن وهى كلامهم،  
فقال مقسما عليه لمبالغتهم فى تأكيد مضامينه مع التناقض بفعله الجليل  
١٥ و صنعه الجليل، إشارة إلى أنهم [لم - ' ] يتخلقوا من أخلاقه الحسنى بقول  
و لا فعل : ﴿ و السماء ذات الحبك لا ﴾ أى الآيات المحبكة بطرائق النجوم  
(١) زيد من مد (٢-٢) من مد، و فى الأصل : عليه لطريقه (هم) من مد،  
و فى الأصل : شئ له نظم (٤) من مد، و فى الأصل : غيره (٥) زيد فى الأصل  
و مد : من (٦) من مد . و فى الأصل : خبرهم (٧) من مد، و فى  
الأصل : بفعل .

المحكمة، الحسنة الصنعة، الجيدة الرصف والزينة، حتى كأنها منسوجة،  
الجميلة الصنعة الجميلة الآثار، الجامعة بين القطع والاختلاط والاتفاق  
والاختلاف، وأصل الحبك الإحكام في امتداد واطراد - قاله الرازي  
في اللوامع - (انكم) يا مشر قريش (لني قول) يحبط بكم في أمر  
القرآن [و-'] الآتي به وجميع أمر دينكم وغيره مما تريدون به ٥  
إبطال الدين الحق (مختلف لا) كاختلاف طرائق السماء التي لا تكاد  
تنظم، ولا يعرف أولها من آخرها، واختلاف هذه الأشياء المقسم  
بها من أول السورة<sup>٢</sup> واختلاف غاياتها لكنه مع ذلك متدافع، وإن  
كنتم تجتهدون في تزيينه وتقريبه للأنفهام وتحسينه فإنه لا يكاد إذا عرضه  
الناقد على الفكر<sup>٣</sup> النافذ ينضبط بضابط ولا يرتبط بباطل، بل تارة ١٠  
تقولون: هذا شعر فيلزمكم وصفه بما تصفون به الشعر من الاتساق  
بالوزن المجرد والروى المتحد، والعذوبة والرشاقة، وتارة تقولون:  
هذا سحر فيلزمكم مع الإقرار بالعجز [عنه -'] أنه لاحقائق [له -']  
و الواقع<sup>٤</sup> أنه لا يتأمله ذو فهم إلا رأى حقائقه أثبت من الجبال، وتارة  
تقولون: أضغاث أحلام، فيلزمكم أنه لا ينضبط بضابط، ولا يكون له ١٥  
مفهوم يحصل. ولا يعجز أحد عن تلفيق مثله، فقد أبطلتم قولكم: إنه  
شعر وأنه سحر. وتارة تقولون: إنه كهانه فيلزمكم أن تعتقدوا منه

---

(١) من مد، وفي الأصل: الاحساب - كذا (٢) زيد من مد (٣) من مد،  
وفي الأصل: السؤال (٤) من مد، وفي الأصل: الكفر (ه) من مد، وفي  
الأصل: الوقائع.

ما تعتقدون في أقوال الكهان من الإخبار بالمغيبات وإظهار الحجب، وفصل الحكم، فأبطلتم وما مضى من قواكم أضغاث أحلام وسحر وشعر، وتارة تقولون : إنه جنون، فقد ققضتم جميع أقوالكم الماضية وناديتهم على أنفسهم بالمباينة، تقولون في الآتي به : إنه شاعر وساحر ومجنون وكاهن وكاذب، وكل قول منها ينقض الآخر، واتم تدعون أنكم أصدق الناس وأبعدهم عن عار الكذب، وأنكم أعقل الناس وأنصفهم، فقد تباعد أولا ما بين أقوالكم، ثم ما بينها وبين أفعالكم، فكان اختلاف طرائق النجوم دالا على مانع مختار تام العلم كامل القدرة، وكذا اختلاف قولكم على هذا الوجه مع ما لكم من العقول دال على قاهر لكم على ذلك، ١٠ فهما آيتان في الآفاق وفي أنفسكم .

/ ٤٨

/ ولما كان هذا الاختلاف بما لا يكاد يصدق لأنه لا يقع فيه عاقل، بين سببه بأنهم مغلوبون عليه بقهر يد القدرة فقال : ( يوفك ) أى يصرف بأيسر أمر وأسهل عن سن الاستقامة، ويقلب من وجهه لقفاه ( عنه ) أى يصدر صرفه عن هذا القول مجازا لما يلزمه من عاره، ١٥ فهو لأجل ذلك يقوله ( من افك ) أى قلبه قلب قاهر أى تبين بهذا الصرف الذى هو أعظم الصرف أنه حكم فى الأزل حكما ثابتا جامعا، فصار لا يصد عنه قول ولا فعل إلا كان مقلوبا وجهه إلى قفاه

(١) من مد، وفى الأصل : اختلاط (٢) من مد، وفى الأصل : يقدر .  
(٣) زيد فى الأصل : وأسره، ولم تكن الزيادة فى مد لخذفائها (٤) تكرر فى الأصل .

لا يمكن أن يأتي منه شيء على وجهه، فكأنه لا مأفوك سواء لشدة  
أفكه وعجيب أمره .

ولما كان الكذب الإخبار بما لاحقيقة له وتعتمد الاقتراء، وكان  
الحرص الكذب والاقتراء والاختلاف وكل قول بالظن، قال معلما  
بما لهم على قولهم هذا: قتلوا أو قتلتم - هكذا كان الأصل ولكنه ه  
أظهر الوصف الذي استحقوه بقولهم: ( قتل الخراصون لا ) أى حصل  
بأيسر أمر قتل الكذابين ولا محالة من كل قاتل، وللتقولين بالظن  
المنقطعين للكلام من أصل لا يصلح للحرص وهو القطع، وهم الذين  
يقولون عن غير سند من كتاب أو سنة أو أثاره من علم، وهو دعاء  
أو<sup>٢</sup> خبر لانه مجاب: ( الذين هم ) خاصة ( في غمرة ) أى أعماق ١٠  
من العمى والضلال، غارقون في سكرهم وجهلهم الذي غمرهم، ولذلك هم  
مضطربون اضطراب من هو يمشى في معظم البحر فهو لا يكاد ينتظم  
له أمر من قول ولا فعل ولا حال ( ساهون لا ) أى عريقون في السهو  
وهو النسيان والغفلة والحيرة وذهاب القلب إلى غير ما يهمه، ففاعل  
ذلك ذو الوان متخالفة من هول ما هو فيه وشدة كربه ١٥

ولما حكم بسهوم، دل عليه بقوله: ( يستلون ) أى حيناً بعد حين  
على سبيل الاستمرار استهزاء بقولهم: ( ايان ) أى متى وأى حين  
( يوم الدين ) أى وقوع الجزاء الذي يخبرنا به، ولو لا أنهم بهذه الحالة

(١) من مد، وليست الكلمة واضحة في الأصل (٢) من مد، وفي الأصل:  
الكذابون (٣) من مد، وفي الأصل: و .

لتذكروا من أنفسهم أنه ليس أحد منهم يث عبده أو أجراه في عمل  
من الأعمال إلا وهو يحاسبهم على أعمالهم ، و ينظر قطعا في أحوالهم ،  
و يحكم بينهم في أقوالهم و أفعالهم فكيف يظن بأحكم الحاكمين أن يترك  
عبده الذين خلقهم على هذا النظام المحكم و أبدع لهم هذين الخافقين  
ه هيا لأجلهم فيها ما لا ضرورة لهم في التزود للمعاد إلى سواء فيتركهم  
سدى و يوجد هم عبثا .

ولما تقرر أمر القيامة بالتعبير بـ « ما من » قال : ( يوم ) أى  
تقول يوم ( هم على النار يفتنون ) أى يرمون فيحرقون و يعذبون  
و يصبحون ... من الاختلاف مقولا لهم على سبيل القرع و التوبيخ :  
١٠ ( ذوقوا فتنتكم ) ... العقوبة من العنة المحيطة ... و استعجالكم ما  
توعدون استهزاء و تكذيبا ( هذا الذى كنتم به تستعجلون ) أى  
تطلبون عجلته .... ( ان المتقين ) أى الذين كانت التقوى لهم وصفا ثابتا  
( فى جنت ) أى بساتين عظيمة محن داخلها ... ( و عيون ) ....  
( اخذين ... ما ) أى كل شئ ( انهم ... بهم ) أى المحسن  
١٥ إليهم ... بتمام عليه و شامل قدرته و هو لا يدع لهم لذة إلا يحفهم بها  
فيقبلونها بغاية الرغبة لأنها فى غاية العاسة . ولما كان هذا أمرا عظيما  
يذهب الوهم فى سببه كل مذهب ، علاه بقوله مؤكدا ان نسبة الكفار لهم  
إلى الإساءة : ( انهم كانوا ) أى كونا هو كالجبل . ولما كان الإنسان

(١) العبارة من هنا زبدت من مد ، و بما أن العبارة مطموسة فيها فلذلك  
لم تتأكد من النص الوارد فيها كليا فوضعنا على الكلمات المهمة قاطا .



إما أن يكون مطيعا في مجموع عمره أو في بعضه ... على الطاعة ، و كانت الطاعة تجب ما قبلها ، و تكون سببا في تدبيل السيئات حسنات فضلا منه سبحانه ، فكان كل من القسمين مطيعا في جميع زمانه ، نزع الجار فقال : **( قبل ذلك )** أى في دار العمل ، و قيل : أخذوا ما فرض عليهم بغاية لقبول لانهم كانوا قبل فرض الفرائض يعملون على المحبة و هو معنى ٥ **( محسنين )** أى في معاملة الخالق و الخلاق ، يبدون الله كأنهم يرونه ، ثم فسر إحسانهم معبراً عنه بما هو في غاية المبالغة بقوله : **( كانوا )** أى لما عندهم من الإجلال له و الحب فيه بحيث كأنهم مطبوعون عليه ، و لغاية التأكيد وقع الإسناد إليهم مرتين **( قليلا من آيل )** الذى هو وقت الراحة و قضاء الشهوات ، و أكد المعنى بإثبات ١٠ ماء . فقال : **( ما يجمعون )** أى يفعلون المجوع و هو النوم الخفيف الثقيل ، فما ظنك بما فوقه لأن الجملة ثبت مجوعهم و هو النوم للراحة ، و كسر التعب و ما ينفيه ، و ذكر الليل لتحقيق المعنى فإن المجوع النوم ليلا ، فالمعنى أنهم يحبون أكثر الليل و ينامون أقله . و لما كان المحسن لا يرى نفسه إلا مقصرا ، قال دالا على ذلك و على أن تهجدهم يتصل بآخر الليل مؤكدا ١٥ بالإسناد مرتين أيضا : **( و بالاسحار )** قال ابن زيد : السحر : السدس الاخير من الليل **( هم )** أى دائما بطوامرهم و بواطنهم **( يستفرون )** أى يعدون مع هذا الاجتهاد أنفسهم مذنبين و يسألون غفران ذنوبهم لو هو علمهم بالله ، و أنهم لا يقدرّون على أن يقدرّوه حق قدره و إن اجتهدوا لقول سيد الخلق " لا أحصى ثناء عليك " و إبراز الضمير دال ٢٠

على أن غيرهم لو فعل هذا ليلة لأعجب بنفسه . ورأى أنه لا أحد أفضل منه ، . وعلى أن استغفارهم في الكثرة يقتضى أنهم يكونون بحيث يظن أنهم أحق بالتذلل من المصير على المعاصي ، فان استغفارهم ذلك على / ٤٩  
بصيرة لأنهم نظروا ما له سبحانه في الآفاق وفي أنفسهم من الآيات .  
و الحكم البالغة التي لاتخصى فعلوا أنه اهل لأن يطاع ويخشى فاجتهدوا  
وتركوا الهجوع ، وأجروا الدموع ، ثم قابلوا ذلك بنعمه فاذا الاعمال في غاية  
التقصير فأقبلوا على الاستغفار عالمين بأنه لا يمكن أن يقدر حق قدره .

ولما ذكر معاملتهم للخالق ، أتبعه المعاملة للخلائق تكميلا للحقيقة  
الإحسان فقال : ﴿ وفي أموالهم ﴾ أى كل أصنافها ﴿ حق ﴾ أى  
نصيب ثابت . ولما كان السياق هنا للإحسان ، فكان إحسانهم لقرط  
محبته إلى عباد الله لا يوقفهم عن الواجب بخلاف ما في "سأل" من سياق  
المصلين مطلقا ترك وصفه بالمعلومية فقال : ﴿ للسائل ﴾ أى الذى يئنه  
على حاجته بسؤال الناس وهو المتكفف ﴿ والمحروم ﴾ وهو المتعفف  
الذى لا يجد ما يغنيه ، ولا يسأل الناس ولا يظن له ليتصدق عليه ،  
١٥ وهذه صفة أهل الصفة رضى الله عنهم ، فالمحسنون يعرفون صاحب  
[ هذا - ٢ ] الوصف لما لهم <sup>٣</sup> من نافذة البصيرة والله بهم من العناية .

ولما دل إقسامه بالسماء وما قبلها من الذاريات على ما له في  
العلويات من الآيات إلى أن ختم بالأموال التي تنبتها الأرض ، فكان

(١) زيد في الأصل : معلوم ، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها (٢) زيد من  
مد (٣-٤) من مد ، وفي الأصل : بعد .

التقدير : فى السماوات آيات للؤمنين دالات<sup>١</sup> على عظمته و استحقاقه للعبادة  
 بغاية الخضوع رغبا و رهبا ، عطف عليه قوله : ( وفى الارض )  
 بما فيها أيضا من الاختلاف بالمعادن الكثيرة المتباينة مع اتحاد أصلها  
 و النبات و الحيوان و الجماد والبر و البحر و غير ذلك من الأسرار الدالة على  
 الفاعل المختار ( 'أنت ' ) أى دلالات عظيمة هى مع وضوحها بعد  
 التأمل خفيات ( للوقنين لا ) الذين صار الإيقان<sup>٢</sup> لهم غريزة ثابتة ، فهم  
 لذلك يفتننون لرؤية ما فيها مع ما يلبسهم منها من الأسباب فيشغلهم  
 ولا يرون أكثر أسباب ما فيها من الآيات فأداهم ذلك إلى الإيقان  
 بما نهت<sup>٣</sup> عليه الرسل مما لا تستقل به العقول من البعث<sup>٤</sup> و غيره ، قال  
 القشيري : من الآيات فيها أنها تحمل كل شيء ، فكذلك العارف يحمل ١٠  
 كل أحد و من استقل أحدا أو تهرم برؤيته أحدا فلفيته عن الحقيقة  
 و مطالعة الخلق بعين التفرقة . و أهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ،  
 و من الآيات فيها أنه يلقي عليها كل قذارة و قامه فتبت كل زهر و نور  
 و كذلك العارف يتشرب ما يلقي من الجفاء و لا يترشح إلا بكل خلق  
 على و شبه زكية .

١٥

ولما اشار إلى آيات الآفاق ، أتبعها آيات الانفس فقال :  
 ( وفى انفسكم<sup>٥</sup> ) أى من الآيات التى شاركتكم بها الجماد ، ثم فارقتموه  
 بالنمو ثم بالحس ثم فارقم الحيوان الحسيس بالعقل الموصل إلى بدائع

(١) من مد ، وفى الأصل : دلت (٢) من مد ، وفى الأصل : الايمان (٣) من  
 مد ، وفى الأصل : ثبتت (٤) من مد ، وفى الأصل : البعض .

العلوم ودقائق الفهوم . ولما كانت اظهر الآيات ، سبب عن التفيه  
 عليها الإنكار عليهم في ترك الاعتار / بها فقال : ﴿ افلا تبصرون ﴾ أي  
 ٥٠ بأبصاركم : بصائركم فتأملوا ما في ذلك من الآيات و تفكروا هل ترون  
 أسباب أكثرها ، فان كل هذه آيات دالة على قدرة الصانع على كل ما  
 ٥ يريد واختياره ، وأنه ما خلق هذا لخلق سدى ، فلا بد أن يجمعهم إليه  
 للعرض عليه ، فالموقنون لا يزالون ينظرون في أمثال هذا بعيون باصرة  
 وأفهام نافذة ، فكلما رأوا آية اعتبروا بها ، فازدادوا إيماناً إلى إيمانهم ، وإيقاناً  
 مع إيقانهم ، وأول نظرهم فيما أودعوا من الآيات الحاجة ، فمن تأملها  
 علم أنه عبد ، ومتى علم ذلك علم أن له ربا غير محتاج ، ومن أبصر  
 ١٠ ذلك أبصر جميع الصفات والاسماء فنفذ فهمه في شفاف الكائنات ، فارتقى  
 إلى أعلى الدرجات .

ولما بان بما قدمته في "المقسمات امرا" ما في جهة العلو من الأسباب  
 الموجبة للنعمة والعذاب ، قال : ﴿ وفي السماء ﴾ أي جهة العلو ﴿ رزقكم ﴾  
 بما يأتي من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما رتبته سبحانه  
 ١٥ لمنافع العباد ﴿ وما توعدون ﴾ وجميع ما انتكم به الرسل من الوعد والوعيد  
 والصعقة والزوال وغير ذلك من الأحوال وموجبات النكال ، وكذا  
 الرحمة والخير والنعمة وكل ما يتعلق به الآمال ، فكما أنكم تصدقون بذلك  
 وأنتم لا تتره فكذلك صدقوا بالجنة والنار وإن لم تروها ، فانه لا فرق  
 بين ما ينزله الله فيكون منه رياض وجنات وشوك وأدواء

(١-١) في مد : من الصواعق والزلازل (٢) من مد ، وفي الأصل : ينزل .

ومرات

[و-١] مرارات، وسموم وعقارب وحيات، وحشاش وسباع وحشرات،  
و بين ماء بعيد به الاموات، ثم يحشرهم إلى جنان و نيران، فكما أنه  
لامرية في إظهار هذا الغيب [فكذلك لا لبس في إظهار ذلك الغيب -١]،  
ومن المعنى أيضا أنك لا تشتغل برزق فانه في السماء، ولا سبيل لك إلى  
العروج إليها، واشتغل بما كلفته من الخدمة لمن عنده الرزق ففي السماء ه  
الرزق وإليها يرفع العبد، فان أردت أن ينزل إليك رزقك فاصعد  
إليها الصالح من عملك، ولهذا قالوا: الصلاة قرع باب الرزق " واصطبرا  
عليها لاستلوك رزقا نحن نرزقك " .

ولما أقسم بما له من المقدورات لمن وقف مع المحسوسات  
المشهورات، فترقوا بذلك إلى أعلى الدرجات، وانكشف ما له من ١٠  
الكمال انكشافا تاما، وعلم أن في خزائنه سبحانه كل ما أخبرت عنه  
به الرسل من وعد ووعد، سبب عنه قوله مقسما بنفسه الاقدس لكن  
بصفة مألوفة فقال: ﴿فورب﴾ أى مبدع ومدير ﴿السماء والارض﴾  
بما أودع فيها مما علمتموه وما لم تعلموه ﴿انه﴾ أى الذى توعدونه  
من الخير والشر والجنة والنار وتقديم الإقسام عليه أنه صادق ١٥  
﴿لحق﴾ أى ثابت بطابقه الواقع فقد جمع الحق مع "الصدق" (مثل ما أنكم)  
أى وأتم مساوون لبقية ما فى الأرض من الجمادات وغيرها ﴿تتفقون؟﴾  
نظما مجددا فى كل وقت مستمرا، لبس\* هو بخيال ولا سحر، / أى أن' ٥١/

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد، وفى الأصل: حيات وعقارب (٣) من مد  
وفى الأصل: بما (٤) ليس فى الأصل (٥) فى مد: ما (٦-٦) تكرر ما بين  
الرفيق فى الأصل .

ذلك الحق مثل ما ان هذا حق ، فالذى جعل لكم قوة النطق من بين ما فى الارض بأسباب لاترونها ولا تحسونها ، ومع ما عداكم من ذلك بأسباب [ مثل ذلك - ٢ ] قادر على الإتيان بوعده من الرزق وغيره ، ما دمتم تحتاجون إلى ذلك بما جعل فيكم من الحياة التى يصح بها العلم الناشئ عنه النطق المحوج إلى الرزق من أى جهة أرادوا ، وإن لم تروا أسبابه كما أنه لو أراد لأنطق جميع من فى السماوات والارض من المخلوقات بما يقيمه لها من الأسباب التى أقامها لكم وإن لم تروا ذلك .

ولما بين بما مضى من القسم وما أتبعه من أنه أودع فى السماوات والارض وما بينهما أسبابا صالحة للإتيان بما وعدناه من الخير ، وما ١٠. توعدنا به من نشر وإن كنا لم نرها وهو قادر مختار ، فصار ذلك كالشاهد ، ولا وجه للتكذيب بوعده ولا وعيد ، دل عليه وصوره بما شوهد من أحوال الأمم وبدأ - لأن السياق للحسنين - برأس المحسنين من اهل هذه الأنبا الذى أخبرته الملائكة عليهم السلام بما سيه به وإن كان على غير العادة . فتعجبت زوجته من ذلك مع كونها أعلى نساء

١٥ ذلك الزمان . و أتبع قصته قصة لوط ابن أخيه عليها السلام لاتصال ما بين قصتهما فى الزمان ، وللمناسبة عذابهم لما أقدم به فى أول السورة ، فانه سبحانه أسر الذاريات فاقفلتهم بقراهم وحلتها كما تحمل السحاب ثم كتبهم فرجتهم ، والارض تخسفت بهم ، والملائكة الموكله بمثل ذلك ،

(١) من مد ، وفى الأصل : مثل (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفى الأصل : فتعجب (٤) من مد ، وفى الأصل : حلتهم .

فعلوا جميع ما أمروا به وراؤم في قريتهم وقصدوم<sup>١</sup> بالمكر لأنهم خفي عليهم أمرهم، وأتوا الخليل عليه السلام وهو أعلى ذلك الزمان وهم في ذلك ولم يعلم أول الأمر بشيء من حالهم ولا ظنهم إلا آدميين، فقال مفتخا لأمر القصة بتخصيص الخطاب لأعلى الخلق وأفندهم فيها إشارة إلى أنه لا يفهم هذا حق فهمه سواء<sup>٢</sup> على طريق الاستفهام على عادة العرب في الإعلام بالأمور الماضية<sup>٣</sup> وإن كان المخبر عالما بأن المخاطب لا علم له بذلك لأن المقصود ليس إلا التنبيه على أن ذلك الأمر مما ينبغي الاهتمام به والبحث فيه ليعرف ما فيه من الأمور الجليلة؛ قال أبو حيان<sup>٤</sup>: تقرير لتجتمع نفس المخاطب كما تبدأ المرأ إذا أردت أن تحدّثه بعجيب فتقرره: هل سمعت ذلك أم لا؟ فكأنك تقتضى بأن يقول: لا، ويستطعمك<sup>٥</sup> [الحديث -<sup>٤</sup>] انتهى. (هل اتىك) يا أكل الخلق (حديث ضيف) عبر عنهم بلفظ الواحد إشارة إلى اتحاد كلمتهم (إبراهيم) وهو خليلنا، ودل على أنه لم يعرف شيئا مما أتوا به دالا على أنهم جمع (المكرمين) أي الذين هم أهل الكرامة، وأكرمهم إبراهيم عليه السلام بقوله وفعله، ففي حديثه ذلك آية بينة على ما بين في هذه السورة من قدرة الله<sup>١٥</sup> تعالى وصدق وعده ووعيده، مع ما فيه من التسلية لك ولمن تبعك، والبشارة بأكرام المصدق وإهانة المكذب، قال القشيري: وقيل: كان عددهم اثني عشر ملكا، وقيل: جبريل عليه السلام، وكان معه تسعة،

٥٢/

(١) من مد، وفي الأصل: صدوم (٢-٢) سقط ما بين الرقين من مد.  
(٢) في البحر المحيط ٨/ ١٣٨ (٤) زيد من البحر.

و قيل : [ كانوا - ' ] ثلاثة : ( اذ ) أى حديثهم حين ( دخلوا عليه )  
 أى دخول استعلاء مخالف لدخول بقية الضيوف ( قالوا سلماء )  
 أى نحدث ، ثم استأنف الإخبار عن جوابه بقوله : ( قال ) أى بلسانه :  
 ( سلم ج ) أى ثابت دائم ، فهو أحسن من تحيتهم .

و لما كان ما ذكر من دخولهم وسلامهم غير مستغرب عند المخاطبين  
 بهذا ، وكانت القصة قد ابتدئت بما دل على غرابة ما يقص منها ، تشوف  
 السامع إلى ما كان بعد هذا فأجيب بقوله : ( قوم ) أى ذوو قوة على  
 ما يحاولونه ويقومون فيه ( منكرون ج ) أى حالهم لإلباسه أهل لأن  
 ينكره المنكر ، وقدم هذا على موضعه الذى كان ألبق به فيما يظهر  
 ١٠ بادی الرأي ، وإيضاحا لأن السياق لحفاء الأسباب على الآدمى و بعدما  
 وإن كانت فى غاية الظهور و القرب و لو أنه فى غاية العلو فان  
 إنكاره لهم كان متأخرا عن إحضار الأكل لكونهم لم يأكلوا ، وهذا  
 القول كان فى نفسه و لم يواجههم به .

و لما أشار إلى انه حين إنكاره لهم لم يعرف من أى نوع هم  
 ١٥ و لا خصوص ما هم فيه ، رتب على رده لسلامهم أنه أسرع غاية الإسراع  
 فى إحضار ما ينبغى للضيف على ظن أنهم آدميون فقال : ( فراغ )

( ١ ) زيد من مد ( ٢ ) راجع العالم - سورة هود ( ٣ ) من مد ، وفى الأصل :  
 منه ( ٤ ) من مد ، وفى الأصل : خلف - كذا ( ٥ - ٥ ) من مد ، وفى الأصل :  
 فانكاره ( ٦ ) من مد ، وفى الأصل : سلامه .



أى ذهب فى ' خفية وخفة ' ومواضع ستره عن أعينهم كما هو من آداب الضيافة خوفاً من أن يمنعوهُ أو يكدر عليهم الانتظار: ( إلى أهله ) [ أى - ' ] الذين عندهم بقرة ( فجاء بعجل ) أى قى من أولاد البقر ( سمين ) قد شواه وأنضجه ( قربة اليهم ) ولما أخبر بما ينبغي [ الإخبار به - ' ] من أمر الضيافة إلا الأكل<sup>٢</sup>، كان من هـ المعلوم أن التقدير: فكان كأنه قيل: فماذا قال لهم حين لم يأكلوا؟ قيل: ( قال ) [ أى - ' ] متادبا غاية التأدب ' ملوحاً بالإنتكار: ( الا تاكلون ) أى منه .

ولما كان كأنه قيل: فلم يأكلوا، سبب عنه قوله: ( فأرجس ) أى أضمر إضمار الحال فى [ جميع - ' ] سره ( منهم خيفة ) لاجل ١٠ إنكاره عدم أكلهم فانه لما رأى إعراضهم<sup>٣</sup> عن الطعام ذهب وهمه فى سبب إتيانهم إليه كل مذهب ( قالوا ) مؤسسين له: ( لا تخف ) وأعلوه بأنهم رسل الله ( وبشروه بغلنم ) على شيخوخته وبأس امرأته بالطنن فى السن بعد عقمها، وهو إسحاق عليه السلام . ولما كان السياق لختفاء الأسباب كان فى الذروة وصفه بقوله: ( عليم هـ ) أى مجبول جبلة مهياة ١٥ للعلم ولا يموت حتى يظهر علمه بالفعل فى أوانه .

ولما كانا بعيدين عن قبول الولد، تسبب عن ذلك قوله، دالا

( ١ - ١ ) فى مد: خفة وخفية ( ٢ ) زيد من مد ( ٣ ) من مد، وفى الأصل: الأعلى ( ٤ ) من مد، وفى الأصل: الادب ( ٥ ) زيد فى مد: عن الأكل، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

على أن الولد إسحاق مع الدلالة على أن خفاء الأسباب لا يؤثر في وجود المسيات : ( فاقبلت ) أى من<sup>٢</sup> سماع هذا الكلام ( امراته ) ولما كانت قد امتلأت عجباً ، عبر بالظرف فقال : ( في صرة ) أى صيحة و كرب من الصرير قد أحاط بها ، فذهب و همها في<sup>٣</sup> ذلك كل مذهب ه ( فصكت ) أى ضربت بسبب تعجبها بأطراف أناملها فعل المتعجب ( وجهها ) ثلاثى أسباب الولد في عليها / بسبب العادة مع معرفتها / ٥٣ بأن العبرة في الأسباب وإن كانت سليمة بالمسبب لا بها ، قال البغوى : و أصل الصك ضرب الشيء بالشيء المريض ( وقالت ) تريد أن تسبين الأمر هل الولد منها أم من غيرها : ( عجوز ) ومع العجز ( عقيم ه ) ١٠ ففى في حال شبابها لم تكن تقبل الحمل ، قال القشيري رحمه الله تعالى : قيل : إنها كانت يومئذ ابنة ثمان و تسعين سنة .

ولما كان [ في - ] هذا أشد تشوف إلى الجواب ، استأنف تعالى الجواب بقوله : ( قالوا كذلك ي ) أى مثل ما قلناه من هذه البشرى العظيمة ( قال ربك ه ) أى المحسن إليك بتأهلك لذلك على ما ذكرت من حاله ١٥ و بتأهلك من قبل الاتصال بخليفه صلى الله عليه وسلم . ولما كان محط تعجبها أن ذلك كان بأيام شبابها أولى ، عللوا إخبارهم تأكيدهم له مؤكدين لأن قولها و فعلها فعل المنكر وإن كانت ما أرادت به إلا الاستنابات : ( انه هو ) أى وحده ( العليم ) الذى يضع الأشياء في أحق مواضعها

(١) من مد ، وفي الأصل : الوجود (٢) من مد ، وفي الأصل : في (٣) زيد في الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة في مد لغزفتها (٤) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢٠٣ (٥) زيد من مد .

فرتب عظمة هذا المولود على كل من عقمك و عجزك ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : (الحكيم هـ) أى المحيط العلم فهو كذلك لا يعجزه شئ . لما تقدم من البرهان فى سورة طه أن إجابة العلم مستلزم شمول القدرة . ولما كان الخليل عليه السلام أعلم أهل زمانه بالأمور الإلهية ، علم أن اجتماع الملائكة على تلك الهيئة التى يراهم فيها ليس لهذه البشارة هـ فقط ، فلذلك استأنف تعالى الجواب لمن كان كأنه قال : ما كان من حاله و حالهم بعد هذا ؟ بقوله : (قال هـ) أى قال مسييا عما رأى من حالهم : (أفأخطبكم) أى خبركم العظيم (أيها المرسلون هـ) أى لأمر عظيم (قالوا هـ) قاطعين بالتأكيد بأن مضمون خبرهم حتم لا بد منه ، ولا مدخل للشفاعة فيه : (أنا أرسلنا هـ) أى بأرسال من تعلم (إلى قوم مجرمين لا) ١٠ أى هم فى غاية القوة على ما يحاولونه وقد صرفوا ما أنعم الله به عليهم من القوة فى قطع ما يحق وصله و وصل ما يحق قطعه (لنرسل عليهم) أى من السماء التى فيها ما وعد العباد به و توعدوا (حجارة من طين لا) أى مهياً للاحتراق و الإحراق (مسومة هـ) أى معلقة بعلامة العذاب المخصوص . ولما كان قد<sup>٢</sup> رأوا اهتمامه بالعلم بنجرهم<sup>٣</sup> خشية من أن ١٥ يكونوا أرسلوا للعذاب أحد يمز عليه أمره ، أمنوا خوفه بوصف الإحسان فقالوا : (عند ربك هـ) أى المحسن إليك بهذه البشارة و غيرها (للسرفين هـ)

(١) ومن هنا يبتدئ الجزء ٢٧ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من مد (٣) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفناها .

[ أى - ' ] المتجاوزين للحدود غير قانعين بما ابيح لهم .

ولما كان من المعلوم أن القوم يكونون تارة في مدر وتارة في  
شمر، وعلم من الآيات السالفة أن العذاب مختص بذوى الإسراف،  
سبب عن ذلك مفصلاً لحبرهم قوله تعالى معلماً أنهم في مدر: ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾  
هـ بما لنا من العظمة بعد أن ذهب رسلنا إليهم و وقعت بينهم وبين لوط  
عليهم السلام محارلات معروفة لم تدع الحال هنا إلى ذكرها، والملائكة  
سبب عذابهم، وأهل القرية المحاولون في أمرهم لا يعرفون ذلك،  
وهذه العبارة إن كانت إخباراً لنا كانت خبراً عما وقع لنعبر به، وإن  
كانت لإبراهيم عليه السلام كان معناها أن الحكم الأعظم وقع باخراجهم  
٥٤ / ١٠ / / بشارة له بنجاتهم ﴿ من كان فيها ﴾ أى قراها . ولما كان القلب عماد  
البدن الذى [ به - ' ] صلاحه أو فساد، فكان عمله أفضل الأعمال لأنه  
به يكون استسلام الأعضاء أو جماعها، بدأ به فقال: ﴿ من المؤمنين ﴾  
أى المصدقين بقلوبهم لأننا لانسويهم بالمجرمين بخلصناهم من العذاب على  
قلوبهم وضعفهم وقوة المخالفين و ثرتهم، سبب عن التعبس والستر  
١٥ و التعرض للظواهر والبواطن قوله: ﴿ فَا وَجَدْنَا ﴾ أسند الأمر إليه  
تشريراً لرسله إعلاماً بأن فعلهم فعله ﴿ فيها غير بيت ﴾ واحد وهو بيت  
لوط بن أخى إبراهيم عليه السلام، وقيل: كان عدة الناجين منهم ثلاثة  
عشر . ولما كان الإسلام قد تطلق على الظاهر فقط وإن كان المراد  
هنا الأخص آخره فقال: ﴿ من المسلمين ﴾ أى العريقين في الإسلام

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفي الأصل: قلة .

الظاهر ، و الباطن لله من غير اعتراض اصلا و هم إبراهيم و آله عليهم السلام قانهم أول من وجد منه الإسلام الأتم ، و تسموا به كما مضى في البقرة و سموا به أتباعهم ، فكان هذا البيت الواحد صادقا عليه الإيمان الذي هو التصديق و الإسلام الذي هو الانقياد ، قال البغوي : وصفهم الله تعالى ' بالإيمان و الإسلام ' جميعا لأنه ما آمن مؤمن إلا و هو مسلم . يعني لما هـ بينها من التلازم و إن اختلف المفهومان ، و قال الأصبهاني : [ و - ٢ ] قيل : كان لوط و أهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر .

[ و - ٣ ] و كان إبقاء آثار المهلكين أدل على قدرة من أهلكتهم قال : ( و تركنا ) أى بما لنا من العظمة ( فيها ) أى تلك القرى بما أوقفنا بها من العذاب الذى كان مبدأه أنسب شئ بفعل الذاريات ١٠ من السحاب ' فانا قلنا قراهم كلها و صدت في الجور كالغمام إلى عنان السماء و لم يشعر احد من أهلها بشئ من ذلك ثم قلبت و أتبع الحجارة ثم خسف بها و غمرت بالماء الذى لا يشبه شئاً من مياه الأرض كما أن خبائثهم لم تشبه خبائثه ٢ أحد ممن تقدمهم من أهل الأرض ( آية ) أى علامة عظيمة على قدرتنا على ما يزيد ( للذين يخافون ) كما تقدم ١٥ آخرق أنهم المقصودون في الحقيقة بالإذار لأنهم المتفعون به دون من

( ١ ) راجع المعالم بهامش الباب ٢٠٤ / ٦ ( ٢ - ٣ ) من مد و المعالم ، و في الأصل : بالإسلام و الايمان ( ٣ ) زيد من مد ( ٤ ) من مد ، و في الأصل : فيها . ( ٥ - ٥ ) في مد : بالسحاب ( ٦ ) من مد ، و في الأصل : جثايتهم ( ٧ ) من مد ، و في الأصل : جنابة .

قسا قلبه ولم يعتبر (العذاب الاليم لا) اى ان يحل بهم كما حل بهذه  
القرى فى الدنيا من رفع الملائكة لهم فى الهواء الذارى إلى غنان السماء  
و قلبهم و أتباعهم الحجارة المحرقة ، و غمرهم بالماء المناسب لفعلهم بتنه  
وعدم نفعه ، و ما ادخر لهم فى الآخرة أعظم .

٥ و لما قدم سبحانه أحق القصص الدالة على قسمه و ما أقسم عليه

بما فيها من خفاء الاسباب مع وجودها ، ثم ما فيها من إزال ما به  
الوعيد من السماء بالنار و الماء<sup>٢</sup> الذى أشير إليه بالمقسمات ، مع الفرق  
بين المسلم و المجرم ، أتبعها قصة<sup>٣</sup> من أيده بحاملات فيها مطر و برد و نار  
مضطربة ، كما مضى بيانه فى الاعراف ، ثم بعد ذلك برع فرقت البحر

١٠ و نشفت أرضه و دخله فرعون و القبط ، و هو واضح الامر فى أنه سبب

لهلاكهم و هم لا يشعرون به ، / فقال عاطفا على المقدر فى قصة إبراهيم / ٥٥

عليه السلام أو اظاهر فى " و فى الارض " أو على " فى " التى فى قوله  
" و تركنا فيها آية للذين يخافون " و هذا أقرب من غيره و أولى :

( و فى موسى<sup>٤</sup> ) أى فى قصته و أمره آية على ذلك عظيمة ( اذا رسلته )

١٥ بعظمتنا ( الى فرعون ) الذى كان قد أساء إلى إبراهيم عليه السلام

بعد عظيم إحسانهم إليه<sup>٥</sup> و إلى جميع قومه بما أحسن إليهم يوسف عليه

السلام ( بسلطن ميين<sup>٥</sup> ) أى معجزات ظاهرة فى نفسه منادية من شدة

(١) من مد ، و فى الأصل : اخر (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : بالماء و النار .

(٣) من مد ، و فى الأصل : بقصة (٤) سقط من مد (٥-٥) من مد ، و فى

الأصل : احسانه إليهم .

- ظهورها بأنها معجزة، فكان فيها دلالة راضية على صدق وعيده ومع ذلك فلم ينفعهم 'عليها' ولذلك سبب' عنه وعقب به قوله: ﴿فتولى﴾ أى كلف نفسه الإعراض بعد ما دعاء عليها 'إلى الإقبال إليها'، وأشار إلى تولى بقوله: ﴿ركنه﴾ أى بسبب ما بركن إليه من القوة في نفسه وبأعوانه وجنوده أو بجميع جنوده - كناية عن المبالغة في الإعراض، هـ
- ﴿وقال﴾ معلداً بعجزه عما أتاه به وهو لا يشعر: ﴿سحر﴾ ثم ناقض كناقضتكم فقال بجعله عما يلزم على قوله: ﴿او مجنون ه﴾ أى لاجترائه على مع ما لى من عظيم الملك بمثل هذا الذى يدعو إليه ويتهدد عليه. ولما وقعت التسلية بهذا للأولياء، قال تعالى محذراً للأعداء:
- ﴿فاخذنه﴾ أى أخذ غضب وقهر عظمنا بما استدرجناه به وأوهناه به من المذاب الذى منه محاب حامل ماء وردا و نارا وصواعق ﴿وجنوده﴾
- [أى - ١] كلهم ﴿فتبذنتهم﴾ أى طرحهم طرح مستهين بهم [مستخف لهم كما تطرح - ١] الحصيات ﴿فى اليم﴾ أى [البحر - ١] الذى هو أهل لأن [يقصد - ١] بعد أن سلطنا الرمح ففرقه لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه ونشفت أرضه، فأبيست ما أبرزت ١٥
- فيه من الطرق لنجاة أوليائنا وهلاك أعدائنا ﴿وهو﴾ أى والحال أن فرعون ﴿مايم ه﴾ أى آت بما هو بالغ فى استحقاقه الملامة، ويجوز
- 
- (١-١) من مد، وفى الأصل: عليهم و-بب (٢-٢) من مد، وفى الأصل: بالاقبال النهار (٣) من مد. وفى الأصل: مناقضتكم (ه) زيد من مد.
- (ه) من مد، وفى الأصل: سلطنا (١) من مد، وفى الأصل: أبرزه.

أن يكون حالا من " الیم " بمعنى أنه فعل بهم فعل اللائم من الألامه - إذا بالغ في عدله ، و صار ذا لائمة أى لهم ، من الألام - لازما ، [و-] أن يكون مخففا من لام المهموز فيكون المعنى : فهو مصلح أى قاعل فعل المصلحين في إنجاء الأولياء و إغراق الأعداء<sup>۲</sup> بالالتئام و الانطباق عليهم ، ۵ قال في القاموس : اللوم العدل ، لام لوما و الألامه و لومه للبالغة ، و الألام : أتى ما يلام عليه أو صار ذا لائمة ، و لامة بالهمز كنعته : نسبة إلى اللوم ، و السهم : أصله كالألامه و لامة فالتئام ، و لا يضر يونس عليه السلام أن يعبر في حقه بنحو هذه العبارة<sup>۳</sup> ، فان أسباب اللوم تختلف كما أن أسباب<sup>۴</sup> المعاصي تختلف في قوله " و عصوا رسله " " و عصى آدم ۱۰ ربه " و بحسب ذلك يكون اختلاف نفس اللوم و نفس المعاصي .

و لما أتم قصة من جمع له السحاب و الماء و النار و الريح ، أتبعها قصة / من أتاها<sup>۵</sup> ريح ذارية لم يوجد قط مثلها ، و كان أصلها موجودا<sup>۶</sup> بين ظهرائهم و هم لا يشعرون به ، بل قاربت الوصول إليهم و هم يظنونها بما ينفعهم : ﴿ و في عاد ﴾ أى آية عظيمة ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ ارسلنا ﴾ بمظمتنا ﴿ عليهم ﴾ إرسال علو و أخذ ﴿ الريح ﴾ فأتتهم تحمل سحابة سوداء و هى تذرو الرمل و ترمى بالحجارة على كيفية لانتطاق ﴿ العقيم ﴾ أى التى لا ثمرة لها فلا تلقح شجرا و لا تنشىء سحابا و لا تحمل مطرا و لا رحمة

(۱) من مد ، و فى الأصل : لهم (۲) زيد من مد (۳) من مد ، و فى الأصل : العدا (۴) و من هنا انقطعت نسخة مد إلى ما سنبينه عليه (۵) من هامش الأصل ، و فى الأصل : اصحاب (۶) فى الأصل : موجود .



فيها ولا بركة فلذلك أهلكهم هلاك الاستبصال، ثم بين عقمها وإعقامها بقوله: ﴿ ما تذر ﴾ أى تترك على حالة ردية، وأغرق فى النفى فقال: ﴿ من شيء ﴾ ولما كان إهلاكها إنما هو بالفاعل المختار، نبه على ذلك بأداة الاستعلاء فقال: ﴿ انت عليه ﴾ أى إتيان إرادة مرسلها، استعلاها على ظاهره وباطنه، وأما من إريدت رحمته كهود عليه السلام ومن هـ معه رضى الله عنهم فكان لهم روحا وراحة لا عليهم ﴿ الا جملة كالرميم هـ ﴾ أى الشيء البالى الذى ذهاته الأيام والليالى، فصيده البلى إلى حالة الرماد، وهو فى كلامهم ما ييس من نبات الأرض ودثر - قاله ابن جريج، وخرج بالتعبير بـ "نذر" هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين رضى الله عنهم أجمعين، فانهم تركتهم على حالة حسنة لم يسهم منها سوء كما أشير ١٠ إلى مثل ذلك بأداة الاستعلاء .

ولما تم ما اقتضاه سياق السورة من قصة أهل الريح الذارية، أتبعها قصة من أهلكوا بما يحمله السحاب من الريح وما تحمله الريح من صوت الصيحة الراجفة الماحقة فقال: ﴿ وفى ثمود ﴾ أى قوم صالح عليه السلام آية عظيمة كذلك ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قيل لهم ﴾ ممن لا يخلف ١٥ الميعاد: ﴿ تمتعوا ﴾ أى بلبن الناقة وغيره مما مكناكم فيه من الزرع والنخيل والأبنية فى الجبال والسهول وغير ذلك من جلائل الأمور الذى أمرناكم به ولا تطغوا ﴿ حتى حين هـ ﴾ أى وقت ضربناه لآجالكم ﴿ ففتوا ﴾ أى أوقعوا بسبب إحساننا إليهم العتو، وهو التكبر والإباء ﴿ عن امر ربهم ﴾ أى . ولاهم الذى أعظم إحسانه إليهم ففقدوا الناقة ٢٠

(١) فى الأصل: رحمة.

و ارادوا قتل بيه عليه السلام ﴿ فخذتهم ﴾ بسبب عتوهم اخذ قهر و عذاب  
 ﴿ الصنعة ﴾ اى الصيحة العظيمة التى حملتها الريح ، فأرسلتها إلى مسامعهم  
 بغاية العظمة ، و رجت ديارهم رجّة ازالّت أرواحهم بالصفق ، و قوله :  
 ﴿ و هم ينظرون ﴾ دال على أنها كانت فى غمام ، و كان فيها نار ، و يجوز -  
 ٥ مع كونه من النظر - أن يكون أيضا من الانتظار ، فانهم وعدوا  
 نزول العذاب بعد ثلاثة أيام ، و جعل لهم فى كل يوم علامة و قمت  
 بهم فتحققوا وقوعه اليوم الرابع ﴿ فإ ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه  
 ما ﴿ استطاعوا ﴾ أى تمكنوا ، و أكد النفي فقال : ﴿ من قيام ﴾ أى  
 بعد مجيئها بأن عاجلتهم باهلاكها عن القيام .

١٠ و لما كان الإنسان قد لا يمتكّن من القيام لعارض فى رجليه  
 و ينصف من عدوه بما يرتبه من عقله و يدركه برأيه قال : ﴿ وما كانوا ﴾  
 أى كونا ما ﴿ متصيرين لا ﴾ أى / لم يكن فيهم أهلية للاتصار بوجه ،  
 لا بأنفسهم ولا بانصار ينصرهم فطاوعونه فى النصرة لأن تهيأهم لذلك  
 سقط بكل اعتبار .

/ ٥٧

١٥ و لما أتم قصة من أهلكوا بما مر شأنه الإهلاك و هو الصاعقة ،  
 أتبعهم قصة من أهلكوا بما مر شأنه الإحياء ، و هو الماء الذى جل  
 ما يشتمل عليه الحلاطات التى أثارها الذريبات ، و قد كانوا موجودين  
 فى الأرض و السماء - و أسبابه مهياة - و هم لا يحسون بشيء من ذلك ،

(١) فى الأصل : - اسمهم (٢) فى الأصل : العارض (٣) فى الأصل : الابتصار .  
 (٤) فى الأصل : موجودا .

و أما عبادنا المؤمنون<sup>١</sup> فهيأنا لهم أسباب النجاة من السفينة وغيرها،  
و أعلنهم بها، فكان كل ما أردنا و قاله عنا أولياؤنا فقال مغبرا للأسلوب  
تنسيها على العظمة بنفس الإهلاك لكونه بما من شأنه الإحياء و الإبقاء  
و التصرف في الأسباب: ﴿ و قوم ﴾ أى و أهلكتنا قوم ﴿ نوح ﴾ على  
ما كان فيهم من الكثرة و قوة المحاولة و القيام بما يريدونه، و يجوز  
أن يكون معطوفا على ” فيها “ أى و تركناهم آية، و يحسن هذا الإعراب  
أنهم هلكوا جميعا و كانوا جميع أهل الأرض، و عم عذابهم جميع  
الأرض، كانوا لهم الآيات، و يؤيد هذا الإعراب قراءة أبى عمرو و حمزة  
و الكسائي<sup>٢</sup> بالجر عطفًا على ضمير ” فيها “ .

و لما كان إهلاكهم على عظمه و انتشاره في بعض الزمان، أدخل ١٠  
الجار فقال: ﴿ من قبل<sup>٣</sup> ﴾ أى قبل هذه الأمم كلها، ثم علل إهلاكهم  
بقوله: ﴿ انهم كانوا ﴾ خلقا و طبعًا، لاحيلة لغيرنا من أهل الأسباب  
في صلاحهم ﴿ قوما ﴾ أى أقوياء ﴿ فسقين<sup>٤</sup> ﴾ أى عريقين في الخروج  
عن حظيرة الدين .

و لما كان إهلاكهم بالماء الذى نزل من السماء، و طلع من الأرض ١٥  
بغير حساب، كان ربما ظن ظان أن ذلك كان للخلل كان فيهما، ثم  
أصلح بعد ذلك كما يقع لبعض من يصنع من الملوك صنعا يبالغ في  
إتقانه فيختل<sup>٥</sup>، قال عاطفا على ما نصب ” يوم “ مينا<sup>٦</sup> أن فعل ذلك

(١) في الأصل: المؤمنين (٢) راجع نثر المرجان ٤٥/٨ (٣) في الأصل: فيجبل .  
(٤) في الأصل: مبليا .

ما كان بالاختيار ، دالا على وحدانيته لنهام [القدرة-<sup>۱</sup>] الدالة على ما تقدم  
من أمر البعث : ﴿والسماء بينيها﴾ بما لنا من العظمة ﴿بايد﴾ أى بقوه  
وشدة عظيمة لا يقدر قدرها . ولما كانت السماء ألبق لعظمتها وطهارتها  
بصفات الإلهية ، قال - وأكد لما يلزم إنكارهم البعث من الطعن فى القدرة :  
هـ ﴿وانا﴾ على عظمتنا مع ذلك ﴿لموسعون﴾ أى أغنياء وقادرون  
ذوسعة لا تنهى ، أى قدرة ، من الوسع وهو اللطافة ، وكذلك أوسعنا  
نقدار جرمها وما فيها من الرزق عن أهلها فالأرض كلها على اتساعها  
كالنقطة فى وسط دائرة السماء بما اقتضته صفة الإلهية التى لا يصح فيها  
الشركة أصلا ، ومطيعون لما لا يحصى من أمثال ذلك ، وما هو أعظم  
۱۰ منه مما لا يتناهى ، ومحيطون بكل شىء قدرة وعلماء ، وجديرون [و-<sup>۲</sup>]

/ ۵۸

حقيقون / بأن يكون ذلك من أوصافنا فوصف به لما يشاهد لنا من القوة  
على كل ما نريد ، فلسنا كمن يعرفون من الملوك لأنهم إذا فعلوا لا يقدر  
على أعظم منه وإن قدروا [كان-<sup>۱</sup>] ذلك منهم بكلفة ومشقة ، وسدرون فى  
اليوم الآخر ما يتلاشى وما تريدون فى جنبه ، ومن اتساعنا جعلها بلا  
۱۵ عمد مع ما هى عليه من العظمة إلى غير ذلك من الأمور الحارقة للعوائد :

﴿والارض فرشنا﴾ كذلك بما لنا من العظمة ، فصارت عمدة جدية  
بأن يستقر عليها الأشياء وهى آية على تمهيدنا لأرض الجنة وشقنا  
لأنهارها وغرسنا لأشجارها ﴿فنعم﴾ أى فتسبب عن ذلك أن يقال  
فى وصفنا : نعم ﴿المهذون﴾ أى نحن لكمال قدرتنا ، فما نزل من

(۱) زيد ولا بد منه .

السماء شيء ولا نبع من الأرض شيء إلا بارادتنا و تقديرنا و اختيارنا  
من الأزل لانا إذا صنعنا شيئاً علماً ما يكون منه من حين إنشائه إلى  
حين إنباته، ولا يكون شيء منه إلا بتقديرنا، وذلك تذكير بالجنة والنار،  
فما فوقها من خير فهو آية على الجنة، وما فيها من جبال و وهاد وعر  
و خروبة فهو آية على النار .  
٥

ولما كان الأشياء المتضادة من الشيء الواحد أدل على القدرة من  
هذا الوجه، قال: ( ومن كل شيء ) أى من الحيوان وغيره ( خلقنا )  
بعظمتنا . ولما كان الفلاسفة يقولون : لا ينشأ عن الواحد إلا واحد،  
قال رداً عليهم : ( زوجين ) أى مثله شيئان كل منهما يزواج الآخر  
من وجه وإن خالفه من آخر، ولا يتم نفع أحدهما إلا بآخر من ١٠  
الحيوان والنبات وغيرها ويدخل فيه الأضداد من الغنا والفقر،  
والحسن والقبح، والحياة والموت، والضياء والظلام، والليل والنهار،  
والصحة والسقم، والبر والبحر، والسهل والجبل، والشمس والقمر،  
والحر والبرد، والسموات والأرض، وأن الحر والبرد من نفس جهنم  
آية بينة عليها، وبناءهما على الاعتدال فى بعض الأحوال آية على الجنة ١٥  
مذكورة بها مشوقة إليها .

ولما كان ذلك فى غاية الدلالة على أن كلا من الزوجين يحتاج  
إلى الآخر وأنه لا بد أن ينتهى الأمر إلى واحد لا مثل له وأنه لا يحتاج  
بعد ذلك التنبيه إلى تأمل كبير قال: ( لعلكم تذكرون . ) فأدغم تاء  
التفعل الدالة على العلاج والاجتهاد والعمل فصار (؟) فتكونوا عند ٢٠

من ينظر ذلك حق النظر على رجاء من أن يتذكروا قليلا من التذكر  
فيهديكم إلى سواء السبيل .

و لما كان كل شيء مما سواء لا بد له من ضد يضاده أو قرين يسد  
مسده ، وأما سبحانه فلا مثل له لأنه لو كان له مثل لنازعه ، فلم يقدر  
على كل ما يريد " لو كان فيهما 'الهة' الا الله لفسدتا " و ثبت أنه  
أهلك القرون الأولى بمخالفة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ثبت أن  
وراء المكلفين عذابا يحق لهم الفرار منه ، و ثبت أن كل شيء غيره محتاج  
إلى زوجه يشقت حاجة الكل إليه ، و أنه لا كفاية عند شيء في كل ما  
يرام منه ، <sup>٢</sup>وجب أن لا يفزع إلا إلى الواحد / الغنى فسيب عن ذلك / ٥٩

١٠ قوله : ﴿ قُورَآ ﴾ أى أقبلوا و الجاؤا . و لما درب عباده في هذه السورة  
بصفة الربوبية كثيرا ، فتأهلوا إلى النفوذ في الغيب ، و كانت العبادة لا تكون  
خالصة إلا إن علق بالذات لا لشيء آخر ، ذكر اسم الذات فقال :  
﴿ الى الله ﴾ أى إلى الذى لاسمى له من مكافئ ، وله الكمال كله ،  
فهو في غاية العلو ، فلا يقهر ويسكن احد إلى محتاج مثله فان المحتاج  
١٥ لاغنى عنده ، و لا يقهر سبحانه إلا من تجرد عن حضيض عوائقه الجسمية  
إلى أوج صفاته الروحانية ، و ذلك من وعيده <sup>٢</sup> إلى وعده اللذين دل  
عليهما بالزوجين ، فتقل السياق بالتحذير و الاستعطاف و الاستدعاء ، فهو  
من باب " لا مارجأ منك إلا إليك أعوذ بك منك " و استمر إلى آخر

(١) في الأصل : يثبت (٢) و من هنا استأنفت نسخة مد مع بعض النسخ .

(٣) من مد ، و في الأصل : وعيد .

السورة في ذكره إشارة إلى على أمره، ثم علل بقوله مؤكدا لما لهم من الإنكار: ﴿إني لكم منه﴾ أي لا من غيره ﴿نذير﴾ أي من أن يفر أحد إلى غيره فانه لا يحصل له قصده .

ولما أقام الدليل العقلي الظاهر جدا بما يعلمه أحد في نفسه على ما قاله في هذا الكلام الوحيد قال: ﴿مبين﴾ فقرار العامة من الجهل ٥ إلى العلم عقدا وسعيا، ومن الكسل إلى التشمير حذرا وحزما، ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء، و فرار الخاصة من الخير إلى الشهود، ومن الرسوم إلى الأصول، ومن الحظوظ إلى التجريد، و فرار خاصة الخاصة بما دون الحق إلى الحق لإشهادا في شهود جلاله واستغراقا في وحدانيته، قال القشيري: ومن صح فراره إلى الله صح فراره مع الله - انتهى . وهو ١٠ بكمال المتابعة ليس غيره، ومن فهم منه اتحادا بصفة أو ذات فقد ماحد طريق القوم فعليه لعنة الله .

ولما ثبت أنه لاملجأ إلا إلى الله الواحد المنزه عن الزوج، وذلك هو الله الذي له الكمال كله، وكان ربما وقع في وهم<sup>١</sup> أن [في-] الوجود من غير الزوجين المعروفين من تفزع إليه كما تفزع إلى وزير الملك ١٥ وبوابه ونحو ذلك مما يوصل إليه، قال محذرا من سطواته<sup>٢</sup>: ﴿ولا تجعلوا﴾ أي بأهوائكم ﴿مع الله﴾ وكرر الاسم الأعظم ولم يضمن تعيينا للراد لأنه لم يشاركه في التسمية به أحد وتنبها على ماله من

(١) من مد، وفي الأصل: فهم (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفي الأصل: سهوانه .

صفات الكمال و تعميها لوجوه المقاصد ثلثا يظن، وقيل "معه" أن  
 المراد النهى عن الجعل<sup>١</sup> من جهة الفرار لامن جهة غيرها ﴿الها﴾ .  
 ولما كان المراد كمال البيان، [منع -<sup>٢</sup>] مجاز التجريد منع تغنت  
 من يظعن بتكثر الاسماء كما أشار إليه بقوله "قل ادعوا الله او ادعوا  
 ٥ الرحمن"، الآية بقوله: ﴿آخر<sup>٣</sup>﴾ ثم علل النهى مع التأكيد لطعنهم  
 في نذارته فقال: ﴿انى لكم منه﴾ أى لا من غيره فان غيره لا يقدر  
 على شيء ﴿نذير﴾ أى محذر من الهلاك الأبدى بالعقوبة التى لا خلاص  
 منها إن فعلتم ذلك ﴿مبين﴾ أى لا أقول شيئا من واضح النقل إلا  
 ودليله ظاهر<sup>٤</sup> من صريح العقل . ولما ذكر قولهم المختلف الذى منه  
 ١٠ تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبته إلى السحر والجنون وغير  
 ذلك من ألقون، ومنه الإشراك مع اعترافهم<sup>٥</sup> بأنه لا خالق إلا الله  
 ولا كاشف ضر غيره إلى غير ذلك من أنواع الاضطراب، وأخبر  
 بهلاكهم<sup>٦</sup> على ذلك وحذرهم منه . ودل عليه إلى أن ختم بانذار من  
 اتخذ إلها غير<sup>٧</sup> / قال مسليا: ﴿كذلك﴾ أى مثل<sup>٨</sup> قول قومك المختلف  
 ٦٠ /  
 ١٥ العظيم الشناعة، البعيد من الصواب، بما له من الاضطراب، وقع لمن  
 قبلهم، ودل على هذا المقدر بقوله مستأنفا: ﴿ما آتى الذين﴾ ولما  
 كان الرسل إنما كان إرسالهم فى بعض الأزمان الماضية ولم يستغرقوا

(١) من مد، وفى الأصل: الجهول (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفى الأصل:  
 الظاهر (٤) من مد، وفى الأصل: الاعتراف (٥) من مد، وفى الأصل:  
 عدلهم (٦) زيد فى لأصل: قوله، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها .



جميعها بالفعل ، أثبت الجار في قوله : ( من قبلهم ) وعمم النفي بقوله :  
 ( من رسول ) أى من عند الله ( الا قالوا ) ولو بعضهم برضا الباقين :  
 ( ساحرا و مجنون ) لان الرسول يأتيهم بمخالفة مألوفاتهم التى قادتهم  
 إليها أهواؤهم ، والهوى هو الذى أوجب لهم هذا التناقض الظاهر سواء  
 كانت " أو " للتفصيل بأن بعضهم قال واحدا و بعضهم قال آخر ، ه  
 أو كانت للشك لان الساحر يكون ليلا فطنا آتيا بما يعجز عنه كثير من  
 الناس ، و المجنون بالضد من ذلك ، ثم عجب منهم بقوله : ( اتواصوا به )  
 [ أى - ١ ] أوصى بهذا بعض الأولين و الآخرين بغضا .

ولما ساق هذا فى أسلوب الاستفهام إشارة إلى أنه قول ينبغى  
 السؤال عن سببه لما له من الخفاء ، أجاب عنه بأنهم لم يتواصوا به لان ١٠  
 الأولين ما اجتمعوا مع الآخرين : ( بل هم ) اجتمعوا فى وصف أدام إلى  
 ذلك . و هو أنهم ( قوم ) أى ذور شماخة و كبر ( طاغون ) أى  
 عالون فى الكفر مسرفون فى الظلم و المعاصى مجاوزون للقدار ، و أشار  
 بالضمير إلى أن الطغيان أمر ذاتى لهم . فهو يمدح منه سبحانه بأنه هو  
 الذى قهرهم بسوقهم إلى هلاكهم بقدرته التامة و عليه الشامل . ١٥

و لما كان صلى الله عليه . سلم يكاد يتلف نفسه الشريفة - بأبى  
 هو و أمى - غما عليهم و أسفا لتخلصهم عن الإسلام و خوفا أن لا يكون  
 و فى بما عليه من التنبيه ، و الإعلام . سبب تعالى عن حالهم قوله :

( ١ ) زيد من مد ( ٢ ) من مد ، و فى الأصل : ذو ( ٣ - ٣ ) فى مد : المعاصى .  
 و الظلم ( ٤ ) من مد ، و فى الأصل : البيئة .

(قول عنهم) أى كلف نفسك الإعراض عن الإبلاغ فى إبلاغهم بالمجادلة والصدع بالتغليظ بعد ما تقدم منك من الإبلاغ (فأنت) بسبب الإعراض بعد الإنذار (بمعلوم قد) أى يستحق الملامة بسبب إعراض من اعرض منهم عنك ، فأتى إنما حكمت بذلك لآتى إنما قسمت الناس ٥ إلى مؤمن تنفعه الذكرى ، وطاغ لا ينفعه شئ ، ولذلك قال : (وذكر) أى بالرفق واللين ، ولما أصرروا على التكذيب والإعراض حتى أيس منهم ، أكد ما سببه عن التذكير بقوله : (فان الذكرى) أى التذكر بالندارة البليغة (تنفع المؤمنين) أى الذين قدر الله أن يكونوا عريقين فى وصف الإيمان ولا بد من إكثار التذكير ليغلب ما عديم ١٠ من نوازع الحظوظ وصواف الشهوات ، مع ما هم مجبولون عليه من النسيان .

ولما كان هذا ربما أوهم ان سوام غير مقدور عليهم ، قال مؤكدا بالحصص دالا على انه هو الذى قسم الناس إلى طائعين ومؤمنين بالعطف على ما تقديره : فاحكم عليهم بذلك الضلال والهدى غيرى ، ٦١ / ١٥ وما أرسلت الرسل / وأزلت الكتب إلا لاستخلاص المؤمنين وإقامة الحجة على الضالين : (وما خلقت الجن والانس) الذين أكثرهم كافرن (الا لعبدون) أى لينجروا تحت أفضيتى على وجه ينفعون به أنفسهم أو يضررونها لا شئ يلحقى أنا منه شئ من نفع أو ضرر ، فأتى

(١) من مد ، وفى الأصل : على (٢) فى مد : يصيروا (٣ - ٤) من مد ، وفى الأصل : بوصف (٤) من مد ، وفى الأصل : كافرين .

بنيتهم على العجز وأودعتهم نوازع الهوى ، وركبت فيهم غرائز  
فهيأتهم لاتباع الهدى ، فن أطاع عقله كان عابداً لى فاراً إلى مع  
جريه تحت الإرادة ، عبادة شرعية أمرية يستفيد بها الثواب ، ومن أطاع  
الهوى كان عابداً لى مع مخالفته أمرى عبادة إرادية قسرية يستحق بها  
العقاب ، وكل تابع لهواه إذا حقق النظر علم أن الخير في غير ما هـ  
هو مرتكبه ، فما ألزمه ما هـ هو فيه مع علمه بأن غيره خير منه إلا قهر  
إرادتى ، فهذه عبادة لغوية ، وذاك عبادة شرعية ، وقد مر فى آخر  
هود ما ينفع هنا ، وهذا كله معنى قول ابن عباس : إلا ليقرأوا لى  
بالعبادة طوعاً وكرها .

ولما حصر سبحانه خلقهم فى إرادة العبادة ، صرح بهذا المفهوم ١٠  
بقوله : ( ما أريد منهم ) أى فى وقت من الاوقات ، وعم فى النفى  
بقوله : ( من رزق ) أى شئ من الأشياء على وجه ينفع من جلب  
أودفع ، لأنى منزّه عن لحاق نفع أو ضرر ، كما يفعل غيرة من الموالى  
بعيدهم من الاستكثار بغلاتهم والاستعانة بقواتهم لأنى الغنى المطلق  
وكل شئ مفتر إلى ( وما أريد ) أصلاً ( ان يطعمون هـ ) أى ١٥  
[ أن - ] يرزقون رزقا خاصا هو الإطعام ، وفيه تعرض

(١) من مد ، وفى الأصل : الثبات (٢) من مد ، وفى الأصل : هواء (٣) من  
مد ، وفى الأصل : تحقق (٤) من مد ، وفى الأصل : بما (٥) راجع البحر المحيط  
١٤٣/٨ (٦) من مد ، وفى الأصل : شئ (٧) من مد ، وفى الأصل : ينفع (٨) من  
مد ، وفى الأصل : عبيدهم (٩) زيد من مد (١٠) من مد ، وفى الأصل : وهـ .

بأصنامهم<sup>١</sup> فانهم كانوا يعملون معها ما ينفعها ويحسرون لها الأكل،  
 وربما اكلتها الكلاب ثم نالت على الأصنام. ثم لا يصدح ذلك، وهذه  
 الآية دليل على أن الرزق أعم من الأكل، والتعبير بالإرادة دال على  
 ما قلت إنه مقصود بالعبادة. وهو الجرى تحت الإرادة، تارة بموافقة  
 ه الشرع وتارة بمخالفته .

ولما كان الاهتمام بأمر الرزق - وقد ضمنه سبحانه - شاغلا عن  
 كثير من العبادة، وكان الإنسان يظن أن الذي حصل له ما حواه من  
 الرزق سعيه، قال حاصرا ذلك مؤكدا لإزالة لتلك الظنون معللا لافتا  
 الكلام إلى سياق الاسم الأعظم الذي لم يقسم به غيره، نصا على المراد  
 : وبالفاء من الإرشاد<sup>٢</sup> أقصى المراد : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات  
 الكمال المنزه عن شوائب النقص ﴿ هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الرزاق ﴾ أى  
 على سبيل التكرار لكل حى وفى كل وقت ، ثم وصفه بما يبين هوان  
 ذلك عنده فقال : ﴿ ذو القوة ﴾ أى التى لا تزول بوجه ﴿ المتين ﴾ أى  
 الذى يدوم الشدة .

١٥ ولما أقسم سبحانه على الصدق فى وعيدهم ، ودل على ذلك حتى  
 بجميع قصد أحوالهم على إرادته . وختم بقوته التى لا حد لها ، سبب عن  
 ذلك إيقاعه بالمتوعدين ، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ فان للذين ظلموا ﴾  
 أى الذين أوقعوا الأشياء فى غير مواقعها . ولما كان القسم على ما  
 (١) من مد ، وفى الأصل : لأصنامهم (٢-٣) من مد ، وفى الأصل : للإرشاد .  
 (٣) من مد ، وفى الأصل : ثم قال .

٦٢ /

يوعده ن بما يحمل المطر ، عبر عن نصيحتهم الذى قدره / عليهم من ذلك بقوله : ﴿ ذنوبا ﴾ أى خطأ من العذاب طويل الشر . كأنه من طوله صاحب ذنب وهو على ذنوبهم ﴿ مثل ذنوب اصحبهم ﴾ أى الذين تقدم ظلمهم بتكذيب الرسل وهو فى مشابهة له كالدلو الذى يساجل به دلو آخر ، وذلك دليل واضح على أن ما يوعدون صادق ، وأن الدين واقع ﴿ فلا يستعجلونه ﴾ أى يطلبوا أن آتيهم به قبل أوانه اللاحق به . فان ذلك لا يفعله إلا ناقص ، وأنا متعال عن ذلك لا أخاف الفوت ولا يلحقنى عجز ولا أوصف به ، ولا بد أن أوقعه بهم فى الوقت الذى قضيت به فى الأزل ، لأنه أحق الآوقات بعقابهم لتكامل ذنوبهم ، وحيث تكون فياله من تهديد ما أظلمه . ووعيد ما أعظمه وأوجعه ، ١٠ أمرا لا يدفعه دافع ، ولا يمنع من وقوعه مانع . ولذلك سبب عنه قوله : ﴿ فويل ﴾ أى شر حال وعذاب يوجب الندب والتفجع ﴿ للذين كفروا ﴾ أى ستروا ما ظهر من هذه الأدلة التى لا يسع عاقلا إنكارها ﴿ من يومهم ﴾ أضافه إليهم لأنه خاص بهم دون المؤمنين ﴿ الذى يوعدون ﴾ فى الدنيا والآخرة ، وقد انطبق آخرها على أولها بصدق الوعيد ، وثبت بالدليل ١٥ القطعى ذلك القسم الأكيد - والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

\* \* \*

(١) من مد ، وفى الأصل : الذى (٢) من مد ، وفى الأصل : انه .

## خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الثامن عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة ٢٢ / محرم الحرام سنة ١٤٠٢ هـ = ٢٠ / نوفمبر سنة ١٩٨١ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الاعظمي الأنصاري العمري ( أفضل العلماء - جامعة مدراس ) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندی القادري ( كامل الجامعة النظامية ) - حفظهما الله .  
و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادما العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء التاسع عشر باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الطور ٤٠ و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحب و يرضاه، و هو المسؤول لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علم فوائده الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آلله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية